

منتدى مكتبة الإسكندرية

رواية

إله الأشياء الصغيرة

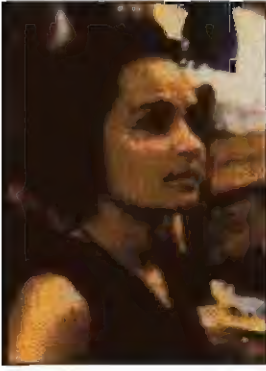
أروندهاتي روي

الرواية الحائزة على جائزة Booker Prize لعام ١٩٩٧



ترجمة : م. جهان الجندي





- «قصة قهرية تجمع، بطريقة ما، ما بين الأحاسيس الشخصية الأكثر عمقاً والأكثر جزئية، والرواية الملحمية... كانت هناك أوقات توقفت فيها عن القراءة لأنني خشيت كثيراً على الشخصيات، وأوقات عدتُ فيها لقراءة مقطعاً أو صفحة لأحفظ عن ظهر قلب جمالياتها».

ميراسيال، ساندي إكسبرس

- «من النادر جداً أن تجد كتاباً ينفذ على نحو فاجع في ثياب القومية والطبقات والدين، ليفضح عظام الإنسانية العارية. رواية حسية مثيرة».

كلير سكوبل، ديلي تيليغراف

- «إنها تستحق عن جدارة الإطار المشوق الذي نالته في جانبي الأطلسي... «إله الأشياء الصغيرة» تُحدث صدىً مأساوياً صميمياً. إنها، حقاً، رواية استثنائية».

كريستينا باترسون، أوبسيرفر

- «أثبت الكتاب أنه من الممكن إقناع الأميركيين بشراء وقراءة كتب دخيلة غير كتب غارسيا ماركيز وآمي تان»

واشنطن سكوير نيوزويك

- - إله الأشياء الصغيرة (رواية)
- - أروندهاتي روي
- - الطبعة الأولى ١٩٩٩
- - دار الجندي للنشر والتوزيع: سورية - دمشق
هاتف: ٣٣١٧٠١٩ - ص. ب: ٣٣٤١٨
فاكس: ٣٣١٧٠٠٨
- - جميع حقوق الترجمة محفوظة لدار الجندي
- - التدقيق اللغوي: عهد فاضل

أروندهاتي روي

إله الأشياء الصغيرة

(رواية)

ترجمة: م. جهان الجندي

أبدأ، لن يحدث ثانية، أن تُروى قصة، كأنها الوحيدة.

جون برغر

مقدمة

تحقق إله الأشياء الصغيرة أهم ما يُحتاج إليه في فن التخيل: رؤية العالم وكأننا نراه للمرة الأولى، وملاحظة واعتبار كل تلك الأشياء الصغيرة، الصغيرة نعم، ولكن التي تصنع الحياة من حولنا، حياتنا.

تكتب روي ببصرية محتشدة خصبة. تأخذ بيدنا وتجعلنا نلمس كل تفصيل، ونشعر بتنوعاته وانبساطاته. دون رحمة، حتى الثمالة، ودون متاجرة أو تصنع أيضاً، بل ببساطة شديدة موجعة.

تبني بنية متشابهة هائلة من التفاصيل المكثفة الدقيقة، وبذكاء وحساسية عالية تبرز تفكير وأحاسيس كل شخصية من خير أن تغطي واحدة على أخرى، تمضي مع كل منها حتى النهاية، كل متكامل.

هناك شيء طفولي فيها، فلديها المقدرة العالية على الدهشة، على رؤية العالم كما يراه طفل، واستعاراتها الدقيقة والمحكمة، تضحكك رغماً عنك.

إنها لا تكتب برأفة، بل بصدق قاسٍ مرهق، دون مواربة، بخط مستقيم يوصل إلى الهدف تماماً، وينفذ بعيداً. تجعلك تبكي وتضحك، تصرخ وتغضب... في جو مشحون تتدلى المأساة فوقه، مغلف بالألم، الألم الذي يجعلك أحياناً كثيرة تترك كل شيء، وتخرج، تركض وتركض، ولا تتوقف، إلى أن تطمئن أنك قد أصبحت على بعد كافٍ تستطيع معه أن تغتجر جرعة من هواء صافٍ، غير مثقل بكل ذلك القدر من الوجع...

تسير أغوار مجتمع خاص، عزل نفسه برفعة داخل محيطه الأعم، مجتمع المسيحيين السوريين^(٥)، الذين استوطنوا المنطقة بأعداد كبيرة واتخذوا نصيراً اللغة الإنكليزية والإمبراطورية، وعزلوا عن السياق الكبير لحركات الأمة.

وتتعرض لأوضاع النساء ولنظام الطبقات القاسي في الهند، وتصف وتحلل بفراسة وفطنة الأوضاع السياسية المعقدة في كيرالا.

بالرغم من أن النهاية تلوح مبكراً، إلا أن روي توظف سرداً موارباً، غير مباشر، بحيث تنبثق الأحداث خارج سياقها الزمني فتستخدم تقنية سينمائية - قفزات زمنية، شطحات نحو الأمام، ومن ثم انكفاءات سريعة - لتسرع وتؤجل في آن واحد، الكارثة القادمة.

تكتب روي بتدفق، بغزارة كلامية، استطاعت أن تنفذ إلى كل تلك الأشياء الصغيرة وتحتويها، فكان لها صوتها الخاص، وتوقعها الخاص.

...إن أول ما تصدمنا به الرواية هو حركة الشيء باتجاه اللغة.

إنها رواية «شيئية» تجعل ناقلها إلى العربية يتنقل بين «الترجمة» و«التعريب»، تدفعه لأن يكون حرفياً هنا، أو معرباً هناك، وتضطره إلى استنباط كلمات / تعابير تحمل «شيئتها»، تستوعبها، وتنقلها.

جهان الجندي

كانون الأول ١٩٩٨

(٥) - في عام ٥٢ م ارتحل القديس توما، أحد تلامذة المسيح، إلى الهند للتبشير بالمسيحية، وفي عام ٣٤٥ م هاجرت ٧٢ عائلة سورية مسيحية واستوطنت الهند، وكوّنت مع الهندوس السريان الأرثوذكس، مجتمع المسيحيين السوريين.

مخلّلات ومعلبات الجنة

شهر أيار، في أيمينييم، شهر تأمل حار. الأيام طويلة ورطبة. النهر ينحسر وتنشق غريان سوداء على منغا برّاقة متدلّية من أشجار ساكنة بلون أخضر مغبّر. ينضج الموز الأحمر. تطفح ثمار الجاك. وتطنّ ذبابات زرقاء فاجرة، بيلاهة، في الجو الفاكهي قوي النكهة، ومن ثم ترتطم، دائخة، بالواح النوافذ الزجاجية الشفافة وتموت مرتبكة بكسل في الشمس.

الليالي صافية لكنها مخضّبة بتوقعات كسلى وكهية.

لكن، ومع الأيام الأولى من حزيران، تهبّ الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، وتتلوها ثلاثة أشهر من الرياح والمياه مع نوبات قصيرة من إشرافات شمس متألّقة حادة، تثير فرصاً قصيرة للأطفال للعب بها. ينقلب الريف إلى خضرة وقحة غير محتشمة. تغيب الحدود، بينما تتأصل أسيجة التايوكا وتزهر. تصبح جدران القرميد طحلبية. وتتسلق كروم الفلفل أعمدة الكهرباء، تندفع النباتات البرية المتسلقة عبر ضفاف اللطريط^(١) وتتدفق عبر الطرقات المغمورة. تذرّع المراكب الأسواق جيئة وذهاباً. وتظهر أسماك صغيرة في البرك القدرة

(١) - اللطريط: تربة حمراء توجد في المناطق المدرية. تترشّح من معادن ذائبة وتحوي تركيبات من أكسيد وهيدروكسيد الحديد. (المترجمة).

المرحلة التي تملأ أحاديده وحفر التصريف على الطرق الرئيسية.

كانت تمطر عندما عادت راحيل إلى أيمنينيم. وكانت الجبال القضيبة المغروزة داخل التربة المتقلقة تحرثها كالطلقات النارية. ارتدى المنزل القديم فوق الهضبة سطحه الجمولني ساجاً إياه فوق أذنيه كقبعة واطقة. أصبحت الجدران المخططة بالطحالب طرية، وانتفخت برطوبة انبثقت من الأرض. كانت الحديقة البرية مفرطة النمو مليئة بهمس وتراكض أحياء صغيرة. عند النباتات تحت الأشجار، حلك ثعبان صائد فزان نفسه بحجرة متلاثلة. طاف ضفدع، أصفر، مقعم بالأمل البركة الآمنة القذرة باحثاً عن أصدقاء. واندفعت قطعة منفا عبر الدرب المغطى بأوراق الأشجار.

المنزل ذاته بدا فارغاً. كانت الأبواب والوافذ مغلقة. الشرفة الأمامية خالية. غير مؤثقة. لكن البليموث السماوية اللون برفافها المطلي بالكروم، كانت ما تزال مركونة خارجاً، وفي الداخل كانت يبي^(١) كوتشاما ما تزال على قيد الحياة.

كانت يبي الحالة الكبرى لراحيل، الشقيقة الصغرى لجدها. اسمها الحقيقي نافومي، نافومي إبي، لكن الجميع كانوا يدعونها يبي. أصبحت «يبي» كوتشاما عندما كانت كبيرة كفاية لتكون خالة. مع ذلك، فراحيل لم تأب لترها. لا ابنة الأخت ولا الخالة الكبرى الطفلة خضعتا لأي وهم بهذا الخصوص. لقد أنت راحيل لترى أخاها إستا. كانا توأم بويضتين. هكذا دعاهما أطباء التوائم. ولدا من بويضتين منفصلتين لكن مخصبتين في الوقت نفسه. كان إستا - إستان هو الأكبر بثمان عشرة دقيقة.

لم يبدُ أحدهما كالآخر مطلقاً، وحتى في الوقت الذي كانا فيه طفلين بأذرع رفيعة وصدرين مسطحين، متحركين كالديدان ومرتدين قمصان منتفخة مثل إلفيس بريسلي، لم يكن هناك أي من العبارات المعتادة «من هو الذي؟»

(١) - استخدمت الكتابة كلمة Baby التي تعني «طفلة» بالانكليزية، لكننا أثراً استخدام يبي بدلاً من طفلة حفاظاً على سلامة اللغة العربية. (الترجمة).

«ما هو ما؟»، من قبل الأقارب المفرطين في الابتسام، أو من المطران السوري الأرثوذكسي الذي كان يزور أيمتيم كثيراً من أجل التبرعات. لقد كمن الإرباك في موضع أعمق وأكثر سرية.

في تلك السنين المبكرة غير الواضحة عندما كانت الذاكرة قد بدأت للتو، والحياة مليئة ببدايات دون نهايات، وكل شيء كان أدياً، كان إستان وراجيل يفكران بنفسيهما سويةً على أنهما «أنا»، وبشكل منفصل وفردى على أنهما «نحن». وكأنهما توأم سيامي نادر الولادة، منفصلان جسدياً، لكن بذاتين مشتركين.

الآن، وبعد هذه السنين، ما تزال لدى راجيل ذكرى استيقاظها إحدى الليالي مقهقهةً على حلم إستا المضحك.

ولديها أيضاً ذكرى أخرى ليست من حقها. إنها تتذكر على سبيل المثال (بالرغم من أنها لم تكن موجودة)، ماذا فعل الرجل الذي يبيع عصير الليمون والبرتقال لإستا في أبهيلاش توكيز (Abhilash Talkies). تتذكر طعم سندويش الطماطم - سندويش إستا، تلك التي أكلها إستا - في قطار مدارس ميل الذهاب إلى مدارس.

وتلك هي الأشياء الصغيرة فقط.

على أي حال، إنها تفكر بإستا وراجيل على أنهما هما، لأن كلاً منهما على حدة، لم يعودا ما كاناه (هما)، أو ما اعتقدا دوماً أنهما سيكونانه دائماً.

لحياتيهما حجم وشكل الآن. لإستا حياته ولراجيل حياتها.

ظهرت الخواف والحدود والحواجز والتخوم والنهايات القصوى، كمجموعة من العناريت الأقزام في أفضيهما المنفصلين. مخلوقات قصيرة بظلال طويلة، تحرس النهاية الغائمة.

أنصاف أقمار رقيقة تجمعت تحت أعينهما وهما الآن في سن آمو عندما توفيت، في الحادية والثلاثين.

ليست سناً متقدمة.

وليست سناً صغيرة.

لكنها، سن صالحة للحياة، وصالحة للموت.

كان إستا وراحيل على وسك أن يولدا في باصر، فالسيارة التي كان أباء، والدهما، ينقل بها أمو، والدتهما، إلى مستشفى شيلونغ تعطلت على طريق مزرعة الشاي في آسام. تركا السيارة ولوحا لباص حكومي مكتظ. أفسح الركاب الجالسون مكاناً للثنائي بتعاطف غير مألوف من المدفعين تجاه ذوي الأحوال الحسنة نسبياً. أو ربما لأنهم رأوا كيف كانت أمو حاملاً بشكل هائل، وكان على والد إستا وراحيل إمساك بطن والدتهما (وهما بداخله) حتى نهاية الرحلة ليحول دون خضه. كان هذا قبل طلاقهما وعودة أمو لتعيش في كيرالا.

بحسب إستا، لو أنهما ولدا في الباص، لكان لهما الحق بركوب باصر مجاني طوال حياتهما. لم يكن واضحاً من أين حصل على هذه المعلومة، أو كيف علم بهذه الأمور، لكن، ولسنوات، أضمر التوأم استياءً ضعيفاً تجاه والديهما لأنهما خدعاها وفوتا عليها فرصة ركوب باصر مجاني طوال الحياة.

كذلك اعتقدا أنهما إذا قتلا في تقاطع زيريرا^(١) فإن الحكومة ستدفع تكاليف جنازتهما. كان لديهما الانطباع المؤكد بأن الزيريرا إنما وجد لهذا الغرض. جنازات مجابية. بالطبع لم يكن هناك أي من تقاطع زيريرا ليقتل المرء فيه في أيمنيم، ولا حتى في كوتاباما التي كانت أقرب مدينة، لكنهما كانا قد شاهدا بعضاً منها من نافذة السيارة عندما ذهبا إلى كوتشين التي كانت على مسافة ساعتين.

لم تدفع الحكومة أبداً تكاليف جنازة صوفي مول، لأنها لم تُقتل في تقاطع زيريرا. كانت جنازتها في أيمنيم، في الكنيسة القديمة حديثة الطلاء.

(١) - تقاطع زيريرا: هو مكان خاص في انكلترا مخطط بخطوط يضاء وسرداء، يتوجب على السيارات الوقوف عنده والسماح للناس بالعبور بأمان. (الترجمة).

كانت ابنة خال إستا وراحيل، ابنة خالهما تشاكو. كانت صوفي مول قادمة من نكلترا في زيارة. كان إستا وراحيل في السابعة من عمرهما عندما ماتت. و كانت صوفي مون تقريباً في التاسعة. كان لها تابوت خاص بقياس طفل. مخطط بالألوان.

وله مقبض نحاسي براق.

اضطجعت فيه بينطالها الأصفر المتموج ذي الرجل العريضة وشعرها معقوص بشريطة و معها حقيبتها الـ (غوغو) المصنوعة في انكلترا والتي كانت تحبها. كان وجهها شاحباً ومغضناً كإبهام عامل تنظيف بسبب بقائها طويلاً في الماء. تجمع الحشد حول التابوت، وانتفخت الكنيسة كحنجرة بصوت الغناء الحزين. أرجح الكهنة بلحاهم المجددة طاسات البخور من سلاسلها ولم يتسموا أبداً للأطفال كماداتهم في أيام الأحاد الاعتيادية.

كانت الشموع الطويلة الموضوعة على المذبح، محنية. القصيرة لم تكن كذلك.

سيدة عجوز متكررة على أنها من الأقارب البعيدين (والتي لم يعرفها أحد)، ولكنها غالباً ما تظهر على السطح بجانب الجثث في الجنائزات. (مدمنة جنازات؟ مشتهية موتى مسترة؟) وضعت كولونيا على حشوة قطن وبسيماء لطيفة مخلصة متحدية، مسحت بها جبين صوفي مول. فصارت لها رائحة كولونيا وخشب تابوت.

مارغريت كوتشاما، والددة صوفي مول الانكليزية، لم تسمح لتشاكو، والد صوفي مول البيولوجي، بوضع ذراعه حولها ليريحها.

وقفت العائلة مجتمعة، مارغريت، تشاكو، بيبي كوتشاما وإلى جانبها زوجة أخيها، ماماتشي - جدة إستا وراحيل (وصوفي مول) - كانت ماماتشي عمياء تقريباً، وتضع دوماً نظارت سوداء عندما تخرج من المنزل. سألت دموعها خلفها وارتعشت على فكها كقطرات مطر عند حافة سطح. بدت صغيرة ومريضة بساربيها الأبيض المتموج. كان تشاكو ابن ماماتشي الوحيد. أساءها الشخصني أحزنها، وحزنه دمرها.

بالرغم من أنه قد سُمع لآمو وإستا وراحيل أن يحضروا الجنازة، لكنهم أجبروا على الوقوف بشكل منفصل، وليس مع بقية العائلة. لم يكن أحد ينظر إليهم.

كان الجو حاراً في الكنيسة. تجعدت والتفت النهايات البيضاء للزنابق اللينك. وماتت نحلة في زهرة تابوت. ارتعشت يدا آمو وكتاب التراتيل فيهما. كان جلدها بارداً. وقف إستا يقربها، بالكاد مستيقظاً، وعيناه المتقرحتان تلتصمان كالزجاج، وجنته الملتفة قبالة الجلد العاري للذراع آمو المرتجفة والمسكة بكتاب التراتيل.

من جهة أخرى، كانت راحيل بقطة جداً، حذرة بضراوة، وهشة من الإنهاك من جراء معركتها ضد الحياة الواقعية.

ولاحظت أن صوفي مول مستيقظة من أجل جنازتها، ودفعت براحيل لملاحظة أمرين اثنين.

الأمر الأول، كان القبة العالية المطلية حديثاً للكنيسة الصفراء التي لم تكن راحيل قد نظرت إليها مطلقاً من الداخل. كانت قد ظلت بالأزرق كالسماء، مع سحب تطوف وطيارات نفثة بالغة الصغر تتر، بذبول بيضاء تتقاطع مع السحب. إنه صحيح (ويجب أن يقال) أن ملاحظة هذه الأشياء تكون أسهل إذا كان المرء مستلقياً في تابوت وناظراً إلى أعلى مما لو كان واقفاً في مقصورات الكنيسة مطوقاً بأوراك حزينة وكتب تراتيل.

فكرت راحيل بمن تجشّم عناء الصعود إلى هناك مع علب دهان، أبيض للغيوم، أزرق للسماء، فضي للنقائات، ومع انفراسي والثير. تخيلته في الأعلى. شخصاً ما مثل فيلونا، جسداً عارياً متألقاً. جالساً على لوح خشبي سميك، متأرجحاً على المقالات في القبة المرتفعة للكنيسة، يرسم نقائات فضية في سماء كنيسة زرقاء.

فكرت فيما كان سيحدث لو أن الحبل انقطع. تصوره يسقط فجأة كنجم مظلم خارج السماء التي رسمها، ممدداً على أرض الكنيسة الساخنة، ودم داكن يسيل من جمجمته مثل سر غامض.

في ذلك الحين كان إستا وراحيل قد تعلّما أن للدنيا طرقاً أخرى لتحطيم البشر. كانا معتادين على الرائحة مسبقة. حلاوة مغنية. مثل رائحة أزهار قديمة محمولة بنسيم.

الأمر الثاني الذي أرتّه صوفي مول لراحيل، كان الحفاش الصغير.

خلال صلاة الجنازة، راقبت راحيل خفاشاً صغيراً أسود يتسلق بمخالب معقدة ومتشبثة بلطف ساري يبيي كوتشاما الغالي الثمن والخاص بالجنازات. عندما وصل المكان الذي بين ساريها وقميصها، عند تسريحتها الخاصة بالحزن، في الجزء الأوسط من جسمها، صرخت يبيي كوتشاما وضربت الهواء بكتاب تراتيلها. توقف الترتيل من أجل «ما الأمر؟ ماذا حدث؟»، ومن أجل أرنيز فرو وصدق ساري.

نفض الكهنة لحاهم المجعلة بأصابعهم ذات الخواتم الذهبية وكأن عناكب مخفية قد نسجت يوتاً فجائية فيها.

طار الحفاش انصغير نحو السماء وتحول إلى نفثة دون ذيل متقاطع.

وحدها راحيل لاحظت دولاب عربة نقل صوفي مول السري في تابوتها. بدأ الترتيل الحزين ثانية، وغنوا المقطع الحزين ذاته مرتين. ومرة أخرى انتفضت الكنيسة الصفراء بالأصوات مثل حنجرة.

عندما أنزلوا تابوت صوفي مول داخل الأرض في مقبرة صغيرة خلف الكنيسة، علمت راحيل أنها مازالت غير مهتة. سمعت (بالتباة عن صوفي مول) الصوت الخفيف الرقيق للوحل الأحمر والصوت الثقيل القاسي للطريط البرتقالي الذي أقسد لمعان التابوت البراق. سمعت الارتطام المكثوم من خلال خشب التابوت المصقول، ومن خلال بطاقة التابوت المصنوعة الساتان. وأصوات الكهنة الحزاني الخامدة بسبب الطين والخشب.

نودع بين يديك، يا أميانا الأكثر رحمة،

روح طفلتنا الراحلة هذه،

ونودع جسدها في الثرى،

من تراب إلى تراب، من رماد إلى رماد، من غبار إلى غبار.

داخل الأرض، صرخت صوفي مول، ومزقت الساتان بأسنانها، لكنك لا تستطيع سماع الصراخ عبر التراب والحجر.

ماتت صوفي مول لأنها لم تستطع أن تتنفس.

قتلتها جنازتها. من غبا إلى غبا إلى غبا إلى غبا إلى غبا إلى غبا. نُقش على حجر قبرها: شعاع شمس أعير لنا بلإيجاز شديد.

شرحت أمو فيما بعد أن إيجاز شديد عنث، لفترة قصيرة جداً.

بعد الجازة أخذت أمو التوأم إلى مركز شرطة كوتاياما. كانا يعرفان المكان. فقد أمضيا وقتاً لا بأس به من اليوم السابق هناك. متوقعين التين الحاد الدخاني لبول قديم يتخلل الجدران والأثاث، شذاً بإحكام على منخريهما قبل أن تبدأ الرائحة.

سألت أمو عن شرطي المركز وعندما أدخلت إلى مكتبه، أخبرته أن هناك خطأ رهيباً وأنها تريد أن تدلي بإفادتها. وطلبت أن ترى فيلوثا.

اهتز شاربا ضابط الشرطة توماس ماثيو باهتياج كشاري مهراجا هندي جوي ودود، لكن عينيه كانتا ماكرتين وشرعتين. «لقد فات الأوان قليلاً على كل هذا، ألا تعتقدين ذلك؟». تكلم بلهجة كوتاياما الخشنة التي للمالايالام. وحذق في نهدي أمو وهو يتحدث. قال أن الشرطة قد علمت ما أرادت أن تعلمه وأن شرطة كوتاياما لا تأخذ إفادات من *veshyas*^(١) ولا من أولادهم غير الشرعيين. قالت أمو إنها ستراجع في هذا. دار ضابط الشرطة توماس ماثيو حول مكتبه ودنا من أمو بهراوته.

«لو كنت مكانك» قال «لذهبت إلى المنزل بهدوء». ثم نقر على نهديها

(١) - عاهرات. (المترجمة).

بهرأوته. بلطف. تيك، تيك. كما لو كان يختار ثمار مانغا من سلة. مشيراً إلى التي يريدونها أن تُصّر وتُجهّز. وبدأ الضابط توماس ماثيو عارفاً أيها قد ينتقي وأيها لا.

فرجال الشرطة لديهم الغريزة.

خلفه كانت لوحة زرقاء وحمراء تقول:

أدب

طاعة

ولاء

ذكاء

كياسة

كفاءة^(١)

كانت أمو تبكي عندما غادروا مركز الشرطة، فلم يسألها إسنا وراحيل ماذا كانت تعني veshya، أو، وللأسبب ذاته ماذا كانت تعني أولاد حرام. كانت المرة الأولى التي شاهدها فيها أمهما تبكي. لم تنشج. كان وجهها جامداً كالحجر، لكن الدموع انبجست من عينيها وكثرت على خديها الصلبتين. لقد جعل هذا التوأم مذعورين. جعلت دموع أمو كل شيء بدا حتى ذلك الحين غير حقيقي، حقيقياً. عادوا إلى أيمينيم بالباص. قاطع التذاكر، رجل هزيل في ثياب كاكية، انزلق تجاههم على قضبان الباص، وازن وركه ناتئ العظام على ظهر مقعد و طفقن لآمو بشقابة البطاقات. إلى أين؟ كانت الطقطقة تريد أن تقول. استطاعت راحيل شم حزمة البطاقات و حموضة القضبان الفولاذية على يدي قاطع التذاكر.

«إنه ميت» همست له أمو «لقد قتلته».

(١) - ملاحظة: صيغت هذه الكلمات بحيث كان الحرف الأول في كلٍّ منها يقابل أحرف كلمة شرطة بالإنكليزية (Police). (المترجمة).

«أيمينيم» قال إستا بسرعة، قبل أن يفقد قاطع التذاكر مزاجه.

أخرج النقود من محفظة آمو. أعطاه قاطع التذاكر البطاقات. شاهما إستا بهتاية ووضعهما في جيبه. ثم وضع ذراعه الصغيرة حول أمه الصلبة الباكية. بعد أسبوعين، أُعيد إستا. أُجبرت آمو على إعادته إلى أبيه الذي كان في ذلك الوقت قد استقال من عمله الوحيد في شركة الشاي في آسام، وانتقل إلى كالكوتا ليعمل في شركة لصنع أسود الكربون. كان قد تزوج ثانية، توقف عن الشرب (تقريباً)، ولم يعاني إلا من انتكاسات في بعض الأحيان. لم يلتق إستا وراحيل منذ ذلك الحين.

والآن، وبعد ثلاث وعشرين سنة، أعاد والدهما إستا ثانية. لقد رده إلى أيمينيم مع حقيبة ورسالة. كانت الحقيبة مليئة بثياب أنيقة جديدة. يبسي كوتشاما أطلعت راحيل على الرسالة. كانت مكتوبة بخط نسائي مائل، خط مدرسة رهبانية، لكن التوقيع في الأسفل كان توقيع والدها. أو على الأقل كان الاسم لوالدها. لم تكن راحيل لتتميز التوقيع. قالت الرسالة أنه، والدهما، قد تقاعد من عمله في أسود الكربون، وأنه يستعد للهجرة إلى أستراليا حيث حصل على عمل رئيس أمن في مصنع للسيارات، وأنه لا يستطيع أخذ إستا معه. تمنى أفضل التمنيات لكل من في أيمينيم، وقال إنه سيزور إستا فيما لو عاد في حياته إلى الهند، الأمر الذي تابع في وصفه بغير المحتمل نوعاً ما.

أخبرت يبسي كوتشاما راحيل أنها تستطيع الاحتفاظ بالرسالة إن هي أرادت. أعادتها راحيل إلى مغلفها. كانت الورقة قد أصبحت لينة، وطويت كالنابس.

كانت قد نسبت إلى أي مدى يمكن أن تكون الريح الموسمية في أيمينيم رطبة ومثبطة. صارت الحزازن المتورمة. انفجرت النوافذ المغلقة مفتوحة. أصبحت الكتب طرية لينة وموجعة بين أغلفتها. وظهرت حشرات غريبة، كالأفكار في الأمسيات وحرقت نفسها على مصباح يبسي كوتشاما الكهربائي الخافت ذي الأربعين واطاً. وفي أوقات النهار، كانت تكسو جثثها المتفضضة الممدة الأرض

وعتبات النوافذ بشكل مبعثر، ويبقى الجو يفوح برائحة شيء يحترق حتى
تكسها كوتشو ماريا بلقطة الغبار البلاستيكية.

لم يتغير مطر حزيران.

فتحت السماء وانهمرت المياه، معيدة إحياء البئر القديم المقاوم، كاسية
بطحليات خضراء حظيرة الخنازير التي لا تحوي خنازير. مفجرة كالسجاد برك
الماء الصغيرة الموحلة والسائكة التي بلون الشاي، كما تفسح ذكريات بلون
الشاي. بدا العشب أخضر ندياً ومسروراً. مرحت ديدان أرض سعيدة بلون
أرجواني، في الطين. تمايلت قزاصات خضراء. وانحنت الأشجار.

إلى البعد، في الريح والمطر، على ضفاف النهر، في عتمة رعد النهار
المفاجئة، كان إستا يمشي. مرتدياً كنزة قطنية زهرية بلون الفريز المعصور، قد
تبليت على نحو أغمق الآن. وقد علم أن راحيل أتت.

كان إستا طفلاً هادئاً، ولذلك لم يستطع أحد أن يحدد ولا بأي درجة
من الدقة متى (السنة، إذا ليس الشهر أو اليوم) توقف عن الكلام بالضبط. أي،
متى توقف عن الكلام تماماً. الحقيقة أنه لم يكن هناك «متى محددة». كان
هناك تخفيض تدريجي لأعمال المنجر الذي يوشك على الإغلاق. مسكون
بالكاد يلاحظ. كما لو أن الأحاديث كانت قد نفذت، ببساطة، ولم يتبق عنده
شيء ليقوله. ومع ذلك لم يكن صمت إستا مطلقاً أخرق أو مربكاً. أبداً لم
يكن متطفلاً. أبداً لم يكن ضاحكاً. لم يكن صمتاً اتهامياً احتجاجياً بقدر ما كان
نوعاً من قضاء الصيف في حالة خدر، أو سبات، ترادف نفسي لما يفعله
السماك الرئوي ليجتاز الموسم الجاف، عدا أنه في حالة إستا بدا أن الموسم
الجاف كما لو أنه سيدوم إلى الأبد.

اكتسب مع الوقت مهارة التمازج مع الخلفيات أينما كان - داخل رفوف
الكتب، في الحدائق، عند المستأثر، في المداخل، على الطرقات - ليبدو غير ذي
حياة، وتقريباً غير مرئي بالنسبة للعين غير المدربة. احتاج الغرياء عادةً، فترة قبل
أن يلاحظوه حتى عندما كانوا معه في الغرفة ذاتها. ولقد استغرقوا وقتاً أطول

ليلاحظوا أنه لم يكن يتكلم أبداً، وبعضهم لم يلاحظ ذلك مطلقاً.
لقد احتل إستا مكاناً صغيراً جداً في العالم.

بعد جنازة صوفي مول، عندما أُعيد إستا، بعثه والدهما إلى مدرسة صبيان في كالكوتا، لم يكن تلميذاً استثنائياً، لكنه لم يكن متأخراً أيضاً، ولم يكن بخاصة سيئاً في أي شيء. طالب عادي، أو، عمل مقبول، كانا التعليقين الاعتيادين اللذين كتبهما أساتذته في تقرير تقدّمه السنوي. لا يشارك في نشاطات اجتماعية، كانت شكوى متكررة. رغم أنهم لم يقولوا أبداً ماذا عَنُوا به «نشاطات اجتماعية».

أنهى إستا المدرسة بنتائج متوسطة، لكنه رفض الالتحاق بالجامعة، وبدلاً من ذلك، ومسبباً الكثير من الإحراج لأبيه وامرأة أبيه، بدأ يقوم بأعمال المنزل. كما لو كان يسعى ليكسب مذكراته بطريقته. قام بالمسح، بالكس وبكل الغسيل. تعلّم الطبخ وتسوّق الخضراوات. تعودّ الباعة في البازار، الجالسون وراء أهرامات الخضار المزينة المنقّحة المتألّقة، أن يميزوه وأن يولوه عنايتهم من بين زبائنهم الصاخبين الآخرين. كانوا يعطوه علبه أفلام صدئة ليضع فيها الخضراوات التي انتقاها. لم يجادل في السعر أبداً. ولم يغشوه كذلك. وعندما تكون الخضراوات قد وُزنت ودُفع ثمنها، كانوا ينقلونها إلى سلة تسوّقه البلاستيكية الحمراء (البصل في الأسفل، والبرسيمجال^(١) والبندورة في الأعلى) ودوماً، غصينات كزبرة وحفنة فلفل حار مجانية. كان إستا يحملها إلى البيت في الترام المزدحم. فقاعة ساكنة تطفو فوق بحر من الضجيج.

عندما وصل السكون، بقي وانتشر عند إستا. امتد حتى رأسه وطوّقه بذراعيه المستنقعيتين. أرجحه نحو إيقاع جنيني قديم. لقد أرسل مجسّاته المختلطة الماصة تسير ببطء على امتداد دواخل جمجمته، ماسحةً كالوهر، الهضاب والوهاد الصغيرة لذاكرته، مزينةً الجمل القديمة، كائنةً إياها من على

(١) - نوع من الخضار الاستوائية (المترجمة).

طرف لسانه. لقد عَزَى أفكاره من الكلمات التي تصفها وتركها مَشْدَبَةً وعارية. غير معتر عنها. خَذِرْ. ولذلك فهو بالنسبة لمراقب، بالكاد يكون موجوداً. وبشكل بطيء، على مَرِّ السنين انسحب إستا من العالم. واعتاد على الأخطبوط القلق المضطرب الذي عاش داخله وبيَّح حبره المسكَّن على ماضيه. وبالتدريج اختفى بعيداً سبب صمته، ودُفِن في مكان ما عميقاً في الطيَّات اللَّطِيفة لحقيقته.

عندما قرر خويبتشاند هجينه المحبوب الأعمى والأجرد والمصاب يسلس البول والغائط، ذو السبعة عشرة عاماً، أن يجتاز موتاً متطاولاً جداً، مَرَضُهُ إستا خلال محنته الأخيرة كما لو كانت حياته الخاصة تعتمد على ذلك بطريقة ما. في الشهور الأخيرة من حياته كان خويبتشاند الذي يملك أفضل النوايا، لكن أسوأ مثانة يمكن الاعتماد عليها، يسحب نفسه إلى مصراع باب الكلب المتفصل من أعلى والمبني في أسفل الباب المؤدي إلى الحديقة الخلفية، يدفع برأسه من خلاله، ويبول بشكل متقطع، داخلًا أصفر ساطعاً. ومن ثم، وبمثانة فارغة وضمير صافٍ، ينظر أعلى إلى إستا بعينين خضراوين كمداورين انتصبنا في جمجمته كبركتي زبد غثاء ويشق طريقه على نحو متعرج عائداً إلى وسادته الرطبة تاركاً آثار أقدام مبللة على الأرض. عندما كان خويبتشاند ممدداً يحتضر على وسادته، استطاع إستا أن يرى نافذة غرفة النوم منعكسةً في بؤبؤيه الأرجوانيين المصقولين، والسماء من خلفها، ومرةً رأى طيراً طار عابراً، بالنسبة لإستا - المشيع برائحة أزهار قديمة والمطلَّع على مشهد دم في ذكريات رجل محطَّم - فإن حقيقة أن شيئاً شديد الهشاشة، ورقيقاً إلى درجة غير محتملة قد بقي على قيد الحياة، قد سُمح له بالوجود، هي معجزة. طيرٌ في طيران معكوس في بؤبؤي كلب عجوز. جعله يتسم عالياً.

بعد موت خويبتشاند بدأ إستا سيره. مار لساعات دون انقطاع. في البدء تحَفَّرَ فقط الجوار، لكن وبالتدريج ذهب شارداً أبعد فأبعد.

اعتاد الناس على رؤيته على الطرقات. شاباً أبيضاً بمشية هادئة. أصبح وجهه غامقاً وخلوياً طلقاً. مغضناً وقاسياً من الشمس. بدأ يبدو أكبر مما كان

في الحقيقة. كصياد في مدينة. يحمل أسرار البحر داخله.

الآن، وبكونه قد أُعيد مرة أخرى، سار إستا في أيمنيم كلها.

سار بعض الأيام على طول ضفاف النهر الذي تفوح منه رائحة الخراء ومبيدات جردان تم شراؤها بقروض البنك العالمي. ماتت معظم الأسماك. ولتي بقيت على قيد الحياة عانت من زعائف متعقنة وأصبحت بطفح جلدي من البثور.

وفي أيام أخرى سار نزولاً نحو الطريق. ماراً بالمنازل المشوية حديثاً، المبردة، والمبنية بأموال الخليج من قبل ممرضين وبثائين وعاملتي هاتف وكهرباء وموظفي بنوك، عملوا بجهد وبتعاسة وشقاء في أماكن بعيدة. ماراً بالمنازل الأقدم الممتعة المشوية بالخضار من الحسد، منكشة في دروبها الخاصة بين أشجارهم الخاصة من المطاط. كلٌ منها إقطاعية متداعية مترنحة ذات ملحمة خاصة بها.

سار ماراً بمدرسة القرية التي بناها جده العظيم للأطفال المنبوذين^(١).

ماراً بكيسة صوفي مول الصفراء. ينادي شباب أيمنيم للكونغ فو، وبحضانة البواعم الغضة (لغير المنبوذين)، ماراً بمتجر المون الذي يبيع رزاً وسكراً وموزاً معلقاً في حزم صفراء من السطح. ومجلات دعة خلعية ملساء رخيصة حول شياطين جنس جنوب هنديين خياليين، مثبتة بملاقط ثياب على حبال متدلية من السقف. عُزلوا بكسل في النسيم الدافئ، مغرين مشترين مؤن فاضلين بلمحات خاطفة على نساء عاريات مفتضبات مستلقيات في برك مباحة من دم مزئف.

في بعض الأحيان سار إستا ماراً بالمطبعة المحظوظة - مطبعة الرقيق العجوز ك. ن. م. يلاي المطبوعة، والذي كان ذات مرة مكتب أيمنيم للحزب الشيوعي، حيث كانت تُعقد اجتماعات دراسة في منتصف الليل وتُطبع وتوزع كتيبات تحوي قصائد مشيرة من أغاني الحزب الماركسي. أصبحت الراية التي

(١) - إحدى الطبقات الاجتماعية الدنيا في الهند. (الترجمة).

رُفِرت على السطح منهكة وقديمة. ونزف اللون الأحمر بعيداً.

خرج الرفيق بيلاي ذاته في الصباحات بصدارة آرتيكس^(١) رمادية،
نخصيته مكددتان قبالة موندوه^(٢) الأبيض الطري. ماسحاً نفسه بزيت جوز
هند مفلفل دافئ، ومدلكاً لحمه الممتن المترهل المبطوط بطواعية. مثل عذكة.
إنه يعيش وحده الآن. فزوجته كالياني توفيت بسرطان المبيض. وانتقل ابنه لينين
إلى دلهي حيث يعمل كمعهد خدمات للسفارات الأجنبية.

في حال كون الرفيق بيلاي خارج منزله يمسح نفسه بالزيت عند مرور
إستا، فإنه كان يصبر على تحيته.

«إستا مون» كان يصرخ، بصوته العالي الحاد القوي والمهترىء الآن،
كقصب مسكر قشّر لحاؤه.

«صباح الخير، نزهتكم الصباحية؟»

وكان إستا يتابع غير وقح، ولا مهذب، هادئاً فحسب.

كان الرفيق بيلاي يصفع نفسه في جميع الأماكن لجعل دورته الدموية
تمير. لم يستطع أن يحدد فيما إذا كان إستا قد ميّزه بعد كل هذه السنوات أم
لا. ولم يكن هذا ليعنيه بشكل خاص. وبالرغم من أن دوره في الأمر كله لم
يكن صغيراً على الإطلاق، فإن الرفيق بيلاي لم يحتل نفسه، بأية طريقة،
مسؤولية ما حدث بشكل شخصي. وقد صرف النظر عن العمل بأكمله لكونه
التألق المحترمة للسياسة الضرورية. مسألة عجة البيض القديمة. لكن في ذلك
الوقت، كان الرفيق ك. ن. م بيلاي رجلاً سياسياً بشكل أساسي. صانع عجة
بيض معترفاً. سار عبر العالم مثل حرباء. من غير أن يوضح نفسه مطلقاً، ومن
غير أن يبدو على هذه الصورة قط. متبقاً من خلال هيمولي التشوش و الفوضى
سالمًا ودون أذى.

كان أول شخص في أيمبيم سمع بعودة راحيل. لم يقلقه الأمر بقدر ما
أثار فضوله. كان إستا غريباً تماماً تقريباً بالنسبة للرفيق بيلاي. فقد كان ترحيل

(١) - ماركة تجارية لصنع قمصان داخلية قطنية، أو قمصان رياضية. (الترجمة).

(٢) - موندو: اللباس التقليدي في الهند. (الترجمة).

إستا من أيمنيم مفاجئاً جداً وغير رسمي، ومنذ زمن طويل للغاية. أما راحيل، فقد عرفها الرفيق بيلاي جيداً، لقد راقبها وهي تكبر. تساءل ما الذي أعادها. بعد كل هذه السنين.

كان الوضع ساكناً في رأس إستا إلى أن جاءت راحيل. لكنها جلبت معها أصوات قطارات عابرة والضوء والظلال التي تسقط عليك إذا كان مقعدك بجانب النافذة. حُجز العالم خارجاً لسنوات، وفجأة تدفق داخلياً، والآن لم يستطع إستا سماع نفسه بسبب الضجيج. قطارات. حركة المرور. موسيقى. البورصة. انفجر سد وجرفت المياه المتوحشة كل شيء في دوامة. مذنبات، آلات كمان، كواكب، وحدة، غيوم، حى، متعصبون، لوائح، رايات، زلازل، اكتسح اليأس في دوامة متدافعة.

وإستا السائر على ضفة النهر، لم يستطع الإحساس برطوبة المطر أو بارتعاد الجرو البردان الذي تبناه مؤقتاً والذي كان يخوض في الماء الموحد إلى جانبه. سار ماراً بشجرة المانغو العجوز صعوداً إلى حافة دعامة لطريط نتأ خارجاً نحو النهر. جلس القرفصاء مستنداً على عجزه وأرجع نفسه في المطر. أصدر الطين الرطب تحت حذائه أصوات امتصاص خشنة. ارتجف الجرو البردان - وأخذ يراقب.

بيبي كوتشاما وكوتشو ماريا، الطباخة القزمية سريعة الغضب وذات المزاج النكد، كانتا الوحيدتين الباقيتين في منزل أيمنيم عندما أُعيد إستا مجدداً. ماماتشي، جدتهما، ماتت. وتشاكو يعيش الآن في كندا، ويدير تجارة غير ناجحة للتحف القديمة.

أما بالسبة لراحيل.

بعد وفاة أمو (بعد آخر مرة عادت فيها إلى أيمنيم، متورمة من الكورتيزون وخشخشة مقعقة في صدرها تتردد كصراخ رجل بعيد)، سبقت راحيل. من مدرسة إلى مدرسة. أمضت عطلاتها في أيمنيم، مُتجاهلة إلى حد كبير من قبل تشاكو و ماماتشي (اللذين أصبحا عليين من الحزن، غارقين في إحساسهما

بفقدان الولد، كثنائي ثمل في بار تودي^(١) متجاهلة بيبي كوتشاما إلى حد كبير. حاول تشاكو وماماتشي في المسائل المتعلقة بتربية راحيل، لكنهما لم يستطيعا، لقد أمنا الاحتياجات (طعام، ملابس، أجور)، لكنهما سحبا القلق والاهتمام.

خطا فقدان صوفي مول بنعومة ورقة حول منزل أيمينم مثل شيء هادئ في جوارب. اختبأ في الكتب والطعام، في حقبة الكمان العائدة لاماتشي، في ندوب التقرحات على قصبتي ساق تشاكو التي نهشته وأقلقته باستمرار، في ساقه الرخوتين النسائيتين.

إنه من المثير للفضول كيف تحيا في بعض الأحيان ذكرى الأرواح الميتة أطول بكثير حداً من ذكرى الحياة التي استلبت منها. على مرّ السنين، وبينما شحبت ذكرى صوفي مول ببطء (ملتزمة الحكم الصغيرة: أين تذهب الطيور الصغيرة لتموت؟ لماذا لا يسقط الموتى كالحجارة من السماء؟ نذيرة الواقع القاسي: أنتما كليكما ملونان^(٢)) كاملان وأنا نصف ملونة. المرشدة الناصحة للدم المتخثر: لقد شاهدت رجلاً في حادث، يتأرجع برؤاه في نهاية عصب مثل الليويور. فإن فقدان صوفي مول ازداد قوة وحيوية. كان موجوداً دوماً. مثل فاكهة الموسم. كل موسم. مثل وظيفة الحكومة. وقد رافق راحيل عبر طفولتها (من مدرسة إلى مدرسة) وحتى أمومتها.

كانت راحيل على القائمة السوداء لأول مرة في دير نازاريث في سن الحادية عشرة، وذلك عندما قبض عليها خارج بوابة حديقة المعلمة المسؤولة عن مكان إقامتها، تزيّن قطعة طازجة من روث البقر بأزهار صغيرة. وبعد الاجتماع في الصباح التالي جعلوها تبحث عن كلمة فسوق في قاموس أكسفورد وتقرأ معناها بصوت عالٍ. «نوعية أو شرط كون المرء فاسقاً أو فاسداً متعفنًا» قرأت

(١) - شراب حار ومحلّى مسكر من النخيل. (الترجمة).

(٢) - استخدمت الكتابة كلمة تستخدم في العامية الانكليزية لإهانة غير البيض، وبشكل خاص الغرباء القادمين من الشرق الأوسط. (الترجمة).

راحيل وصف من الراهبات بتكثيرات كالخقة صارمة، جالسات وراءها، وبحر من وجوه بنات المدرسة بضحكات مكتومة، أمامها. «توعية الشرير المنحرف: انحراف أخلاقي، انفساد الفطري للطبيعة الإنسانية تبعاً للخضبة الأصلية؛ يأتي المختار وغير المختار كليهما إلى العلم في حالة (د)»^(١) كلية، وانسلاخ عن الله، ولا يستطيعون فعل أي شيء بأنفسهم إلا الخطيئة. ز. ٥. بلونت.

وطردت بعد ستة أشهر على إثر شكاوى من الفتيات الأكبر سناً. اتهمت (ويشكن منتصف تماماً) بالاختباء خلف الأبواب والاصطدام بتعمد بزميلاتها الأكبر سناً. عندما سفلت من قبل المدبرة عن سلوكها (بالمداهنة، بالحبس، وبالتجريح) اعترفت أنها فعلت ذلك لترى فيما إذا كانت النهود تؤلم. ففي المؤسسات المسيحية لم يكن معترفاً بالنهود. لم يكن من المفروض أن توجد. وإذا لم توجد فهل من الممكن أن تؤلم؟

كان هذا أول طرد من الثلاثة. الثاني كان بسبب التدخين. والثالث كان بسبب إشعال النار في كعكة الشعر المستعار للمعلمة المسؤولة عن مهجتها، والتي اعترفت راحيل بسرقتها؛ بعد الاحتجاز والتهديد.

في كل من المدارس التي ذهبت إليها كتبت المعلمات أنها:

أ - كانت طفلة مهذبة إلى حد بعيد.

ب - لم يكن لديها صديقات.

بدا الأمر كصيفة مهذبة، منعزلة للفساد. ومن أجل هذا السبب أجمعن كلهن وهن يستمنجن استنكارهن الأستاذي، ويتلمسنه بألستهن، ويمتصنه كحلوى - على الأمر الأكثر خطورة.

الأمر، همسن لبعضهن البعض، كما لو أنها لم تكن تعرف كيف تكون بنتاً.

لم يكن بعيدات عن الهدف.

على نحو غريب، بدا الإهمال مفضياً إلى انطلاقة للروح.

(١) - درجة أو علامة تُعطى للطالب الضعيف تحت المعدل. (الترجمة).

كبرت راحيل دون تعليمات. دون وجود أحد يُرتب لها زواجاً. دون أي أحد يُدفع دوطتها، ولذلك دون زوج إجباري يلوح في الأفق.

وهكذا وطالما أنها لم تكن صاحبة بهذا الشأن، بقيت حرة لتقوم بتحقيقاتها الخاصة: من خلال النهود وإلى أي مدى يمكنها أن تؤلم. من خلال كمكات الشعر المستعار وما هي جودة احتراقها. من خلال حياة وكيف يجب أن تُعاش.

عندما أنهت المدرسة، فازت بقبول في كلية متوسطة للهندسة المعمارية في دلهي. لم يكن ذلك حصيلة أي اهتمام حقيقي في هندسة العمارة. وفي الحقيقة، ولا حتى نتيجة لأي اهتمام سطحي. فقط، تصادف أن تقدمت لامتحان القبول، وتصادف أن اجتازته. تأثرت هيئة الأساتذة بالحجم (هائل)، أكثر من البراعة التي لرسماتها الفحمية للطبيعة الصامتة. الخطوط المهيمنة، اللامبالية وغير المثقنة، أعيدت خطأ إلى ثقة فنية، مع أن مبدعها، في الحقيقة، لم يكن فناناً.

أمضت ثمانية أعوام في الكلية دون أن تنهي دراستها ذات الخمس سنوات وتحصل على شهادتها. كانت الأجور منخفضة، ولم يكن من الصعب نيش الرزق، والبقاء في بيت الشباب، والأكل من مقادير الضمام المقدمة كمعونات للطلاب، الذهاب نادراً إلى الصف، والعمل بدلاً من ذلك في شركات معمارية مظلمة وكبيرة تستغل رخص عمل الطلاب لتسليم رسوماتهم الخاصة بالمشاريع، وللومهم عندما تخفق الأمور. كان الطلاب الآخرون وبخاصة الذكور مرتعبين من أسلوب السجانة الذي لراحيل، ومن انتقارها الرهيب والضاري للطموح. تركوها لوحدها. لم تدع أبداً إلى بيوتهم الأنيقة أو إلى حفلاتهم الصاخبة. حتى أساتذتها كانوا حذرين قليلاً منها - من غرابتها، من مشاريع البناء غير العملية، المقدمة على ورق بني رخيص، من اعتبارها لانتقاداتهم الغاضبة لا تقدّم ولا تؤخر.

كتبت بين الفينة والأخرى إلى تشاكو ومامانشي، لكنها لم تعد أبداً إلى أيمينييم. لا عندما ماتت مامانشي، ولا عندما هاجر تشاكو إلى كندا.

كانت في مدرسة الهندسة المعمارية عندما التقت لاري ماكسلاين، الذي

كان في دلهي يجمع مواداً من أجل أطروحته للدكتوراه «فعالية الطاقة في العمارة العامية البلدية». لاحظ راحيل لأول مرة في مكتبة المدرسة، ومن ثم بعد بضعة أيام في سوق الخان. كانت في جينز وكنترة قطنية بيضاء. وقطعة من غطاء سرير قديم، مزخرفة بمختلف الألوان والأشكال، مزررة إلى عنقها وتخرج رجليها خلفها مثل كاب. شعرها البري كان مربوطاً نحو الخلف ليبدو سابلًا بالرغم من أنه لم يكن كذلك. قطعة ماس صغيرة جداً ومضت في فتحة منخر. كان لديها ترقوة جميلة على نحو مسخيف، وركضة رياضية.

هناك ينساب لحس جاز. قال لاري ماكسلاين لنفسه وتبعها إلى مكتبة حيث لم ينظر أي مهمما إلى الكتب.

انقادت راحيل نحو الزواج كما ينقاد مسافرنحو كرسي شاغر في مطار متكامل، بشعور جلوس. وعادت معه إلى بوسطن.

عندما حمل لاري زوجته بين ذراعيه، خدها في مواجهة قلبه، كان طويلًا كفاية ليرى قمة رأسها، الكومة الغامقة لشعرها. عندما وضع يده قرب زاوية فمها استطاع أن يشعر ببض خفيف. أحب مرقعه. والوثب الواهي الغامض، تحت جلدها تماماً. كان يلمسه، منصتاً بعينيه، مثل أب مترقب يشعر بطفله غير المولود يرفس داخل رحم أمه.

حملها كما لو كانت هبة، مُنحت له بالحب. شيئاً ساكناً وصغيراً. ثميناً إلى حد غير محتمل.

لكن عندما مارسا الحب أهيمن من قبل عينيها. تصرفنا وكأنهما لشخص آخر، شخص ما يراقب. ينظر من النافذة إلى البحر. إلى مركب في نهر. أو شخص مار في سديم مرتدياً قبعة.

مسخط لأنه لم يكن يعرف ماذا كانت تعني تلك النظرة. وضعها في مكان ما بين اللامبالاة واليأس. لم يعرف أنه في بعض الأماكن، كالبلد الذي تنتمي إليه راحيل، تتنافس أنواع متنوعة من اليأس على الصدارة. وأن اليأس الشخصي لا يمكن أبداً أن يكون ناعثاً على اليأس كفاية. وأن شيئاً قد حدث عندما مز اضطراب شخصي عظيم على المزار المقدس الواقع على جانب طريق

الاهتياج العظيم، الضخم، العنيف، المطوق، المدفوع، السخيف المجنون، غير المقبول والعام لأمة. أن إلهاً كبيراً عوى كريح ساخنة، وطالب بانحناء إجلال. وانفصل إله صغير (حميمي ومحتوي، خاص ومحدود) مخدراً ومُهْمُلاً، ضاحكاً بخدري وحيادية من طيشه الخاص. لقد أصبح مرناً ولا مبالياً حقاً من جراء تَعَوُّده على مكاره التأكيد على لامنطقيته ولأهميته الخاصة. لا شيء يهم كثيراً. لا شيء كثير بهم. وكلما قلّ ما بهم، قلّ ما بهم. لم يكن أبداً مهماً كفاية. لأن الأسوأ قد حدث. في البلد الذي هي منه، المتوازن للأبد بين ذعر الحرب ورعب السلم. أسوأ الأمور استمرت في الحدوث.

وهكذا ضحك الإله الصغير ضحكة مكبوتة، ووثب بعيداً على عجل، بابتهاج. مثل ولد غني في شورت، صفّر وركل الحجارة. إن مصدر تيهه الهش وسريع الزوال، هو الصغر النسبي لمخنته. لقد عرّش داخل عيون الناس وأصبح انطباعاً ساخناً.

ما رآه لاري ماكسلاين في عيني راحيل لم يكن اليأس مطلقاً، لكنه كان نوعاً من التفاؤل المفروض بالقوة. وتجويفاً حيث كانت ترقد كلمات إستا. لم يكن من المتوقع منه أن يفهم ذلك. أن الخواء في أحد التوأمين لم يكن إلا نسخة عن الصمت والسكون في الآخر. أن الأمرين تطابقاً معاً. مثل ملاعق مكسدة. مثل أجساد محبين متألّفة.

بعد أن تطلّقا، عملت راحيل لبضعة شهور كنادلة في مطعم هندي في نيويورك. ومن ثمّ ولسنوات عديدة موظفة ليلية في حجرة ضد الرصاص في محطة بنزين خارج واشنطن، حيث تقياً سكارى من حين إلى آخر داخل صينية النقود، وعرض قوادون عليها عروض عمل مربحة أكثر. شاهدت مرتين رجالاً أطلق عليهم النار عبر زجاج نوافذ سياراتهم. ومرة رجلاً طعن وقذف من سيارة منطلقة وسكين مغروزة في ظهره.

ثم كتبت بيبي كوتشاما لتقول أن إستا قد أُعيد ثانية. تركت راحيل عملها في محطة البنزين وغادرت أميركا بسرور. لتعود إلى أيميني. إلى إستا تحت المطر.

في البيت القديم على التل، جلست بيبي كوتشاما إلى طاولة الطعام تحكّ المرارة السميكة المزبدة عن خيّر قديم. كانت تلبس عباءة ليلية قطنية مبرمعات، رخوة بأكمام عريضة ونطّخ كركم صفراء عليها. تحت الطاولة كانت تؤرجح قدميها الصغيرتين جداً ذوات الأظافر المقلّمة، كطفل صغير على كرسي عالي. كانتا متفتختين بالإديما^(١) مثل وسادتي هواء على شكل قدمين. في الأيام الغابرة، وكما زار أحد أيميينم، كانت بيبي كوتشاما تقصد أن تحلب الاتيابه إلى أقدامهم الكبيرة. كانت تطلب أن تجرب أحذيتهم، وتقول «انظروا كم هي كبيرة على قدمي!» ثم كانت تمشي في أرجاء المنزل رافعةً ساريها بحيث يستطيع كل واحد أن يتعجب من قدميها الصغيرتين جداً.

عملت بالخيار بسماء نصر بالكاد مكتوم. كانت مسرورة جداً لأن إستا لم يكتّم راحيل. لأنه نظر إليها واجتازها على الفور. إلى المطر. كما فعل مع كل شخص آخر.

كانت في الثالثة والثمانين. امتدت عيناها كالزبدة خلف نظارتها السميكة.

«أخبرتكَ، ألم أخبركَ؟ ألم أفعل؟» قالت لراحيل «ماذا توقعت؟ معاملة خاصة؟ لقد فقد عقله، إنني أقول لك، لم يعد يميز الناس! ماذا اعتقدت؟» لم تقل راحيل شيئاً.

استطاعت الإحساس بإيقاع تأرجح إستا، وبردوبة المطر على جلده. استطاعت سماع العالم الأجنس المتدافع داخل رأسه.

رفعت بيبي كوتشاما بصرها نحو راحيل بحذر وقلق. لقد ندمت من قبل على كتابتها لها عن عودة إستا. لكن ما الذي كان بإمكانها أن تفعله عندها غير ذلك؟ أن تشغل به لبقية حياتها؟ لماذا كان يترجّب عليها هذا؟ لم يكن مسؤوليتها، أم أنه كان؟

جلس الصمت كشخص ثالث بين بنت الأخ الكبرى والطفلة الخالة

(١) - إديما: تراكم مفرط لسائل مصلي في فراغات نسيجية، أو في تجاويف الجسم. (الترجمة).

الكبرى. كغريب. متورم. بغيض. ذكرت بيبي كوتشاما نفسها أن تقفل باب غرفة نومها ليلاً. حاولت أن تفكر بشيء لتقوله.

«هل تعجبك قصة شعري القصيرة؟»

لمست يديها الملوئتين بالخيار قصة شعرها الجديدة. وتركت لطفة لافنة من زيد الخيار خلفها.

ثم تستطع راحيل أن تفكر بأي شيء لتقوله. راقبت بيبي كوتشاما تقشر خيارها. شظايا صفراء من قشر الخيار رقت صدر ثوبها. شعرها المنصبوغ بالأسود الفاحم، كان مرتباً عبر فروة رأسها كخيوط غير ملفوف. لطف الصباغ جلد جبينها بلون رمادي شاحب، معطياً إيها خط شعر ظلياً ثانياً. لاحظت راحيل أنها قد بدأت تضع مكياجاً. أحمر شفاه. كحللاً. ولسة خفيفة من حمرة حدود. ولأن المنزل كان مغلقاً ومظلماً، ولأنها لم تكن تؤمن إلا بمصاييح الأربعين واطأ، انتقل أحمر شفاهها قليلاً خارج الحدود الطبيعية لفمها.

لقد نحت عند وجهها وكثفها، مما حوّلها من شخص مدور إلى شخص مخروطي. لكن بجلوسها إلى طاولة الطعام وردفاها الضخمان مختفيان، تمكنت من أن تبدو تقريباً رقيقة. ومحا ضوء غرفة الطعام الباهت التجاعيد عن وجهها ناركاً إياه ليدو - بطريقة غريبة وغائرة - أكثر شباباً. كانت تضع الكثير من المجوهرات. مجوهرات جدة راحيل المتوفاة. جميعها. خواتم وامضة. حلق ماسية. أساور ذهبية. وسلسلة ذهبية مسطحة مصاغة بشكل جميل، والتي كانت تلمسها من وقت إلى آخر لتعيد تظمين نفسها أنها موجودة وأنها ما زالت ملكاً لها. مثل عروس شابة لم تستطع تصديق حفظها الجيد.

إنها تعيش حياتها بشكل عكسي. فكّرت راحيل.

لقد كانت ملاحظة ملائمة على نحو تهكمي. كانت بيبي كوتشاما حياتها بشكل عكسي. عندما كانت شابة أنكرت العالم المادي، والآن، وكعجوز، بدت أنها تحبه وتتقبله بسرور. لقد عانقت وعانقت ماضيها كله.

عندما كانت بيبي كوتشاما في الثامنة عشرة، وقعت في حب راهب

إيرلندي وسيم شاب، الأب موليفان، الذي كان في كيرالا لمدة سنة بتفويض من معهده اللاهوتي في ماداراس. كان يدرس الكتاب المقدس الهندوسي من أجل أن يتمكن من فهمهم وشجبهم بذكاء.

في صباح كل ثلاثاء، كان الأب موليفان يأتي إلى أيمينيم ليزور والد يبي كوتشاما، المؤقر. ي. إي، الذي كان قس كنيسة القديس توما. كان المؤقر إي مشهوراً في المجتمع المسيحي بأنه الرجل الذي يورك شخصاً من قبل بطريك انطاكية، رأس الكنيسة المسيحية السورية - حدث قد أصبح جزءاً من فولكلور أيمينيم.

في العام، ١٨٧٦ عندما كان والد يبي كوتشاما في السابعة من عمره، أخذه والده ليرى البطريك الذي كان يزور الكنيسة السورية في كيرالا. وجدوا أنفسهم مباشرة أمام مجموعة من الناس الذين كان البطريك يخطب فيهم من أقصى غرب شرفة كاليني، في كوتشين. منتهزاً فرصته، همس والده في أذن ابنه الصغير ودفع الولد قصير القامة نحو الأمام. أطبق مؤقر المستقبل المنزلق على قدميه والمتصلب من الخوف، شفاهه على الحاتم في إصبع البطريك الأوسط تاركاً إياه رطباً بالبصاق. مسح البطريك خاتمه بكفه، وبارك الصبي الصغير. بعد أن كبر بمدة طويلة وأصبح قساً، بقي المؤقر إي معروفاً به بونيان كونيجو - الصغير المبارك - وجاء الناس على طول النهر في مراكب، طوال الطريق من أليبي ولاركانو، مع أطفالهم ليباركوا من قبله.

بالرغم من وجود فارق عمر لا يستهان به بين الأب موليفان والمؤقر إي، وبالرغم من انتمائهما إلى طائفتين مختلفتين لكنيسة (التي كان شعورهما المشترك الوحيد هو الاستياء والنفور)، لكن كلا الرجلين تمتعا بصحبة بعضهما البعض، والأوقات التي كان يدعى فيها الأب موليفان للبقاء على الغداء كانت أكثر من تلك التي لم يكن يُدعى فيها. واحد من الرجلين فقط لاحظ الإثارة الجنسية التي استيقظت كالفيضان في الفتاة النحيلة التي كانت تحوم حول الطاولة لوقت طويل بعد رفع الأطباق.

حاولت يبي كوتشاما في البدء أن تجذب الأب موليفان بمعارض أسبوعية

خيرية. كل صباح ثلاثاء، تماماً عندما يكون الأب موليفان على وشك الوصول، كانت يبي كوتشاما تحمّ بالقوة طفلاً قروياً مسكيناً في ابتر، بصابون أحمر قاسي يؤلم أضلاعه النائمة.

«صباح الخير، أبت!» كانت يبي كوتشاما تصرخ عندما تراه، بابتسامة على شفثيها متناقضة تماماً مع الإمساك المؤلم الذي تمسك به كالكناشة ذراع الطفل الزلقة بالصابون.

«صباح الخير يا يبي!» كان الأب موليفان يقول متوقفاً وهو يطوي مظلته.

«هنالك شيء أريد أن أسألك عنه أبت» كانت تقول يبي كوتشاما «في الكورينثي الأول، الفصل العاشر، المقطع الثالث والعشرين، يقول...» «كل الأشياء شرعية لي، لكن كل الأشياء غير مناسبة» أبت، كيف يمكن أن تكون كل الأشياء شرعية له؟ أعني أستطيع أن أفهم إن كانت بعض الأشياء شرعية له، لكن..»

كان الأب موليفان أكثر من مجرد مُطَرِّفٍ بالمشاعر التي أثارها في الصبية الجذابة التي وقفت أمامه بفم مرتجف قابل للتقبل، وعينين ملتفتتين بسواد الفحم. فهو أيضاً شاب، وربما لا يكون غير مدرك التة من أن التفسيرات الدينية المقدسة والتي بدد بها شكوكها الإنجيلية الزائفة، كانت في نزاع مع الوعد المثير الذي قدّمته عيناه الزمرديتان الساطعتان.

كل ثلاثاء، غير آبهين بشمس منتصف النهار عديمة الرحمة، كانا يقفان هناك، بجانب البتر. الصبية واليسوعي الباسل، يرتعد كلاهما بعاطفة غير مسيحية. مستخدمين الكتاب المقدس ذريعة ليكونا مع بعضهما البعض.

وبشكل ثابت، دون تغيير، وفي منتصف حديثهما، كان الطفل المصنّون سيء الحظ والذي أُجبر على الحمام، يتدبر أمره في الانزلاق بعيداً، فيرتد الأب موليفان بحدة إلى وعيه ويقول «أوه، من الأفضل أن تمسكه قبل أن يمسكه البرد»

ثم كان يفتح مظلته ثانية ويمشي مبتعداً بردائه الذي بلون الشوكولاته

وصنّده المريح، مثل جمل بخطوات عالية، مع موعد ليحفظه. ومعه قلب يبي
كوتشاما المتوجع في رسن، يتخبط وراءه، يترنح فوق أوراق شجر وحجارة
صغيرة، مرضوضاً ومحطماً تقريباً.

مرت سنة كاملة من أيام الثلاثاء. وجاء أخيراً وقت عودة الأب موليفان
إلى مدارس. وحيث أن أعمال الخير لم تزد إلى أية نتائج مادية ملموسة،
استثمرت العصبية المتهاجة يبي كوتشاما كل أملها في الإيمان.

عارصة ميولاً فردية عنيدة (والتي كانت تُعتبر لفئة شابة في تلك الأيام
سيئة بقدر تشوه خلقي - شفة شرماء أو قدم حفاء) تحدّت يبي كوتشاما
رغبات والدها، وأصبحت كاثوليك روم. ومع نظام ديني خاص من الفاتيكان،
أدت نذرهما ودخلت دير في مدارس كمترهنة متقنة. لقد أملت بطريقة ما أن
هذا سيزودها بفرصة شرعية صحيحة لتكون مع الأب موليفان. تصوّرت أنهما
معاً، في غرف كالقبر ككية ومظلمة بمتائر مخملية سمكية وثقيلة، يناقشان
اللاهوت. كان هذا كل ما أرادته. كل ما تجرأت على تمنيه. فقط أن تكون إلى
جانبه. قرية كفاية لنشم لحينه. لثرى النسيج الخشن لردائه. لتجبه بالنظر إليه
فحسب.

أدركت بسرعة عبثية هذه المحاولة. لقد وجدت أن الأخوات الأقدم قد
احتكرن الكهّان والأساقفة بشكوك إنجيلية أكثر سفسطائية مما قد تكون
شكوكها في أي وقت. وأنه قد تمر سنوات طويلة قبل أن تصل إلى أي مكان
يجعلها قرية من الأب موليفان. أصبحت مؤرقة ونعيسة في الدير. اكتسبت
طفحاً جلدياً تحسباً عنيداً في جلدة رأسها من جراء الاحتكاك المتواصل
بخمار الراهبة. شعرت أنها تتكلم الإنكليزية أفضل بكثير من أي شخص آخر،
وهذا جعلها أكثر وحدة من أي وقت مضى.

بعد أقل من سنة من التحاقها بالدير، بدأ والدها يتلقّى بالبريد رسائل
ملغزة منها. بابا الحبيب الغالي، أنا جيدة وسعيدة في خدمة سيدتنا، لكن كحل
النور تبدو غير سعيدة و مشتاقة جداً للبيت. بابا الحبيب الغالي، اليوم تقيأت
كحل النور بعد الغداء وارتفعت درجة حرارتها. بابا الحبيب الغالي، يبدو أن

طعام الدير لا يلائم كحل النور، بالرغم من أنه يعجبني إلى حد كافٍ. بابا الحبيب الغالي، كحل النور منزعجة لأن عائلتها تبدو وكأنها لا تفهمها ولا تبالي بسعادتها وخيرها...

لم يعرف المؤقري. جون. إبي، أي كحل النور أخرى (في ذلك الوقت) غير أكبر ماسة في العالم. وتساءل كيف يمكن لفتاة ذات اسم مسلم أن تنتهي في دير كاثوليكي.

كانت والدته يبي كوتشاما، من أدركت أخيراً أن كحل النور لم تكن إلا ابنتها يبي كوتشاما ذاتها. لقد تذكرت أنها ومنذ زمن طويل قد أرث يبي كوتشاما نسخة عن وصية والدها (جد يبي كوتشاما) والذي يصف فيها أحفاده قائلاً: لقد شاهدت جواهر، واحدة منها هي كحل النور الخاصة بي. وتابع مؤثراً كلاً منهم مقدراً ضئيلاً من المال أو المجوهرات دون أن يوضح من الذي اعتبره منهم كحل النور الخاصة به. أدركت والدته يبي كوتشاما ودونما سبب استطاعت أن تفكر به، أن يبي كوتشاما قد افترضت أنه قد قصدها هي - وأنها خلال كل تلك السنين فيما بعد في الدير، وبمعرفتها أن كل رسائلها كانت تُقرأ من قبل الأم المشرفة قبل أن تُرسل، قد أحييت كحل النور ثانية لتوصل معاناتها لعائلتها.

ذهب المؤقري إبي إلى مدارس وسحب ابنته من الدير. كانت سعيدة لمغادرتها، لكنها أصبرت أنها لن تعود وتغير طائفتها، وبقيت إلى آخر أيامها كاثوليكية روم. أدرك المؤقري إبي أن ابنته قد اكتسبت «سمعة» وأنه لم يكن من المحتمل أن تجد زوجاً. فقرر أنه، وحيث أنها لن تستطيع أن تحظى بزواج، فلن يكون هناك ضرر من حصولها على تعليم. وهكذا قام بالترتيبات من أجل أن تحضر مجموعة دروس في جامعة روشيسر في أميريكيا.

بعد سنتين، عادت يبي كوتشاما من روشيسر مع دبلوم في تزيين الحدائق، لكن أكثر حباً للأب موليفان من أي وقت مضى. لم يكن هناك أي أثر للفتاة النحيلة الجذابة التي كانتها. ففي سنواتها التي قضتها في روشيسر

أصبحت يبيي كوتشاما ضخمة بشكل مفرط. وفي الواقع، لنقل، بدينة. حتى أن الخياط الجبان الصغير تشيلاين عند جسر تشونغام، أصرَّ على المطالبة بأجور غطاء لأكمة شجيرات من أجل قميص ساريها. أناط بها والدها مسؤولية الحديقة الأمامية لمنزل أيمينيم، ليعدها عن الاكتئاب، حيث زرعت حديقة ضاربة قاسية، كان يأتي الناس طوال الطريق من كوتايام لمشاهدتها.

كانت رقعة أرض دائرية منحدره مع درب حصوي عالٍ ومنحدر حولها. حوّلتها يبيي كوتشاما إلى متاهة خضراء خصبة من سياج شجيرات قصيرة وحجارة وتماثيل كزُغُل^(١). الأزهار التي أحببتها أكثر، كانت أنثوريام^(٢)، أنثوريام أندراينام^(٣)، كان لديها مجموعة منها، «رايرام»^(٤) و «شهر العسل»، وحشد من تشكيلات يابانية. تدرج كافورهم النضر الفريد من طلال الأسود المرقش إلى الأحمر الدموي والبرتقالي المتلألئ. كان طلوعها البارز المرقط أصفر على الدوام. وفي وسط حديقة يبيي كوتشاما، المحاطة بمساكن من القنّ^(٥) والفلوكس^(٦)، كان يوجد ملاك مرمر يبول قوساً فضياً لانهائياً داخل بركة ضحلة، حيث أزهرت زهرة لوتس زرقاء مفردة وفريدة. وعند كل زاوية من زوايا البركة تدلّى حصص زهري لقرم باريس الخرافي بوجنتين ورديتين وقبعة حمراء مستدقة الرأس.

أمضت يبيي كوتشاما أوقات بعد الظهر في حديقته. في ساري وجزمة مطاطية. استخدمت ببراعة أزواجاً هائلة من مقصات الشجيرات بقفازي

(١) - تماثيل لشخص بشع الوجه. (المترجمة).

(٢) - نوع من النباتات المدارية الأميركية دائمة الخضرة، تستخدم للزينة لأوراقها الجذابة وأزهار الكافور الرائحة الحمراء غالباً. (المترجمة).

(٣) - نوع من نباتات اللوف المدارية. (المترجمة).

(٤) - نبات قيشب متوسط القياس من شمال شرقي أميركا ذا غصينات وبراعم ضاربة إلى الحمرة. (المترجمة).

(٥) - نبات استوائي مزهر عريض الأوراق. (المترجمة).

(٦) - نوع من نباتات أميركا الشمالية، ذات أوراق وأزهار عديدة الألوان. (المترجمة).

حدائق برتقالين زاهيين. ومثل مروض أسود، دجنت نباتات كرمة معرشة ملتوية واعتنت بصبارات ذات أشواك منتصبه قاسية. قللت من الزريعة ودللت سحليات نادرة. شنت حرباً على الطقس. وحاولت أن تثبت إديلويس^(١) وجوافة صينية.

ودھنت كل ليلة قدميها بكریم حقيقي، ودفعت بشرة أظافرھا الميتة المتصلبة إلى الخلف.

ومؤخراً، وبعد أكثر من نصف قرن من العناية القاسية الدقيقة وكثيرة التطلب، هجرت الحديقة الزخرفية، تركت إلى رغباتها ووسائلها الخاصة، فأصبحت معقدة وبرية، مثل سيرك نسيت حيواناته حيلها. وغطت العشب الضارة التي يدعونها الناس نباتا الشيوعي (لأنها ازدهرت في كيرالا كالشيوعية) النباتات الأكثر غرابة بكثافة. فقط النباتات المعرشة استمرت في النمو مثل أظافر أقدام في جثة. لقد وصلت حتى إلى فتحتي منخري الأقزام الحصية الزهرية وأزهرت في تجاويف رؤوسها معطية إياها انطباعاً بي: نصف مندهش، ونصف على وشك أن يعطس.

سبب هذا الانصراف المفاجيء وغير الرسمي، كان حباً جديداً. فقد ركبت بيبي كوتشاما صحناً هوائياً على سطح منزل أيمينيم. وطافت حول العالم من غرفة استقبالها بواسطة تلفزيون بقر صناعي. لم يكن من الصعب فهم الإثارة المستحيلة التي ولدها هذا في بيبي كوتشاما. فهو لم يكن أمراً قد حدث بالتدريج. بل فجأة، بين ليلة وضحاها. شقّر، حروب، مجاعات، كرة قدم، جنس، موسيقى، انقلابات - وصلوا جميعاً في القطار ذاته. وتوقفوا في الفندق ذاته. وفي أيمينيم حيث كان أعلى صوت فيها، ذات مرة، هو نفيّر موسيقي لباص، أمكن الآن استدعاء الحروب والانقلابات والمجازر الحية وبيل كليتون، جميعها، كخدم. وهكذا، وبينما كانت حديثتها التزنية تذوي

(١) - نبات من جنال الألب، أوروبي الأصل، ذو أوراق مغطاة بأزهار صغيرة مبيضة. (الترجمة)

وتموت، تابعت يبي كوتشاما ألعاب الفرسخ في قناة ن. ب. إي، وكريكت اليوم الواحد وكل مباريات التنس الكبيرة والصاخبة. شاهدت في أيام الأسبوع الجريء والجميلة، وساتنا باربارا، حيث شقراوات هشات بحمرة شفاء وتسريحات شعر مثبتة بواسطة السبراي، أغوين رجالاً آلين ودافن عن امبراطوريتهن الجنسية. أحبت يبي كوتشاما ملابسهن اللامعة وسرعة غريزتهن المهرية. وأثناء النهار كانت تعود إليها تنف قصيرة غير مترابطة، تجعلها تضحك بينها وبين نفسها ضحكاً مكتوماً.

كوتشو مازيا، اطبخة التي ما زالت تلبس الأقراط الذهبية السميكة التي شوهت شحمة أذنها إلى الأبد. كانت تستمتع بعروض المصارعة الجنونية، حيث يلبس هالك موغان والسيد كامل، اللذان رقبتاهما أعرض من رأسيهما، قماطين جلدين متلألئين ويضربان بعضيهما بروحية. لضحكة كوتشو مازيا ذلك الطابع القاسي الذي تكتفه الأزدراء واللامبالاة الذي للأطفال الصغار في بضع الأحيان.

كانتا تجلسان طوال اليوم في غرفة الاستقبال، يبي كوتشاما على كرسي الزراعة بأذرعه الطويلة، أو على الشيزلونغ (بحسب حالة قدميها)، وكوتشو مازيا بجانبها على الأرض (تغير القنوات عندما تستطيع)، محتجرتين كلاهما في صمت تلفزيوني صاخب. شعر إحداهن أبيض كالثلج، والأخرى مصبوغ بأسود قاتم كالفتح. دخنا في كل المناقشات والمسابقات مستفيدتين من كل التزيلات التي كان يعلن عنها، وقد ربحتا في مناسبتين، كنزة قطنية وترمساً حفظته يبي كوتشاما وأغلقت عليه في خزانها.

أحبت يبي كوتشاما منزل أيجينيم وتعلقت بالأثاث الذي ورثته من جراء عمرها الطويل الذي لم يعشه أي شخص آخر. كمان ماماتشي وحامله، خزائن الأوتي، كراسي السلة البلاستيكية، سرر دلهي، المزيئة^(١) من فينا ذات العقد المعاجية المنفرجة، وطاولة طعام المصنوعة من خشب الورد والتي صنعها فيلوئا.

(١) - منضدة مع أدراج ومرآة للترتين. (المترجمة).

ارتفعت من مجاعات ال ب. ب. سي وحروب التلفزيون التي صادفتها عندما كانت تبدل القنوات. وأضرمت اليلاما والمشاكل المتعلقة بالأعداد المتزايدة من البشر اليائسين والمطرودين والمفقودين، من جديد، مخاوفها القديمة من الثورة والخطر الماركسي - اللينيني. ورأت في التطهيرات العرقية والإبادات الجماعية تهديداً مباشراً لأثاثها.

أبقت أبوابها ونوافذها مغلقة، إلا في حال استخدامها. استخدمت نوافذها من أجل أهداف محددة. لشهيق من هواء طلق. لتدفع ثمن الحليب. لتطرد دبوراً (والذي كانت تجبر كوتشو ماريا على مطاردته في أرجاء المنزل بمنشفة). أقفلت حتى تلاجتها المتداعية ذات الطلاء المتقشر حيث تحفظ مؤناتها الأسبوعية من كعكات الزبدة المحلاة، التي تجلبها لها كوتشو ماريا من أفضل مخبز في كوتابام. وزجاجتي ماء الأرز الذي كانت تشربه عوضاً عن الماء العادي. على الرف تحت الصينية المخيرة حفظت ما تبقى من مجموعة مامانشي لأطباق المائدة المطعمة بالفوش الصفصافية.

وضعت دزينة زجاجات الأنسولين أو ما يشبهها، التي جلبتها راحيل في علب الزبدة والجبن. ارتابت أنه في هذه الأيام حتى السذج ذوو العيون المدورة، قد يكونوا لصوص أوانٍ فخارية، أو راغبين بشدة بكعكات زبدة محلاة، أو مصابين بداء البول السكري ويطوفون أيمينيم باحثين عن أنسولين مستورد.

لم تكن حتى بالنوأم. اعتبرتهما أنهما قادران على فعل أي شيء. أي شيء بلا استثناء. حتى أنهما قد يسرقان هداياهما ويسترجعانها، فكرت، وأدركت بغصة، السرعة التي عادت بها للتفكير بهما ككيان واحد، ثانية. بعد كل تلك السنين. مصممة ألا تدع الماضي ينسل إليها، بذلت تفكيرها حالاً. هي، هي قد تسرق هداياها وتسترجعها.

نظرت إلى راحيل الواقفة بجوار طاولة الطعام ولاحظت التسلسل الخفي والغريب، الخفيف ذاته، والقدرة على البقاء هادئة وساكنة للغاية، الأمر الذي بدا لستا معلماً بارعاً فيه. يبني كونشاما كانت مرتبة قليلاً من صمت وهدوء راحيل.

«إذا» صرخ صوتها ثاقباً، رتيباً. «ما هي مشاريعك؟ كم من الوقت ستبقى؟ هل قررت؟»

حاولت راحيل أن تقول شيئاً ما. خرج مثلاً. مثل قطعة قصدير. خطت باتجاه النافذة وفتحتها. من أجل نفس من هواء طلق.
«أغلقها عندما تنتهين منها» قالت يبي كوتشاما، وحجبت وجهها كخزانة.

لم يعد باستطاعتك رؤية النهر من هنا.
كان باستطاعتك، إلى أن أغلقت ماماتشي الشرفة الخلفية بأول باب سحب قابل للطّي في أيمنيم.
أنزلت اللوحتان الزيتيتان للموقر إي. جون إي وألبوتي أماتشي (جدي إستا وراحيل العظيمين) من الشرفة الخلفية وعلقتا في الشرفة الأمامية.
إنهما معلّقان هناك الآن. الصغير المبارك وزوجته، على جانبي رأس الثور الأميركي المخطط والمعلّق على حامل.

ابتسم الموقر إي ابتسامة أسلافه الواثقة، خارجاً عبر الطريق بدلاً من النهر.
ألبوتي أماتشي، بدت مترددة أكثر. كما لو أنها أرادت أن تستدير لكنها لم تستطع. لعله لم يكن من السهل بالنسبة إليه أن تتخى عن النهر. بعينها نظرت في الاتجاه الذي نظر إليه زوجها. وبقلبها نظرت إلى البعيد. مطّ حلقها الكونوكو الذهبي الثقيل (تذكّار من طيبة وصلاح الصغير المبارك) شحمتي أذنيها وتدلّى (طوال الطريق) نزولاً حتى كتفها. ومن خلال الفتحات في أذنيها، تستطيع رؤية النهر الساخن والأشجار الداكنة التي انحنت داخله. والصيادين في قواربهم، والأسماك أيضاً.

بالرغم من أنه لم يعد بإمكانك رؤية النهر من المنزل، لكنه، ومثل محارة بحرية تحمل دوماً حس البحر، ما يزال منزل أيمنيم يحمل حسّ النهر.
حساً مندفعاً، متموجاً، حسّ سباحة أسماك.

من نافذة غرفة الطعام حيث وقفت، والريح في شعرها، استطاعت راحيل

رؤية المطر يهطل فارعاً السطح الصدىء لما كان في السابق مصنع جدتهما للمخلل.

مخللات ومعلبات الجنة.

إنه يقع بين المنزل والنهر.

كانوا يصنعون المخللات، والمهروسات، والمربيات، ومساحيق كاري وأناناساً معلباً. ومرتبى الموز (بشكل غير قانوني) بعد أن منعت م. م. غ (منظمة المنتجات الغذائية) لأنه وتبعاً لمواصفاتهم لم يكن لا مربى ولا جليليه. فهو رقيق جداً بالنسبة لجيليه، وسميك جداً بالنسبة لمرتبى. قوام ملتبس، غير قابل للتصنيف، هكذا قالوا.

تبعاً لكتبهم.

بدا لراحيل، وهي تفكر بالأمر الآن، وكأن الصعوبة التي مرت بها عائلتها مع التصنيف قد ذهبت أعمق بكثير من مسألة مرتبى - جليليه.

ربما كانوا آمو، وإستاء، وهي، أسوأ الأئمين المنتهكين. ولكنهم لم يكونوا الوحيدين. كان الآخرون كذلك أيضاً. جميعهم انتهكوا القواعد. جميعهم عبروا في مناطق ممنوعة. جميعهم تلاعبوا بالقوانين التي تسن وتنظم من يجب أن يُحب وكيف. وإلى أي حد. القوانين التي تجعل الجدات جدات، والأخوال أخوالاً، والأمهات أمهات، وأبناء الحال أبناء خال، والمرتبى مرتبى، والجيليه جليليه.

كان هناك وقت أصبح فيه الأعمام آباء، عشاق أمهات، وماتت ابنة خال وكان لها جنازة.

كان هناك وقت أصبح فيه غير الممكن تصوره والتفكير به، ممكناً تصوره والتفكير به، ووقع المستحيل فعلاً.

عثرت الشرطة على فيلوئا، حتى فيما قبل جنازة صوفي مول.

كان يوجد تورمات على ذراعيه في المكان الذي لمست فيه الأصفاد جلده. أصفاد باردة برائحة معدن حامضية. مثل سكك باص فولاذية والرائحة على يدي قاطع التذاكر من جزاء مسكها.

بعد أن انتهى كل شيء، قالت بيبي كوتشاما «مثلما زرعت،
ستحصدين». وكأنه لم يكن لها هي أي علاقة بالزرع والحصد. وعادت على
قدميها الصغيرتين إلى تطريزها للقطب المتصالبة. لم تلمس أصابع قدميها
الأرض أبداً. لقد كانت فكرتها أن يُعاد إستا.

التفّ حزن ومرارة مارغريت كوتشاما على ابتها الميتة داخلها مثل ينبوع
غاضب. لم تقل شيئاً، لكنها كانت تصفع إستا كلما تسنى لها ذلك في الأيام
التي كانت خلالها هناك قبل أن تعود إلى انكلترا.

راقبت راحيل أمو وهي توضّب صندوق الثياب الصغير.

«ربما يكونون على حق» قال همسُ أمو «ربما يحتاج الصبي لبابا».

رأت راحيل أن عينيها كانتا ياهتتين على نحو أحمر.

استشاروا خيرة نوائم في هيديراباد. كتبت إليهم قائلة بأنه ليس من
المستحسن فصل توأم حقيقي، لكن التوأم من بيضتين لا يختلفان عن شقيقين
عاديين، وأنه في حين أنهما سيعانيان حتماً من أسى وألم طبيعيين يعاني منهما
جميع الأطفال الذين هم من بيوت منهارة، إلا أن الأمر لن يتعدى ذلك. لا
شيء خارج المؤلف.

وهكذا أعيد إستا في قطار، مع صندوق ثياب من قصدير وحذاؤه البيج
المستدق الطرف ملفوف داخل حقيبتها القماشية الخاكية. درجة أولى، طوال
الليل في قطار مدارس ميل إلى مدارس. ومن ثم مع صديق لوالده من مدارس
إلى كالكوتا.

كان معه علبة غذاء وساندويتش طماطم داخلها. ودورق بشكل نسر مع
نسر مرّكب عليه. وكان يحمل صورة فظيعة في رأسه.

مطر، اندفاع. مياه خيرية. ورائحة. حلالة مسببة للثنيان. مثل رائحة
أزهار قديمة محمولة في نسيم.

لكن الأسوأ من كل شيء، أنه حمل داخله ذكرى شاب له قم رجب
عجوز. ذكرى وجه متورم ومهشّم، وابسامة مقلوبة. ذكرى بركة منتشرة من

سائل صافي ومصباح عارٍ منعكس عليه. ذكرى عينين محققتين بالدم قُتحتا
وجالنا ثم ثبتنا حديثهما عليه. إستا. و ما الذي قد فعله إستا؟ لقد نظر في
الوجه المحبوب وقال: نعم.

نعم، كان هو.

الكلمة التي لم يستطع أخطبوط إستا أن يبلغها: نعم. لم يبدو أن التنظيف
بالهوفر يساعد. كانت مغروزة هناك، في عمق ثنية أو تجعيدة، مثل شعرة مانغو
بين أضراس، والتي لا يمكن أن تُفلق وهي طليقة.

بفهم عملي مجرد، فإنه من المحتمل أن يكون صحيحاً القول بأن كل
شيء بدأ عندما جاءت صوفي مول إلى أيمينيم. قد يكون صحيحاً أن الأمور
تتغير في يوم. أن دزينة قليلة من الساعات قد تؤثر على حصيلة حياة بأكملها،
وأنه عندما تفعل تلك الدزينة القليلة من الساعات ذلك، فإنها ومثل البقايا
المُتَقَذَّة لبيت محروق - ساعة الحائط الملوّحة، والصورة الشائطة. والأثاث
المسفوع - يجب أن تُبش من بين الانقراض وتُفحص. تُحفظ. ويُقدَّم يائناً حولها.
الأحداث الصغيرة، والأمور الاعتيادية، تُسحق ويُعاد تشكيلها وتُصغى
بمعنى جديد. وفجأة تصبح العظام الحائلة لقصة.

ومع ذلك، فإن القول أن كل شيء بدأ عندما قدمت صوفي مول إلى
أيمينيم، هو النظر إليه من طرف واحد فقط.

وبشكل مساوٍ، إنه من الممكن مناقشة أنه قد بدأ فعلاً منذ آلاف السنين.
قبل مجيء الماركسية بكثير. قبل أن يأخذ الانكليز ملابار، وقبل حكم
الهولنديين، وقبل وصول فاسكو دي غاما، وقبل فتح زامورين لكاليكوت. قبل
الغور إلى الأساقفة السوريين الثلاثة بأثوابهم الأرجوانية، والمختالين من قبل
البرتغاليين، عاثمين في البحر، وأفاعي بحر ملتهق تمتطي صدورهم، ومحاري
معقودة بلحاهم المتشابكة. من الممكن انه بدأ قبل وقت طويل من وصول
المسيحية في مركب و سيلانها في كيرالا كما يسيل الشاي من كيس شاي.
أنه بدأ حقاً في الأيام التي صيغت فيها قوانين الحب. القوانين التي سَتَتْ
من يجب أن يحب من، وكيف، وكم.

لكن، ولغايات عملية في عالم عملي على نحو يائس. ...

فراشة^(١) باباتشي

.... كان يوماً أزرق كلون السماء من كانون أول عام تسع وستين (المُفَقَّون التسعة عشر). كان ذلك النوع من الزمن في حياة عائلة، عندما يحدث شيء يكرز أخلاقياتها المخفية من مكان راحتها، ويجعلها تفور نحو السطح وتطفو لفترة. في رؤية واضحة. لكل شخص.

أسرعت بليموث زرقاء سماوية والشمس في رفرافها، مارة بحقول الأرز الناشئة وبأشجار المطاط المعجوز، في طريقها إلى كوتشين. أبعد إلى الشرق، في بلد صغير بمنظر طبيعية مشابهة (أدغال، أنهار، حقول أرز، شيوعيون)، كانت تُلقى قنابل كافية لتغطيته بأكمله تحت ستة إنشات من الفولاذ. ولكن هنا، كان زمن سلام، وسافرت العائلة في البليموث دون خوف أو توقُّع لشرّ.

(١) - استخدمت الكاتبة كلمة تفيد معنى «عثة»، و«فراشة» في آن واحد، ولكن وحيث أن العثة تدل على حشرة متناهية في الصغر، و يبيّن هنا، من سياق الرواية أنها ليست في مثل هذا الصغر، وحيث أن الفراشة تكون جميلة عامة وتشير إلى نال خير في ثقافتنا، ينما استخدمتها الكاتبة ها لأغراض بعيدة عن هذه تماماً، فقد ارتأينا استخدام كلمة هجينة بين فراشة وعثة لتفيد المعنى الذي أرادت الكاتبة. (المترجمة).

كانت البليموث في الأصل لياهاشي؛ جد راحيل وإستا. الآن، وبكونه قد توفي، فهي ماماتشي، جدتهما، وراحيل وإستا كانا في طريقهما إلى كوتشين ليشاهدا صوت الموسيقى للمرة الثالثة. كانا يعرفان جميع الأغاني.

بعد ذلك، كانوا ذاهبين جميعاً لينزلوا في فندق ملكة البحر، الذي يفوح برائحة طعام بايت. كان الحجز قد تم. وفي وقت مبكر من الصباح التالي، سيذهبون إلى مطار كوتشين ليحضرُوا زوجة تشاكو السابقة - خالتهما الإنكليزية، مارغريت كوتشاما - وابنة خالهما صوفي مول، اللتين كانتا قادمتين من لندن لقضاء عيد الميلاد في أيميني. سابقاً في تلك السنة، كان زوج مارغريت كوتشاما الثاني، جو، قد قتل في حادث سيارة.

عندما سمع تشاكو عن الحادث، دعاهما إلى أيميني. قال أنه لا يستطيع أن يتحمل التفكير بهما وهما تمضيان عيد ميلاد وحيداً وكثيلاً في إنكلترا. في بيت مليء بالذكريات.

قالت أمو أن تشاكو لم يتوقف أبداً عن حب مارغريت كوتشاما. لم توافق ماماتشي. أحييت أن تعتقد أنه لم يحبها أبداً في الأصل.

لم تكن راحيل وإستا قد التقيا صوفي مول أبداً. ولو أنهما قد سمعا الكثير عنها في الأسبوع الفائت. من يبي كوتشاما، من كوتشو ماريّا، وحتى من ماماتشي. لم يكن أحد منهم قد اتقاها أيضاً، لكنهم تصرفوا جميعاً وكأنهم عرفوها مسبقاً. لقد كان أسبوع ماذا ستعتقد صوفي مول؟.

طوال الأسبوع، استرقت يبي كوتشاما السمع دون شفقة على محادثات التوام الخاصة، وكلما قبضت عليهما يتكلمان بالمالايلام، فرضت عليهما غرامة صغيرة كانت تُقتطع من المصدر. من مصروفهما اليومي. وجعلتهما يكتبان السطور - أسمتها «الفرائض» - سأتكلم دوماً بالانكليزية، سأتكلم دوماً بالانكليزية. مرة كل واحد منهما. وعندما تُكتب السطور، كانت تعلمها بقلم أحمر لتؤكد من أن السطور القديمة لن يُعاد صياغتها لعقوبات جديدة. جعلتهما يتدربان على أغنية انكليزية للسيارة من أجل طريق العودة.

كان عليهما تشكيل الكلمات بدقة، وأن ينتبها للفظهما بشكل خاص.
ال لا فظ^(١).

أَس - بِيح - لَه - رَب - دَر - مَأ^(٢)

وأقول ثانية أَسْبِيح.

أَسْبِيح.

أَسْبِيح.

وأقول ثانية. أَس - بِيح.

كان اسم إستا الكامل، إستان ياكو، واسم راحيل، كان راحيل. وللوقت
الراهن لم يكن لديهم اسم عائلة لأن آمو كانت تفكر في العودة إلى اسمها
وهي بكر، بالرغم من أنها قالت أن الاختيار بين اسم الأب واسم الزوج لم يُعط
المرأة خياراً كبيراً.

كان لإستا عيمان مائلتان ناعستان، وكانت أسنانه الأمامية الحديثة ما تزال
غير مستوية عند نهايتها. أما أسنان راحيل الدائمة فكانت تنتظر داخل لثتها،
مثل كلمات في قلم. لقد سبب الحيرة لكل شخص كيف أن اختلاف عمر
بمقدار ثمان عشرة دقيقة من الممكن أن يسبب مثل هذا التعارض في توقيت
ظهور الأسنان الأمامية.

كان إستا يرتدي حذاءه البيج المنقُط وقميص إلفيس المنفوخ. قميص
النزهة الحفاص. كانت أغنية إلفيس المفضلة له «حفلة». «يحب بعض الناس أن
يتأرجحوا، ويحب بعض الناس أن يتدحرجوا». كان يدندن عندما يتيقن من أن

(١) - هذا الكتاب مليء بالكلمات والتعابير الانكليزية غير المسلمية. حيث تريد الكتابة
أن تؤكد على الانكليزية السبقة - وخصوصاً من ناحية اللفظ - التي يتكلم بها
الهنود معتقدين أنهم يتكلمون انكليزية صحيحة. هنا فصلت الكتابة كلمة
«اللفظ» بالطريقة التي يلفظها الهنود. prer NUN sea ashun وهي اللفظ الهندي
لكلمة Pronunciation الانكليزية. (المترجمة).

(٢) - أَسْبِيح الرب دوماً. (المترجمة).

لا أحد يشاهده، مداعباً مضرب تنس، لاوياً شفتيه مثل إلفيس لكن الحركة و
التلويح سترضي روحي، هيا لتقيم حفلة...»^(١)

استقر معظم شعر راحيل في قمة رأسها كلنافورة. كان مجموعاً مع
عضه بـ «الحب في طوكيو» - خرزتان على شريط مطاطي، لا علاقة له بالحب
أو بطوكيو. في كيرالا، صمد الحب في طوكيو أمام اختبار الزمن، وحتى الآن
إذا كنت لتسأل في أي متجر سيدات محترم من الدرجة الأولى، فذلك ما
متحصل عليه. خرزتان على شريط مطاطي.

كان الوقت مرسوماً على ساعة معصم راحيل غير الحقيقية. الثانية إلا
عشر دقائق. كان أحد طموحاتها أن تملك ساعة تستطيع تغيير الوقت بها كلما
أرادت (الأمر الذي، تبعاً لها، كان السبب في وجود الوقت في الأصل).
نظارتها الشمسية البلاستيكية الحمراء ذات الإطار الأصفر، كانت تجعل العالم
يبدو أحمر. قالت آمو بأنها مضرة لعينيها ونصحتها أن تقلل من لبسها قدر
الإمكان.

كنزتها البحرية الخاصة بالمطار كانت في حقيبة آمو. وكان لها بنطلون
قصير، واسع ومزوم عند الركبة خاص منسجم معها.

كان تشاكو يقود. وهو أكبر من آمو بأربع سنوات. لم تستطع راحيل
واسناً مناداته بـ تشاتشن^(٢)، لأنهما لو فعلاً لدعاهما تشيتان وتشيدوثي^(٣). وإذا
سمها آمافن دعاهما آبوي وآماي^(٤). وإذا نادياه خالي، دعاهما خالتي، الأمر
الذي كان محرّجاً أمام الناس. وهكذا دعواه تشاكو.

كانت غرفة تشاكو مزدحمة بالكتب المكّدة من الأرض حتى السقف.
كان قد قرأها جميعها واقتبس نصوصاً طويلة منها دونما سبب واضح. أو على

(١) - كُتبت الأغنية هنا أيضاً بالكلزية مخلوطة بالهندية. (الترجمة).

(٢) - خالي بالهندية. (الترجمة). (الترجمة).

(٣) - ابن وابنة اختي بالهندية. (الترجمة).

(٤) - ابن وابنة اختي أيضاً بالهندية. (الترجمة).

الأقل دوماً سبب يستطيع أن يسبر غوره أي كان. على سبيل المثال. ذلك الصباح، وبينما انطلقوا خارجاً عبر البوابة صائحين بكلمات وداعهم لماتشي المتواجدة على الشرفة، قال تشاكو فجأة: «لقد ثبت أن عتسيبي»^(١) كان على حق في النهاية، إنه ما احترقه عتسيبي، إنه الغبار الكريه العفن العائم في بقطة أحلامه، الذي تخلصني إلى حين من اهتمامي بالأحزان المجهضة وتيه البشر القصير النفس.»

كان الجميع معتادين جداً على مثل هذا الأمر بحيث لم يتجمعوا عناء لكر بعضهم أو تبادل الغمزات. كان تشاكو حائزاً على منحة رودز من اكسفورد، وكان مسموحاً له بشذوذات وتجاوزات لم يكن مسموحاً بها لأي شخص آخر.

ادعى أنه يكتب سيرة حياة عائلة، ستجعل العائلة تضطر لأن تدفع له حتى لا ينشرها. أمو قالت إنه يوجد شخص واحد فقط في العائلة هو المرشح للملائم لابتزاز يتعلّق بسيرة حياته، وذلك الشخص كان تشاكو نفسه. بالطبع، كان هذا، آنذاك. قبل الرعب.

في البليموث، كانت أمو جالسة في الأمام إلى جانب تشاكو. كانت في السابعة والعشرين في ذلك العام، وفي تجويف بطنها حملت المعرفة الباردة، أنه، بالنسبة لها، كانت الحياة قد عشت. كان لديها فرصة. وأخطأت. تزوجت بالرجل الخطأ.

أنهت أمو تعليمها المدرسي في العام نفسه الذي تقاعد فيه والدها من عمله في دلهي وانتقل إلى أيمبني. أصرّ باباتشي أن التعليم الجامعي مدعاة إيفاق غير ضروري بالنسبة لفتاة، ولم يكن لدى أمو خيار آخر غير مغادرة دلهي والانتقال معهم. لم يكن هناك شيء آخر تفعله فتاة شابة في أيمبني عدا انتظار عروض الزواج بينما تساعد أمها في أعمال المنزل. وحيث أنه لم يكن لدى والدها مال كافٍ ليدفع دويطة مناسبة، لم تتلق أمو أية عروض. ومزّت مستان.

(١) - الشخصية الرئيسية في كتاب: «عتسيبي العظيم». «الترجمة»

أنى عيد ميلادها الثامن عشر وولّى. غير ملاحظة، أو على الأقل غير مثيرة
لاهتمام والديه. وأصبحت أمو يائسة تدريجياً. كانت تحلم طوال اليوم بالهرب
من أيمنهم ومن برائن والدها سيء المزاج ووالدتها اللادعة الصبورة. دبرت عدة
خطة بالئسة. وأخيراً، نجحت إحداها. فقد وافق باباتشي على تركها تمضي
الصيف مع خالة بعيدة كانت تسكن في كالكونا.

هناك، وفي استقبال حفلة زفاف شخص آخر، التقت أمو بزواج المستقبل.
كان في إجازة من عمله في آسام حيث كان يعمل كمدير مساعد في
مزرعة شاي. كانت عائلته فيما مضى من أثرياء الإقطاعيين الذين هاجروا من
بنغال الشرقية بعد التقسيم.

كان رجلاً صغيراً، لكن ذو بنية جيدة. لطيف المنظر. وقد وضع نظارة
قديمة الطراز جعلته يبدو حاداً وناقضت تماماً سحر سماعته وبقاعته، لكن مع
حسن فكاهة ملطف كليل. كان في الخامسة والعشرين، وكان قد عمل لمدة
ست سنوات في مزرعة الشاي. لم يكن قد انتسب إلى الجامعة، الأمر الذي
يعلل مزاج تلميذ المدرسة الذي لديه. تقدّم لآمو بعد خمسة أيام من لقائهما
الأول. لم تتظاهر أمو بأنها تحبه. وزنت فقط الأفضليات، وقبلت. فكرت أن
أي شيء، أي رحل على الإطلاق، سيكون أفضل من العودة إلى أيمنيم. كتبت
إلى والديها تعلمهما بقرارها. لم يجيبا.

كان لآمو عرس كالكونتي متقن. فيما بعد، وبالتفكير ثانية بذلك اليوم،
أدركت أمو أن ذلك التائق المحموم الذي كان في عيني العروس على نحو
طفيف، لم يكن حياً، ولا حتى الإثارة من النعيم الجسدي الشهواني، ولكن
ثمانية مقادير على وجه التقريب من الويسكي. متواصلة. وصرفة.

كان حمو أمو رئيس مجلس السكة الحديدية وكان قد حاز على قفاز
الملاكمة الأزرق من كامبريدج. كان أمين سر ال (ا. ب. م. هـ) - اتحاد البنغال
للملاكين الهواة. وقد أعطى الزوج الشاب سيارة فيات مدهونة بلون وردي بناءً
على طلبه كهدية، والتي قادها بعد الزواج بنفسه، مع كل الحلي ومظم الهدايا

الأخرى التي كانت قد أُعطيت لهما. مات قبل ولادة التوأم - على طاولة العمليات أثناء عملية إزالة قرح في المثانة. وحضرت مراسم إحراق جثته من قبل جميع الملاكمين في النغال. حشد من لابس ثياب الحداد المتفجعين بفكوك ناعقة وغدود غائرة وأنوف مكسورة.

عندما انتقلت أمو وزوجها إلى آسام، أصبحت أمو الجميلة، الشابة واللعوب، الشخص الذي يُشرب نخبه في نادي المزارعين. ارتدت بلوزات مكشوفة الظهر مع أثواب الساري وحملت محفظة فضية بزاقة مزودة بسلسلة. دخلت السجائر بواسطة برّ وتعلّمت كيف تنفخ دوائر دخان كاملة. انتهى زوجها لا كسكير كبير فحسب، وإنما إلى كحولي كامل مع كل انحرافات الكحوليين وسحرهم المأساوي. كانت هناك أمور تتعلق به لم تستطع أمو فهمها. وبعد أن تركته بزمّن طويل لم تتوقف أبداً عن التساؤل عن سبب كذبه على نحو فاضح ومسخط عندما لم يكن هناك من داع. وخصوصاً عندما لم يكن هناك من داع. ففي محادثة مع أصدقائه كان يتكلم عن مدى حبه لسمك السلمون المدخن، في الوقت الذي كانت أمو تعرف أنه يكرهه. أو حين كان يأتي من النادي ويقول لآمو أنه شاهد لافني في سانت لويس، في حين يكونون قد عرضوا فعلاً راعي البقر البرونزي. وعندما كانت تواجهه بهذه الأمور، لم يكن يوضح أو يعتذر، كان يفهمه فحسب، مغضباً أمو إلى درجة لم تكن تعتقد أنها قادرة عليها.

كانت أمو حاملاً في الشهر الثامن عندما اندلعت الحرب مع الصين. كان ذلك في تشرين الأول ١٩٦٢. وكانت زوجات وأولاد المزارعين قد تمّ إجلاؤهم عن آسام. أمو، الحامل بشكل كبير لا تستطيع معه السفر، بقيت في المزرعة. في تشرين الثاني، وبعد ركوب باص متخطط إلى شيلونغ على نحو يسبب انتصاب شعر الرأس، وسط إشاعات عن احتلال صيني وهزيمة موشكة للهند، وُلد إستا وراجيل. على ضوء الشموع. في مستشفى سُودت نوافذها من الخارج. بزغا دون جلبة كبيرة، بفارق ثمان عشرة دقيقة بينهما. اثنان صغيران، بدلاً من واحد كبير. فقمطان توأم، زلقان بسبب نسغ أمهما. متجمعان من

مكابدة الولادة. تفحصتهما أمو مخافة وجود تشوهات قبل أن تغلق عينيها وتنام.

أحصت أربع أعين، أربع آذان، فمين، أنفين، عشرين أصبعاً، وعشرين ظفراً لأصابع قدم صحيحة كاملة.

لم تلاحظ الروح السيامية الواحدة. كانت سعيدة بهما. والدهما، الممدّد خارجاً على مقعد قاسٍ في ممر المستشفى، كان مخموراً.

يلوِّغ التوأم عامهما الثاني، كان شرب والدهما، المتفاقم من حياة الوحدة في مزرعة الشاي، قد قاده إلى غيبوبة كحولية. أيام بكاملها مزّت وهو مستلقي فحسب في السرير، دون أن يذهب إلى العمل. أخيراً، استدعاه مديره الانكليزي السيد هوليك إلى بغله^(١). من أجل «حديث جدي».

جلست أمو على شرفة منزلها تنتظر بقلق عودة زوجها. كانت متأكدة أن السبب الوحيد الذي أراد هوليك أن يراه من أجله، هو صرفه من الخدمة. دُهِشت عندما عاد جزءاً ولكن ليس مدمراً. أخبر أمو أن السيد هوليك قد عرض أمراً، والذي يحتاج أن يناقشه معها. بدأ بشكل حيي، متجنباً نظراتها المخدقة، لكنه استجمع شجاعته متابعاً. بالنظر إليه بشكل عملي، إنه في خاتمة المطاف، عرض سيفيد كليهما، قال. في الحقيقة جميعهم، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تعليم الأولاد.

كان السيد هوليك صريحاً مع مساعده الشاب. أعلمه بالشكاوى التي تلقاها من العمال ومن مدرائه المساعدين الآخرين أيضاً.

«أخشى أنه ليس لدي خيار». قال «غير طلب استقالتك».

سمح للصمت بأن يفعل فعله. ترك الرجل المثير للشفقة الجالس أمامه على الطاولة يبدأ بالارنجاف. بالبكاء. ثم تكلّم هوليك ثانية.

«حسناً، في الواقع قد يكون هناك خيار آخر.. ربما نستطيع إيجاد شيئاً

(١) - بيت من طابق واحد. (الترجمة).

ما. التفكير بإيجابية، هو ما أقوله دوماً. فكّر كم أنت محظوظ». توقف هوليك قليلاً ليطلب فنجان قهوة سوداء. «إنك رجل محظوظ جداً، كما تعلم، عائلة رائعة، طفلان جميلان، وزوجة جذابة لا مثيل لها...». أشعل سيجارة وترك عود الكبريت يشتعل إلى أن لم يعد بإمكانه إمساكه أكثر.

«زوجة جذابة إلى حد بعيد...».

توقف البكاء. ونظرت عينان مرتبكتان في عينين خضراوين متوهجتين محمرتي العروق. علاوة على القهوة، عرض السيد هوليك أن يذهب بابا بعيداً لفترة. لعطلة. إلى عيادة ربما، من أجل علاج. طوال الوقت الكافي لكي يتحسن. ومن أجل الوقت الذي يكون فيه بعيداً، اقترح السيد هوليك أن تُرسل آمو إلى بنغله لتتم «رعايتها».

لقد كان في المزرعة مسبقاً، عدد من الأطفال فاتحي البشرة، بشباب رثة، الذين أورشهم هوليك لقاطفات الشاي اللواتي شُعب بهن. كانت هذه أولى غزواته داخل دوائر الإدارة.

راقبت آمو فم زوجها يتحرك وهو يصيغ الكلمات. ولم تقل شيئاً. أصبح بالتدريج متضيقاً ومن ثم مغتاضاً من صمتها. فجأة، اندفع نحوها، أمسك بشعرها، ولكمها، ثم أغغم عليه من الجهد.

أنزلت آمو أثقل كتاب استطاعت أن تجده على رف الكتب - *أطلس العالم التابع ليريديرز دايجست* - وضربت به بأقوى ما استطاعت. على رأسه. على رجليه. على ظهره وكتفيه. عندما استعاد وعيه كان محتاراً بشأن كدماته. اعتذر بذل على العنف، لكنه بدأ فوراً يلح عليها بشك متواصل على مساعدته في نقله. وأصبح هذا نمطاً اعتيادياً. عنف سُكر يُبع بالحاح ما بعد الشكر متواصل.

كانت آمو تشمئز من الرائحة الدوائية للكحول النتن التي يتسرب من جلده، ومن القيء المتصلب الذي يشكّل قشرة تغطي فمه كالقشرة كل صباح. عندما بدأت نوبات عنفه تطلال الطفلين، وعندما بدأت الحرب مع الباكستان

غادرت أمو زوجها وعادت، غير مرتحب بها إلى منزل والديها في أيمينيم. إلى كل شيء كانت قد فوّتت منه قبل بضع سنوات فقط.. باستثناء أن لديها الآن طفلين صغيرين. ودون مزيد من الأحلام.

لم يكن باباتشي ليصدق قصتها - ليس لأنه كان يعتقد أن زوجها كان رجلاً جيداً، لكن ببساطة لأنه لم يصدق أن رجلاً انكليزياً، أي رجل انكليزي قد يشتهي زوجة رجل غيره.

أحبت أمو ولديها بلا شك، لكن قابليتهما الساذجة للعطب، ورغبتهما في حب الناس الذين لا يحبونهما في الحقيقة، أغضبتهما في بعض الأحيان وجعلتهما ترغب في معاملتهما بقسوة - فقط على سبيل الثرية، على سبيل الحماية.

بدا الأمر كما لو أن النافذة التي اختفى عبرها والدهما، بقيت مفتوحة ليدخل منها أيّ كان ويُرحب به.

كان التوأم بالنسبة لأمو مثل زوج مندهل من الضفادع مستغرقين بصحبة بعضهما البعض، يتواثبان ذراعاً بذراع باتجاه أوتسترد حائل بحركة مرور مندفعة بسرعة وعنف. غافلين كلياً عما تستطيع الشاححات أن تفعله بالضفادع. راقتبهما أمو وحرصت عليهما بضراوة. شدّتها يقظتها، وجعلتها متشّجّة ومتوترة. كانت سريعة في تأنيب ولديها، لكنها كانت أكثر سرعة في تحمّل الإهانة نيابةً عنهما.

علمت أنه لن يكون هناك فرص أخرى من أجلها. لم يكن هناك سوى أيمينيم الآن. شرفة أمامية وشرفة خلفية. نهر حار ومصنع مخفل.

وفي الخلفية، كان هناك الهواء المستمر، العالي، المنتحب للإستنكار المحلي. خلال الشهور الأولى لعودتها إلى منزل والديها، تعلّمت أمو بسرعة أن تميّز وتحتقر الوجه البشع للشفقة. قريبات إناث عجائز بلحي بازغة وذقون عديدة مرتعشة، قمن برحلات ليلية إلى أيمينيم ليواسيها بشأن طلاقها. ضفطن على ركبتيها وحدّثن بها شامتات. قاومت رغبتها بصنعهنّ. أو قتل حلماتهن. بمفتاح ربط العزقات. مثل تشالين في الأوقات الحديثة.

عندما كانت تنظر إلى نفسها في صور زفافها، شعرت أمر أن المرأة التي نظرت إليها كانت امرأة أخرى. عروساً غيبة مزيئة بجواهر.

ساريتها الحريري الذي لونه بلون العروب الموشح بالذهب. خواتم في كل أصبع. نقط بيضاء من خشب الصندل ألصقت فوق حاجبيها المقوسين. بالنظر إلى نفسها على هذا الشكل، كان فم أمو الناعم الأملس يلتوي في ابتسامة، ابتسامة مزة بسبب الذكرى - ليست ذكرى الزفاف بعد ذاته، بقدر حقيقة أنها قد سمحت لنفسها بأن تُزَيَّن على نحو مُجهَد للغاية قبل أن تُساق إلى المشتقة. بدا الأمر سخيفاً جداً. وعيشياً إلى حد بعيد.

مثل تلميح موقد.

ذهبت إلى صائغ القرية وطلبت أن يُصهر خاتم زواجها الثمين ويُحوَّل إلى سوار رفيع برأس أفعى، والذي خبأته من أجل راحيل.

كانت أمو تعلم أن حفلات الزفاف لم تكن شيئاً يسهل تحيُّته تماماً. على الأقل ليس بالكلام بشكل عملي. لكن، وليقة حياتها، أٌثِدَّت حفلات زفاف بسيطة بتياب عادية. لقد اعتقدت أن ذلك يجعلها أقل شناعة.

عندما كانت أمو تستمع بين الفينة والأخرى إلى أغان تحبها في الراديو، كان شيء ينشط داخلها، توق موجه سائل انتشر تحت جلدها، وانسحبت من العالم مثل ساحرة، إلى أماكن أفضل، وأكثر سعادة. في أيام كهذه، كان هناك شيء متململ، قلق ويريّ فيما يتعلق بها. وكأنها كانت قد وضعت جانباً، إلى حين، أخلاقيات الأمومة والطلاق. حتى مشيتها تغيرت من مشية أم آمنة إلى نوع آخر من المشي البريِّ الجامح. كانت تضع وروداً في شعرها وتحمل أسراراً سحرية في عينيها. لم تتكلم مع أحد. وأمضت ساعات على ضفة النهر مع الراديو البلاستيكي الصغير الخاص بها والذي بشكل مندرجن. دُخِنَت انسجائر وصيحت في منتصف الليل.

ما الذي كان قد أوصل أمو إلى هذه الحافة الخطرة؟ هذه الحالة من التقلُّب؟ لقد كان ما قاومته داخلها. مزيجاً غير قابل للمزج. الرقة اللامتناهية للأمومة والرغبة العارمة المشهورة التي لقاذف قنابل انتحاري. كان هذا ما نما

داخلها، وقادها، آحر الأمر، لأن تحب في الليل، الرجل الذي أحبه ولداها في النهار. لتستعمل في الليل القارب الذي استخدمه ولداها في النهار. القارب الذي جلس عليه إستا، ووجدته راحيل.

في الأيام التي كان الراديو يعزف أغاني أمو، كان الآخرون يحترسون قليلاً منها. لقد أدركوا بطريقة ما أنها تعيش في ظلال منقوصة بين عالمين، تماماً فيما وراء سيطرة نفوذهم. أن المرأة التي كانوا قد لعنوها، لم يتيق لديها إلا القليل لتخسره، ولذلك، فمن الممكن أن تكون خطيرة. وهكذا، في الأيام التي كان الراديو يعزف أغاني أمو، تجنّبها الناس، قاموا بدورات صغيرة حولها، لأن الجميع اتفقوا على أن من الأفضل تركها لتكون فحسب.

في أيام أخرى كان لها غمازات عميقة عندما تبتسم.

كان لها وجه دقيق منحوت، حاجبان مقوسان مثل جناحي نورس محلق، أنف صغير مستقيم، وبشرة نيرة بلون البندق. في يوم كانون الأول الذي بلون زرقة السماء ذلك، أفلت شعرها المعقوص الجامع، في خصلات في ريح السيارة. وتألّق كثفاها في بلوز ساريها الذي بدون أكمام وكأنهما قد ضفلاً بلمع أكتاف شمعي شديد الفعالية. كانت في بعض الأحيان أجمل امرأة شاهدها إستا وراحيل في حياتهما. وفي أحيان أخرى لم تكن كذلك.

على المقعد الخلفي في البليموث، بين إستا وراحيل، جلست بيبي كوتشاما، الراهبة السابقة وصاحبة منصب الطفلة الحالة الكبرى. بالطريقة التي يكره بها أحياناً تعيش الحظ، من هو تعيش الحظ مثله، كرهت بيبي كوتشاما التوأم لأنها اعتبرتهما ذوي قدر مشؤوم ولقيطين من دون أب. والأسوأ، أنهما كانا هجينين نصف هندوسيين لن يتزوجهما أي مسيحي سوري يحترم نفسه.

كانت لاذعة معهما جداً لئلا يدركا أنهما (مثلها هي) يعيشان في منزل أيمنيم على مضض، منزل جدتهما لأمهما، حيث لم يكن لهما الحق في أن يعيشا. اغتاظت بيبي كوتشاما من أمو لأنها رأتهما تتنازع مع القدر الذي شعرت، هي، بيبي كوتشاما ذاتها، أنها قبلته بسماحة نفس. قدر امرأة بائسة من دون رجل. بيبي كوتشاما الحزينة، التي بدون الأب موليان. لقد تدبرت أمرها

عبر السنين بأن تقنع نفسها أن جها غير المحقق للأب موليعان كان عائداً بكليته
لكبحها وتحفظها هي وتصميمها هي على أن تفعل الصواب.

أيدت من القلب وجهة النظر المعتقد بها عموماً، أن الفتاة المتزوجة ليس
لها مكان في بيت والديها. أما بالنسبة لابنة مطلقّة - تبعاً ليبي كوتشاما، ليس
لها موقع في أي مكان على الإطلاق. أما بالنسبة لابنة مطلقّة من زواج حب،
حسناً، لم تستطع الكلمات أن تصف الإهانة التي أحست بها يبي كوتشاما.
أما بالنسبة لابنة مطلقّة من زواج حب قائم بين مجتمعين - اختارت يبي
كوتشاما أن تبقى صامتة بارتعاد إزاء هذا الموضوع.

كان التوأم صغيرين جداً على فهم كل هذا، وهكذا، أنكرت عليهما يبي
كوتشاما لحظاتهم من السعادة البالغة، عندما يرفع يعسوب أمسكاه، حجرة
صغيرة، بقدميه، من راحة أيديهما. أو عندما يكونان قد حصلوا على الإذن
بتحميم الخنازير، أو عندما يجدان بيضة طازجة من دجاجة. لكنها حسدتهما
أكثر من كل شيء، على الراحة التي استدرأها من بعضهما البعض. لقد توقعت
منهما نموذج تعاسة وشقاء نوعاً ما. على الأقل.

في طريق العودة من المطار، جلست مارغريت كوتشاما في الأمام مع
تشاكو لأنها كانت روجته في السابق، وجلست صوفي مول بينهما. وانتقلت
أمو إلى الخلف.

كان يوجد ترمسا ماء. ماء مغلي لمارغريت كوتشاما وصوفي مول، وماء
صنبور للآخرين.

كانت الأمتعة في صندوق السيارة.

فكرت راحيل أن صندوق السيارة كلمة محبة إلى النفس. كلمة أفضل
بكثير من على أية حال من قروي. قروي كانت كلمة رهيبة. مثل اسم قزم.
القروي كوشي أومن - koshy oommen - قزم لطيف ودمث من الطبقة
الوسطى، يخاف الله، بركبتين واهنتين ومفرق شعر جانبي.

فوق الرف المركب على سطح الليموث، كانت هناك لوحة إعلانات من
خشب رقيق الطبقات بأربعة وجوه وخطوط قصديرية، كُتب عليها من الجهات

الأربع بكتابة متفنة **مخللات ومهللات الحقة**. وتحت الكتابة كان يوجد زجاجات ملونة من مربى كوكيتيل الفواكه ومخلل ليمون حار وزيت صالح للأكل، عليها أوراق كُتب عليها بخط متق **مخللات ومهللات الحقة**. إلى جانب الزجاجات كانت هناك قائمة بجميع منتجات الحقة وراقص الكاتاكالي^(١) بوجهه الأخضر وتنورته المدوّمة. وعلى امتداد الخط السفلي للدعامة التي بشكل حرف S والتي صنعتها تنورته المتنفخة، كُتب بالتفاف أخذ شكل S، **أباطرة عالم النكهة** - والذي كان من إسهام الرفيق بيلاي غير الملتصق. كانت ترجمة حرفية لـ **دوتشي لوكايتيد راجافو**، والتي بدت أقل إثارة للضحك بقليل من **أباطرة عالم النكهة**. لكن، وحيث أن الرفيق بيلاي كان قد طبعها مسبقاً، فإن أحداً لم يطارعه قلبه أن يطلب منه إعادة الطباعة بأكملها. وهكذا، وعلى نحو غير مألوف، أصبحت **أباطرة عالم النكهة** ميزة دائمة على ملصقات مخلات الحقة.

قالت أمو أن راقص الكاتاكالي كان سيمك الرنكة الأحمر ولا علاقة له بأي شيء. قال تشاكو أنه أعطى المنتجات نكهة محلية ستفهم كثيراً عندما سيدخلون سوق ما وراء البحار.

قالت أمو أن لوحة الإعلانات جعلتهم يبدوون سخفاء مضحكين مثل سيرك رخال. برعائف ذيلية.

بدأت ماماتشي في صنع المخلاتات تجارياً بعد أن تقاعد باباتشي من خدمة الدولة في دلهي وجاء ليعيش في أيمينييم بوقت قصير. كانت جمعية كوتايااما الإنجليزية تقيم سوقاً خبيراً وطلبت من ماماتشي أن تصنع إحدى مربياتها الشهيرة

(١) - الرقص الكاتاكالي، هو رقص مشهدي دراماتيكي مذهب من المنطقة الجنوبية لكيرالا. يتضمن قصصاً عن أبطال وآلهة وأوغاد وأنصاف آلهة وشياطين، يتطلب مكياجاً معقداً وأزياء تزيينية. تملأ الأبيات المرافقة من قبل مغنين في خلفية المسرح، وتُنتج الموسيقى المصاحبة بواسطة صنجيات وأجراس وطبول. (المترجمة).

للموز، ومخلل المانغو الطري. نَقَذْتُ بسرعة، ووجدت ماماتشي أنه كان لديها طلبات أكثر مما تستطيع إنجازها. مبتهجةً بنجاحها، قررت أن تواصل عملها في المربيات والمخللات، وسرعان ما وجدت نفسها مشغولة على مدار السنة. باباتشي من طرفه، كان يعاني من مشكلات في التغلب على مخزي التقاعد. كان أكبر من ماماتشي بسبعة عشر عاماً، وقد أدرك بصدمة أنه كان رجلاً عجوزاً في الوقت الذي كانت فيه زوجته في ريعان شبابها.

بالرغم من أن ماماتشي كان لديها قرنية مخروطية وكانت قد أصبحت عمياء عملياً، إلا أن باباتشي لم يكن يساعدُها في صنع المخلل، لأنه اعتبر أن صنع المخلل لا يليق بموظف حكومي سابق عالي المرتبة. لطالما كان رجلاً غيوراً، ولهذا فقد أنكر بشدة الاهتمام الذي كانت تلقاه زوجته. كان يمشي متهدلاً حول المجتمع، يذاته الخاطلة على نحو خالٍ من العيوب، راسماً دوائر غاضبة حول أكرام الفلفل الأحمر الحار والكرشم الأصفر المسحوق حديثاً، مراقباً ماماتشي وهي تشرف على عمليات شراء ووزن وتعليق وتجفيف الليمون الحامض والمانغا الطرية. كان يضربها كل ليلة بأنية زهور نحاسية. لم يكن الضرب أمراً جديداً، ما كان جديداً هو التكرار الذي كان يحدث به. وفي إحدى الليالي كسر باباتشي قوس كمان ماماتشي ورمه في النهر.

ثم أتى تشاكو من أكسفورد لقضاء عطلة الصيف. كان قد كبر وأصبح رجلاً كبيراً. وكان قوياً في تلك الأيام من مباريات التجديف التي كان يشارك بها لصالح باليول^(١). بعد أسبوع من وصوله، وجد باباتشي يضرب ماماتشي في المكتب. دخل تشاكو الغرفة بخطوات واسعة، قبض على يد باباتشي المسكة بزئاء الزهر ولواها خلف ظهره.

«لا أريد أن يتكرر هذا ثانية». قال لوالده. «أبدًا».

جلس باباتشي لبقية ذلك اليوم في الشرفة وحقق خارجاً نحو الحديقة

(١) - كلية في أكسفورد. (المترجمة).

التزينة بجمود خالٍ من التعبير، متجاهلاً أطباق الطعام التي أحضرتها كوتشو ماريا. في وقت متأخر من الليل دخل مكتبه وأخرج كرسيه الهزاز الماهوغاني المفضل. وضعه في وسط المر وحطمه إلى قطع صغيرة بمفتاح ربط أدوات السمكري. تركه هناك تحت ضوء القمر، كومة من شرائح طولانية مصقولة وخشب متشط. لم يلمس ماماتشي ثانية، لكنه لم يكلمها أيضاً طوال حياته. عندما كان يحتاج لشيء ماء، كان يستخدم كوتشو ماريا وبيبي كوتشاما كوسيطتين.

في الأمسيات، عندما يعلم أن هناك رواراً متوقعين، كان يجلس في الشرفة ويخطط زراً لم يكن مفقوداً من قميصه، ليخلق انطباعاً أن ماماتشي كانت تهمله. وقد نجح إلى درجة نسبية ما في إفساد نظرة أيميني أكثر تجاه الزوجات العاملات.

اشترى بليموث زرقاء سماوية من عجور انكليزي في مانار. وأصبح منظراً مألوفاً في أيميني، أن يهبط الطريق الضيق بسيارته العريضة بأنفة، وهو يدر أبقاً في الظاهر، لكنه يتصب عرقاً بشكل كبير داخل بذاته الصوفية. لم يكن يسمح لماماتشي أو لأي أحد آخر من العائلة باستخدامها، أو حتى بالجلوس فيها. كانت البليموث انتقام باباتشي.

كان باباتشي عالم حشرات امبراطوري في معهد بوسا. بعد الاستقلال، وعندما غادر البريطانيون، تغير منصبه من عالم حشرات امبراطوري إلى مدير مشترك في علم الحشرات. وفي السنة التي تقاعد فيها كان قد رُقي إلى درجة تساوي مركز مدير.

كانت هزيمة حياته الكبرى، هي عدم تمكنه من إطلاق اسمه على الفرائة التي اكتشفها هو.

لقد سقطت في شرايه ذات مساء بينما كان جالساً في شرفة منزل راحة بعد يوم طويل في الحقل. وعندما التقطها لاحظ الكثافة غير المألوفة لرغبها الظهري. نظر إليها نظرة أقرب، وبإثارة متزايدة أعدها للفحص وأخذ مقاساتها،

ورضعها في الصباح التالي في الشمس لبضعة ساعات حتى يتبخر الكحول. ثم استقل أول قطار عائداً إلى دلهي. من أجل اهتمام تصنيفي، ومتأملاً بالشهرة. بعد ستة شهور غير محتملة من القلق، ولحنية باباتشي الشديدة، قيل له أن فرائته قد عُيِّت هويتها أخيراً على أنها نوع غير مألوف قليلاً من أنواع معروفة جداً وتنتمي إلى عائلة الليمانتريديا الاستوائية.

أتت الكارثة الحقيقية بعد اثني عشر عاماً، فكنتيجة لإعادة تعديل تصنيفي جذرية، قرر علماء حشرات قشريات الأجنحة أن فرائة باباتشي كانت في الواقع نوعاً منفصلاً وجنساً غير معروف للعلم. بحلول ذلك الوقت، بالطبع، كان باباتشي قد تقاعد وانتقل إلى أيمينيم، وكان الأوان قد فات ليؤكد حقه في المطالبة بالاكشاف. وسميت فرائته باسم المدير المنقذ في إدارة علم الحشرات، وهو موظف ذو مرتبة أدنى لطالما كرهه باباتشي.

وطوال السنين اللاحقة، حُمِلَت فرائة باباتشي مسؤولية أمرجته السوداء ونوبات انفعاله المفاجئة، بالرغم من أنه كان رديء الطبع سريع الغضب قبل وقت طويل من اكشافه للفرائة. لازم شبحها الخبيث الرمادي المكسو بالفراء ذو الكثافة غمي الاعتيادية لزغبتها الظهري كل منزل عاش فيه. عذِّبه وعذَّب أولاده وأولاد أولاده.

إلى اليوم الذي مات فيه، وحتى في حرارة أيمينيم الحارقة، لبس باباتشي كل يوم بذته ذات القطع الثلاثة والمكوية جيداً وساعة جيبه الذهبية. على المزينة، إلى جانب عطره وفرشاة شعره الفضية، احتفظ بصورة لنفسه وهو شاب، بشعره المملس نحو الأسفل، المأخوذة في استوديو تصوير في فيينا، حيث قام بدراسة لمدة ستة أشهر لدبلوم أهله ليتقدّم لوظيفة عالم حشرات امبراطوري. أثناء تلك الشهور التي أمضيها في فيينا أخذت ماماتشي دروسها الأولى في الكمان. بُررت هذه الدروس بشكل مفاجيء عندما قام أستاذ ماماتشي لونسكي تيفيستال بخطأ إبلاغ باباتشي أن زوجته كانت موهوبة بشكل استثنائي وأنها في رأيه تمتلك امتيازاً كامناً لأداء الحفلات الموسيقية.

ألصقت ماماتشي في اليوم صور العائلة، القصاصة من إنلديان اكسبرس
التي نقلت خبر وفاة باباتشي. والتي تقول:

عانى عالم الحشرات الشهير، شري بيغان جون إبي، ابن موقر
أيمينيم الراحل إبي جون (والمعروف شعبياً بيوتيان كوريجر)، من
نوبة قلبية شديدة وتوفي الليلة الفائقة في مستشفى كوناياام
العامة. وكان قد عانى من آلام صدر حوالي ١,٠٥ بعد الظهر
ونقل بسرعة إلى المستشفى. وأنت النهاية في الساعة ٢,٤٥
صباحاً. كانت صحة شري إبي معتدلة للشهور الستة الأخيرة.
توفي عن زوجته سوشاما وولدين.

في جنازة باباتشي، بكّت ماماتشي وانزلت عدساتها اللاصقة هنا وهناك
في عينيها. أخبرت أمو التوأم أنها كانت تبكي لأنها اعتادت عليه أكثر من أنها
أحبته. كانت قد اعتادت عليه يختل حول مصنع المحلل، واعتادت على أن
تُضرب من حين لآخر. قالت أمو أن الكائنات البشرية هي مخلوقات العادة،
وأنه من المذهل نوعية الأشياء التي يستطيعون الاعتماد عليها. ما عليكما إلا
النظر حولكما، قالت أمو، لثريا أن الضرب بأواني زهور نحاسية هو أقلها.

بعد الجنازة، طنبت ماماتشي من راحيل أن تساعد في تحديد موقع
عدساتها اللاصقة وإزالتها بماصة برتقالية أتت مع علبتها الخاصة. سألت راحيل
ماماتشي، فيما إذا كان بمقدورها أن ترث الماصة بعد موت ماماتشي. أخرجتها
أمو من الغرفة وصفتها.

«لا أريد أبداً أن أسمعك تناقشين مع الناس موتهم مرة أخرى.» قالت.

قال إستا أنها كانت تستحق ذلك لأنها كانت دون إحساس مطلقاً.

أُعيد تأطير صورة باباتشي المأخوذة في فيينا، والتي يبدو فيها بشعره
الممّلس نحو الأسفل، ووضعت عالياً في غرفة الاستقبال.

كان رجلاً تليق به الصور، أنيقاً ومهتماً بنفسه، برأس رجل ضخم قليلاً.
كان لديه ذقن ثانية ابتدائية من شأنها أن تتوضح إن هو نظر نحو الأسفل أو
أحنى رأسه. في لصورة، كان قد اهتم بإبقاء رأسه عالياً كفاية ليخفي ذقنه
المزدوجة، ومع ذلك ليس عالياً جداً بحيث يبدو متفطرساً. كانت عيناه البهتان

الفاتحتان مهذبتين، لكن شريرتين، وكأنه كان يقوم بجهد ليدو متمدناً أمام المصور. بينما هو يخطط لقتل زوجته. كانت لديه كتلة لحمية صغيرة في وسط شفته العلوية سقطت فوق شفته السفلية بنوع من التجهّم المتخثّث - ذلك النوع الذي يظهر عند الأطفال الذين يمسّون ابهامهم. وكان لديه غمازة متطاولة في ذقنه، والتي تفيد في تأكيد تهديد العنف الهوسي الجنوني المستور. نوع من الوحشية المكبوحّة. كان يلبس سروال ركوب خيل كاكيا بالرغم من أنه لم يركب خيلاً في حياته. عكس حذاء الركوب خاصته أضواء استوديو المصور. وتوضّع سوط ركوب قصير ذو مقبض عاجي برشاقة فوق حجره.

كان للصورة هدوء حذر، أضفت قشعريرة ضمنية على الغرفة الدافئة التي علّقت فيها.

عندما توفي، ترك باباتشي صديق ثياب مليئة ببذات غالية، وعلب شوكلاتة مملوءة بأزرار لربط أكمّام القمصان، والتي ورّعها تشاكو على سائقي سيارات الأجرة في كوتايام. حيث فصلت وضّعت منها خواتم وأقراط وقلاذات لمهور البنات غير المتزوجات.

عندما سأل التوأم عما كان الغرض من أزرار أكمّام القمصان^(١) هذه - «لربط الأكمّام مع بعضهما»، أخبرتهما أمو - كانا مهترين طرباً من مقدار المنطق الصغير هذا في ما كان حتى الآن لغة غير منطقية. أكمّام + ربط = ربط الأكمّام. بالنسبة لهما كان هذا بضاهي الدقة والمنطق اللذين للرياضيات. لقد منحتهما ربط الأكمّام رضى جامحاً (إذا كنا لنبالغ)، وولعاً حقيقياً باللغة الانكليزية.

قالت أمو أن باباتشي كان مصاباً بداء ت. ت. ب البريطانية، والتي كانت اختصاراً لـ تشي تشي برتش في الهندية، وتعني مسححة الخراء. قال تشاكو أن الكلمة المناسبة لأشخاص مثل باباتشي كانت المحب

(١) - الجملة بالانكليزية، وهما يتكلمان الهندية. (الترجمة).

لأنكلترة والانكليز. وجعل راحيل وإستا يبحثان عن المحب لأنكلترة والانكليز في القاموس الموسوعي الكبير لريدز دايجست. كانت تعني شخص مثالي لأنكلتيز. ثم كان على إستا وراحيل البحث عن معنى مثالي^(١).

كانت تعني:

- ١ - يرتب على نحو ملائم في نظام خاص.
- ٢ - يجعل العقل في حالة معينة.
- ٣ - يتصرف به، بصرف عن، يهيم، يهي، يستقر، يهتم (طعاماً)، يقتل، يسيم.

قال تشاكو أنه في حالة باباتشي كانت تعني الحالة (٢) يجعل العقل في حالة معينة. والتي قال تشاكو أنها تعني أن باباتشي كان قد دُفع إلى وضع جعله يهوى الانكليز.

أخبر تشاكو التوأم انه وبالرغم من أنه يكره الإعتراف بذلك إلا أنهم كانوا جميعاً محبين للانكليز. كانوا عائلة من محبي الانكليز. موجهين في الاتجاه الخاطئ، واقعين في شرك خارج تاريخهم الخاص، وغير قادرين على استعادة خطاهم لأن آثار خطاهم قد مُسحت. شرح لهما أن التاريخ مثل بيت قديم في الليل. حيث المصاييح مضاءة بأكملها، والأجداد يهيمون في الداخل.

«من أجل فهم التاريخ» قال تشاكو «علينا أن ندخل ونصغي إلى ما يقولونه. وأن ننظر في الكتب والصور التي على الجدران. وأن نشم الروائح».

لم يكن لدى إستا وراحيل أي شك بأن البيت الذي قصده تشاكو كان البيت الواقع على الضفة الأخرى من النهر؛ وسط مزرعة مطاط مهجورة، حيث لم يذهباً أبداً. منزل كاري سايبو. الصاحب^(٢) الأسود. الانكليزي الذي

(١) - استخدمت الكتابة كلمة لها معان عدة بالانكليزية، أما هنا فقد ذكرت الكلمة المناسبة المقابلة بالعربية. (المترجمة).

(٢) - Sahib: الصاحب: لقب بمعنى سيد يخاطب به الهنود شخصاً أوروبياً. (المترجمة).

«أصبح ابن بلده» الذي تكلم بالمالايلام وليس الموندوس. الكورتز الخاص بأيميم. أيميم قلب ظلماته السري. لقد أطلق النار على رأسه. منذ عشر سنوات عندما أخذ والده حبيبه، الصبي منه وأرسله إلى المدرسة. بعد الانتحار، أصبحت الممتلكات موضوع خصومة قضائية شديدة بين طباطخ كاري سايو وسكرتيره. بقي المنزل فارغاً بضع سنين. قلة قليلة من الناس رأته. لكن التوأم استطاعا تخيله.

بيت التاريخ.

بأرضيات حجرية باردة وجدران معتمة وظلال بشكل سفن. حيث تعيش سحليات ضخمة نصف شفافة خلف صور قديمة، وأسلاف شميون متفسخون ذوو أظافر أقدام قاسية وأنفاس برائحة الخراطط الصفراء تنثر في همس ورقي صافر.

«لكننا لا نستطيع الدخول» أوضح تشاكو «لأننا قد حُجزنا في الخارج، وإذا ما نظرنا من خلال النوافذ، فإن كل ما نراه هو الظلال. وعندما نحاول أن نصغي، فإن كل ما نسمعه هو الهمس. ونحن لا نستطيع فهم الهمس، لأن عقولنا اجتاحت بحرب. حرب ربحتها وخسرناها. حرب هي الأسوأ على الإطلاق بين كل الحروب. حرب استولت على أحلامنا، وحلمت بها من جديد. حرب جعلتنا نعبد غزائنا ونكره أنفسنا».

«إن الزواج من غزائنا هو أمر أشبه به» قالت آمو بجفاف مثيرة إلى مارغريت كوتشاما. تجاهلها تشاكو. وجعل التوأم يبحثان عن كلمة يزدري. كانت تعني: يحتقر، يتفحصر باحتقار، يهزأ بازدراء.

قال تشاكو أنه في سياق الحرب التي كان يتكلم عنها - حرب الأحلام - فإن يزدري كانت تعني كل هذه الأمور.

«نحن سجناء الحرب» قال تشاكو «لقد تم التلاعب بأحلامنا. نحن لا ننتمي إلى أي مكان. نحن نبحر دون رسو في بحار متلاطمة. وقد لا يُسمح لنا أبداً بالتوجه إلى شاطئ». أشجاننا لن نكون حزينة كفاية. أفراننا لن تكون

سعيدة كفاية. أحلامنا لن تكون كبيرة كفاية. وحيواتنا لن تكون مهمة كفاية. لتؤثره.

ثم، ومن أجل إعطاء إستا وراحيل حساً بالمنظور التاريخي (بالرغم من أن المنظور كان شيئاً سيفتقده تشاكو ذاته بألم، في الأسابيع التالية)، أخبرهما عن المرأة الأرض. جعلهما يتخيلان أن الأرض - ذات الأربعة آلاف وستة مئة مليون عاماً - كانت امرأة في السادسة والأربعين من عمرها - أي، بحمر المعلمة ألياما، التي كانت تعطيهما دروس المالايالام. لقد استغرق كامل حياة المرأة الأرض لتصبح الأرض ما آلت إليه. من أجل أن تنفصل المحيطات. ومن أجل أن تبرغ الجهال. كانت المرأة الأرض في الحادية عشرة من عمرها، قال تشاكو، عندما ظهرت الكائنات الحية الأولى ذات الخلية الواحدة. أما الحيوانات الأولى، المخلوقات من مثل الديدان والأسماك الهلامية، فلم تظهر إلا عندما كانت في الأربعين من عمرها. وكانت في الخامسة والأربعين من عمرها، أي منذ ثمانية أشهر فقط، عندما كانت الديناصورات تجوب الأرض.

«الحياة الإنسانية بأكملها كما نعرفها» قال تشاكو للتوأم «لم تبدأ إلا منذ ساعتين فقط من حياة المرأة الأرض. الوقت الذي يستغرقنا لنقود من أيمنيم إلى كرتشين».

لقد كانت فكرة ملهمة مهينة ومذلة، قال تشاكو، فكرت راحيل أن مذلة هي كلمة لطيفة؛ التذلل قدماً دون عناية في العالم، إن التاريخ المعاصر بأكمله، الحروب العالمية، حرب الأحلام، الإنسان والقصر، العلم، الأدب، الفلسفة، السعي وراء المعرفة - لم يكن سوى ومضة في عيني المرأة الأرض.

«ونحن، يا عزيزي، كل ما نحن عليه، وكل ما ستكونه يوماً - غمضة في عينيها فحسب». قال تشاكو بتفخيم، مستلقياً على سرير، محدقاً في السقف. عندما يكون في مزاج من هذا النوع، كان تشاكو يستشهد بقراءاته بصوت عالٍ. كان لغرفته جو كنيسة. لم يكن يهتم فيما إذا كان أحد يستمع إليه أم لا. وإذا كانوا يستمعون إليه، لم يكن يهتم فيما إذا كانوا يفهمون ما يقوله. أستمعهم أمو أمزجة أكسفورد.

فيما بعد، في ضوء كل ما حدث، بدت ومضة كلمة خاطفة تماماً في

وصف التعبير في عين المرأة الأرض. كانت ومضة كلمة بحواف مجعده سعيدة.

بالرغم من ان المرأة الأرض كان لها وقع مستديم على التوأم، لكن بيت التاريخ - أقرب بكثير من متناولهما - كان هو الذي فتنهما حقاً. فكرا به مراراً. المنزل الواقع على الضفة الأخرى من النهر. يلوح قلب الظلمات.

منزل لا يستطيعان دخوله، مليء بهمس لا يستطيعان فهمه. لم يعرفا عندها، أنهما قريباً سيدخلان، أنهما سيعبران النهر، ويكونان حيث لا يُفترض بهما أن يكونا، مع رجل لم يكن بالمفترض بهما أن يحتابه. أنهما سيراقبان بعينين باتساع طبق عشاء، بينما يكشف التاريخ ذاته لهما في الشرفة الخلفية.

في الوقت الذي كان اطفال آخرون في عمرهما يتعلمون أموراً أخرى، تعلم إستا وراحيل كيف يتداول التاريخ مصطلحاته ويحجي ديونه من أولئك الذين يحطمون قوانينه. سمعا صوت ضربه المقرز. شتاً رائحته ولم ينسيها أبداً.

رائحة التاريخ.

مثل رائحة أزهار قديمة محمولة بنسيم.

سيكمن للأبد في أشياء عادية. في مشاجب المعطف. في الطماطم. في القطران على الطرقات. في ألوان محددة. في أطباق المطاعم. في غياب الكلمات. وفي خواء الأعين.

سيكيران متشبثين بطرق للتعايش مع ما حدث. سيحاولان أن يقولوا لنفسيهما أنه كان حدثاً تافهاً في لغة الزمن الجيولوجي. فقط ومضة في عين المرأة الأرض. أن أسوأ الأمور قد حدثت. أن أسوأ الأمور استمرت في الحدوث. لكنهما لن يجدا الراحة في التفكير.

قال تشاكو إن الذهاب لرؤية صوت الموسيقى كان تمريناً موسعاً في حب

الانكليز.

قالت أمو «اره هيا، إن العالم بأكمله يذهب لرؤية صوت الموسيقى، إنه صرعة العالم».

«ومع ذلك يا عزيزتي» قال تشاكو بصوته العالي الخاص بالقراءة «و. مع. ذلك» .

كانت ماماتشي غالباً ما تقول ان تشاكو كان ييسر أحد أذكى رجال في الهند. «بحسب من ؟» كانت أمو تسأل «استاداً على أية أسس؟» كانت ماماتشي تحب أن تروي قصة (قصة تشاكو) كيف أن أحد المدرسين في أكسفورد قال أنه في رأيه أن تشاكو كان ذكياً لامعاً ومصنوعاً من مادة رؤساء الوزراء.

بالنسبة لهذا كانت أمو تقول دوماً «ها، ها، ها» مثلما يفعل الناس في المسرحيات الكوميديّة.

كانت تقول:

أ - الذهاب إلى أكسفورد لا يجعل بالضرورة الشخص ذكياً.

ب - الذكاء لا يجعل بالضرورة رئيس وزراء جيداً.

ج - إذا كان الشخص لا يستطيع حتى ان يدير مصنع مخلل بشكل مريح، فكيف سيكون ذلك الشخص قادراً على أن يدير بلداً بأكمله؟ والأكثر أهمية من كل هذا:

د - جميع الأمهات الهنديات مهروسات بأبنائهن ولذلك فهن لا يملكن مقدرة الحكم على إمكانياتهم.

وكان تشاكو يقول:

أ - أنت لا تذهب إلى أكسفورد، أنت تدرس في أكسفورد.

ب - بعد الدراسة في أكسفورد، أنت تخرج^(١).

(١) - استخدمت الكاتبة كلمة تعني (سقط) أيضاً. (المترجمة).

«هل تعني سقوطاً نحو الأرض؟» كانت أمو تقول «هذا ما تفعله بالتأكيد. مثل طائراتك الشهيرة».

كانت أمو تقول أن القدر المحزون ولكن المتنبأ به تماماً لطائرات تشاكو، كان مقياساً نزيهاً لامكانياته.

مرة في الشهر (عدا أثناء الرياح الموسمية)، كان يصل لنشاكو طرد بريدي. يتضمن صندوق عدة لنموذج طيراني من خشب البالسا. كان تشاكو يستغرق من ثمانية إلى عشرة أيام لتجميع الطائرة بخزان وقودها الصغير والدافع المزود بمحرك. وعندما تجهز، يأخذ إستا وراحيل إلى حقول الأرز في ناتاكوم ليساعدها في تطهيرها. لم تظر أي منها أكثر من دقيقة. شهراً بعد شهر كان تشاكو يركب بعناية الطائرات المحطمة في حقول الأرز الموحلة، التي كان إستا وراحيل ينتشران فيها مثل كلاب صيد مدربة لإنقاذ البقايا.

دبل. خزان. جناح.

آلة جريئة.

كانت غرفة تشاكو مليئة بفوضى طائرات محطمة. وفي كل شهر كان يصل صندوق عدة آخر. لم يلق تشاكو أبداً بلائمة التخطئات على صندوق العدة.

بعد وفاة باباتشي، استقال تشاكو من عمله كمحاضر في كلية مدارس المسيحية، وأتى إلى أيمينيم بمجدااف باليول وأحلامه التحليلية البارونية. استبدل معاشاته وأسماءً احتياطياً ليشتري آلة لإغلاق الزجاجات من نوع بهارات^(١). وتعلق مجدافه (مع أسماء رفاق فريفة منقوشة بالذهب) من كلابات حديدية على جدار المصبل.

(١) - Bharat = بهارات: سرع من الرقص التقليدي الهندي. (الترجمة).

حتى الوقت الذي وصل فيه تشاكو، كان العمل عبارة عن مشروع صغير لكنه مربح. إدارته ماماتشي تماماً كما تدبر مطبخاً كبيراً. سجله تشاكو على أساس شراكة وأخبر ماماتشي أنها كانت الشريك النائم. أنفق على المعدات (آلات تعليب، مراجل، أفران طبخ) وعلى توسيع القوة العاملة. وعلى الفور تقريباً، بدأ الانزلاق المالي، لكنه دُعم على نحو اصطناعي بقروض مصرفية باهظة، والتي رفعها تشاكو عن طريق رهن حقول أرز العائلة المحيطة بمنزل أيمنيم. بالرغم من أن أمو عملت في العمل تماماً كتشاكو، لكنه وكلما كان يتعامل مع مراقبي الطعام، أو مهندسي الصحة، كان يشير دوماً إليه بوصفه معلمي، أناناساني، محللاتي. كان الوضع على هذا الشكل قانونياً، لأن أمو، كإبنة، لم يكن لها حق المطالبة بالملكية.

أخبر تشاكو راحيل وإسنا بأن أمو لم يكن لديها حق في الملكية.

كانت أمو تقول «شكراً لمجتمعنا الشوفيني الذكوري الرائع».

وكان تشاكو يقول «ما هو لك، لي، وما هو لي، لي، أيضاً».

كانت له ضحكة عالية بشكل يدعو للاستغراب بالنسبة لرجل في حجمه وسمنته. وعندما يضحك، كان يهتز بكامله دون أن يبدو أنه يتحرك.

إلى حين وصول تشاكو إلى أيمنيم، كان مصنع ماماتشي دون اسم. وكان الجميع يشير إلى مخللاتها ومربياتها بماتغو سوشا الطري، ومربى الموز الحفاص بسوشا. كان سوشا اسم ماماتشي الأول. سوشاما.

لقد كان تشاكو من عمدة مخللات الجنة ومعلباتها وقام بتصميم اللصاقات وطبعها في مطبعة الرفيق ك. م. بيلاي. أراد في البدء تسميته مخللات ومعلبات زيوس، لكن تلك الفكرة رُفضت لأن الجميع قال أن زيوس كان مبهماً جداً وليس له أية صلة محلية، في حين أن الجنة لها صلة محلية. (اقترح الرفيق بيلاي - محللات باراشورام^(١) - رُفض للسبب المعاكس: محليّ جداً).

(١) - باراشورام: التجسيد السادس من التجسيدات العشرة للإله الهندوسي فوشنو. (الترجمة)

لقد كانت فكرة تشاكو أن تُدهن وتُرَكَّب لوحة إعلانات فوق محمل
مقف البليموث.

وفي الطريق إلى كوتشين، الآن، جلجلت.

وكان عليهم التوقف بالقرب من فايكوم لشراء حبال لتوثيقها بشكل
محكم أكثر. أخرهم هذا حوالي عشرين دقيقة. بدأت راحيل تقلق بشأن
تأخرها على صوت الموسيقى.

ثم، وبينما أخذوا يقتربون من ضواحي كوتشين، انخفضت الذراع
الحمرء والبيضاء لبوابة تقاطع السكة الحديدية. علمت راحيل إن هذا قد حدث
لأنها أملت ألا يحدث.

لم تكن قد تعلمت أن تتحكم بآمالها. قال إستا إن ذلك كان نذير شؤم.
إذاً، كانا سيفوتان بداية الفيلم الآن. عندما تبرز جولي اندروز كبغمة على
الثل ثم تكبر وتكبر إلى أن تبتق على الشاشة بصوتها الذي كماء بارد وتفسها
الذي كنتع ملفلي.

اللافتة الحمرء على الذراع البيضاء كانت تقول ~~قف~~ بالأيض.
«لحق»^(١) قالت راحيل.

ولوحة صفراء كُتِب عليها: كن هندية، اشترِ بضاعة هندية.

«تيطنه تهاضلب وقطنا، ايضنه لك»^(٢) قال إستا.

كان الترام مبكر، النضوج بقراءتهما. كانا قد تسابقا من خلال الكلب
المعجوز توم، جانيت وجون، وخلال دفتر وظائفهما روزالد ريداورت. وفي الليل
كانت آمو تقرأ لهما من كتاب أدغال كيلينغ.

(١) - مقلوب قف. (الترجمة).

(٢) - مقلوب العبارة «كن هندية، اشترِ بضاعة هندية». (الترجمة).

الآن يجلب الصقر تشيل إلى المنزل الليل
الذي أطلقه الخفاش مانغ..

كان الزغب على ذراعيهما يقف حتى نهايته، ذهباً في ضوء مصباح
السريр الجانبي. وبينما كانت أمو تقرأ، كانت تستطيع جعل صوتها أجشاً مثل
صوت شهرخان، أو منتحباً مثل صوت تاباكي.

«أنت اختر و أنت لا تختار، ما هذا الكلام عن الاختيار؟ أقسم بالنور
الذي قتلته، هل أنا من يقف ليتشمس في وكر كلبك من أجل حقني المشروع؟»
إنه أنا شهرخان من يتكلم!»

«لأنه أنا، راشكا (الجنني) من يحجب». يصرخ التوأم بصوتين عالين. ليس
سوية. لكن تقريباً.

«جرو الإنسان لانغري هذا هو لي - لي أنا! سوف لن يقتل. سيعيش
ليركض مع المجموعة وليصطاد مع المجموعة؛ وفي النهاية، انظر أنت يا صياد
الجرء الصغيرة العارية - يا أكل الضفادع - يا قاتل الأسماك - سيصطادك أنت!»
بيبي كوتشاما التي كانت قد أوكلت إليها مهمة تعليمهما الرسمي،
كانت قد قرأت لهما رواية العاصفة، مختصرة من قبل تشارلز وماري لامب.
«أنهما تمتص النحلة، أمتص أنا» ويجيب إستا وراحيل قائلين فهمي جرس
زهرة الربيع، أضطجع».

وهكذا، وعندما أعطت صديقة بيبي كوتشاما المبشرة الاسترالية الانسة
ميتون، إستا وراحيل كتاب أطفال - مغامرات سوزي سكويرل - كهدية عندما
كانت تزور أيمهنيم، أحسا بإهانة عميقة. قرآه في البداية قدماً. الأنسة ميتين التي
تنتمي إلى طائفة المسيحيين المولودين ثانية، قالت أن أملها قد خاب قليلاً بهما
عندما قرآه لها بصوت عال، على نحو عكسي.

«تارماغم يزوس لريوكس. يف دحاً تاحابص عيبرلا تظقيتسا يزوس

لريوكس»^(١).

أوضحا للآنسة ميتين كيف انه من الممكن قراءة مالايالام، ومدام، أنا آدم، بشكل عكسي وأمامي^(٢). لم يسألها هذا وتبين أنها لم تكن تعلم حتى ما هي مالايالام. قال لها أنها اللغة التي يتكلم بها الجميع في كيرالا. لكنها قالت أنه كان لديها الانطباع بأنها تُدعى الكيرالية. إستا الذي كان قد اتخذ حينذاك موقف كراهية فعلية تجاه الآنسة ميتين، قال لها أنه بمقدار ما كان الأمر يعنيه، فإنه الطباع غبي للغاية.

اشتكت الآنسة ميتين لبيبي كوتشاما بشأن وقاحة إستا، وبشأن قراءتهما العكسية. وأخبرت بيبي كوتشاما أنه قد رأت أباتليس في عينيها. سلبيا يف امهينغ^(٣).

أجبرا على كتابة لن نقرأ بشكل عكسي في المستقبل. لن نقرأ بشكل عكسي في المستقبل. مرة. قُدماً.

قُتل الآنسة ميتين بعد أشهر قليلة بشاحنة حليب في هوبارت، عبر الطريق من ملعب الكريكيت البيضوي. بالنسبة للتوأم، كان هناك عدالة خفية في ان الشاحنة كانت تسير بشكل عكسي.

توقفت باصات وسيارات أخرى على جانبي التقاطع. سيارة إسعاف كُتب عليها مستشفى القلب المقدس كانت مليئة بجماعة من الناس في طريقهم إلى حفلة زفاف. كانت العروس تحدد من النافذة الخلفية، مُحجب وجهها، بشكل جزئي، بالدهان المتفشّر للصليب الأحمر الضخم.

جميع الباصات كانت تحمل أسماء فتيات. لوسي كاتي، مولي كاتي،

(١) - مقولوب: مغامرات سوزي سكويرل، في أحد صباحات الربيع، استيقظت سوزي سكويرل. (المترجمة).

(٢) - Malayalam - Madam, I m Adam (المترجمة).

(٣) - مقولوب: ابليس في عينيها. (المترجمة).

بينما مول. في المالايالام، تعني مول، بنت صغيرة، ومون، صبي صغير. كان بينا مول مكنظاً بحججاج حلقوا رؤوسهم عند تيروباتي^(١). استطاعت راحيل أن ترى صفاء من الرؤوس الحليقة فوق خطوط قبيء متباعدة بانتظام. كانت أكثر من فضولية بعض الشيء بشأن التقوى. لم تكن قد تقيأت أبداً. ولو مرة واحدة. إستا كان قد تقيأ، وعندما كان يتقيأ كان جلده يسخن ويشع، وعيناه تصبحان عاجزتين وجميكتين، وأمو تحب أكثر من المعتاد. كان تشاكو يقول أن إستا وراحيل كانا بصحة جيدة على نحو مشين. وكذلك صوفي مول. ويقول أن السبب في ذلك يعود إلى أنهم لم يولدوا من زيجات داخلية مثل معظم السوريين المسيحيين. والبارسين^(٢).

ماماتشي كانت تقول أن أحفادها يعانون من شيء أسوأ بكثير من الزيجات الداخلية. وكانت تعني أن لهم والدين مطلقين. وكأن هذين، كانا، الخيارين الوحيدين المتاحين للناس: الزيجات الداخلية أو الطلاق.

لم تكن راحيل متأكدة مما كانت تعاني، لكنها تدرّبت بين الفينة والأخرى على وحوه حزينة، وعلى التنهّد طويلاً أمام المرأة.

«إن ما أفعله أفضل بكثير، بكثير، من كل ما فعلته في حياتي». كانت تقول لنفسها بحزن. تلك كانت راحيل وهي سبدني كارتون، وهي تشارلز دارني، عندما وقف على الدرجات منتظراً إعدامه بالمقصلة، في النسخة الكلاسيكية المزودة بالرسوم التوضيحية لـ قصة مدينتين.

تساءلت مالذي دفع بالحججاج الحليقين لأن يتقيأوا على هذا النحو المنتظم، وفيما إذا كانوا قد تقيأوا في حركة واحدة منسقة جداً (مع الموسيقى ربما، مع انبعاث زمور الباص)، أم بشكل منفصل، كل فرد على حدة. في البدء، عندما كان قاطع العبور قد أغلق للتو، كان الجو مشحوناً

(١) - تيروباتي: المكان الذي ولد فيه الفيلسوف الهندي رمانوجا. وتُدعى الآن ولاية تاميل نادو، وتقع في جنوب الهند. (المترجمة).

(٢) - زدراشتي منحلّ من القرس اللاجئين المقيمين في الهند. (المترجمة).

بأصوات نافذة الصير لحركات متسككة. لكن عندما يخرج الرجل الذي يدير التقاطع من كشكه، على رجلبيه المقوستين إلى الراء وأوماً بمشيتته العرجاء الخفاقة إلى كشك الشاي الذي كانوا ينتظرون فيه طويلاً، أطفأ السائقون محركاتهم واستداروا، ومددوا أرجلهم.

بإيماة طائشة من رأسه الضجر والنمى، استحضر إله تقاطع السكة الحديدية أرواح المتسولين بضماذاتهم، رجالاً مع صواني يبيعون جوز هند طازجاً، وباريرو فاداس على أوراق موز. ومشروبات باردة، كوكا كولا، فانتا، وروز ميلك.

تسؤل شحاذ ذو عصابة متصلة عند نافذة السيارة.

«ذلك يبدو لي كالميكروكروم» قالت آمو. عن دمه الزاهي بشكل مبالغ فيه.

«تهانينا» قال تشاكو. «تتكلمين كإمرأة برجوازية حقيقية».

اتسمت آمو وتصافحا، وكأنها كانت حقاً تُمنح جائزة الاستحقاق لكونها برجوازية مخلصه - لـ - صلاح البرجوازية الأصلية. لحظات كهذه، ادخرها التوأم ونظماها مثل خزرة ثمينة في عقد (هزيل إلى حد ما).

سحق راحيل وإستا أنفيهما على نافذة البليموث الربعية. نائقين لحنوى الخطمي التي يحملها اطفال غامضون خلفهما. قالت آمو «لا» بحزم، وبإدانة. أشعل تشاكو تشارمينار^(١). أخذ نفساً بعمق وأزان رقاقة صغيرة من التبغ بقيت على لسانه.

داخل البليموث، لم يكن من السهل بالنسبة لراحيل أن ترى إستا، لأن بيبي كوتشاما برزت بينهما مثل هضبة. كانت آمو قد أصرت على أن يجلسا بشكل منفصل لمنعهما من الشجار. عندما كانا يتشاجران كان إستا يدعو راحيل بحشرة مصاصة لاجئة، وتدعوه راحيل بلالفيس اليلفيس وتقوم برقصة

(١) - نوع من السيجار. (المترجمة).

تويست مضحكة تُحقّق إستا. وعندما كانا يقتتلان قتالاً جسيماً، كانا متكافئين بشكل مائل بحيث إن العراك كان يستمر إلى الأبد، والأشياء التي تكون في طريقهما - مصابيح منضدة، منافض سيكارة، وأباريق ماء - تتحطم، أو تخرب بشكل لا يمكن إصلاحه.

كانت بيبي كوتشاما تُمسك بظهر المقعد الأمامي بذراعيها. وعندما كانت السيارة تتحرك، كانت شحمة ذراعها تتأرجح مثل غسيل ثقيل في الريح. لأنها تتدلى الآن مثل ستارة لحمية، حاجبة إستا عن راحيل.

في جانب إستا من الطريق، كان يقع كشك الشاي الذي يبيع شايًا وبسكويت غلوكوز سيء المذاق في علب زجاجية معتمة مع دباب. وكانت هناك صودا ليمون في زجاجات سميكة ذات سدادة مرمرية للحفاظ على الغاز في الداخل. وعلب ثلج حمراء كُتب عليها بشكل حزين نوعاً ما: تفقدوا الأمور أفضل مع كوكا كولا.

جلس مورليدهاران، مجنون تقاطع السكة الحديدية، القرفصاء ومتوازناً تماماً على المقلم. تذلت خصيته وقضييه نحو الأسفل، دالّين إلى الشارة التي تقول:

كوتشين

كان مورليدهاران عارياً إلا من كيس بلاستيكي طويل كان أحدهما قد ثبته على رأسه مثل قبعة طاهٍ شفافة، والتي استمر المنظر الطبيعي خلالها - باهتاً وبشكل قبعة طاهٍ، لكنه متواصل. لم يكن باستطاعته أن ينزع قبعته حتى لو أراد ذلك، لأنه لم يكن يملك ذراعين. كانتا قد بُترتا في سينغافورة في الـ ٤٢، خلال الأسبوع الأول لهروبه من الوطن لينضم إلى القوات المسلحة المقاتلة للجيش الوطني الهندي. بعد الاستقلال سجل نفسه بوصفه مناضل حرة من الدرجة الأولى، وخصّص له تذكرة قطار مجانية ومن الدرجة الأولى مدى الحياة. هذه أيضاً كان قد أضاعها (كما أضاع عقله)، وهكذا لم يعد باستطاعته أن يعيش

في القطارات أو في غرف وجبات الطعام السريعة لمحطات السكة الحديدية. لم يكن لدى مورليدهاران منزل، ولا أبواب كي يُقفل، لكن مفاتيحه القديمة كانت مربوطة بعناية حول خصره. في حزمة متألقة. كان عقله مليئاً بخزائن فوضوية من المتع السرية.

ساعة منه. سيارة حمراء بزمور موسيقي. موسيقى. كوب احمر للحمام. زوجة تزين بالأماس. حقيبة بأوراق سرية. عودة إلى المنزل بعد العمل. وأنا آسف كولونيل سابهاياتي، لكنني أنعشى أنني قد قلت ما أريد. ورفاقات هشة من الموز للأطفال.

راقب القطارات تأتي وتذهب. وأحصى مفاتيحه.

راقب الحكومات تتشكل وتسقط. وأحصى مفاتيحه.

راقب أطفالاً غالمين وراء نوافذ سيارات بأنوف تتحرق على حلوى الخطمي.

المشرودون، العاجزون المقهورون، المرضى، الصغار والتائهون، جميعهم مرّوا بنافذته متجولين محسوظين. ومازال يحصى مفاتيحه.

لم يكن متأكداً أبداً أية خزانة قد يتختم عليه فتحتها، أو متى. جلس على المعلم الحارق بشعره الأشعث وعينيه اللتين كنافذتين، وكان سعيداً بمقدرته على النظر بعيداً أحياناً. وبامتلاكه لمفاتيحه كي يحصيها ويتحقق من إحصائها ثانية. الأرقام قد تفي بالغرض.

الحذر سيكون فعالاً.

كان مورليدهاران يحرك فمه وهو يعدّ، ويصوغ كلمات جيدة الدياجة.

أونر

راندر

مونر

لاحظ إستا ان شعر رأسه كان رمادياً، وان شعر إبطيه اللذين دون ذراعين، واللذين تعصف بهما الريح، كان خصبلاً سوداء، وأن شعر عانته كان

أسود ورطباً. رجل واحد بثلاثة أنواع من الشعر. تساءل إستا كيف من الممكن لذلك أن يحدث. حاول أن يتفكر فيمن يسأله.

شحن الانتظار راحيل حتى باتت على وشك أن تنفجر. نظرت إلى ساعتها. كانت الثانية إلا عشر دقائق. فكرت في جولي أندروز وكريستوفر بلامر وهما يقبلان بعضهما البعض جانبياً كي لا يتصادم أنفاهما. تساءلت فيما إذا كان الناس يقبلون بعضهم البعض جانبياً على الدوام. حاولت أن تتفكر فيمن تسأله.

ثم، ومن بعد، اقتربت مهمة من السير المعوق وغطته كعباءة. المسائقون الذين كانوا يمددون أرجلهم، عادوا داخل عرباتهم وصفقوا الأبواب. اختفى المسؤولون والباثون. وخلال دقائق لم يبق أحد على الطريق. عدا مورليدهاران. جائئاً بؤخرته على المقلم المحرق. غير مبلى، وإنما فضولياً باعتدال فحسب. وكان هناك تدافع وهرج ومرج. وصفارات شرطة.

ومن وراء خط المرور المنتظر والمقرب، ظهر رتل من أرجال بأعلام حمراء ورايات يصدرون مهمة ما فتحت تتعاضم وتتعاظم.

«ارفعوا زجاج نوافذكم»، قال تشاكو. «وابقوا هادئين، لن يؤذوننا».

«لماذا لا تنضم إليهم يا رفيق؟» قالت آمو «سأقود أنا».

لم يقل تشاكو شيئاً. توترت عضلة تحت كتلة الشحم في فكه. قذف بعيداً بسيجارته ورفع زجاج نافذته.

كان تشاكو ماركسياً على طريقته. يدعو كل امرأة جميلة تعمل في المصنع إلى غرفته، وبذريعة محاضرتهم عن حقوق القوة العاملة وعن قانون نقابة العمال، كان يغازلهم على نحو فاحش. يدعوهم رفيقات، ويصرّ على أن ينادينه رفيق بالمقابل (الأمر الذي كان يجعلهم يقهقهين). ويجبرهم على الجلوس معه إلى الطاولة وشرب الشاي مما كان يسبب الكثير من الإحراج لهم والهلع للماتشي.

حتى أنه ذات مرة اصططحبهن لحضور دروس في نقابة العمال والتي كانت تجري في ألبني. ذهبن بالباص، وعدن بالقرب. كنّ سعيدات، بأساور زجاجية وورود في شعورهن.

كانت أمو تقول أن ذلك كله كان سخفاً. حالة أمير صغير يلعب دور رفيق! رفيق! فحسب. تجسيد أكسفوردي للعقلية الأفطاعية القديمة - إقطاعي يفرض مجاملاته على نساء يعتمدن عليه في تحصيل رزقهن.

بينما كانت المسيرة تقترب، رفعت أمو زجاج نافذتها. وكذلك فعل إستا، وكذلك فعلت راحيل. (بجهد جهيد، لأن القبض الأسود للمسكة كان قد وقع).

فجأة، بدت البليموث السماوية مترفة على نحو سخيف في الطريق الضيق المحقر. مثل سيدة عريضة محشورة في ممر ضيق. مثل يبي كوتشاما في الكنيسة وهي في طريقها لتناول الخبز والخمر.

«انظروا نحو الأسفل» قالت يبي كوتشاما، بينما كانت الصفوف الأولى للموكب تقترب من السيارة «تجنبوا التقاء الأعين، إن ذلك ما يثيرهم حقاً». وعلى جانب رقبتهما، كان نبضها يخفق بقوة.

وفي غضون دقيقة، غرق الطريق بآلاف من البشر الزاحفين. جزر سيارات في نهر من الناس. كان الفضاء أحمر بالرايات التي كانت تنخفض وترتفع عندما كان المتظاهرون يحنون رؤوسهم تحت بوابة تقاطع السكة الحديدية ويجتاحون عبر خطوط السكة الحديدية في تموج أحمر. غطى صوت الآلاف المرور المتجدد مثل مظلة ضوضاء.

Inquilab Zindabad!

Thozhilali Ekta Zindabad!

«عاشت الثورة!» كانوا يصرخون «يا عمال العالم اتحدوا!»

حتى تشاكو لم يكن لديه تفسير كامل عن سبب كون الحزب الشيوعي ناجحاً أكثر بكثير في كيرالاً منه في أي مكان آخر تقريباً في الهند، باستثناء البنغال ربما.

كان هناك العديد من النظريات المتنافسة. إحداها كانت ان الأمر يتعلق بالتعداد الكبير للمسيحيين الذين يقطنون الولاية. عشرون بالمئة من سكان كيرالا كانوا من المسيحيين السوريين، الذين اعتقدوا بانهم من سلالة الإبراهيميين الملة الذين هداهم القديس توما إلى المسيحية عندما سافر شرقاً بعد البعث. بنويماً - مضى هذا الجدول البدالي نوعاً ما - كانت الماركسية بديلاً بسيطاً عن المسيحية. استبدل الله بماركس، والشيطان بالبرجوازية، واستبدلت اللجنة بمجتمع غير طبقي، والكنيسة بالحزب، وتبقى صيغة وهدف الرحلة مشابهة. سباق حواجز مع جائرة عند خط النهاية. في حين كان على العقل الهندوسي أن يقوم بتسويات معقدة أكثر.

المشكلة في هذه النظرية كانت أنه في كيرالا كان المسيحيون السوريون على العموم، من الأغنياء. مالكي مزارع (مديري مصانع مخمل) وأسياد اقطاعيين، والذين بالنسبة لهم كانت الشيوعية تمثل قدراً أسوأ من الموت، ولهذا كانوا يصوتون دائماً لصالح حزب المؤتمر.

وأدعت نظرية ثانية أن الأمر يتعلق بالمستوى العالي لمعرفة القراءة والكتابة في الولاية. من الجائز. عدا أن مستوى معرفة القراءة والكتابة العالي، كان غالباً، بسبب الحركة الشيوعية.

السرد الحقيقي كان أن الشيوعية زحفت إلى كيرالا بشكل مكرر. فهي، كحركة إصلاحية لم تُشكك جهاراً بالقيم التقليدية لمجتمع طبقي تمييزي تقليدي إلى حد متطرف. عمل الماركسيون من داخل التقسيمات المشاعية الجماعية، من غير أن يحدونها أبداً، ودون أن يظهروا بشكل مخالف لذلك. لقد طرحوا ثورة كوكيل. خليطاً مسكراً مندفعاً من ماركسية شرقية وأرثوذكسية هندوسية، مزينة بحقنة ديمقراطية.

بالرغم من ان تشاكور لم يكن عضواً بحمل بطاقة الحزب، إلا انه تحول إليه مبكراً، وبقي مؤيداً مطرماً عبر جميع مخاطباته.

لم يكن قد تخرج بعد من «لهي أثناء نشوة ١٩٥٧ العارمة، عندما فاز الشيوعيون بانتخابات مجلس نواب الولاية ودهلهم نهرو لتشكيل حكومة.

بطل تشاكو الرفيق ي. م. س نامبوديرباد، البراهيمي صاحب الاسلوب المنمق، الكاهن الأعلى للماركسية في كيرالا، أصبح رئيس وزراء لأول حكومة شيوعية منتخبة بشكل ديمقراطي في العالم. وفجأة، وجد الشيوعيون انفسهم في وضع استثنائي غريب - قال عنه النقاد انه وضع فوضوي سخيف - من اضطرابهم لحكم الناس وتحريض الثورة في آن. انشأ الرفيق ي. م. س نامبوديرباد نظريته الخاصة حول كيفية القيام بهذا الأمر. درس تشاكو بحثه في الانتقال السلمي إلى الشيوعية بدأب هوسي لمراهق وبموافقة حماسية متقدة غير مسائلة لمعجب. عرض البحث بالتفصيل كيف تنوي حكومة الرفيق ي. م. س نامبوديرباد فرض استصلاح الأراضي وتحييد الشرطة، وتفويض النظام الشرعي، و «كف يد حكومة المؤتمر الرجعية عدوة الشعب».

لسوء الحظ، وقبل انقضاء السنة، وصل الجزء المهادن من الانتقال السلمي إلى نهاية.

كل صباح، على الفطور، كان عالم الحشرات الامبراطوري يهزأ من ابنه الماركسي وذلك بقراءته عالياً لتقارير اخبارية في المجلات عن الشعب والإضرابات والحوادث الناجمة عن وحشية الشرطة والتي هزت كيرالا.

«كارل ماركس، إذا!» كان باباتشي يسخر عندما يأتي تشاكو إلى الطاولة. «ما الذي منفعله بأولئك الطلاب المأفونين الآن؟ إن الأغبياء البلهاء يشعنون الشعور العام ضد حكومة شعبنا. هل نبيدهم؟ أحقاً لم يعد الطلاب بشراً؟».

على مدى السنتين التاليتين انزلق الخلاف السياسي المدعوم من قبل حزب المؤتمر والكنيسة إلى فوضى سياسية. وبحلول الوقت الذي أنهى فيه تشاكو شهادته وانتقله إلى اكسفورد ليقوم بأخرى، كانت كيرالا على حافة حرب أهلية. أقصى نهرو الحكومة الشيوعية وأعلن انتخابات جديدة. وعاد حزب المؤتمر إلى السلطة مجدداً.

ولم يعاد انتخاب حزب الرفيق ي. م. س نامبوديرباد إلا في ١٩٦٧ - تقريباً بعد عشر سنوات بالضبط من مجيئه الأول إلى السلطة. وهذه المرة كجزء

من ائتلاف بين ما قد تحول الآن إلى حزبين منفصلين - حزب الهند الشيوعي وحزب الهند الشيوعي (الماركسي). ح. هـ. ش. و. ح. هـ. ش. (م).

كان باهاتشي قد مات وقتذاك. وتشاكو تطلق. وكان عمر مخللات الحنة سبع سنوات.

كانت كيرالا تترنح حراء كثرة مجانية وريح موسمية محبطة. كان الناس يموتون. سارعني الجوع أن يُدرج في أعلى قائمة الأولويات لأية حكومة مقبلة.

أثناء مدته الثانية في الحكم، شرع الرفيق ي. م. س نامبوديرباد في تحقيق الانتقال السلمي بطريقة أكثر اتزاناً. مما جرّ عليه غضباً شديداً من الحزب الشيوعي الصيني. شجّره بسبب «قماءته البرلمانية» واتهموه بـ «توفير الراحة للناس وبالتالي تليد عقولهم وحرفهم عن الثورة».

حوّلت بكين رعايتها إلى الزمرة الأحدث والأكثر نضالاً من ح. هـ. ش. (م) - الناكساليين - الذين قاموا بعصيان مسلح في ناكسالباري، قرية في البنغال. نظموا الفلاحين في طرقاتية، استولوا على الأراضي، وطردوا المالكين، وأقاموا محاكم الشعب لمحاكمة الأعداء الارستقراطيين. انتشرت الحركة الناكسالية عبر البلاد وزرعت الرعب في قلب كل برجوازي.

في كيرالا، ساد الاحتياج والذعر الجو الفزع في الأصل. بدأ القتل في الشمال. في شهر أيار ذاك، ظهرت صور ضبابية في الجرائد لمالك أراضٍ في بالغهات قيد إلى عمود نور وضرب عنقه. توضع بالقرب منه، على مسافة ما، بعيداً عن جسمه، في بركة غامقة من الممكن أن تكون ماءً، ومن الممكن أن تكون دماً. كان من الصعب التمييز بالأسود والأبيض. في ضوء ما قبل الفجر الرمادي.

عيناه المندھستان كانت مفتوحتين.

طرد الرفيق ي. م. س نامبوديرباد (الكلب العميل، جاسوس الموفيت) الناكساليين من حزبه وتابع أعمال تسخير الغضب لأغراض انتفاخية.

كانت المسيرة التي ماجت حول البليموث السماوية في يوم كانون الأول
 المساوي ذلك، جزءاً من تلك العملية. كانت قد نظّمت من قبل اتحاد العمال
 اماركسي التريفاندري الكوتشينى^(١). كان قادتهم سيسرون إلى أمانة السر
 ويقدمون ميثاق مطالب الشعب إلى الرفيق ي. م. س شخصياً. الأوركسترا
 تقدم عريضة قائدها. كانت مطالبهم أن يُسمح لعمال حقول الأرز الذين كانوا
 يُجبرون على العمل في الحقول لمدة إحدى عشرة ساعة ونصف يومياً - من
 الساعة السابعة صباحاً وحتى السادسة والنصف مساءً - أن يأخذوا فرصة ساعة
 للغذاء. وان تُرفع أجور النساء من روبية واحدة وخمس وعشرين بيزة في اليوم،
 إلى ثلاث روبيات. وأجور الرجال من روبيتين وخمسين بيزة إلى أربع روبيات
 وأربعين بيزة. وكانوا يطالبون أيضاً بالآل يخاطب المنبذين بأسماء طوائفهم
 الاجتماعية بعد الآن. طالبوا بالآل يخاطبوا برأتشو ياريان، أو كيلان بارافان، أو
 كوتان بولايان، ولكن برأتشو وكيلان وكوتان فقط.

قدم ملوك الهال وكوتات القهوة وبارونات المطاط - رفاق المدرسة
 الداخلية القدامى - من مزارعهم النائية ورشفوا بيرة منلجة في النادي البحري.
 رفعوا أقداحهم، وورده من قلب أي اسم أنحر... قانوا، وضحكوا ضحكات
 مكبوتة ليخفوا ذعرهم المتعاطف.

كان المتظاهرون، في ذلك اليوم، من أعضاء في الحزب ومن عمال ومن
 الطلاب أنفسهم. المنبذون وغير المنبذين. حملوا على أكتافهم برميلاً من
 غضب قديم أشمل بشئ حديث. كان هناك حدٌ لهذا الغضب الذي كان
 ناكسالياً، وجديداً.

من خلال نافذة البليموث، استطاعت راجيل أن ترى أن أعلى كلمة كان
 يقولونها كانت Zindabad. وان أوردتهم كانت تنتصب في رقابهم عندما

(١) - نسبة إلى المدينتين: تريفاندرم وكوتشين. (الترجمة).

يتلفظونها. وان أذرعهم التي تحمل الأعلام والرايات كانت متصلة ومعمودة
بأنشطة.

كان الجو حاراً وساكناً داخل البليموث.

ريض خوف يبي كوتشاما مطوياً على أرضية السيارة مثل شيروت^(١)
رطب ودبق. كان هذا بدايته فقط. الخوف الذي سينمو عبر السنين ليستنفذها.
الذي سيجعلها تقفل أبوابها ونوافذها: الذي سيعطيها خطي شعر وفمين.
خوفها، أيضاً، كان خوفاً قديماً، خوفاً بطول عمره بأكمله. الخوف من الاستلاب
وفقدان الملكية.

حاولت أن تعد الخرزات الخضر في سبحتها، لكنها لم تستطع التركيز. يد
مفتوحة صفقت بعنف على نافذة السيارة. وقبضة مكورة خبطت على غطاء
المحرك السماوي الملتهب. فارتد مفتوحاً. بدت البليموث مثل حيوان أزرق بارز
العظام في حديقة حيوان مطالباً أن يُطعم.

كمكة محلاة.

موزة.

صفقت قبضة مكورة أخرى فوقه، وأغلق غطاء المحرك. أنزل تشاكو
زجاج نافذته وهتف للرجل الذي قام بذلك «شكراً، kero^(٢)» قال
«valarey^(٣) شكراً!».

«لا تكن متملقاً إلى هذا الحد، يا رفيق» قالت آمو «لم يكن يقصد أن
يساعد فعلاً. كيف من الممكن له أن يعلم انه في هذه السيارة يحقق قلب
ماركسي حقيقي؟».

(١) - نوع من السيجار. (الترجمة).

(٢) - رفيق. (الترجمة).

(٣) - رفيق شيوعي. (الترجمة).

«أمو» قال تشاكو، كان صوته ثابتاً ولا مبالياً بشكل متعمد «هل من الممكن لك على الإطلاق أن تمنعي مزاجك الساخر المستنزف من صبغ كل شيء تماماً؟».

ملأ الصمت السيارة مثل اسفنجة مضيعة. قطعت كلمة مستنزف مثل سكبينة في جسم طري. أشرقت الشمس بنهيدة مرتعدة. كانت هذه هي العلة في الأسر. إنهم مثل الأطباء المؤذنين، يعلمون بالضبط أين موضع الألم ويشدون عليه.

في تلك اللحظة ذاتها رأت راحيل فيلوثا. ابن فيليا بابن، فيلوثا. فيلوثا أحب صديق إلى قلبها. فيلوثا السائر بعلم أحمر. بقميص أبيض وموندو^(١) وأوردة غاضبة في رقبته. لم يكن من عادته أن يرتدي قميصاً أبداً. أنزلت راحيل زجاج نافذتها في لحظة. ونادته «فيلوثا، فيلوثا!».

تجمد في مكانه للحظة، وأصغى وهو يحمل علمه. ما سمعه كان صوتاً مألوفاً في ظروف غير مألوفة. برزت راحيل الواقفة على مقعد السيارة مثل قرن سائب مرفرف لأيل له شكل سيارة. بنافورة معقوفة بالحب - في - طوكيو ونظارة شمسية حمراء بإطار بلاستيكي.

«فيلوثا! Ividay! فيلوثا!». وهي أيضاً ظهر لها أوردة في رقبته.

خطا جانباً واختفى برشاقة داخل الغضب الموجود حوله.

داخل السيارة، التفت أمو، وكانت عيناها غاضبتين. صفعت ريلة ساق راحيل، التي كانت الجزء الوحيد الباقي في السيارة للصفع. ريلات سيقان وأقدام سمراء في صنادل باتا^(٢).

(١) - منشقة كبيرة يرتديها الهنود. (المترجمة).

(٢) - ماركة أحذية. (المترجمة).

«تهذيبي!» قالت أمو.

سحبت بيبي كوتشاما راحيل نحو الأسفل، فحطّطت على المقعد بصوت سقوط متفاجيء. فكرت أنه لا بد وأنه قد حصل سوء فهم ما.

«لقد كان فيلوثا!» أوضحت مع ابتسامة. «وكان يحمل علماً».

كان العلم قد بدا بالنسبة لها الجزء الأكثر تأثيراً من المعدات. الشيء المناسب ليحمله صديق.

«أنت فتاة صغيرة غبية وسخيفة!» قالت أمو.

تبّنت غضبها المفاجيء الضاري، راحيل إلى مقعد السيارة. كانت راحيل مشوشة. ماذا كانت أمو غاضبة إلى هذا الحد؟ وما هو الدافع؟

«لكنه كان هو!» قالت راحيل.

«اخرسني» قالت أمو.

رأت راحيل أن هناك طبقة تمرّق رقيقة على جبين أمو وعلى شفتيها العلوية، وأن عينيها أصبحتا قاسيتين كالرخام. مثل عيني باباتشي في صورة استوديو فيينا. (كيف تهمس فرائة باباتشي في عروق أولاده؟)

رفعت بيبي كوتشاما نافذة راحيل.

بعد سنوات من ذلك، في صباح خريفني نضر في شمالي نيويورك، في قطار أحد ينطلق من غراند سينترال إلى كروتون هارمون، عاد فجأة لراحيل ذلك التعبير على وجه أمو. مثل جزء شاذ في أحجية. مثل إشارة استفهام سُحبت على مدى صفحات كتاب ولم تستقر أبداً في نهاية أية جملة.

تلك النظرة الرخامية القاسية في عيني أمو. تلالؤ العرق على شفتيها العلوية. وذلك الصمت المؤذي المفاجيء.

ماذا كان يعني ذلك كله؟

كان قطار الأحد فارغاً تقريباً. مواجهة لراحيل، عبر ممر القطار، كان هناك امرأة بتّخين متشققين وشارب سعلت وأخرجت بلغمًا وغلّفته بفتيلة من ورق

جرائد مرقّتها من كومة حرائد الأحد اثني كانت في حجرها. رقت الرزم الصغيرة في صفوف متقنة على المقعد الفارغ امامها وكأنها كانت تشيد مقصورة من البلقم. وبينما تقوم بذلك، أخذت تنظر في نفسها بصوت مهدىء سار ورضي.

الذاكرة كانت، تلك المرأة، في القطار. جنونية في الطريفة التي تمحّص فيها خلال الأشياء القائمة في خزانة وتبرغ بتلك الأكثر بعداً عن التوقع - نظرة خاطفة، شعور. رائحة دخان، مشاحة حاجب النافذة. عينا أم رخاميتان. عاقلة تماماً في الطريقة التي تركت فيها نقماً هائلة من الظلمة المحجوبة. غير مُذكّرة. أراح راحيل جنون شريكها في السفر. جذبها أكثر داخل رحم نيويورك المختل. وبعيداً عن الآخر، أمور رهبة أخرى لازمها. رائحة معدن حمضية، مثل سكك باص فولاذية، ورائحة يدي قاطع تذاكر اباص من جراء إمساكها، شاب له فم رجل عجوز.

خارج القطار، تلالأت هدهسون، وكانت الأشجار بلون البني المحتر الذي للخریف. كان الجو بارداً قليلاً فقط.

«هناك حلقة في الجو» قال لاري ماكاسلين لراحيل، ووضع راحة يده برفق مواجهة مسحة اعتراض من حلقة مقرورة من خلال كنزتها القطنية. تساءل ترى لماذا لم تبتسم؟

تساءلت لماذا كلما فكرت في الوطن، كان ذلك على الدوام في ألوان الخشب الداكن المزيّن للقوارب، والألياب الفارغة لألسنة اللهب التي تخفق في مصابيح نحاسية.

لقد كان فيلونا!

كانت راحيل والقة للغاية من الأمر. لقد شاهدته. وشاهدها. كانت تعرفه في أي مكان، وفي أي زمان. ولو لم يكن يلبس قميصاً لكانت ميّزته من الخلف. كانت تعرف ظهره. لقد حُملت عليه. لمرات أكثر من ان تستطيع إحصاءها. كان عليه وحمة بنية فاتحة اللون. بشكل ورقة شجر جافة مديّة. قال

لها أنها كانت ورقة تجلب الحظ، وتجعل الرياح الموسمية تأتي في موعدها. ورقة بنية على ظهر اسود. ورقة خريفية في الليل. ورقة شجر تجلب الحظ لم تكن مهمونة كفاية.

لم يكن بالمفترض بفيلوثا أن يكون نجاراً.

سمي فيلوثا - والتي كانت تعني ايض في المالايالام - لأنه كان أسود للغاية. والده، فيليا بابن، كان Paravan^(١). مستخرج تودي^(٢). له عين زحاحية. كان يشكل قطعة من الغرائب بواسطة مطرقة عندما طارت شظية إلى عينه اليسرى وشطبتها مباشرة.

عندما كان فيلوثا صغيراً، كان يأتي مع فيليا بابن إلى المدخل الخلفي لمنزل أيمينييم لئیسلم جوز الهند الذي جنوه من أشجار المجتمع. لم يكن باباتشي ليدع Paravans يدخلون المنزل، لم يكن أحد يسمح بذلك. ولم يكن من المسموح لهم أن يلمسوا أي شيء يلمسه غير المنبوذين. الطوائف الهندوسية والطوائف المسيحية. أخبرت ماماتشي راحيل وإستا أنها باستطاعتها تذكر وقت في طفولتها، حيث كان يتوقع من Paravans أن يزحفوا نحو الخلف مع مكينة، لمسح آثار أقدامهم بحيث لا يُدّس البراهميون والمسيحيون السوريون أنفسهم بالخطو خطأ على آثار أقدام paravans. في زمن ماماتشي، لم يكن مسموحاً لـ paravans كما لباقي المنبوذين أن يسبوا في الطرقات العامة، ولا أن يغطوا القسم العلوي من أجسادهم، ولا أن يحملوا مظلات. وكان عليهم أن يضعوا أيديهم على أفواههم عندما يتكلمون، لتحويل أنفسهم الملوث بعيداً عن أولئك الذين يخاطبونهم.

عندما قدم الانكليز إلى مالابار، تحول عدد من paravans و pelayas^(٣) (ومن بينهم جد فيلوثا، كيلان) إلى المسيحية وانضموا إلى

(١) - انظر الحاشية «٣». (الترجمة).

(٢) - عصارة النخيل الطارحة أو الخمرة. (الترجمة).

(٣) - أسماء طبقات المنبوذين في الهند. (الترجمة).

الكنيسة الانجيلية ليتخلصوا من بلاء النبلذ. ومنحوا القليل من المال والطعام كحافز إضافي. وسَمَّوْا بالمتنصرين الأرزيين^(١). لم يستغرقوا وقتاً طويلاً ليدرِكوا أنهم قد قفزوا من وعاء القلي إلى النار. أُجبروا على اتخاذ كنائس منفصلة، بخدمات منفصلة، وكنهنة منفصلين. وكمعروف خاص منحوا حتى أسقفهم المنبوذ الخاص. بعد الاستقلال وجدوا أنهم لم يحظوا بأية إعانات حكومية من مثل حجوزات عمل أو قروض بنك ينسب فوائد منخفضة، لأنهم، رسمياً، على الورق، كانوا مسيحيين، وبالتالي دون طبقة. كان الأمر يشبه قليلاً كما لو انه كان عليك مسح آثار أقدامك دون مكنسة. أو أسوأ. ألا يكون مسموحاً لك على الإطلاق أن تترك آثار أقدام.

ماماتشي القادمة في إجازة من دلهي، وعالم الحشرات الامبراطوري، هما أول من لاحظ الراعة الثلاثة ليدي فيلوثا الصغير. كان فيلوثا في الحادية عشرة من عمره آنذاك، أصغر من آمو بحوالي ثلاث سنوات. مثل ساحر صغير. باستطاعته صنع دمي معقدة من قصبات نخيل جافة - طواحين هواء صغيرة جداً، أحراس مجلجلة، صناديق مجوهرات دقيقة منمنمة؛ وتحت قوارب متقنة من جذوع التايوكا^(٢) و نقش تماثيل صغيرة على مكسرات الكاجو. كان يجلبهم لآمو واضعاً إياهم في راحة يده (كما كان قد لَقِّن) بحيث لا تضطر إلى لمسه عندما تأخذهم. بالرغم من أنه كان أصغر من آمو، إلا أنه كان يدعوها آموكوتي - آمو الصغيرة. أقنعت ماماتشي فيليا بابن أن يرسله إلى مدرسة غير المنبوذين التي كان قد أسسها حموها بونيان كونيغو (الصغير المبارك).

كان فيلوثا في الرابعة عشر من عمره عندما جاء جون كلين، نجار من نقابة التجارين في بافاريا، إلى كوتايام وأمضى ثلاث سنوات مع المجتمع الارسالي المسيحي، كمدير لمشغل مع نجارين محليين. بعد ظهر كل يوم، بعد المدرسة، كان فيلوثا يأخذ باصاً إلى كوتايام حيث يعمل مع كلين حتى الغسق.

(١) - المتنصر الأرزي: معتنق المسيحية لمنايع مادية. (المترجمة).

(٢) - تايوكا: نبات يُحصل عليه من جذور الدرنية النشوية لبنة المنيهوت الاستوائية واسعة الانتشار. (المترجمة).

وبلوغه عامه السادس عشر، أنهى فيلوثا دراسته الثانوية وأصبح نجاراً مكتملاً. وكان لديه مجموعته الخاصة لأدوات التجارة وحس ألماني مميز في التصميم. صنع لماتشي طاولة طعام من طراز باوهاوس^(١) مع اثني عشر كرسيّاً من خشب الورد وكرسي طويل (شيزلونغ) بافاري تقليدي من خشب جاك فاتح اللون. ومن أجل ألعاب بيبي كوتشاما السنوية الخاصة بعيد الميلاد، صنع كومة من أجنحة ملائكة مؤطرة بأسلاك ترُكب على ظهور الأطفال مثل حقائب ظهر، وغيوماً من كرتون ليظهر الملاك جبريل من خلالها، ومعلفاً قابل للالتفاف ليولد فيه لمسبح. وعندما نصب قوس ملاك حديقتهما القضي دونما تفسير، كان الدكتور فيلوثا من أصلح مثاته من أجلها.

علاوة على مهارته في التجارة، كان لفيلوثا طريقة مع الآلات. كثيراً ما كانت ماماتشي تقول (بمنطق محكم لغير النبوذين) لو لم يكن Paravan، لكان من الممكن له أن يصبح مهندساً. فهو يصلح أجهزة راديو، وساعات، ومضخات مياه. كما أنه تولّى أمر السمكرة وجميع الأدوات الكهربائية التي في المنزل.

وعندما قررت ماماتشي أن تُفلق الشرفة الخلفية، فإن فيلوثا هو من صمم وبنى الباب السحاب، الذي أصبح فيما بعد آخر موضة في أيمينيم.

كان فيلوثا خبيراً بالآلات المصنع أكثر من أي شخص آخر.

عندما استقال تشاكو من عمله في مادراس وعاد إلى ايمينيم بآلة لإغلاق الزجاجات من نوع بهارات، كان فيلوثا من أعداد تركيبها و شغلها. وفيلوثا من أصلح آلة التعليب الجديدة وآلة تقطيع الأناس الاوتوماتيكية. وفيلوثا من زيت مضخة الماء ومحرك الديزل الصغير. وفيلوثا من بنى صفائح الألمنيوم المبطنة، وسطوح التقطيع سهلة التنظيف، ولأفران الأرضية المستوى لعلي الفاكهة.

(١) - مدرسة ألمانية للتصميم، أسست في ١٩١٩، أثرت بشكل عميق في العمارة والفن. ميدؤها تحقيق حاجات المجتمع. وتُعرف أيضاً بالطراز العالمي. تتميز بالبساطة وبخياب الزينة. (المترجمة).

يبد أن، والد فيلوثا، فيليا بابن، كان Paravan قديم الطراز. رأى أياً ما زاحفة بشكل عكسي، وكان امتنانه لماماتشي وعائلتها لأجل كل ما قدموه له، واسعاً وعميقاً كسيل نهر. عندما حصل معه حادث شظية الحجر، نسقت ماماتشي ودفعت من أجل عينه الزجاجية. لم يكن قد تخلص من دئنه بعد، ومع أنه كان يعلم أنه لم يكن مُتَظَرّاً منه القيام بذلك، وأنه لن يكون بمقدوره أبداً - لكنه شعر أن عينه لم تكن تخصه. عرض امتنانه ابتسامته، وحتى ظهره. كان فيليا بابن يخشى على ابنه الأصغر. لم يستطع أن يحدد ما الذي كان يخفيه. لم يكن شيئاً قد قاله. أو عمله. لم يكن ما يقوله، وإنما الطريقة التي يقوله بها، ولا ما يفعله، إنما الطريقة التي يفعله بها.

ربما كان مجرد نقص في التردد. ثقة لا مبرر لها. بالطريقة التي يمشي بها. الطريقة التي يحمل بها رأسه. الطريقة الهادئة التي يقدم بها اقتراحات دون أن يكون قد سُئِل. أو الطريقة الهادئة التي يعارض بها اقتراحات دون أن يبدو متمرداً.

في حين أنه كانت تلك ميزت مقبولة تماماً وحتى مرغوبة عند غير المتبوعين، اعتقد فيليا بابن أنها عند Paravans من الممكن أن (وسوف، وفي الواقع، يجب أن) تُفسر على أنها صفاقة.

حاول فيليا بابن أن يثبت فيلوثا. لكن وحيث أنه لم يستطع أن يضع إصبعه على الأمر الذي كان يزعجه، أساء فيلوثا فهم القلق المشوش. بدا الأمر بالنسبة له كما لو أن والده كان قد ضُرب عليه بتدريسه الموجز ومهاراته الفطرية. وسرعان ما تدهورت نوبيا فيليا بابن الطيبة إلى شكوى وجدل وجو من التباغض بين الأب وابنه. وبدأ فيلوثا يتجنب العودة إلى المنزل، مسبباً الكثير من الهلع لأمه. كان يعمل حتى وقت متأخر. يصطاد سمكاً من النهر ويطبخه على نار مكشوفة. وينام في الحلاء، على ضفاف النهر.

ثم اختفى في أحد الأيام. ولأربع سنوات لم يعرف أحد أين هو. سرت شائعة أنه كان يعمل في موقع بناء تابع لمديرية الاسكان والرفاه في تريفاندروم. ومنذ فترة أقرب، قالت الشائعة، التي لا غنى عنها، أنه قد أصبح ناكسالياً. وأنه

في السجن. وقال أحدهم انه شوهد في كيلون.

لم يكن هناك من طريقة للعثور عليه عندما توفت أمه تشيللا في السل. ثم وقع أخوه الأكبر، كوتابن، عن شجرة جوز هند وأذى عموده الفقري، وأصبح مشلولاً وعاجزاً عن العمل. سمع فيلوثا بالحادث بعد سنة كاملة من حدوثه. كان قد مضى خمسة أشهر على رجوعه إلى أيمينيم. لم يتحدث أبداً عن المكان الي كان فيه، أو ما الذي قد فعله هناك.

أعادت ماماتشي توظيف فيلوثا كنجار في المصنع وجعلته مسؤولاً عن الصيانة العامة. الأمر الذي سبب الكثير من السخط والاستياء عند عمال المصنع الآخرين غير المنبوذين، لأنه، وتبعاً لهم، لم يكن من المفروض بالـ Paravan أن يكونوا نجارين. وبشكل مؤكد، إنه من غير المفروض أن يعاد توظيف Paravans مبشرين سفهاء.

لإسعاد الآخرين، وحيث ان ماماتشي كانت تعلم أن أحداً لن يوظفه كنجار، دفعت لفيلوثا أجراً أقل مما تدفع لنجار غير منبوذ، ولكن أكثر مما تدفع لـ Paravan. لم تشجعه ماماتشي على دخول المنزل (باستثناء عندما كانت تحتاجه لإصلاح أو تركيب شيء ما). اعتقدت أن عليه أن يكون ممتناً لأنه سُمح له بأن يكون في بناء المصنع في الأصل، وبأن يلمس أشياء بلمسها غير المنبوذون. كانت تقول أن ذلك كان خطوة كبيرة لـ Paravan.

عندما عاد فيلوثا إلى أيمينيم بعد عيابه سنيناً عن البيت، كان ما يزال يمتلك الفطنة ذاتها. والبقين ذاته. وخشي فيلثا بابت عليه أكثر من أي وقت مضى. لكنه في هذه المرة حافظ على سكنته وهدوئه، ولم يقل شيئاً.

على الأقل ليس قبل استيلاء الرعب عليه. ليس قبل رؤيته، ليلة بعد ليلة، قارباً صغيراً يُجذّف عبر النهر. ليس قبل رؤيته له يعود عند الفجر. ليس قبل رؤيته لما قد لمسه ابته المنبوذ. وأكثر من لمسه.

دخله.

أحبه.

عندما استولى الرعب عليه، ذهب فيلينا بابن إلى ماماتشي. حدّق مباشرة نحو الأمام بعينه المرهونة. وبكى بعينه الخاصة. التمع خدّ بالدمع. وبقي الآخر جافاً. هزّ رأسه الخاص من جانب إلى جانب إلى جانب حتى أمرته ماماتشي بالتوقف. اصطك بجسده الخاص مثل رجل مصاب بالمالاريا. أمرته ماماتشي أن يتوقف لكنه لم يستطع لأنك لا تستطيع أن تلقي الأوامر على خوف يتجول. ولا حتى خوف Paravan. أخبر فيلينا بابن ماماتشي عمّا كان قد رآه. طلب مغفرة الله لأنه خلف وحشاً. عرض أن يقتل ابنه بيديه العاريتين. أن يدمر ما كان قد خلقه.

في الغرفة المجاورة كانت يسي كوتشاما قد سمعت الضجيج وجاءت لتستطلع الأمر. رأت لوحة وبلية أمامها، واغتنبت، سرّاً، في أعماق قلبها. قالت (من ضمن أمور أخرى) - «كيف استطاعت أن تحمل الرائحة؟ ألم تلاحظني، إن لهم رائحة معينة هؤلاء Paravan؟» وانتفضت بشكل مسرحي متصنّع مثل طفل أجبر على أكل السبانخ. إنها تفضّل رائحة يسوعي إيرلندي على رائحة Paravan معينة. أكثر بكثير. أكثر بكثير.

كان فيلوثا وفيليا بابن وكوتابن يعيشون في كوخ لطريط، باتجاه النهر من منزل أيمنيم. على مسافة ثلاث دقائق ركض عبر أشجار جوز الهند بالنسبة لإستابن وراحيل. كانا قد وصلا لتوّهما إلى أيمنيم و كانا صغيرين جداً ليتذكرا فيلوثا عندما غادر. ولكن خلال شهور من عودته أصبحوا أصدقاء أعزاء. كانا ممنوعين من زيارة منزله، لكنهما كانا يزورانه. يجلسان لساعات معه، على وركيهما - علامات ترقيم محدودة في بركة من قشور خشب - ويتساءلان كيف كان يبدو دوماً عارفاً أية أشكال ناعمة تنتظره داخل الخشب. أحبا الطريقة التي كان يبدو فيها الخشب، بين يدي فيلوثا، وكأنه يلين، ويتحول لنداً مطواعاً كالبلاتيسين^(١). كان يعلمهما كيفية استخدام الملق. كان منزله يفوح

(١) - البلاطيسين: مادة لدائية تشبه الطين. (الترجمة).

(في يوم حسن) برائحة قشور خشب نظرة منعنة ورائحة الشمس. برائحة كاري سمك أحمر مع تمر هندي أسود. أفضل كاري سمك، بحسب إستا، في العالم كله.

لقد كان فيلوثا من صنع لراحيل صنارتها الأوفر حظاً على الإطلاق وعلمها وإستا صيد السمك.

وفي يوم كانون الأول ذاك، كان هو من رآته خلال نظارتها الحمراء، سائراً مع علم أحمر عند خط التقاطع خارج كوتشين.

أحدثت صفارات شرطة فولاذية مجلجلة ثقباً في مظلة الضوضاء. استطاعت راحيل أن تلمح عبر ثقب المظلة المثلمة قطعاً من سماء حمراء. وفي السماء الحمراء، حالت طائرات ورقية حمراء هائجة تبحث عن فئران. وفي عيونهم الصفراء المحجوبة كان هناك طريق وأعلام حمراء سائرة. وثميص أبيض فوق ظهر أسود عليه وحة. سائراً.

امتزج الرعب بالعرق بيودرة التالك في عجينة بنفسجية فاتحة بين حلقات شحم في رقبة يبي كوتشاما. وتختر البصاق في كتل بيضاء صغيرة عند زوايا فمها. تخيلت أنها رأت رجلاً في الموكب يشبه الصورة التي كانت في الجرائد لماكسالي يدعى راجان، الذي أشيع أنه كان قد التقل من بالفهات نحو الجنوب. تصوّرت أنه قد نظر مباشرة إليها.

رجل مع علم أحمر ووجه مثل أنشودة فتح باب راحيل لأنه لم يكن مغفلاً. كان المر يفضّ بالرجال الذين توقفوا ليحدثوا.

«أشعرين بالحر يا صغيرتي؟» سأل الرجل، الذي كالأنشودة، راحيل بلطف بالمالايلام. ثم وبقسوة «اطلبي من والدك أن يشتري مكيف هواء!» وتعب كالبروم مبتهجاً من ظرافته وتوفيقه. ردّت راحيل عليه بابتسامة، مسرورة من خلطه تشاكو بأبيها. مثل عائلة طبيعية.

«لا تجيبي!» همت يبي كوتشاما بصوت أجش «انتظري نحو الأسفل! انتظري نحو الأسفل فحسب!».

حول الرجل ذو العلم انتباهه إليها. كانت تنظر إلى أرضية السيارة. مثل عروس حجلة مذعورة رُوجت إلى رجل غريب.

«مرحباً، يا أختي» قال الرجل بالانكليزية بتأني. «ما اسمك من فضلك؟»

عندما لم تُجب يبي كوتشاما، استدار إلى شريكه في الأسئلة والتعليقات المضايقة.

«ليس لديها اسم».

اقترح أحدهم بقهقهة «ما رأيك بي مودالالي ماريا كوتي؟». مودالالي تعني إقطاعياً في المالايالام.

«أ، ب، ت، ث، هـ، و، ي» قال رجل آخر بشكل لا علاقة له بسياق المحادثة.

تجمع عدد أكبر من الطلاب. كانوا يضعون جميعاً مناديل أو مناشف يد مطبوعة بومباية^(١) الصباغة على رؤوسهم ليدروا الشمس. بدوا مثل ممثلين من نسخة سندباد: الرحلة الأخيرة، التي بالمالايالام، يتمسكون بعيداً عن المجموعة.

أعطى الرجل الذي كأنسوطه علمه ليبي كوتشاما كهديّة. «تفضلي» قال «امسكيه».

حملته يبي كوتشاما، ولماً تنظر إليه.

«لّوحي به» أمرها.

كانت مضطرة لأن تلوّح به. لم يكن لديها خيار آخر. قاحت منه رائحة ثياب جديدة وسحل تجاري. مجعد ومغبر. حاولت أن تلوّح به وكأنها لم تكن تلوّح به.

«والآن تولي *Inquilab Zindabad!*»^(٢)

Inquilab Zindabad! همست يبي كوتشاما.

«أحسنّت».

(١) - نسبة إلى بومباي. (المترجمة).

(٢) - عاشت الثورة، بالهندية. (المترجمة).

ضحّ الجميع بالضحك. ونُفخت صفارة حادة.

«حسناً، إذًا» قال الرجل لبيبي كوتشاما بالانكليزية، وكأنهما كانا قد أنهيا للتو صفقة عمل ناجحة. «وداعاً!»

صفق باب البليموث السماوية معلقاً إياه. ترنحت بيبي كوتشاما. انفضّ الحشد المتجمع حول السيارة وتابع مظاهرتة.

لقت بيبي كوتشاما العلم ووضعته في أعلى المقعد الخلفي. أعادت مسبحتها إلى بلوزتها حيث وضعتها مع شماماتها. شغلت نفسها بهذا وذاك، محاولة إنقاذ بعض الكرامة.

بعد أن مرّ آخر بضعة الرجال، قال تشاكو أنه لا بأس الآن من إنزال زجاج النوافذ.

«هل أنت متأكدة من أنه كان هو؟» سأل تشاكو راحيل.

«من؟» قالت راحيل، متنبهة فجأة.

«هل انت متأكدة انه كان فيلوثا؟»

«آآ...؟» قالت راحيل متلعبة لبعض الوقت، محاولة فكّ رموز شيمرة إشارات أفكار إستا المحمومة.

«فنت، هل أنت متأكدة أن الرجل التي رأيته كان فيلوثا؟» قال تشاكو للمرة الثالثة.

«آآ...ننعم. بي.. تنقريباً». قالت راحيل.

«أنت تقريباً متأكدة؟» قال تشاكو.

«لا.. كان تقريباً فيلوثا» قالت راحيل. «بدا تقريباً مثله...»

«إذن، أنت لست متأكدة؟»

«تقريباً لا» زلقت راحيل نظرة إلى إستا لأجل الموافقة.

«لا بد وأنه كان هو» قالت بيبي كوتشاما. «إنها تريفاندام التي فعلت هذا

به، إنهم جميعاً يذهبون هناك ويعودون معتقدين انفسهم سياسيين عظماء». لم يبدُ أحد معجباً بنباهتها.

«يجب أن نراقبه» قالت بيبي كوتشاما «إذا ما بدأ أعماله النقاية في المصنع... لقد لاحظت بعض البوادر، شيئاً من الوقاحة، شيئاً من نكران الجميل... منذ بضعة أيام طلبت منه أن يمدني بالأحجار لسريري الحصوي و-» «لقد رأيت فيلوثا في المنزل قبل أن يغادر»، قال إستا بذكاء. «فكيف يكون هو».

«من أجله» قالت بيبي كوتشاما، بشكل مظلم، «أمل ألا يكون هو. ثم لا تقاطع في المرة القادمة، يا إستان».

كانت مستاءة من أن أحداً لم يسألها ما هو السرير الحصوي.

في الايام التي تلت، صبت بيبي كوتشاما، كل غضبها، من الإدلال العلني، الذي لحق بها، على فيلوثا. شحذته مثل قلم رصاص. أصبح يمشي، في عقلها، المظاهرة. والرجل الذي أجبرها على التلويح بعلم الحزب الماركسي. والرجل الذي عمدها باسم مودالالي ماريا كوتي. وكل الرجال الذين سخروا منها. بدأت تكرهه.

علمت راحيل، من الوضعية التي اتخذها رأس آمو، أنها ما تزال غاضبة. نظرت إلى ساعتها. الثانية إلا عشر دقائق. ولا قطار حتى الآن. وضعت ذقنها على أسكفة النافذة. استطاعت أن تشعر بالانضروف الرمادي للباد الموسد لزجاج النافذة يضغط على جلد ذقنها. خلعت نظارتها لتغطي بنظرة أفضل إلى الضفدعة الميتة المهروسة على الطريق. كانت ميتة جداً، ومهروسة بشكل مسطح للغاية حتى أنها بدت كلطخة على الطريق بشكل ضفدعة أكثر منها كضفدعة. تساءلت راحيل فيما إذا كانت الأنسة ميتين قد تحولت إلى لطخة بشكل الأنسة ميتين بشاحنة الحليب التي قتلتها.

طمأن فيليبا بابن التوأم، ييقين مؤمن حقيقي، أنه لم يكن هناك من وجود

لقطة سوداء في العالم. قال أنه يوجد في الكون فقط ثقب سوداء بشكل قطة.

كان هناك العديد من اللطخ على الطريق.

لطخ بشكل أنسة ميتين مهروسة في الكون.

لطخ بشكل ضفادع مهروسة في الكون.

غريبان مهروسة، حاولت أن تأكل اللطخ التي بشكل ضفادع مهروسة، في الكون.

كلاب مهروسة، أكلت اللطخ التي بشكل غريبان مهروسة، في الكون.

ريش. ثمار مانغا. بصاق.

طوال الطريق إلى كوتشين.

أشرقت الشمس عبر نافذة البليموث إلى الأسفل مباشرة على راحيل. أغلقت عينيها وردت الاشارة. حتى من وراء جفنها، كان الضوء ساطعاً وحاراً. كانت السماء برتقالية، وكانت أشجار جوز الهند بهراً من شقائق نعمان تلوح بمجشاتها، متأمل أن توقع في شراكها غيمة بريلة. أفعى شفافة منقطة ذات لسان مشتب خفقت عبر السماء. ثم جندي روماني شفاف على حصان منقط. الأمر الغريب بشأن الجنود الرومان في أفلام الكرتون، بحسب راحيل، كان كمية العناية الذي يتجشمون في دروعهم وخوذهم، ثم وبعد كل ذلك، فإنهم يتركون أرجلهم عارية. لم يكن ذلك منطقياً على الإطلاق. متىء طقس أم غاية أخرى؟

كانت أمو قد أخبرتهما قصة يوليوس قيصر وكيف طعن من قبل بروتوس، صديقه الأعز، في مجلس الشيوخ. وكيف وقع على الأرض والسكاكين في ظهره وقال، «Et tu? Brutus?»^(١) - ثم سقط قيصر.

«إن هذا يبين لنا فقط» قالت أمو «أنكما لا تستطيعان أن تتقا بأي أحد.

(١) - حتى أنت يا بروتوس. (المترجمة).

لا أم، ولا أب، ولا أخ، ولا زوج، ولا أفضل صديق. لا أحده.

مع الأطفال، كانت تجيب (عندما كانا يسألانها)، يبقى الأمر ليتوضح.
كانت تقول إنه من المحتمل تماماً، على سبيل المثال، أن يكبر إستا ليصبح خنزيراً
ذكرياً شوقينياً.

في الليل، كان إستا يقف في سريره وشرشفه ملفوف حوله ويقول
Et tu? Brutus? - ثم سقط قيصراً. وينهار في سريره دون أن يثني رجله،
مثل جثة مطعونة. كوتشور ماريا، التي كانت تنام على الأرض على حصيرة،
كانت تقول أنها سوف تشتكي لماماتشي.

«قل لأملك أن تأخذك إلى منزل والدك» كانت تقول «هناك نستطيع أن
تكسر أسرة قدر ما تريد. هذه ليست أسرته. هذا ليس ميريوك أنت».

كان إستا ينتفض من الموت، ويقف في سريره ويقول:

Et tu? Kochu Maria?^(١) - ثم يسقط إستا! ويموت ثانية.

كانت كوتشور ماريا متأكدة أن *Et tu?* كانت تعني فحشاً في الانكليزية
وكانت تنتظر فرصة مناسبة لتشتكي إستا لماماتشي.

كان يوجد فئات مسكوت حول قم المرأة التي في السيارة المجاورة. أشعل
زوجها سيجارة ما بعد البسكويت.

نفث ناين من الدخان عبر منخريه وللحظة خاطفة بدا مثل خنزير بري.
سألت السيدة «خنزير بري»، راحيل عن اسمها بصوت طفل.

نجاهلها راحيل ونفخت فقاعة بصاق ساهية.

كانت أمر نكره أن ينفخا فقاعات بصاق. كانت تقول أن ذلك يذكرها
ببابا. والدهما. قالت انه كان ينفخ فقاعات بصاق ويهز رجله. تبعاً لآمر، فقط

(١) - حتى أنت يا كوتشور ماريا؟ (المترجمة).

الموظفون كانوا يتصرفون على هذه الشاكلة، وليس الارستقراطيون.

الارستقراطيون أناس لا ينفخون فقاعات بصاق ولا يهزون أرجلهم. ولا يلهمون ويزدردون.

بالرغم من أن بابا لم يكن موظفاً، إلا أن آمو كانت تقول أنه كثيراً ما كان يتصرف كواحد منهم.

كان إستا وراحيل عندما يتواجدان وحدهما، يتظاهران في بعض الأحيان أنهما موظفان. كانا ينفخان فقاعات بصاق ويهزان أرجلهما ويلتھمان مثل الحمقى. ويتذكران والدهما الذي كانا قد عرفاه بين حرين. أعطاهما مرة نفساً من سيجارته وازرعج لأنهما مضاه ورطبا الفيلتر بالبصاق.

«انه ليس حلوى متوردة!» قال، غاضباً بحق.

كانا يتذكران غضبه. وغضب آمو. تذكرنا نفسيهما يلدفان ذات مرة حول غرفة، من آمو إلى بابا إلى آمو إلى بابا مثل كرات بيلارد. وآمو تدفع إستا بعيداً: «خذ، احتفظ بواحد منهما. لا أستطيع الاعتناء بهما معاً» فيما بعد، عندما استفسر إستا من آمو حول ذلك، عانقته وقالت أن عليه ألا يتخيل أموراً.

في الصورة الوحيدة التي شاهدها له (التي سمحت لهما آمو أن يراها)، كان يلبس قميصاً أبيض ونظارات. ويدو كلاعب كريكيت وسيم مولع بالدراسة. يحمل إستا بإحدى ذراعيه على كتفيه. كان إستا يتسم، وذقنه متكئ على رأس والده. وكانت راحيل محمولة مواجهة لجسده بذراعه الأخرى. بدت مشاكسة وسيئة الطبع، برجلي الطفلة المتدليتين. كان أحدهما قد لَوْن فقاعات وردية على وجنتيهما.

قالت آمو أنه كان قد حملهما فقط من أجل الصورة وحتى عندها كان ثملاً للغاية إلى درجة أن آمو خشيت أن يوقعهما. قالت آمو انها كانت تقف خارج الصورة تماماً، جاهزة لإمساكهما في حال أوقعهما. مع ذلك، وباستثناء وجنتيهما، اعتقد إستا وراحيل أنها كانت صورة لطيفة.

«هل لك ان تتوقفي!» قالت أمو، بصوت عالٍ لدرجة أن مورليدهاران، الذي كان قد ففر عن المعلم ليحدّق في الليموث، تراجع، واهتزت أعقابها في ارتياح.

«ماذا؟» قالت راحيل، لكنها علمت في الحال ماذا. فقاعات بصاقها. «آسفة، أمو».

«الآسف لا يجعل الرجل الميت حياً» قال إستا.
«أوه هيا!» قال تشاكو «ليس بإمكانك فرض ما تفعله ببصاقتها الخاص!»
«اهتم بشؤونك» نترت أمو.

«إن ذلك يعيد الذكريات» شرح إستا لتشاكو، بحكمته.
وضعت راحيل نظارتها. أصبح العالم ملوناً بالغضب.
«اخلعي هذه النظارة السخيفة!» قالت أمو.
خلعت راحيل نظارتها السخيفة.

«انها لطريقة فاشية، تلك التي تتعاملين بها معهم»، قال تشاكو «إكراماً
لله! حتى الأطفال لهم بعض الحقوق».

«لا تستخدم اسم الرب سدى» قالت ييبي كوتشاما.
«إنني لا أفعل، أنا أستخدمه لسبب صالح جداً».
«توقف عن تمثيل دور منقذ الأطفال العظيم!» قالت أمو. «عندما نناقش
الحقائق الهامة الجوهرية، فإنك لا تبدي أي اهتمام ملعون بهما. أو بي».
«وهل يجب علي؟» قال تشاكو «هل هما مسؤوليتي أنا؟». قال أن أمو
ولستا وراحيل كانوا كأحجار رحي معلقة حول عنقه.

أصبح ظهر رجلي راحيل رطباً ومتعرقاً. انزلق جلدها فوق السحادة الحبيبية
لمقعد السيارة. كانت ولستا يعرفان أحجار الرحي. في التمرّد في الكرم^(١)،
وعندما كان الناس يموتون في البحر، كانوا يُلقون بشراشف بيضاء ويُؤمنون
خارج السفينة بأحجار رحي حول أعناقهم وذلك حتى لا تطفو الحثث. لم يكن

(١) - اسم فيلم سينمائي (الترجمة).

إستا متأكداً كيف قرروا عدد أحجار الرحي التي عليهم اصطحابها معهم قبل أن يندؤوا في رحلتهم.

وضع إستا رأسه في حجره.

كانت نفخة شعره قد أفسدت.

تسرب هدير قطار بعيد عن طريق لطبخ الضفادع. بدأت أوراق البطاطا الحلوة على جانبي درب السكة الحديدية تهز رأسها في موافقة جماعية. نعم نعم نعم نعم نعم نعم.

بدأ الحجاج الحليقون في يين مول بأغنية باص أخرى.

«أقول لكم، إن هؤلاء الهندوسيين»، قالت ييبي كوتشاما بتقوى، «ليس لديهم حس بالخصوصية».

«إن لهم قروناً وجلوداً حرشفية» قال تشاكو بتهكم. «وقد سمعت أن أطفالهم يفتسون من البيض».

كان لدى راحيل نديتان على جبينها، قال إستا أنهما مشكبران لتحولا إلى قرنين. على الأقل إحدهن، لأنها كانت نصف هندوسية. لم تكن سريعة التبدية كفاية لتسأله عن قرونه. لأن أيأ ما كانته، كانه هو أيضاً.

صفع القطار ماراً تحت عمود من دخان كثيف أسود. كان هناك إثنان وثلاثون عربة، وكانت الممرات مليئة بالشباب بقصات شعر بشكل خود، والذين كانوا في طريقهم إلى حافة العالم ليروا ماذا حدث للناس الذين سقطوا. أولئك الذين ارتفعوا بعيداً جداً هم ذاتهم الذين سقطوا عن الحافة. وفي الظلمة المرفرفة، تحولت قصص شعورهم بالمقلوب.

كان القطار قد ابتعد بسرعة كبيرة بحيث أصبح من المتعذر تخيل أن الجميع قد انتظر كل هذا الوقت الطويل من أجل لحظة عابرة. تابعت أوراق البطاطا الحلوة في هز رؤوسها بعد وقت طويل من ذهاب القطار، وكأنها كانت تتفق معه كلباً وليس لديها أدنى شك في ذلك.

رفرفت دائرة رقيقة شفافة من غبار فحمي نحو الأسفل مثل مباركة قدرة
و سحقت رويداً رويداً حركة المرور.
شغل تشاكو البليموث. حاولت بيبي كوتشاما أن تكون مريحة. وبدأت
أغنية.

«هناك نوع حزين من الرنين
من الساعة التي في القاعة
ومن أجراس برج الكنيسة أيضاً.
وعالياً في دار الحضانة
طائر
سفيف صغير
يقعقع خارجاً ليقول -»
ونظرت إلى إستا وراجيل منتظرة أن يقولوا كو - كو.
لم يقولوا.

هبّ نسيم سيارة. اندفعت أشجار وأعمدة هاتف مارة بالنافذة. انزلقت
طيور ساكنة على أسلاك متحركة، مثل أمتعة منسية في المطار.
تدلى قمر نهار شاحب بشكل ضخم في السماء وذهب أينما ذهبوا. كبير
كبطن رجل مدمن على البيرة.

اللاتين^(١)، رجل كبير، والمومباتي^(٢)، رجل صغير

حاصرت القذارة بيت أيمينيم مثل جيش من العصور الوسطى يتقدّم نحو معقل الأعداء. تخشّرت في كل شق، وغلّقت في الألواح الزجاجية.

طنت ذبابات صغيرة في أباريق الشاي، وارتمت حشرات ميتة في مزهريات فارغة. أصبحت الأرضية زلقة. وتحولت الجدران البيضاء إلى رمادية متفاوتة. مفصلات وقبضات الأبواب، كانت باهتة وزيتية الملمس. سُدت فيش الكهرباء المستعملة نادراً، بالسخام. وتوضعت على المصابيح الكهربائية الضوئية غشاوة من الزيت، الشيء الوحيد الذي ازدهر، كان الصراصير العملاقة التي تعدو هنا وهناك مثل سعاة ملّعين في مجموعة فيلم.

توقفت يبي كوتشاما عن ملاحظة هذه الأشياء منذ وقت طويل. وكوتشو ماريا التي لاحظت كل شيء، لم تعد تهتم بذلك.

هشم الشيزلونج، الذي كانت تضطجع عليه يبي كوتشاما، قواقع الفول

(١) - فانوس بالهندية. (الترجمة).

(٢) - شمعة بالهندية. (الترجمة).

السوداني المحشوة داخل تشققات لجذاته المتفسخة التنتة.

في اجماء لاشعورية من ديمقراطية التلفزيون المفروضة، خربشت كل من السيدة والحلادة بشكل غافل في وعاء المكسرات نفسه. قذفت كوتشو ماريا مكسراتها في فمها. بينما وضعت بيبي كوتشاما مكسراتها في فمها على نحو لائق.

في أفضل ما يقدمه دوناهو، شاهد جمهور الاستوديو لقطة من فيلم حيث كان مغني متجول أسود يغني في مكان ما فوق قوس القزح في محطة ميترو. غنى من صميم قلبه، وكأنه حقاً يصدق كلمات الأغنية. رددت بيبي كوتشاما الأغنية معه، تُخّن صوتها الرفيع المشهّج بعجينة الفول السوداني. ابتسمت حينما عادت كلمات القصيدة إليها. نظرت كوتشو ماريا إليها كما لو قد لجأت، وحفظت أكثر من حصتها العادلة من المكسرات. رمى المغني المتجول برأسه إلى الوراء عندما ضرب الملاحظات العالية (مكان المكان ما)، وملأ سقف فمه المحدّد الوردي شاشة التلفزيون. كان رثاً مثل نجم روك، لكن أسنانه المفقودة وشحوب جلده السقيم، تكلموا ببلاغة عن حياة العوز والحرمان واليأس. كان عليه أن يتوقف عن الغناء كلماً وصل أو غادر قطار، الأمر الذي كان كثيراً ما يحدث.

ثم علت الأضواء في الاستوديو وقدم دوناهو الرجل نفسه، الذي، وبتلقين مرتب مسبقاً، بدأ الأغنية من النقطه التي كان عليه أن يتوقف عندها (من أجل قطار - محققاً، بذلك، نصراً مؤثراً، لأغنية، في ميترو.

المرّة التالية التي قوطع فيها المغني المتجول في منتصف الأغنية، كانت فقط عندما وضع قبل دوناهو ذراعه حوله وقال: «شكراً لك. شكراً جزيلاً».

إن مقاطعته من قبل دوناهو كان أمراً مختلفاً تماماً، بالطبع، عن مقاطعته بهدير ميترو. كانت متعة. شرقاً.

صفق جمهور الاستوديو وبدا متعاطفاً.

اتقد المغني المتجول بسعادة الأوقات الأصيله، واتخذ الحرمان، للحظات

مقعداً خلفياً. قال، أنه لظالماً كان حلمه أن يقني في برنامج دوناهو، دون أن يدرك أنه قد أغتصب ذلك للتو منه أيضاً.

هنالك أحلام كبيرة وأحلام صغيرة. «الصاحب لالتين هو رجل كبير، ومومباتي رجل صغير، هذا ما كان يقوله حَمَال ييهاري^(١) عجوز، والذي كان يلتقي بحفلة الرحلة التي تقيمها مدرسة إستا في محطة القطار (عاماً بعد عام، دورياً)، عن الأحلام.

القانونس رجل كبير. قضيب الشحم رجل صغير.

غَفِيل عن قول، أضيء الفلاش، رجل عملاق، ومحطة الميتر، رجل صغير.

كان المعلمون يساومونه وهو يسير مجهداً وراهم حاملاً حقائب الأولاد، رجلاه المقوستان مقوستان أكثر، وأولاد المدرسة القساة يقلّدون مِشيتته. كانوا يدعونه كرات بين قوسين.

عروق الدوالي هي الرجل الأصغر، نسي، أن يذكر ذلك، وهو يترنح بأقل من نصف المال الذي كان قد طلبه وبأقل من عُشر ما يستحق.

في الخارج، كان المطر قد توقف. تخفّرت السماء الرمادية ورثت السحب نفسها في كتل، مثل حشوة فراش غير قياسية.

ظهر إستان عند باب المطبخ، مبللاً (وأكثر حكمة مما كان في الحقيقة). التمع العشب الطويل خلفه. وقف الجرو على الدرجات بقربه. انزلت قطرات مطر عبر القاع المنحني للمزrab الصديء على حافة السطح، مثل خرزات مضيفة في مقدار.

رفعت يني كوتشاما نظرها عن التلفزيون.

«ها قد جاء» أعلنت لراجيل، دون أن تزجج نفسها وتخفّض صوتها.

(١) - البهار: منطقة في وسط شرق الهند، حيث أمضى بوذا أيامه الأولى فيها. (المترجمة).

«راقبي الآن. لن يقول شيئاً. سوف يمشي مباشرة إلى غرفته. فقط راقبي!».
انتهز الجرو الفرصة وحاول أن يتدبر دخولاً مشتركاً. ضربت كوتشو ماريما
الأرض راحة يدها بعنف، وقالت «هوب، هوب! *Poda patti!*».
فأحجم الجرو بحكمة. بدا أنه كان معتاداً على هذا الروتين.
«راقبي» قالت بيبي كوتشاما. بدت متحمسة. «سيسير مباشرة إلى غرفته
ويغسل ثيابه. إنه نظيف مهووس بالنظافة. لن يقول كلمة».
كان لها هيئة مراقب لعبة يشير إلى حيوان ما على العشب. مفتخرة
بقدرتها على التنبؤ بحركاته. بمعرفتها المتفوقة بعاداته وميوله.
كان شعر إستا ملتصقاً نحو الأسفل في مجموعات، مثل تويجات مقلوبة
لوردة. ولاحت شظايا من فروة رأس بيضاء خلاله. انحدرت نهيرات مياه على
وجهه ورقبته. سار إلى غرفته.
ظهرت هالة شماعة حول رأس بيبي كوتشاما. «أرأيت؟». قالت.
استغلت كوتشو ماريما الفرصة لتبدل القنوات وت شاهد قليلاً من أجساد
بارزة.
تبع راحيل إستا إلى غرفته. غرفة آمو. فيما مضى.

حفظت العرفة سره. لم تشِ بشيء. لا في فوضى ملاءات مجمعة، ولا
في بعثرة حذاء مرفوس بعيداً، ولا في منشفة مبللة معلقة على ظهر كرسي. ولا
في كتاب نصف مقروء. كانت مثل غرفة في مستشفى بعد أن غادرتها
المرضة للتو. كانت الأرض نظيفة، والجدران بيضاء. الخزنة مغلقة. الأحذية
مرتبة. وسلّة المهملات فارغة.

كانت نظافة الغرفة الهوسية المفرطة، الإشارة الايجابية الوحيدة التي تدلّ
على الارادة من قبل إستا. الاقتراح الباهت الوحيد بأنه لربما كان لديه خطة
للحياة. همس الإحجام عن الاقتيات من الفضلات التي يقدمها الآخرون،
فحسب. على الجدار، بجانب النافذة، توضع مكواة على طاولة الكوي.
كومة من الثياب المطوية والمجمعة انتظرت أن تُكوى.

تعلق الصمت في الجو مثل فقدان سري.

تجمع الشبح المرعب، لألعاب من المستحيل أن تُنسى، على شفرات مروحة السقف. مقلع. كوالا كانتاس^(١) (من الآنسة ميتين) بزري عينين محلولين. إوزة قابلة للنفخ (والتي انفجرت بسيجارة شرطي). قلمان لهما طرفان كرويان وترامات وباصات لندن صامتة تطفو صعوداً وهبوطاً فيهما.

فتح إستا الحنفية، فقرع الماء في دلو بلاستيكي. خلع ثيابه في الحمام اللامع. خرج من جينزهِ المبلل. المتصلب. الأزرق الغامق. الصعب أن يُخلع. سحب كنزته القطنية التي بلون فريز مهروس، فوق رأسه، ذراعان ناعمتان نحيلتان عضليتان، عبرتا على جسده. لم يسمع أخته عند الباب.

راقبت راحيل معدته محصورة نحو الداخل و قفصه الصدري يرتفع بينما كانت كنزته القطنية المبللة تُقشر بعيداً عن جلده، تاركةً إياه مبللاً وبلون العسل. كان وجهه ورقبته ومثلث بشكل حرف (V) عند قاعدة حنجرته أغمق من بقية. ذراعاه أيضاً كانتا مزدوجتي اللون. أبهت عند الموضع الذي تنتهي فيه أكمام كنزته. رجل أسمر غامق في ثياب عسليه باهتة. شوكولاه في لفة قهوة. وجنتان عاليتان وعينان مطازدتان. صياد في حُمام أبيض البلاط، بأسرار البحر في عينيه.

هل رآها ؟ هل كان مجنوناً حقاً ؟ هل عرف أنها كانت هناك ؟

لم يخجلا قط من جسديهما، لكنهما لم يكونا كباراً كفاية ليعرفا ما هو الخجل.

كانا الآن كذلك. كباراً كفاية.

كباراً.

عمر قابل للحياة، قابل للموت.

(١) - خدمات نقل جوية، بدأت في استرالية في عام ١٩٢٠ . (الترجمة).

كم كانت كباراً كلمة مضحكة بحد ذاتها، فكثرت راحيل، وقالت لنفسها: كباراً.

راحيل عند باب الحمام. نحيلة الورك. «قل لها أنها ستحتاج لعملية قيصرية!» قال طبيب نسائي شل لزوجها بينما كانا ينتظران فكتهما في محطة (البنزين). محلّة فوق خريطة على كتفها القطنية حائلة اللون. شعر طويل جامع مع وميض حناء أحمر غامق، أرسل أصابع خنزة نحو الأسفل داخل الجزء الأصغر من ظهرها. ومضت الماسة في منخرها. أحياناً. وأحياناً لا. تؤمّج سوار نحيف ذهبي برأس أنقى مثل دائرة برتقالية مضيفة حول راسها. حيطان نحيلتان تهيسان لبعضهما البعض، رأساً لرأس. خاتم زواج أمها المصهور. ملطّقة في الأسفل الخطوط الحادة لذراعيها الرفيعتين الزاويتين.

للمهلة الأولى كانت تبدو كما لو أنها كبرت في جلد أمها. وجنتان عاليتان. غتازتان عميقتان لو ضحكت. لكنها كانت أطول، أصلب، أكثر تشطحاً، وأكثر زاوية مما كانت أمو. أقلّ حسناً ربما بالنسبة لأوتك الذين يحبون الاستدارة والنعومة واللبونة في النساء. فقط عيناها كانتا أجمل بلا جدال. كبيرتين. تدعوان للفرق فيهما، كما قال لاري ماكسليين واكتشف على حسابه.

بحث راحيل في عري مثيقها عن إشارات لنفسها. في شكل ركبته. في قوس مشط قدمه. في انحدار كتفيه. في الزاوية التي تلتقي بها بقية ذراعه بكوعه. في الطريقة التي تذيبت أظافر أصابع قدميه نحو الأعلى. التجاويف المنحوتة على كلا الجانبين من ردفه المشدودين الجميلين. خوختان محكمتان مشدودتان. لا تنمو مؤخرات الرجال أبداً. مثل حقائب المدرسة، تستدعي ذكريات فورية للطفولة. التمعت علامتا تلقيح على ذراعه مثل قطعتي نقود. علامتا التلقيح الخاصتان بها كانتا على فخذها.

علامات التلقيح عند البنات تكون دوماً على أفخاذهن، كانت أمو تقول.

راقبت راحيل إستا بفضول أم تراقب ابنها المبلى. أخت أخ. امرأة رجل.
توأم توأم.

طيرت الطائرات الورقية هذه على الفور.

كان غريباً غريباً اجتمع به في لقاء عابر. كان الذي عرفته قبل أن تبدأ
الحياة. الذي قادها سابحاً عبر أعضاء أمهما التناسلية المحبوبة.

كلا الشيعين مرهقان في قطبيتهما. في فردتيهما المتباعدة.

لمحت قطرة مطر في نهاية شحمة أذن إستا. سمكة وفضية في الضوء،
مثل خرزة ثقيلة من الزئبق. امتدت إليها. لمستها. وأخذتها.

لم ينظر إستا إليها. انكفاً في سكون أعسق. وكأن لجسده القدرة على
اختطاف المشاهر نحو الداخل (معقودة، وبشكل بيضة)، بعيداً في مكان
استراحة أعسق وأكثر مناعة.

جمع الصمت ننايره وانزلق، مثل المرأة العنكبوت، فوق جدار الحتام
الزلق.

وضع إستا ملابسه المبلىة في دلو وبدأ يسلها بصابون أزرق زاو مفت.

آبهاليش توكيز

أعلنت آبهاليش توكيز نفسها بوصفها أول صالة سينما في كيرالا يبلغ اتساع شاشتها ٧٠م. وللتأكيد على ذلك، صُممت واجهتها كصورة اسمتية طبق الأصل عن شاشة السينما المحذبة. وكتب في الأعلى (بكتابة إسمتية وأضواء نيون) آبهاليش توكيز، بالمالايالام وبالانكليزية.

كانت المراحيض تُدعى له و لها. لها من أجل أمو وراحيل وهيبي كوتشاما. و له من أجل إستا وحده، لأن تشاكو كان قد ذهب ليراجع بشأن الحجز في فندق ملكة البحر.

«هل ستكون بخير؟» سألت أمو قلقة.

هز إستا برأسه.

عبر الباب الفورميكا الأحمر الذي ينغلق تلقائياً ببطء، تبعت راحيل أمو وهيبي كوتشاما داخل لها. استدرات لتلوح عبر الأرضية الرخامية الزيتية الزلقة لإستا الذي بمفرده (مع مشط)، في حذائه البيج المستدق الطرف. انتظر إستا في الردهة الرخامة القذرة مع المرايا المهجورة حتى غيب الباب الأحمر أخته. ثم استدار ودلف إلى له.

في لها اقترحت أمو أن توازن راحيل نفسها في الهواء لتتبول. قالت إن

كراسي المراحض العامة قدرة. مثلما هي النقود. فالمرء لا يعرف من يلمسها.
مجنون. لحام. ميكانيكي سبارة. (بول. دم. شحم.)

عندما أُنذرتها ذات مرة كوتشو ماريا إلى دكان اللحام، لاحظت راحيل
أنه كان على ورقة الخمس روبيات الخضراء الذي أعطاهما إياها، قطرة صغيرة
جداً من لحم أحمر. مسحت كوتشو ماريا القطرة بإيهاهما، ترك العصير لطفة
حمراء. وضعت النقود في صدريةها. نقرت عيناها دم برائحة لحم.

كانت راحيل أقصر من أن تتوازن في الهواء، فساعدتها أمو وبيبي
كوتشاما في رفعها عالياً، تعلقت رجلاها فوق ذراعيهما، قدماها ذوات الأصابع
كأصابع الحمام، في صندوق باتا. مرتفعة في الهواء بسرورها التحتي متزلاً إلى
الأسفل. للحظة لم يحصل شيء، ونظرت راحيل إلى أمها وأخت جدها بيبي
بإشارة استفهام ملعونة (والآن ماذا؟) في عينيها.

«هيا» قالت أمو. «سسسس».

سسسس ترمز لصوت سو - سو^(١)؟. ومممم ترمز لصوت
المورمبيقا^(٢).

قهقهت راحيل. قهقهت أمو. وقهقهت بيبي كوتشاما. عندما بدأ
التنقيط، عدّلتا وضعها الهوائي. لم تكن راحيل محرجة. انتهت وكان مع أمو
ورق تواليت.

«هل تفعلين أنت أم أفعل أنا؟» قالت بيبي كوتشاما لأمو.

«لا فرق» قالت أمو. «باشري. أنت».

أسكت راحيل حقيقتها. ورفعت بيبي كوتشاما ساربيها المجدد. درست
راحيل رجلي أخت جدها بيبي الهائلتين. (سيرق هذا المشهد أمامها بعد

(١) - صوت البول بالنسبة للأطفال. (المترجمة).

(٢) - استخدمت الكتابة الكلمة بالشكل الذي يلفظها به الهنود. (المترجمة).

سنوات خلال درس تاريخ يُقرأ في المدرسة - - كان للامبراطور بابور^(١) بشرة
 قمحية وفخذان كالدعامات - توازنت يبيي كوتشاما مثل طائر كبير فوق
 كرسي مرحاض عام. أوردة زرقاء مثل حياكة متكثلة تسري نحو أعلى قصبتني
 ساقيهما نصف الشفافين. ركبتيان سميتان منقرتان. عليهما شعر. قدمان
 صغيرتان جداً مسكيتان لتحملتا مثل هذا الحمل! انتظرت يبيي كوتشاما
 لنصف نصف دقيقة. الرأس مدفوع نحو الأمام. وابتنامة سخيفة بليدة. الشديان
 يتأرجحان منخفضين. شتام في البلوزة. الردفان عالياً وخارجاً. وعندما أتى
 صوت البقبة والفرقة، استمعت بعينها. ونحز جدول أصفر عبر ممر جبلي.
 أحببت راحيل كل هذا. إمساك الحقيبة. الكل يول أمام الكل. مثل
 الأصدقاء. لم تكن حينها تعرف شيئاً حول كم كان هذا شعوراً ثميناً. مثل
 الأصدقاء. لن يكونوا معاً على هذا الشكل مرة أخرى قط. أمو ويبيي كوتشاما
 وهي.

عندما انتهت يبيي كوتشاما، نظرت راحيل إلى ساعتها وقالت «لقد
 استغرقت وقتاً طويلاً للغاية يا يبيي كوتشاما». «إنها الثانية إلا عشر دقائق».

ترا لا ترا لا (فكرت راحيل)

ثلاث نساء لمي حوض استحمام

قال البطء: لمكث لبرهة.

فكرت بالبطء كإسم. البطء كوريان. البطء كوتي. البطء مول. البطء
 كوتشاما.

البطء كوتي. السريح فيرضس. وكوريان كوز. ثلاثة أشقاء بقشرة رأس.
 ضلعت أمو خاصتها في همس. مقابل جانب المولة بحيث لا يستطيع المراء
 أن يسمع. كانت قسوة والدما قد غادرت حينها، عادفا عيني أمو ثانية. كان

(١) - اسمه الحقيقي زاهر الدين محمد (١٤٨٠ - ١٥٣٠) مؤسس المملكة الحاكمة
 لموغال في الهند. كان في الثانية عشر عندما خلف والده وأسس الامبراطورية
 الأولى (١٥٢٠ - ١٥٣٠). (المترجمة).

لديها غمازتان عميقتان في ابتسامتها ولم تعد تبدو غاضبة. لابشأن فيلوثا ولافقاة البصاق.

كانت تلك إشارة جيدة.

كان على إستا الذي بمفرده في له أن يول فوق كرات النفتالين واعقاب السيجارات التي في المبولة. ستكون هزيمة أن يول في كرسي المرحاض. ولأن يول في المبولة كان يحتاج لارتفاع. بحث عن ارتفاع، وفي زاوية له، وجدته. مكنسة قذرة، قارورة يقطن نصف مملوءة بسائل حليبي (فيسيل) مع أشياء سرداء طافية. ممسحة أرض رخوة، وعلبتي لاشيء قصديرتين صدئتين. من الممكن أن تكونا من منتحات مخلات الجنة. قطع أناناس في عصير. أو شرائح. شرائح أناناس. أسترجع شره بواسطة علب جدته، رتب إستا الذي بمفرده علب اللاشيء الصدئة أمام المبولة. ووقف عليهما، قدماً فوق كل واحد منهما. وبال بتأني، بأقل ما يمكن من التذبذب. كرحل. أصبحت أعقاب السيجارات التي كانت آنذ مشبعة، مبللة ومُدومة. ومن الصعب إشعالها. عندما انتهى، نقل إستا العلب إلى الحوض أمام المرأة. غسل يديه وبذل شعره. ثم مُقَرَّمًا بحجم مشط آمو الذي كان كبيراً جداً عليه، جدد نفخة شعره بعناية. مسده من الحلف، ثم دفعه نحو الأمام وأداره جانباً عند طرفه الأقصى. أعاد المشط إلى جيبيه، وخطا من فوق العلب وأعادها مكانها مع القارورة والممسحة والمكنسة. انحنى لهم جميعاً. طاقم التصوير بأكمله. القارورة. المكنسة. العلب. وممسحة الأرض الرخوة.

«انحن» قال، وابتسم، لأنه عندما كان أصغر من ذلك، كان لديه انطباع أن على المرء أن يقول «انحن» عندما ينحني. أن على المرء أن يقولها حتى يفعلها. «انحن إستا» كانوا يقولون. وكان هو ينحني ويقول «انحن»، وكانوا ينظرون إلى بعضهم البعض ويضحكون، وكان هو يتوجس.

إستا ذو الأسنان غير المستوية، الذي بمفرده.

في الخارج، انتظر أمه واخته وبيبي أخت جده. وعندما خرجوا، قالت آمو «على ما يرام يا إستان؟»

قال إستا «على ما يرام» وهزّ رأسه بتأن ليحافظ على نفخة شعره.

على ما يرام؟ على ما يرام. أعاد المشط إلى حقيبتها. شعرت آمو بقبضة حب مفاجئة لابنها المتحفظ الوقور في حذائه البيج والمستدق الطرف، الذي كان قد أنهى للتو أول مهمة له كبالغ. داعبت شعره بأصابع محبة. فأفسدت نفخة شعره.

قال الرجل ذو المصباح اليدوي الفولاذي أن الفيلم بدأ، ولذا يجب الإسراع. كان عليهم الجري فوق الدرجات الحمر المعطاة بسجادة حمراء قديمة. درج أحمر بلطخ بصاق حمراء في الزاوية الحمراء. قضم الرجل ذو المصباح اليدوي مونوده^(١) عالياً وأمسكه بيده اليسرى مطوياً تحت خصيته. أثناء صعوده، تصلبت عضلات ساقه تحت جلده الصاعد مثل فذائف مدفعية مشعرة. أمسك المصباح اليدوي بيده اليمنى. وأسرع بعقله.

«لقد بدأ منذ زمن طويل» قال.

وهكذا فقد فانتها البداية. فانتها الستارة المخملية المتموجة وهي تُرفع، واللمبات الضوئية في الشرايات الصفراء المتجمعة، ببطء نحو الأعلى، والموسيقى من الممكن أن تكون نزهة الفيل الطفل من هاتاري. أو مسيرة الكولونيل بوغبي.

أمسكت آمو يد إستا. وأمسكت يبي كوتشاما التي ترتقي الدرجات، يد راحيل. يبي كوتشاما المثقلة بشمّاماتها، لن تقرّ لنفسها بأنها كانت تترقب الفيلم. فضلت أن تشعر بأنها كانت تفعل ذلك فقط من أجل الأولاد. حفظت في عقلها تقريراً منظماً حذراً حول الأمور التي يجب القيام بها من أجل الناس، وحول الأمور التي لم تفعلها لنفسها.

كانت تُفضّل اللقطات المبكرة الخاصة بمشاهد الرهيات، وأملت أن لا تكون قد فانتها. شرحت آمو لإستا وراحيل أن الناس دوماً يفضلون ما يتطابق معهم. افترضت راحيل أنها تتطابق أفضل تطابق مع كريستوفر بلامر الذي لعب

(١) - منشقة كبيرة يلبسها الرجال في الهند. (الترجمة).

دور الكابتن فون تراب. لم يكن تشاكو يتطابق معه على الإطلاق، وكان يدعو
الكابتن فون كلاب تراب.

كانت راحيل مثل بعوضة مثارة في رمن. تطير. عديدة الوزن. درجتين
إلى الأعلى. ودرجتين إلى الأسفل. درجة إلى الأعلى. صعدت خمس تعلقات
من الفرج الأحمر في مقابل واحدة ليبي كوتشاما.

أنا باباي البحار ترالا لا لا

أعيش في كارافان ترالا لا لا

أفتح الباب

وألق على الأرض

أنا باباي البحار ترالا لا لا

اثنين إلى الأعلى. اثنين إلى الأسفل. واحدة إلى الأعلى. إقفزي، إقفزي.

راحيل قالت أمو «لم تتعلمي درسك بعد. أليس كذلك؟»

كان لدى راحيل: الإثارة تعود دوماً إلى الدموع. ترالا لا لا.

وصلا عند بهو الأميرة الدائرة. موزا بالمقصف حيث تنتظر مشروبات
البرتقال. و تنتظر مشروبات الليمون. البرتقال يرتقال جداً. والليمون ليمون
جداً. والشوكولاتة مائعة جداً.

فتح الرجل ذو المصباح اليدوي باب الأميرة الدائرة الثقيل داخل ظلمة
أزرق المروحة ومضغ القول السوداني. كانت تفوح رائحة نفث الناس ودهن
شمر. وسجادات قديمة. رائحة صوت الموسيقى السحرية التي كانت تتذكرها
راحيل وتذكرها. الروائح كالموسيقى تحتفظ بالذكريات. تنفست بهمق، وعبأتها
في زجاجات للأجيال القادمة.

كانت البطاقات مع إستا. رجل صغير. يعيش في كارافان. ترالا لا لا.

وجئ رجل المصباح اليدوي ضوؤه على البطاقات الوردية. الصف ج.

الأرقام ١٩، ١، ١٧. إستا، أمو، راحيل، بيبي كوتشاما. انحشروا مازين
مغضيين الناس الذين كانوا يحزكون أرجلهم إلى هنا وهناك ليفسحوا مجالاً.

كانت مقاعد الكرسي يجب أن تُسحب نحو الأسفل. أمسكت يبي كوتشاما
مقعد راويل إلى الأسفل بينما كانت هي تتسلقه. لم تكن ثقيلة كفاية، فانطوى
الكرسي على نفسه مثل سندويتش محشوة، وشاهدت هي من بين ركبتيها.
ركبتان ونافورة. أما إستا ذو الكرامة الزائدة، فقد جلس على طرف الكرسي.
كانت ظلال المروحة على جوانب الشاشة حيث لم يكن الفيلم.

مُطفاً بالمصباح الكهربائي مُضاء بصرعة العالم.
ارتفعت الكاميرا عالياً في السماء الزرقاء (بلون السيارة) السماء
الاسترالية، مع الصوت الحزين الواضح لأجراس الكنيسة.
بعيداً إلى الأسفل، على الأرض في فناء الدير، كانت الحصى تلتصع.
مشيت الراهبات عبرها. مثل مجموعة من السيجار. راهبات هادئات تجتمع
حول أمهن النوقرة الهادئة، التي لم تقرأ رسائلهن قط. نجمعن مثل نمل حول
كسرة خبز محمص. مجموعة من السيجار حول السيجار الملكة. دون شعر
على ركبهن. دون شمامات في بلوزاتهن. وأنفاسهن كالنصع. كان لديهن
شكاوى ليقدمنها لأمهن الموقرة. شكاوى غناء عذب. حول جولي أندروز التي
ما زالت في أعلى الهضبة تغني ما زالت الهضاب حية بصوت الموسيقى
وتأخرت مرة أخرى على القديس.

تسلقت شجرة وخذشت ركبتيها

تسللت الراهبات على نحو موسيقي استعراضي.

تمزق ثوبها.

ورقصت القالس في طريقها إلى القديس

وصفرت على الدرج.

كان المتفرجون يتلفتون حولهم.

«هش ! هش ! هش !»

هش ! هش ! هش !

وتحت خمارها

لديها جعدت في شعرها !

كان هناك صوت خارج الفيلم. كان واضحاً وحقيقياً، قاطعاً خلال ظلمة أزيز المروحة ومضغ الفول السوداني. كان هناك راهبة بين المتفرجين. التفتت الرؤوس مثل سدادات قوارير. أصبحت خلفيات الرؤوس ذوات الشعر الأسود، وجوهاً بأنفاه وشوارب. أنفواها مهسهسة بأمنان قرش. العديد منهم. مثل ملصقات على بطاقة.

«هش!» قالوا معاً.

كان إستا من يغني. راهبة بنفخة شعر. راهبة إلفيس بلفيس. كان ذلك خارجاً عن إرادته.

«أخرجوه من هنا!» قال المشاهدون عندما وجدوه.

اخرس أو اخرج. اخرج أو اخرس.

كان المتفرجون رجلاً كبيراً. وكان إستا رجلاً صغيراً، مع بطاقات.

«إستا، من أجل السماء اخرس!» قال همس أمو العنيف.

وهكذا خرس إستا. واستدارت الأنفاه والشوارب بعيداً. لكن بعد ذلك، ودون إنذار، عادت الأغنية ثانية، ولم يستطع إستا أن يوقفها.

«أمو، هل أستطيع أن أذهب وأغنيها في الخارج؟» قال إستا (قبل أن تصفحه أمو) «سأعود بعد أن تنتهي الأغنية».

«لكن لا تتوقع مني أن أخرجك ثانية» قالت أمو «إنك تخرجنا جميعاً».

لكن ذلك كان فوق إرادة إستا. وقف ليذهب. ماراً بأمو الغاضبة، وبراويل المرتزة من خلال ركبتيها. ماراً ببيبي كوتشاما. ماراً بالمتفرجين الذين كان عليهم ان يحركوا أرجلهم ثانية إلى هذه الناحية أو تلك. كان مكتوباً على اللافتة الحمراء فوق الباب خروج بالضوء الأحمر. خروج إستا.

في البهو، كانت مشروبات البيرتقال تنتظر. ومشروبات الليمون تنتظر. والشوكولاتة الذائبة تنتظر. وأرائك السيارة الجلدية الرغوية الزرقاء الكهربائية، تنتظر. وملصقات القادم قريباً! تنتظر.

جلس إستا الذي بمفرده على أرائك السيارة الجلدية الرغوية الزرقاء

الكهربائية، في بهو الأميرة الدائرية لـ آبهايش توكيز، وغنى. بصوت راهبة، صافياً كالماء النقي.

ولكن كيف تجعلينها تبقى

وتستمع إلى كل ما تقولينه؟

استيقظ الرجل وراء طاولة المقصف، الذي كان نائماً على صف من الكراسي الصغيرة دون مَشْنَد، منتظراً الفاصل. رأى بعينين لزوجتين، إستا الذي بمفرده بحذائه البيج والمستدق الطرف. وبنفخة شعره المُفْسَدة. مسح الرجل طاولته الرخامية بخرقه متسخة اللون. وانتظر. ومسح منتظراً. وانتظر مامحاً. وراقب إستا وهو يغني.

كيف تحتفظ بموجة على الرمل؟

أوه، كيف تحل مشكلة مثل ماري. يا ؟

«Ay! Eda cherukka!» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون، بصوت أجش ثخين بالنوم. «ماذا تعتقد نفسك فاعلاً بحق الجحيم؟»

كيف تمسك

شماع قمر

نمي يدك ؟

غنى إستا.

«آي!» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون. «انظر، هذا وقت استراحتي. سرعان ما سيكون علي أن أستيقظ وأعمل. لذلك فأنا لا أستطيع أن أحتملك تردد أغنيات انكليزية هنا. توقف». كانت ساعة معصمه الذهبية مخفية تقريباً بشعر ساعده المجدد. وسلسلته الذهبية غائرة تقريباً في شعر صدره. وكان قميصه التيرلين^(١) الأبيض مفصوم العرى إلى حيث ابتدأ تضخم بطنه. بدا مثل دب فظ مزيناً بالمجوهرات. كان يوجد خلقه مرايا من أجل أن يتعلّى لناس أنفسهم وهم يشربون المشروبات الباردة والمنعشة. ليتبينوا نفحات

(١) - نوع قماش. (المترجمة).

شعورهم، وليركّزن كمعكات شعورهن. أخذت المرايا تنفرج على إستا.
«أستطيع ان أرفع يك شكوى مكتوبة» قال الرجل لإستا «ما رأيك
بذلك؟ شكوى مكتوبة؟»

توقف إستا عن الغناء ونهض ليعود إلى الداخل.

«الآن بعد أن استيقظت» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون. «الآن
وبعد أن أيقظتني من استراحتي، بعد أن أزعجتني، على الأقل تعال واشتر
شرباً. إنه أقل ما تستطيع فعله.»

كان وجهه بخدين غير حليقين. أستاذته التي مثل مفاتيح يانو صفراء،
راقبت إلفيس البيلفيس.

«لا شكر لك» قال إلفيس بتهذيب. «إن عائلتي تنتظرنى.. وقد أنفقت
مصرف جيبى.»

«مصرف جيب؟»^(١) قال رجل مشروبات البرتقال والليمون بأستاذته
التي ما تزال تراقب. «في البداية أغنيات انكليزية، والآن مصرف جيب ! أين
تعيش ؟ في القمر ؟»
استدار إستا ليذهب.

«انتظر لحظة!» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون بحدة. «لحظة
فقط!» قال ثانية، بلطف أكثر. «أعتقد أنني سألتك سؤالاً.»

كانت أستاذته الصفراء مغناطيساً. حدقت، ابتسمت، غثت، شمت،
وتحرّكت. أفتنت.

«سألتك أين تقطن» قال، غارلاً نسيجه الشرير البديء.

«في أيمينيم» قال إستا. «أعيش في أيمينيم. جدتي تملك مخلات
ومعلبات الجفنة. إنها الشريك النائم.»

«أحقاً هي كذلك، الآن ؟» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون.

(١) - قالها بالانكليزية هندية. (الترجمة).

«ومن الذي تنام معه؟» ضحكك ضحكة بذقنة بحيث لم يستطيع إستا أن يفهم.
«لا عليك. لن يكون بمقدورك أن تفهم.»

«تعال واشرب شراباً» قال. «شراباً بارداً مجاناً. تعال. تعال هنا وأخبرني كل شيء عن جدتك.»

«ذهب إستا. مسحوراً بالأسنان الصفراء.

«هنا، وراء الطاولة» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون. خفض صوته إلى همس. «يجب أن يبقى ذلك سراً لأن المشروبات ليست مسموحة قبل الفاصل. ولأنا فتقد إهانة للمسرح.»

«مُدركاً» أضاف بعد وقفة.

ذهب إستا خلف طاولة المقصف من أجل شرابه البارد المجاني. رأى الكراسي الصغيرة العالية التي دون مسند مرتبة في صف مستقيم لينام عليها رجل مشروبات البرتقال والليمون. كان الخشب لامعاً من كثرة جلوسه عليه.

«الآن لو تمسك هذا من أجلي من فضلك» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون، مسلماً إستا قضيبه من تحتة سرواله التحتي الموسليني الأبيض الناعم الطري، «سأجلب لك شرابك. يرتقال ليمون؟»

أمسكه إستا لأنه كان مجبراً على ذلك.

«يرتقال؟ ليمون؟» قال الرجل «يرتقال ليموني؟»

«ليمون، من فضلك» قال إستا بتهذيب.

حصل على زجاجة باردة وشليمونة. وهكذا أمسك زجاجة بيد وقضيباً باليد الأخرى. صلباً، حامياً، بعروق. ليس شعاع قمر.

أطبقت يد رجل مشروبات البرتقال والليمون على يد إستا. كان أظفر إبهامه طويلاً مثل أظافر النساء. حرك يد إستا إلى الأعلى وإلى الأسفل. يبطء في البداية. ثم أسرع.

كان شراب الليمون بارداً وحلواً. وكان القضيب حامياً وصلباً.

كانت مفاتيح البيانو تراقب.

«فإذا جدتكَ تدير معملاً؟» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون. «أي نوع من المعامل؟»

«العديد من المنتجات» قال إستا، دون أن ينظر، والشلييمونة في فمه. «يقطين، مخملات، مريات، بودرة كاري، شرائح اناناس..»

«جيد.» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون. «ممتاز.»

أطبقت يده بإحكام أكثر على يد إستا. محكمة ومتعركة. وما رالت أسرع.

سريع أسرع أسرع

لا تدعه أبداً يرتاح

حتى يصبح السريع أسرع،

والأسرع أكثر سرعة

صعدت حلاوة الليمون السائل عبر الشلييمونة الورقية المشبعة (المفلصحة تقريباً بالبصاق والخوف). نافحاً عبر الشلييمونة (بينما يده الأخرى تتحرك)، نفخ إستا فقاعات داخل الزجاجاة. فقاعات ليمونية حلوة دقة من الشراب الذي لم يستطع أن يشربه. ودون في رأسه متتحات جدته.

المخللات	المساحيق	المريات
مانغا	برتقال	مور
فليفلة خضراء	عنب	فواكه ممزوجة
قرع متر	أناناس	مربى كريب
نوم	مانغا	

ليمون حامض مملح

ثم تلوى الوجه الغضروفي الكثير الشعر، وكانت يد إستا رطبة وساخنة دقة. وبدا عليها بياض بيضة. بياض بيضة بضاء. ربع مغلبة.

كان الشراب الليموني بارداً وحلواً. والقضيب طرياً وذابلاً مثل محفظة

صرافة جلدية فارغة. مسح الرجل بخرقته المتسخة اللون، يد إستا الأخرى.

«أنه الآن شرايك» قال، وقرص بتودّد خدّاً من مؤخرة إستا. خوختان مشدودتان في أنابيب تصريف. وحذاء بيّج ومستدق الطرف. «يجب ألاّ تبده» قال «فكّر في كل الناس الفقراء الذين ليس لديهم شيء ليأكلوه أو ليشرّبوه. أنت صبي غني محظوظ، بمصرورف جايب^(١) ومعمل جدة لثرتك. عليك أن تشكر الله لأنك خالي من الهموم. أنه الآن شرايك.»

وهكذا، خلف طاولة المقصف، في بهو الأميرة الدائرية في أبهاليش توكيز في القاعة ذات الشاشة الأولى في كيرالا باتساع ٧٠ م، أنهى إستان ياكو زجاجته المجانية المملوءة بالخوف الفوّار الليموني الطعم. ليمونه ليموني جداً، بارد جداً، حلو جداً. صعد الفوران إلى أنفه. سيّعطى زجاجة أخرى قريباً (مجانية، وبخوف فوّار). لكنه لا يعرف ذلك بعد. أبقى يده الدبقة الأخرى بعيداً عن جسده.

لم يكن من المفروض أن تلمس شيئاً.

عندما أنهى إستا شرابه، قال رجل مشروبات البرتقال والليمون «انتهيت ؟ أحسنت.»

أخذ الزجاج الفارغة والشيليمونة المفلطحة، وأرسل إستا داخل صوت الموسيقى.

عائداً إلى داخل ظلمة دهن الشعر، أبقى إستا يده الأخرى بحذر (عالياً، وكأنه كان يمسك برتقالة مُتَحَيِّلَة). انزلق ماراً بالمتفرجين (بأرجلهم المتحركة إلى هذا وذاك الجانب)، ماراً يميني كوتشاما، ماراً براجيل (التي ما زالت ماثلة نحو الخلف) ماراً بآمو (التي ما زالت منزعجة). جلس إستا، وهو ما يزال يمسك ببرتقالته الدبقة.

وهناك كان الكابتن فون كلاب تراب. كريستوفر بلامر. متعجرفاً. قاسي

(١) - مصروف جيب. كُتبت بلفظ خاطيء جداً، لتيان غرابتها (يوصفها كلمة انكليزية) بالنسبة لرجل من هذا الوسط. (المترجمة).

القلب. بغم مثل ثقب. وصفارة بوليس قولاذية حادة. كابتن مع سبعة أطفال. أطفال نظيفين، مثل علبة من النعنع. كان يتظاهر بأنه لا يحبهم، لكنه كان يحبهم. وكان يحبها (جولي أندروز). وهي كانت تحبه، وهما كانا يحبان الأطفال، والأطفال كانوا يحبونهما. كانوا جميعاً يحبون بعضهم البعض. كانوا أطفالاً أيضاً نظيفين، وكانت أسرهم طرية بوسائد الريش.

يوجد في المنزل الذي يقطنون فيه بحيرة وحديقة. ودرج عريض، وأبواب ونوافذ بيضاء، وستائر مزينة بالورود.

كان الأطفال البيض النظيفون، حتى الكبيرون منهم، يرتحفون خوفاً من الرعد. ولترحبهم، وضعتهم جولي أندروز جميعاً في سريرها النظيف، وغنت لهم أغنية نظيفة حول بعض من أشياءها المفضلة. هذه كانت بعضاً من أشياءها المفضلة:

١ - فتيات في أثواب بيضاء ذات وشاحات ساتان زرقاء.

٢ - أوزات برية تطير والقمر على أجنحتها.

٣ - أباريق نحاسية براقّة.

٤ - أجراس وزلاجات ذات رؤوس.

٥ - إلى آخره.

ومن ثم، في عقلي عضوي توأم يضتين مؤكدين من جمهور أبهايش
توكيز، انبثقت بعض الأسئلة، التي احتاجت أجوبة، أي:

أ - هل كان الكابتن فون كلاب تراب يهزّ رجله؟

لم يكن يفعل ذلك.

ب - هل كان الكابتن فون كلاب يتفخ تقاعات بصاق؟ هل كان يفعل

ذلك؟

بكل تأكيد لم يكن يفعل ذلك.

ت - هل كان يلتهم وينزرد؟

لم يكن يفعل ذلك.

أوه، كابتن فون تراب، كابتن فون تراب، هل باستطاعتك أن تحب الزميل

الصغير ذا البرتقالة في الصلاة ذات الرائحة الكريهة؟

لقد أمسك للتو قضيب رجل مشروبات البرتقال والليمون بيده، لكن هل باستطاعتك أن تحبه مع ذلك ؟

وشقيقته التوأم؟ المائلة نحو الخلف بنافورتها في الحب - في - طوكيو؟ هل باستطاعتك أن تحبها ؟

كان لدى الكاهن فون تراب بعض الأمثلة الخاصة به.

أ - هل هما طفلان أبيضان نظيفان؟

لا. (لكن صوفي مول كذلك.)

ب - هل يتفحخان فقاعات بصاق؟

نعم. (لكن صوفي مول لا تفعل.)

ت - هل يهزان أرجلهما ؟ مثل الموظفين؟

نعم. (لكن صوفي مول لا تفعل.)

ث - هل أمسك أحدهما أو كلاهما، أبداً، قضيباً لغيره؟

لا... نعم. (لكن صوفي مول لم تفعل ذلك.)

«إذن أنا أسف» قال الكاهن فون كلاب تراب «إنه أمر مستحيل. لا

أستطيع أن أحبهم. لا أستطيع أن أكون بابا لهما. أوه كلا.»

لم يستطع الكاهن فون كلاب تراب.

وضع إستا رأسه في حجره.

«ما الأمر؟» قالت أمو «إذا كنت تقطّب ثانية، سأأخذك مباشرة إلى

البيت. اجلس من فضلك. وقفرتج. هذا ما أحضرت لأحله إلى هنا.»

أفقه الشراب.

تفرج على الفيلسوف.

فكر في كل الناس الفقراء.

صبي غني محظوظ له مصروف جيب. دون هموم.
جاشت معدته. شعر شعوراً سفلي، سحيقاً، طافياً، مليئاً بأعشاب البحر،
مكتلاً، مائياً سميكاً، متموجاً أخضر.
«آمو؟» قال.

«ماذا الآن؟» نهشت الـ ماذ، نبحت، وبصقت خارجاً.
«أشعر أنني أريد التقير؟» قال إستا
«تشعر فقط أم أنك تريد أن تتقيأ؟» كان صوت آمو قلقاً.
«لا أعرف.»

«هل نذهب ونحاول؟» قالت آمو. «سيجعلك هذا تتحسن.»
«حسناً» قال إستا.
حسناً؟ حسناً.

«إلى أين تذهبان؟» أرادت بيبي كوتشاما أن تعرف.
«إستا سيحاول أن يتقيأ»، قالت آمو
«إلى أين تذهبان؟» سألت راحيل.
«شعر بغثيان» قال إستا.
«هل أستطيع أن آتي وأتفرج؟»
«لا» قالت آمو.

مزا بالمتفرجين ثانية (وأرجلهم إلى هذه وتلك الناحية). المرة السابقة للغناء.
هذه المرة لمحاولة التقير. خرجا عبر حوض. في الخارج، في البهو الرخامي، كان
رجل مشروبات البرتقال والليمون يأكل قطعة حلوى. وخده منفوخ بالحلوى
المتحركة. كان يصدر أصوات إمتصاص طرية مثل مياه تنزح من حوض. كانت
هناك ورقة غلاف باري^(١) خضراء على الطاولة. قطع الحلوى مجانية لهذا الرجل.

(١) - اسم حلوى. (الترجمة).

كان لديه صف من قطع الحلوى في قوارير باهتة. مسح طاولته الرخامية بخرقته متمسكة اللون التي كان يسكها بيده المشعرة التي يضع فيها الساعة. انزلق ظل عبر وجهه عندما رأى المرأة المتألقة ذات الكتفين المصقولين وصبيّاً صغيراً، ثم ابتسم ابتسامة البيانو المحمول خاصته.

«خارجاً ثانية بهذه السرعة؟» قال.

كان إستا يتهوّع مسبقاً. واكبته أمو على سطح القمر إلى حمام الأميرة الدائرية. لها.

لحُمل، محشوراً بين الحوض القذر وجسد أمو. الرجلان متدليتان. كان للحوض صنابير فولاذية، ويقع صدأ. وشبكة غشائية بية من التشققات الرفيعة. مثل خريطة طرق لمدينة ما كبيرة معقدة.

تشنّج إستا، لكن لم يخرج شيئاً. وساوس فحسب. وقد طفت خارجاً ثم طفت في الداخل. لم تستطع أمو أن تراها. حوّمت مثل سحب عاصفة فوق مدينة الحوض. لكن رجال ونساء الحوض تابعوا أعمالهم الحوضية الاعتيادية. سيارات حوضية، باصات حوضية، ما زالت تتر هنا وهناك. استمرت الحياة الحوضية.

«لا؟» قالت أمو.

«لا» قال إستا.

لا ؟ لا.

«اغسل وجهك إذن» قالت أمو. «الماء يساعد دوماً. اغسل وجهك ولنذهب ونشتري شراب ليمون قوّار.»

غسل إستا وجهه ويديه ووجهه ويديه. أصبحت رموشه مبللة وتشابكت مع بعضها البعض.

طوى رجل مشروبات البرتقال والليمون ورقة غلاف الحلوى الخضراء و ثبت الثني بأظفر ابهامه المدهون. درّج ذبابة بمجلة ملفوفة. ونقفها برقعة من على حافة الطاولة على الأرض. وقعت على ظهرها ولوّحت أرجلها الخائفة.

«صبي عذب هذا» قال لآمو. «بني بشكل ظريف».

«إنه إني»، قالت آمو.

«حقاً؟» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون، ونظر إلى آمو بأسنانه.

«حقاً؟ لا يوحى عمرك بهذا!»

«إنه مريض قالت آمو» فكرت أن شراءً بارداً قد يجعله يتحسن. »

«بالضيق»، قال الرجل. «بالطبع بالطبع. يسمون برتقالي؟ برتقال ليموني؟»

سؤال مرعب يدعو للتوجس.

«لا شكراً لك». نظر إستا إلى آمو. قاع سحق، مليء بأعشاب البحر،

أنحضر التموج.

«ماذا عنك؟» سأل رجل مشروبات البرتقال والليمون آمو.

«كوكا كولا فاتنا؟» بوظة روز ميلك؟»

«لا. لا أريد. شكراً لك» قالت آمو. امرأة متأققة بهمازات عميقة.

«خذ» قال الرجل، بقبضة مليئة بالحلوى، مثل مضيف كريم. «هذه من

أجل رجلك الصغير».

«كلا شكراً لك»، قال إستا، ناظراً إلى آمو.

«خذها إستا»، قالت آمو «لا تكن فظاً»

أخذها إستا.

«قل شكراً»، قالت آمو.

«شكراً لك» قال إستا. (من أجل الحلوى، ومن أجل يياض البيضة

البضاء.)

«ولو» قال رجل مشروبات البرتقال والليمون بالانكليزية.

«إذا!» قال. «يقول الصبي أنكم من أيمنهم؟»

«نعم»، قالت آمو.

«كثيراً ما أذهب إلى هناك»، قال رجل مشروبات البرتقال والليمون.
«أهل زوجتي من أيمينيم. أعرف أين ممتلككم. مخلفات الجنة، أليس كذلك؟
هو أنجبرني. صبيك.»

كان يعرف أين يجد إستا. وهذا ما أراد أن يقوله. لقد كان إنذاراً.
رأت أمو عيني إبها الزويتين المتقديتين بالحمى.
«علينا أن نذهب»، قالت. «علينا ألا نخاطر. ابنة خالهما آتية غداً»،
شرحت للعم. ثم، أضافت بشكل عرضي، «من لندن.»
«من لندن؟» ومض احترام جديد في عيني العم. العائلة ذات صلات
لندنية.

«إستا، انت هنا مع العم. وسأذهب أنا لأحضر بيبي كوتشاما
وراحيل»، قالت أمو.
«تعال»، قال العم. «تعال واجلس معي على كرسي عالي دون مسند.»
«لا، أمو لا، أمو أريد أن أذهب معك!»
أمو المستغربة من الإلحاح العالي الصوت لإبها الهادئ عادةً، اعتذرت
من عم مشروبات البرتقال والليمون.
«في العادة لا يكون هكذا. تعال إذن، إستاين.»

رائحة العود في الداخل. ظلال المروحة. مؤخرات الرؤوس. الرقاب.
ياقات. شعور. كهكات شعر. ضفائر. ذبول حصان.

نافورة في الحب - في - طوكيو. فتاة صغيرة وراعبة سابقة.
كان أولاد الكاهن فون تراب النعميون السبعة قد تحموا حتماً نعمة،
وكانوا واقفين في صف نعمة بشعورهم الملمسة نحو الأسفل، يذنون بأصوات
نعمة مطيعة للمرأة التي كاد الكاهن أن يتزوجها. البارونة الشقراء التي كانت
تقع كالألماس.

المضارب حية
بصوت الموسيقى.

«علينا أن نذهب» قالت أمو لبيبي كوتشاما وراحيل.
«لكن أمو»، قالت راحيل. «لم تحصل الأمور الجوهرية حتى بعد! لم
يَقْبَلْهَا حتى! ولم يَمَزَقْ علم هتلر حتى! ولم يشر رولف ساعي البريد حتى!»
«إستا مريض»، قالت أمو. «هيا!»
«لم يأت الجنود النازيون حتى!»
«هيا!» قالت أمو. «انهضي!»
«لم يؤدوا حتى» كان هناك راعي ماعز وحيداً في أعلى الهضبة «!»
«يجب أن يكون إستا بصحة جيدة من أجل صوفي مول، أليس
كذلك؟» قالت بيبي كوتشاما.
«لا، لا يجب عليه ذلك» قالت راحيل، لكن لنفسها على الأغلب.
«ماذا قلت؟» قالت بيبي كوتشاما، متخذة الاتجاه العام، لكن ليس ماقد
قيل فعلاً.
«لا شيء»، قالت راحيل.
«أنا سمعتك»، قالت بيبي كوتشاما.

في الخارج، كان العم يعيد تنظيم قواريره الباهتة. ويمسح بخرقته متسخة
اللون ليطخ الماء الدائرية الشكل التي تركوها على طاولة مقصفه الرخامية. مهبطاً
من أجل الفاصل. كان عم مشروبات البرتقال والليمون نظيفاً. كان لديه قلب
مضيف طيران واقع في فح جسم دب.
«ذاهبون إذن؟» قال.

«نعم»، قالت أمو «أين يمكننا الحصول على تاكسي؟»
«خارج البوابة، في أعلى الطريق، على يسارك»
قال، ناظراً إلى راحيل. «لم تخبريني ان لديك بنتاً^(١) صغيرة أيضاً.» أخرج

(١) - قال كلمة (البنت) بالهندية. (المترجمة).

حلوى أخرى «خذي، يا بنت - لك.»

«خذي خاصتي!» قال إستا بسرعة، رافضاً أن تقترب راحيل من الرجل. لكن راحيل كانت قد بدأت بالسير تجاهه. وبينما كانت تقترب منه، ابتسم لها، شيئاً بشأن ابتسامة البيانو المحمول تلك، وشيئاً بشأن التحديقة الثابتة التي شملها بها، جعلها تجفل منه. كان أقبح شيء رآته في حياتها. استدارت لتنظر إلى إستا.

وارتدت عن الرجل المشعراني.

ضغط إستا حلوى باري خاصته داخل يدها وأحسّت أصابعه الساخنة المحمومة التي كانت أطرافها باردة كالموت.

«وداعاً، يا صبي» قال العم لإستا. «سأراك في أيمنيم يوماً ما.»

إذاً، الدرجات الحمر مرة أخرى. هذه المرة راحيل تتباطأ، متثاقلة.

لا، لا أريد أن أذهب. طن من الطوب في رسن.

«شاب لطيف، صاحب مشروبات البرتقال والليمون ذاك»، قالت أمو.

«تشي»^(١) قالت بيبي كوتشاما.

«لا يبدو كذلك، لكنه كان لطيفاً مع إستا بشكل يدعو للاستغراب»،

قالت أمو.

«إذاً فلماذا لا تتزوجينه؟» قالت راحيل مستفزة.

توقف الزمن على الدرجات الحمر. توقف إستا. وتوقفت بيبي كوتشاما.

«راحيل» قالت أمو.

تجمّدت راحيل. كانت آسفة على نحو يائس على ما قالت. لم تعرف من أين أتت تلك الكلمات. لم تكن تدري أنها كانت في أعماقها. لكنها كانت قد خرجت منها الآن، ولن تعود داخلياً. كانت تنسكع على الدرج الأحمر مثل

(١) - دلالة على الاستهجان. (المترجمة).

موظفي مكتب حكومي. بعضهم واقفون، وبعضهم جالسون ويهزون أرجلهم.

«راحيل»، قالت أمو. «هل تدركين ما قد فعلت للنو؟»

عينان فزعتان ونافورة ردّت النظرة لآمو.

«لا بأس. لا تخافي»، قالت أمو. «فقط أجيبي. هل تدريين؟»

«ماذا؟» قالت راحيل بأخفض صوت لديها.

«هل تعلمين ماذا يحدث عندما تجرحين الناس؟» قالت أمو «عندما

تجرحين الناس، يبدأ جهم لك بالتناقص. هذا ما تفعله الكلمات الطائشة غير

المكرثة. إنها تجعل الناس يحبونك أقل بعض الشيء.»

فراثة باردة ذات كثافة غير مألوفة لرغبتها الظهري، حطّت بخفة على قلب

راحيل. اقشعرت واصططكت حيث لمستها أرجلها الثلجية. ست قشعريات

على قلب راحيل اللامبالي.

كانت أموها تحبها أقل قليلاً.

وهكذا، خارج البوابة، في أعلى الطريق، وإلى اليسار. كانت التاكسي

واقفة. أم مجروحة، راهبة سابقة، وطفل ساخن وآخر بارد. ست قشعريات

وفراثة.

كانت تفوح في التاكسي رائحة نوم. وثياب قديمة ملفوفة. ومناشف

رطبة. وإبطين. لقد كانت منزل سائق التاكسي على كل حال. كان يعيش

داخلها. المكان الوحيد الذي لديه ليحزن فيه روالحه. كانت المقاعد قد قُلت

وأغتصبت. انسكبت لفاقة من اسفنج أصفر وسخ خارجاً واهترت على المقعد

الخلفي مثل كبّد صفراوي هائل. كان للسائق بقطة منقّبة لقارض صخبر. وأنف

روماني مخوف وشارب ريفشارد صغير. كان ضعيفاً جداً بحيث أنه راقب

الطريق عبر عجلة القيادة. كان الأمر يبدو بالنسبة للعابرين كتاكسي مراكب من

هون سائق. كان يفود، بشكل متكرر، متقضاً على المساحات الفارغة، دافعاً

السيارات الأخرى خارج طريقها. مستعجلاً عند تقاطع الزير. أنوار قافزة.

لماذا لا تستخدم حمية أو ومادة أو شيئاً ما؟ اقترحت بيبي كوتشاما

بصوتها الودود. «متكون قادراً على الرؤية بشكل أفضل».

فلماذا لا تهتمين بشؤونك، يا أخت؟» اقترح السائق بصوته العدواني.

متجاوزين البحر الخيري، وضع إستان رأسه خارج النافذة. كان بإمكانه أن يتذوق النسيم المالح الساخن في فمه. كان بإمكانه أن يشعر به يرفع شعره. كان يعرف أنه لو اكتشفت أمرو ما فعله مع رجل مشروبات البرتقال والليمون، فإنها ستحبه أقل أيضاً. أقل كثيراً. شعر بالغشيان المذوم الجائش المتمخض المخزي في معدته. تاق للنهر. لأن الماء يساعد دوماً.

اندفع الليل النيوني الدبق ماراً بتنافذة التاكسي. كان الجو حاراً وهادئاً داخل التاكسي. بدت يميني كرتشاما متوردة ومتوترة. كانت لا تحب أن تكون سيئاً في سقم أحد. وفي كل مرة ينحرف كلب ضال على الطريق، كان السائق يقوم بجهد مخلص صريح لقتله.

في موقف سيارات فندق ملكة البحر، كانت البليمرث السماوية تترنر مع سيارات أخرى أصغر. *Hslip Hslip Hsnooh - snah*.^(١) سيدة كبيرة في حفلة سيدات صغيرات. رفارف خاققة منفعة.

«الغرفتان ٣١٣ و ٣٢٧» قال الرجل في الاستقبال. «بدون تكييف.

أسرة مزدوجة. المصعد مغلق بسبب الإصلاح».

خادم الفندق^(٢) الذي اصطحبهم إلى الأعلى، لم يكن صبياً ولم يكن بحوزته جرس. كان له عينان باهتان وزرآن مفقودان من معطفه الكستنائي المتهترىء. وكان قميصه التحتاني المتحول رمادياً ظاهراً. كان عليه أن يضع قبعة السخيفة الخاصة بخادم الفندق بشكل جانبي مائل، وقد غار إشارها البلاستيكي في غيبته المتدلية. لقد بدا قاسياً بشكل غير ضروري إجبار رجل عجوز على ارتداء قبعة جانبياً بهذا الشكل وإعادة تنظيم بشكل اعتباطي متمسك الطريقة التي اختارها العمر في أن يتدلّى من ذقنه.

(١) - أصوات السيارات على أرض براقة ناعمة. (المترجمة).

(٢) - Beliboy، الترجمة الحرفية: صبي الجرس. (المترجمة).

كان هناك المزيد من الدرجات الحمر ليصعدوها. السجادة الحمراء من قاعة السينما ذاتها كانت تتبعهم. سجادة طائرة سحرية.

كان تشاكو في غرفته. ضُبط يتلذذ. دجاج مشوي، رقائق اصبعية، ذرة حلوة وشوربة دجاج، قطعنا خبز وبوظة فانيلا مع صلصة شوكولاتة. صلصة في قارب صلصة. كان تشاكو كثيراً ما يقول أن طموحه لو يموت من فرط الأكل. ماماتشي تقول أنها إشارة أكيدة على تعاسة مكتوبة. لكن تشاكو يقول أن لا شيء من هذا القليل. وأن الأمر شره محض.

كان تشاكو مرتبكاً لرؤيته الجميع عائدين باكراً جداً، لكنه تظاهر باللامبالاة. واستمر في التهام طعامه.

كانت الخطوة الأصلية أن بنام مع تشاكو، وراحيل مع أمو ويبي كوتشاما. لكن الآن وحيث أن إستا لم يكن بحالة جيدة والحب قد أعيد توزيعه (كانت أمو تحبها أقل قليلاً)، فإنه سيكون على راحيل أن تنام مع تشاكو، وإستا مع أمو ويبي كوتشاما.

أخرجت أمو بيجامة راحيل وفرشاة أسنانها من الحقيبة ووضعتهما على السرير.

«خذي»، قالت أمو.

طقطقتان لتتغلق الحقيبة.

طقطقة. وطقطقة.

«أمو»، قالت راحيل «هل يجب أن أفوت العشاء كعقوبة لي؟»

كانت متحمسة لتبادل العقوبات. لا عشاء، في مقابل ان تحبها أمو كالسابق.

«كما يحلو لك»، قالت أمو. «لكن أنصحك أن تأكلي. إذا أردت أن تكبري، هذا هو الأمر. ربما تستطيعين أن تشاركي تشاكو في القليل من دجاجاته.»

«ربما وربما لا»، قال تشاكو.

«لكن ماذا عن عقوبتي؟» قالت راحيل. «لم تعاقبيني!»

«بعض الأمور تأتي مع عقوباتها الخاصة»، قالت يبي كوتشاما. وكأنها كانت تشرح استنتاجاً لا تستطيع راحيل فهمه.

بعض الأمور تأتي مع عقوباتها الخاصة. مثل غرف نوم مع خزائن مبنية داخلها. سيتعلمون جميعاً أكثر بخصوص العقوبات قريباً. أنها تأتي في قياسات مختلفة. أن بعضها كانت كبيرة جداً، كانت مثل الخزائن المبنية داخل غرف النوم. بإمكانك قضاء حياتك بأكملها داخلها، هائماً في الإقصاء المظلم.

تركت قبلة يبي كوتشاما الخاصة بتصبحين على خير، قطرة بصاق صغيرة على خد راحيل. مسحها بكتفها.

«تصبحين على خير فليباركك الله» قالت آمو. لكنها قالتها بظهرها. كانت قد ذهبت مسبقاً.

«تصبحين على خير» قال إستا، أكثر مرضاً من أن يعجب أخته.

راقبتهم راحيل الوحيدة ينزلون ممر الفندق مثل أشباح صامتة لكن حقيقية. اثنان كبيران، وواحد صغير بحذاء ييج مستدق الطرف. أبعدت السمجادة الحمراء أصوات خطواتهم.

وقفت راحيل في مدخل غرفة الفندق مليئة بالحزن.

كان في أعماقها حزن قدوم صوفي مول. حزن كون آمو تحبها أقل قليلاً. وحزن أيّ كان ما فعله رجل مشروبات البرتقال والليمون لإستا في أبهاليش توكيز.

هبت ربح قارصة عبر عينيها المتوجعتين الجافتين.

وضع تشاكو رجل دجاجة وبعض رقائق أصبعية في ريع صحن من أجل راحيل.

«لا شكراً لك» قالت راحيل، متأملة أن تلغي آمو عقوبتها، إذا ما استطاعت هي بطريقة ما أن تطبق عقوبتها الخاصة.

«وماذا عن قليل من البوظة مع صلصة شوكولاتة؟» قال تشاكو.

«لا شكراً لك» قالت راحيل.

«حسناً» قال تشاكو. «لكنك لا تدريين ماذا تفوتين.»

أنهى كل الدجاج ومن ثم كل البيوضة.

بدلت راحيل وارتدت بيجامتها.

«أرجوك ألا تخبريني عن سبب معاقبتك»، قال تشاكو. «لا أستطيع احتمال معرفته.» كان يسمح صلصة الشوكولاتة الأخيرة في مركب الشوكولاتة مع قطعة من بارائاس. حلواه المقرقة لما بعد الحلوى. «ماذا كان السبب؟ حك قرصات البعوض حتى نفدت؟ عدم قول «شكراً» لسائق التاكسي؟»
«أمر أكثر سوءاً بكثير من ذلك»، قالت راحيل وفيه لآمو.

«لا تخبريني»، قال تشاكو. «لا أريد أن أعرف.»

قرع من أجل خدمة الغرف، وقدم حامل مرهق ليأخذ الأطباق والمظام. حاول أن يمسك بروائح العشاء، لكنها هربت وتسلفت داخل ستائر الفندق البنية الرخوة.

ابنة أخت دون عشاء وخالها المنيء بالعشاء، نظفاً أسنانهما سوية في حمام فندق ملكة البحر. هي، مدانة قصيرة بدينة مهجورة بائسة في ييجامة مخططة ونافورة الحب - في - طوكيو. وهو، في صدره القطني وبنطاله الداخلي. صدره، مشدود ومطوط فوق معدته الدائرية مثل جلد ثاين، تقاعس فوق غور صرته.

عندما تبنت راحيل فرشاة أسنانها المزيدة وحركت أسنانها عوضاً عنها، لم يقل أن عليها ألا تفعل ذلك.

فهو ليس فاشياً.

بصفاً كلّ بدوره. تفحصت راحيل ملياً رغوة البيانكا^(١) البيضاء وهي تسيل إلى الأسفل على جانب الحوض بتأين، لترى ما تستطيع ان تراه.

(١) - بيانكا: نوع من أنواع معجون الأسنان. (المترجمة).

ما هي الألوان والمخلوقات الغريبة التي لُفِظت من الفراغات التي بين
أسنانها؟

لا شيء الليلة. لا شيء غريب. فقط فقاعات يائناكا.

أطفأ تشاكو النور الكبير.

في السرير، نزع راحيل الحب - في - طوكيو خاصتها ووضعها بجانب
نظارتها الشمسية. هبطت نافورتها قليلاً، لكنها بقيت واقفة.

استلقى تشاكو في السرير في بركة من النور من مصباح سرير الجانبي.
رجلاً سميناً على مسرح معتم. امتد إلى قميصه الملقي مجدداً عند قدم سرير.
أخرج محفظته من جيبه، ونظر إلى صورة صوفي مول التي أرسلتها له مارغريت
موتشاما منذ عامين.

راقبت راحيل ونشرت قرائتها الباردة أجنحتها ثانية. يبطء نحو الخارج،
يبطء نحو الداخل. ومضة كسولة لحيوان مفترس.

كانت الشراشف خشنة لكن نظيفة.

أغلق تشاكو محفظته وأطفأ النور. في العتمة، أشعل شارمينار^(١) وتساءل
كيف تبدو ابنته الآن. في التاسعة من عمرها. في آخر مشهد لها كانت حمراء
ومتغضنة. بالكاد إنسان. بعد ثلاثة أشهر، مارغريت زوجته، حبه الوحيد، بكث
وأخبرته عن جو.

أخبرت مارغريت تشاكو أنها لم يعد باستطاعتها العيش معه. أخبرته أنها
تحتاج لقضائها الخاص. وكأن تشاكو كان يستخدم رفوفها هي من أجل
ملايسه هو. الأمر الذي، بمعرفته، من الجائز أنه قد فعله.
طلبت منه الطلاق.

تلك الليالي الملوّعة القليلة الأخيرة قبل أن يغادرها، كان تشاكو يتزلق

(١) - نوع سيجار. (المترجمة).

خارج سريره مع مصباحه اليدوي وينظر إلى طفلة النائمة. ليدرسها. ليطلعها في ذاكرته. ليضمن أنه حين يفكر فيها؛ فإن الطفلة التي سيستحضرها ستكون صحيحة تماماً. حفظ عن ظهر قلب الجزء السفلي البني لجمعيتها الطرية. شكل فمها المجعد المتحرك باستمرار. الفراغات التي بين أصابع قدميها. اقتراح شامة. ومن ثم، ودون أن يقصد وجد نفسه يفتش في ابنته عن علامات لـ«جو». قبضت الطفلة على أصبعه الكشاف بينما كان يقود دراسته (المضاء بمصباح يدوي)، الحسودة المخطمة والمجنونة. برزت صرّتها من بقعة معدتها المتخمة مثل نصب تذكاري مقبّب فوق هضبة. وضع تشاكو أذنه مقابلها واستمع بتعجب إلى القرقرة في الداخل. كانت الرسائل تُرسل من هنا إلى هناك. أعضاء جديدة تعرّف على بعضها البعض. حكومة جديدة تؤسس أنظمتها. منظمة توزيع العمل، مقررّة من سيقوم بماذا.

كانت تفوح برائحة حليب وبول. دُهش تشاكو كيف أن أحداً في هذه الدرجة من الصغر وعدم التحديد، مبهماً جداً في شبهه، من الممكن أن يفرض الانتباه والحب وسلامة العقل على رجل ناضج.

عندما غادر، شعر أن شيئاً قد مُزّق منه. شيئاً كبيراً.

لكن جو ميت الآن. قتل في حادث سيارة. ميت مثل مقبض باب. ثقب بشكل جو في الكون.

في صورة تشاكو، كانت صوفي مول في السابعة من عمرها. بيضاء وزرقاء. زهرية الشفاه، ليست مسيحية سورية في أي مكان. بالرغم من أن ماماتشي المجددة في الصورة، أضرت أن لها أنف باباتشي.

«تشاكو؟» قالت راحيل من سريره المعثم. «هل أستطيع أن أسألك سؤالاً؟»

«سألي اثنين»، قال تشاكو.

«تشاكو، هل تحب صوفي مول أكثر من أي أحد آخر في العالم؟»

«إنها ابنتي»، قال تشاكو.

أخذت راحيل ذلك في اعتبارها.

«تشاكو؟ هل من الضروري أن على الناس أن يحبوا أولادهم أكثر من أي أحد آخر في العالم؟»

«لا توجد قواعد»، قال تشاكو. «لكن الناس يفعلون ذلك عادة.»

«تشاكو على سبيل المثال»، قالت راحيل. «فقط على سبيل المثال، هل من الممكن ان تحب أمو صوفي مول أكثر مني ومن إستا؟ أو ان تحبني أنت أكثر من صوفي مول، على سبيل المثال؟»

«أي شيء ممكن في الطبيعة البشرية»، قال تشاكو في صوته العالي الخاص بالقراءة. «متكلماً إلى العتمة الآن، فاقداً الاحساس فجأةً بآبنة أخته الصغيرة ذات الشعر النافوري. «الحب. الجنون. الأمل. الفرحة اللانهائي.»

من بين الأمور الأربعة المحتملة في الطبيعة البشرية، اعتقدت راحيل أن الفرحة اللانهائي يبدو الأكثر حزناً. ربما بسبب الطريقة التي قالها فيها تشاكو. الفرحة اللانهائي. بصوت كئاسي. مثل سمكة حزينة بزعانف على جميع أنحاء جسمها.

فراثة باردة رفعت ساقاً باردة.

تمزج دخان السيجارة في الليل. واستلقى الرجل السمين والفتاة الصغيرة مؤرقين في الصمت.

على بعد بضعة غرف، وبينما كانت البيبي أخت جدته تشخر، استيقظ إستا.

كانت أمو نائمة وجميلة في ضوء ليل الطريق المخطط الداخلى من خلال النافذة المزودة بقضبان. ابتسمت ابتسامة نوم حاملة بدلافين وبأزرق غامق مخطط. كانت ابتسامة لا تحمل أية علامة على أن الشخص الذي تنتمي إليه كان قنبلة على وشك الانفجار.

سار إستا الوحيد بشكل منسوج متذبذب إلى الحمام. تقياً سائلاً فواراً
براقاً ليمونياً مرأً واضحاً. الطعم اللاذع للمواجهة الأولى لرجل صغير مع
الخوف. ترالا لا.

شعر بتحتين قليل. انتعل حذاءه ومشى خارج الغرفة، مجرجراً رباط
حذاءه، في الممر، ووقف بهذوء على باب راحيل.

وقفت راحيل على كرسي وفتحت قفل الباب له.

لم يزعج تشاكو نفسه في أن يتساءل كيف كان من الممكن لها معرفة أن
إستا كان عند الباب. لقد كان معتاداً على غراباتهما في بعض الأحيان.

استلقى مثل حوت شاططي على سرير الفندق الضيق وتساءل بشأن فيما
إذا كان حقاً فيلوثا من رأته راحيل. لم يفكر بالأمر على أنه محتمل. كان كل
شيء يجري بشكل جيد مع فيلوثا. كان Paravan له مستقبل. تساءل فيما إذا
كان فيلوثا قد أصبح عضواً عاملاً في حزب الرفيق ك. ن. م. يلاي. وفيما إذا
كان يلتقي بالرفيق ك. ن. م. يلاي مؤخراً.

في وقت سابق من السنة، كانت طموحات الرفيق ك. ن. م. يلاي
السياسية قد مُنحت انتعاشاً غير متوقع. فقد طُرد عضوان محليان من الحزب
الرفيق ج. كاتوكاران والرفيق جوهان مينون كمشتبهين ناكساليين. وأحدهما -
الرفيق جوهان مينون - كان قد أُستعمل ليكون مرشح الحزب لانتخابات
كوناياما من أجل مجلس النواب التشريعي المستحقة في شباط القادم. وقد خلق
اقصاؤه عن الحزب فراغاً بحيث أن عدداً من المتأملين المتفائلين كانوا يخذعون
ويناورون ليملاؤه. من بينهم كان الرفيق ك. ن. م. يلاي.

كان الرفيق ك. ن. م. يلاي قد بدأ في متابعة ما يحدث في مخبلات
الجنة بحماسة وحرص احتياطي في لعبة كرة قدم. ليدخل اتحاد عمال جديد،
لكن صغير، إلى ما أمل أن تكون دائرته الانتخابية المستقبلية، الأمر الذي
سيكون بداية ممتازة لرحلته إلى المجلس النيابي التشريعي.

حتى ذلك الحين، وفي مخلالات اللجنة، لم تكن رفيق! رفيق! (كما كانت قد صاغتها أمس) أكثر من لعبة غير مؤذية تُلعب خارج ساعات العمل. ولكن إذا ما ارتفعت الرهانات، وانتزعت مراوغة المدير من تشاكو، كان الجميع يعرف (عدا تشاكو) أن المصنع الغارق في الديون، سيقع في كارثة.

فالأمر لم تكن تجري بشكل جيد على الصعيد المالي، كان يُدفع للعمال أجور أقل من الحد الأدنى المحدد من قبل نقابة العمال. طبعاً كان تشاكو نفسه من نبيهم إلى هذا وورعدهم أنه حالما تتحسن الأمور، فإن رواتبهم ستُعدل. كان يعتقد أنهم يشقون به ويعرفون أنه يحرص جداً على مصالحهم في أعماقه.

لكن كان هناك من يفكر بطريقة أخرى. في الأمسيات، وبعد انتهاء مناوبة المصنع، كان الرفيق ك. ن. م يلاي يكمن للعاملين في مخلالات اللجنة ويسوقهم إلى مطبعتة. وبصوته النحيل الخاد كان يدفعهم إلى الثورة. تناول في خطباته مزيجاً ذكياً من القضايا المحلية الوثيقة الصلة بالموضوع وبلاغه ماوية^(١) مفحمة والتي بدت أنخم حتى بالمال بالأم.

«يا شعوب العالم»، كان يترنق «كونوا شجعان، تهرولوا على القتال، تحمّلوا الصعاب وتقدموا موجة إثر موجة. عندها العالم بأجمعه سيكون للشعوب. يجب أن تباد الوحوش من كل الأنواع. يجب أن تطالبوا بحقوقكم. علاوات سنوية. صناديق إ ذخار. تأمين ضد الحوادث». حيث كانت هذه الخطابات بروفة لحين يخطب العضو المحلي للمجلس النيابي التشريعي، الرفيق ك. ن. م يلاي، في الجماهير المحتشدة، فقد كان هناك شيء غريب في حديثها وإيقاعها. كان صوته مليئاً بحقول الأرز الخضراء والرايات التي تنحني تحت سمات زرقاء بدلاً من غرفة صغيرة حارة ورائحة حبر الطابعة.

لم يجاهر الرفيق ك. ن. م يلاي علانية أبداً ضد تشاكو. وكلما كان يشير إليه في خطباته كان حريصاً على تجريده من سماته الانسانية وتقديمه

(١) - نسبة إلى ماو. (الترجمة).

كمجرد موظف في مؤامرة كبيرة. بناء نظري. يدق بيد المؤامرة البرجوازية الفاحشة الشيعة لتقويض الثورة. لم يكن يُشير إليه أبداً بالاسم، وإنما دوماً بـ «الادارة». وكأن تشاكو كان العديد من الناس. علاوة على كونه الشيء الصحيح الذي يجب أن يفعل تكتيكياً، هذا الفصل بين الرجل وعمله، ساعد الرفيق بيلاي على المحافظة على ضميره مرتاحاً بشأن معاملاته التجارية الخاصة مع تشاكو. أعطاه عقده في طباعة ملصقات مغللات الجنة دخلاً كان في أشد الحاجة إليه. قال لنفسه أن تشاكو - الزبون وتشاكو - الادارة، كانا شخصين مختلفين. مستقلين تماماً بالطبع عن تشاكو - الرفيق.

كان فيلوثا التواء الوحيد في ترتيبات الرفيق ك. ن. م. بيلاي. فمن بين جميع العمال في مغللات الجنة، كان فيلوثا الوحيد عضواً يحمل بطاقة الحزب، وذلك أعطى الرفيق بيلاي حليفاً كان يفضل ألا يكون. فهو يعرف أن بقية العمال غير المنبذين ممنعضون من فيلوثا لأسباب قديمة تخصهم. كان الرفيق بيلاي يخطو بحذر حول هذه العثرة، منتظراً فرصة مناسبة ليزيلها.

بقي على اتصال مستمر مع العمال. وجعل من أولوياته أن يعرف بالضبط ماذا يجري في المصنع. سخر منهم لقبولهم الأجور الزهيدة، في حين أن حكومتهم، حكومة الشعب، كانت في السلطة.

وعندما جلب يوناتشين المحاسب الذي يقرأ لماماتشي الصحف كل صباح، أخباراً عن أقاويل بين العمال حول المطالبة بزيادة، غضبت ماماتشي. «قل لهم أن يقرؤوا الصحف. هناك مجاعة قائمة. لا يوجد هناك وظائف. الناس يموتون من الجوع. يجب أن يكونوا ممتنين لأن لديهم عملاً في الأصل.»

كلما حدث أي شيء هام في المصنع، كانت الأخبار تُنقل دوماً إلى ماماتشي وليس إلى تشاكو. ربما لأن ماماتشي كانت تتلاءم كما ينبغي مع المخطط التقليدي. كانت الرئيس الحقيقي. وتقوم بدورها تماماً. فقد كانت ردودها، القاسية على أية حال، مباشرة ومتنبأ بها. بينما تشاكو، من الناحية

الأخرى، بالرغم من كونه رجل البيت، وبالرغم من أنه كان يقول، «مخللاتي أنا، مربياتي أنا، بودة الكاري خاصتي»، إلا أنه كان مشغولاً جداً بتجريب أزياء مختلفة مما كان يشوش خطوط الحركة.

حاولت ماماتشي أن تحذر تشاكو. سمعها، لكنه لم يكن يُصغي إلى ما تقوله. وهكذا بالرغم من الهدير المبكر للاستياء في فرضيات **مخللات الجنة**، استمر تشاكو في بروفته للثورة، في لعب رفيق! رفيق!

تلك الليلة، على سرير الفندق الضيق، كان يفكر باسترخاء حول التمهيد لأخذ مكان الرفيق يلاي بتنظيم عماله في نوع من اتحاد عمال خاص. سينظم انتخابات لهم. سيجعلهم يصوتون. سيكون بإمكانهم شغل مناصب ممثلين منتخبين كل بدوره. ابتسم لفكرة إقامة مفاوضات طاولة مستديرة مع الرفيق سوماتي، أو، حتى أفضل، الرفيق لاكيكوتين الذي يملك شعراً أجمل بكثير.

عادت أفكاره إلى مارغريت كوتشاما وصوفي مول، أربطة عاتية عنيفة من الحب أحكمت حول صدره حتى استطاع بالكاد أن يتنفس. اضطجع مستيقظاً وأحصى الساعات الباقية لهم ليغادروا المطار.

على السرير المجاور، نام انة أخته وابن أخته وذراعاها حول بعضهما البعض. توأم حار وآخر بارد. هو وهي. نحن ونا^(١). غير غافلين تماماً، بطريقة ماء، عن إشارة الهلاك وكل ما ينتظرهما في الأجنحة.

حلما بنهرهما.

بأشجار جوز الهند التي انحنت داخله وراقبت بعينين جوز هنديتين، القوارب وهي تنزلق عابرة. عكس التيار في الصباحات. وباتجاه التيار في الأمسيات. وبالصوت الرتيب المتجهم لعصي الملاحين الخيزرانية وهي ترتطم على حشب القارب الغامق المزيت.

(١) - ضمير المتكلم للجماعة. (المترجمة).

كانت دافئة، المياه. خضراء رمادية. مثل حرير متموج.
بأسماكها...

بسمائها وأشجارها...
وفي الليل، القمر الأصفر المكسور فيها.

وأصبحت تعين من الانتظار، صعدت روائح العشاء من السمائر وانجرفت
عبر نوافذ ملكة البحر لترقص الليل بعيداً على بحر يفوح برائحة عشاء.
كان الوقت الثانية إلّا عشر دقائق.

بلد الله الخاص

بعد سنوات من ذلك، عندما عادت راحيل إلى النهر، حياها باهتمام
جمجمة مريمة، ويتجوف موضع الأسنان، ويد هزيلة رخوة ارتفعت من سرير
مستشفى.

أمران اثنان كانا قد حدثا.

تقلص هو. وهي كبرت.

كان قد شيد سد للمياه المالحة باتجاه التيار، في مقابل تصويت جماعة
مزارعي الأرز النافذين. كان السد ينظم تدفق المياه المالحة القادمة من المياه
الراكدة المفتوحة على بحر الخليج العربي. وهكذا أصبح لديهم حصصان بدلاً
من واحد في السنة. أرز أكثر، كئمن لنهر.

بالرغم من حقيقة أنه كان شهر حزيران، وأنها كانت تمطر، لم يكن النهر
أكثر من مجرور متورم. شريطة رقيقة من المياه السمكة التي تلتف بضجر في
الضفتين الموحلتين على كلا الجانبين، مرصعة بالانحراف العرضي للأسماك
الفضية الممتة. كان مختنقاً بالأعشاب الغضة التي كانت جذورها البنية الغروية
تتموج مثل مجسات تحت الماء. كوارع زنبقة يروترية الأجنحة مشت عبره.
مفلطحة الأرجل. حذرة.

فيما مضى كان لديه القدرة على إثارة الخوف. على تغيير الحيوانات. ولكن الآن، شحبت أسنانه وأستهلكت روحه. عشب شريطي أخضر موحل يقود النفاية المنتنة إلى البحر فحسب. أكياس بلاستيكية براقه هبتت عبر سطحه اللزج المليء بالأعشاب الضارة، مثل أزهار شبه استوائية مرفرفة.

والدرجات الحجرية التي كانت في الماضي تقود السابحين مباشرة داخل الماء، والصيادين إلى الأسماك، كانت قد هُجرت تماماً وأصبحت تقود من لا مكان إلى لا مكان، مثل نصب تذكاري عبثي سخييف يحيي ذكرى لاشيء. واندفعت السراخس عبر التشققات.

على الجهة الأخرى من النهر، تحولت ضفاف النهر الموحلة شديدة الانحدار على نحو مفاجيء إلى جدران وحل مخفضة من معسكرات الأكواخ. كان الأطفال يدلون مؤخراتهم ويتغوطون مباشرة فوق الوحل الماص الذليل لسرير النهر المشكوف. أما الأولاد الأصغر سناً فقد كانوا يتركون خطوط خردلهم المتقطر لتحدد طريقها إلى الأسفل. أخيراً، وبحلول المساء، يستنهض النهر نفسه ويقبل عروض النهار ويرسبها في البحر، تاركاً خطوطاً متماوجة من الرغوة البيضاء في يقظته. وضد التيار، كانت أمهات نظيفات يغسلن الملابس والقدرور في الجريان غير المغشوش. والناس تستحم. أبدان مبتورة تغسل أنفسها بالصابون، مصفوفة مثل تماثيل نصفية في مرج شريطي مهتز نحيل.

في الأيام الحارة كانت رائحة الخراء تترك النهر وتحوّم فوق أيّسيم كقبة.

أبعد إلى الداخل، اشترت سلسلة فنادق خمس نجوم قلب الظلمات.

بيت التاريخ (حيث أسلاف بأنفاس الخرائط وأظافر أقدام قاسية، همسوا ذات مرة) لم يعد بالامكان الاقتراب منه انطلاقاً من النهر. كان قد أدار ظهره لأيّسيم. وأصبح نزلاء الفندق يُنقلون عبر المياه الراكدة الخلفية مباشرة من كوتشين. كانوا يصلون بقوارب سريعة، محدثين زبداً بشكل حرف V على الماء، تاركين حلفهم غشاوة قوس قزحية من البنزين.

كان المنظر جميلاً من الفندق، لكن هنا أيضاً المياه سميكة وسامة. وقد نصبت شارات *لا سباحة* بخط أنيق دارج. وبنوا جداراً طويلاً ليحجبوا حي الفقراء وليمنعوهم من الاعتداء على مزرعة كاري سايبو. لم يكن هناك الكثير مما يستطيعون فعله بشأن الرائحة.

ولكن لديهم مسبحاً يتمتعون من حوله. وتاندوري بومفريت وكريب سوزيت على لائحة طعامهم.

كانت الأشجار ما تزال خضراء، والسماء ما تزال زرقاء، الأمر الذي احتسب من أجل شيء ما. وهكذا انطلقوا وسدّوا جنتهم المنتنة - كانوا يدعونها في نشراتهم «بلد الله الخاص» - لأنهم كانوا يعرفون، جماعة الفنادق الأذكاء أولئك، أن التناة مثل فقر الناس الآخرين، مجرد قضية تعود. مسألة انضباط. الرعشة وتكييف هواء. لا أكثر.

كان منزل كاري سايبو قد لجّد ودهن. أصبح القطعة المركزية في تقاطعات تفصيلية معقدة وقنوات اصطناعية وجسور رابطة. كانت قوارب صغيرة تتمايل في الماء، وكان البنغل^(١) الاستعماري القديم بشرفاته العميقة وأعمدته الدورية^(٢)، قد أحيط بمنازل خشبية أصغر وأكثر قدماً - منازل سلفية - اشترتها سلسلة الفنادق من عائلات هرمة وزرعتها في قلب الظلمات. لعب تاريخ ليلعب فيها سياح أغنياء. كانت المنازل القديمة قد رُتبت حول بيت التاريخ في وضعية خضوع، مثل حزم الأرز في حلم يوسف، أو حشد من المواطنين المشتاقين التواقين يقدّمون عريضة إلى قاضي انكليزي. كان الفندق يُدعى «التراث».

أحب جماعة الفندق أن يخبروا زوارهم أن المنزل الأقدم من المنازل الخشبية، بمخزنه ذي الحشوات الكثيمة والذي كان من الممكن أن يتسع لأرز بما يكفي لإطعام جيش، كان المنزل الموروث للرفيق ي. م. س. نامبودرياد، «الماو

(١) - منزل بطابق واحد. (المترجمة).

(٢) - خاص بأقدم وأبسط الطرز المعمارية الاغريقية القديمة. (المترجمة).

تسي - تانغ الخاص بكيرالا ، كما كانوا يشرحون لغير العارفين. كانت المفروشات والتحف معروضة. مظلة خيزرانية. كنبه من أغصان أملود. صندوق دوطه خشبي. وكانت مُعلّمة بلصاقات معروفة تقول: مظلة كيرالية تقليدية و صندوق دوطه زفاني تقليدي.

وهكذا إذن التاريخ والأدب معجّنان للبيع والشراء. كورنر وكارل ماركس يشاركان التخيل في تحية السياح الأغنياء وهم ينزلون من قواربهم. كان يُستخدم منزل الرفيق نامبودرياد كغرفة طعام الفندق، حيث يرشّف سياح نصف مدبوغين بالشمس، في ثياب استحمام، ماء جوز هند ريان (مُقَدّم في قواقع)، وحيث ينحني قليلاً شيوعيون قدماء يعملون الآن كحاملين منزّلين في ثياب عرقية عنصرية ملونة خلف صواني المشروبات.

في الأمسيات (ومن أجل نكهة محلية) كان الزوار يُستضافون ليقطعوا مسرحيات كاثا كالية (وأما انتباه قصيرة) كان أناس الفندق يشرحون للراقصين). وهكذا انهارت وبُثرت قصص عريقة. وابتسرت كلاسيكيات مدتها ست ساعات إلى ظهور مختصر من عشرين دقيقة.

كانت تُقدّم الرقصات على طرف المبح. وبينما تُقرع الطبول ويرقص الراقصون، يمرح زوار الفندق مع أطفالهم في الماء. وبينما تذيع كونتي سرها لكارنا على ضفة النهر، يذلك أزواج متغازلين زيت البرونزاج لبعضهما البعض. وفيما يلعب آباء ألباهاً جنسية تصعيدية مع بناتهم المراهقات القابلات للزواج، كانت يوثانا تُرضع كريشنا الصغير من صدرها المسم. وبهيمتا تنزع أحشاء دوشاسانا ونحمم شعر دراوبادي في دماثة.

كانت الشرفة الخلفية لبيت التاريخ (حيث تُجمع حشد من رجال الشرطة غير المنبوذين، وحيث انفجرت أوزة قابلة للنفخ) قد أغلقت وتحولت إلى مطبخ هوائي. لم يكن هناك أسوأ من الكباب وكستر الكارميلا الذي كان يُصنع هناك. كان الرعب قد انتفضى. قُهر برائحة الطعام. أسكت بهممة الطهارة. بالتقطيع المبتهج لقطع الرنجيل والثوم. بزغ أحشاء أحطّ الثدييات - الحنازير والماعز. بتكعيب اللحم. ونزع حراشف السمك.

شيء ما تمدد مدفوناً في الأرض. تحت العشب. تحت ثلاثة وعشرين عاماً
من مطر حزيران.

شيء صغير منسي.

لا شيء قد يفقده العالم.

ساعة معصم بلاستيكية لطفلة، بالوقت مرسوم عليها.

كانت تعلن الثانية إلا عشر دقائق.

تبعت كوكبة من الأطفال راويل في نزهتها.

«مرحباً. أيتها الهيبة»، قالوا، متأخرين جداً بخمسة وعشرين عاماً. «ما

اسمك؟»

ثم رماها أحدهم بحجر صغير، وأفلتت طفولتها، مرفقة أذرعها النحيلة.
في طريق عودتها، وهي تدور حول منزل أيميم، برزت راويل على
الطريق الرئيسية. هنا أيضاً كانت المنازل قد نبتت كالقطن. ولم تكن هناك
سوى حقيقة أنها قد عشتت تحت الأشجار، وإن الدروب التي تنفرع عن
الطريق الرئيسية وتقود إليها، لم تكن صالحة لمروء المركبات، مما أعطى أيميم
مظهر السكون الريفي. في الواقع، كان سكانها قد تضخموا إلى حجم مدينة
صغيرة. وخلف الواجهة الهشة للحضرة كانت تعيش جمهرة من الناس تستطيع
أن تتجمع في لحظة الإحطار. ليضربوا حتى الموت سائق باص مهملاً. ليسحقوا
الواجهة الزجاجية لسيارة تجرأت أن تخاطر في يوم مظاهرة للمعارضة. ويسرقوا
أنسولين يبي كوتشاما المسترود وكمكبات الزبدة خاصتها التي أتت طوال
الطريق من بيسن باكري^(١) في كوتايام.

خارج المطبعة المحظوظة، كان الرفيق ك. ن. م يلاي واقفاً عند جداره
يتكلم مع رجل على الجهة المقابلة. كانت ذراعاً الرفيق يلاي متصلبتين فوق
صدره، وكان يحضن إبطيه بشكل غيور وكأن أحدهم كان قد طلب

(١) - أفضل مخبز. (المترجمة).

استعارتهما ورفض هو للتو. كان الرجل عبر الجدار يخلط باقة من الصور في كيس بلاستيكي في هيئة اهتمام مفتعل. كانت الصور في معظمها لابن الرفيق ك. ن. م. بيلاي، لينين، الذي يعيش ويعمل في دلهي - حيث يقوم بأعمال الدهان والسمكرة وأية أعمال كهربائية - للسفارتين الهولندية والألمانية. ومن أجل تهدة أية مخاوف قد تكون لدى زبائنه بشأن ميوله السياسية، كان قد عدل اسمه قليلاً. كان يدعو نفسه الآن ليفين. ب. ليفين.

حاولت راحيل أن تعبر دون أن تلاحظ. لقد كان سخفاً منها أن تتصور أن بإمكانها القيام بذلك.

«ها، البنيت راحيل!» قال الرفيق ك. ن. م. بيلاي، متعرفاً عليها حالاً.

«أوركونيللي؟ العم الرفيق؟»

«وير»، قالت راحيل.

هل تذكرته؟ قالت نعم.

لم يكن لا السؤال ولا الجواب يعنيان شيئاً أكثر من تمهيد مذهب لمحادثة. كلاهما، هو وهي، كانا يعلمان أن هناك أموراً من الممكن أن تُنسى. وأمرراً لا يمكن نسيانها - تجلس على رفوف مغبرة مثل طيور محتطة بعيون مؤذية محدقة جاسياً.

«إذا» قال الرفيق بيلاي. «أعتقد أنك في أميركا^(١) الآن؟»

«لا»، قالت راحيل. «أنا هنا.»

«نعم نعم»، بدا متبرماً قليلاً، «لكن بطريقة أخرى في أميركا، أعتقد؟»

فلك الرفيق بيلاي تصالب ذراعيه. استرقت حلمته النظر إلى راحيل من فوق الجدار مثل عيني القديس بيرنارد الحزيتين.

«هل عرفتها؟» سأل الرفيق بيلاي الرجل صاحب الصور، مشيراً إلى

راحيل بذقنه.

(١) - أميركا. لفظها على طريقة الهنود. (المترجمة).

لم يعرفها الرجل.

«ابنة ابنة مخملات جنة كوتشاما القديمة»، قال الرفيق بيلاي.

بدا الرجل مشوشاً. من الواضح أنه كان غريباً. وليس آكل مخملات. حاول الرفيق بيلاي مسماراً مختلفاً.

«يونيان كونجو؟» سأله. ظهر بطريق انطاكيا بشكل موجز في السماء - ولوح بيده الداوية.

بدأت الأمور تأخذ مكانها بالنسبة للرجل صاحب الصور. هزّ رأسه بحماس.

«ابن يونيان كونجو؟ بنان جون إبي؟ الذي كان في دلهي؟» قال الرفيق بيلاي.

«أوير أوير أوير»، قال الرجل.

«هذه ابنة ابنته. في أمايركا الآن.»

أوما الموميء بينما كان نسب راحيل السلالي يأخذ مكانه بالنسبة إليه. «أوير أوير أوير. في أمايركا الآن، أليس كذلك.» لم يكن سؤالاً. كان إعجاباً محضاً.

تذكر بغموض نفحة فضيحة. لقد نسي التفاصيل، لكنه تذكر أنها تضمنت جنساً وموتاً. وأنها كُتبت في الجرائد. بعد صمت وجيز وسلسلة أخرى من الالامئات الصغيرة، سلم الرجل كيس الصور للرفيق بيلاي.

«حسناً إذن، يا رفيق، سأرحل.»

كان عليه ان يلحق بياص.

«إذا!» اتسقت ابتسامة الرفيق بيلاي وهو يحول كل اهتمامه إلى راحيل. كانت لثة وردية على نحو مريع، المكافأة على نباتية عمر عنيده. إنه ذلك النوع من الرجال الذين من الصعب تخيل أنهم قد كانوا صبياناً. أو

أطفالاً. كان يبدو وكأنه قد وُلد كيهلاً. بخط شعر متراجع.

«زوج البنت؟» أراد أن يعرف.

«لم يأت»

«هل هناك من صور؟»

«لا.»

«الاسم.»

«لاري. لاورنس.»

«ویر. لاورنس.» هزّ الرفيق برأسه وكأنه كان موافقاً عليه. وكأنه إن أعطي خياراً، فسيختاره هو بالضبط.

«أية ذرية؟»

«لا.» قالت راحيل.

«ما زال في مراحل التخطيط، كما أفترض؟ أم أنك تنتظرين؟»

«لا.»

«لا بد من واحد. صبيّاً بنتاً. أياً كان.» قال الرفيق يلاي. «الشان هو

خيارك بالطبع.»

«نحن مطلقان.» أملت راحيل أن تصدمه و تسكته.

«مط - لقان ؟» ارتفع صوته إلى نبرة عالية لدرجة أنه رفع بإشارة

الاستفهام. حتى انه لفظ الكلمة وكأنها صيغة موت.

«إن ذلك هو النحس الأكبر»، قال، عندما ثاب. ولسبب ما كان

يستخدم لغة كتيبة لا لمسة فيها. «الن - حس الأكبر».

ظهر للرفيق يلاي ان هذا الجيل من الممكن أنه يدفع ثمن انحطاط أسلافه

لبرجوازي.

أحدهما كان مجنوناً. والأخرى مط - لقة. ومن المحتمل أن تكون عاقراً.

ربما كانت هذه هي الثورة الحقيقية. بدأ البرجوازيون المسيحيون تدمير

الذات.

أخفض الرفيق ييلاي صوته وكأنه هنالك من يستمع، بالرغم من خلو المكان.

«والصبي؟» همس على انفراد. «كيف هو؟»

«بخير»، قالت راحيل. «إنه بخير».

بخير. مسطح وبلون العسل. إنه يمسك ملاهسه بصابون مقتت.

«يوو باغام^(١)»، همس الرفيق ييلاي، وتدلت حلمته بفزع زائف. «يا للمسكين».

تساءلت راحيل عما جناه من سؤالها بهذا القرب ومن ثم تجاهل إجاباتها كنيأ. من الواضح أنه لم يكن يتوقع منها أن تقول الحقيقة، ولكن لماذا لم يكلف نفسه على الأقل بالنظاهر بعكس ذلك؟

«لينين في دلهي الآن»، جهر بها الرفيق ييلاي أخيراً، عاجزاً عن إخفاء فخره. «إنه يعمل مع سفارات اجنبية. انظري!»

سلم راحيل كيس السيولوفان. كانت في معظمها صورةاً للينين وعائلته. زوجته، ولده، دراجته الباجاج^(٢) الجديدة. كانت هناك واحدة للينين وهو يصافح رجلاً أنيقاً جداً، رجلاً وردياً للغاية.

«السكرتير الأول الألماني»، قال الرفيق ييلاي.

بدا لينين وزوجته مبتهجين في الصورة. وكأنهما كانا قد حصلوا على براد جديد في قاعة استقبائهما ودفعة أولى في شقة.

تذكرت راحيل الحادثة التي جعلت لينين يسبح إلى داخل المركز كشخص حقيقي بالنسبة لها ولإستا، عندما توقفا عن اعتباره كمجرد ثبة في ساري أمه. كانت هي وإستا في الخامسة من عمرهما، وكان لينين في الثالثة

(١) - مثير للشفقة. (الترجمة).

(٢) - اسم ماركة دراجة هوائية. (الترجمة).

ربما أو الرابعة. التقوا في عيادة الدكتور فيرغيس فيرغيس (طبيب أطفال كوتاياما ولاس الأمهات الطبيعي). كانت راحيل مع أمو وإستا (الذي كان قد أصّر على أن يذهب معهما). وكان لينين مع أمه، كالاياني. كان لدى راحيل ولينين الشكوى ذاتها - أشياء غريبة مقيمة في أنفيهما. يبدو الأمر مصادفة عجيبة الآن، لكن بطريقة ما لم يكن يبدو كذلك عندها. إنه لمن الطريف كيف تكمن السياسة حتى في ما يختاره الأطفال لخشيتهم أن يفهم به. هي، حفيدة عالم حشرات امبراطوري، وهو ابن عامل راديكالي أساسي في الحزب الماركسي. وهكذا، هي خرزة زجاجية، وهو غرام أخضر.

كانت غرفة انتظار محتشدة.

همهمت أصوات شريرة من وراء ستارة الطبيب، مقطوعة بعواءات من أولاد بربرين. كان هناك صليل زجاج فوق معدن، ووشوشة فقاعات ماء يغلي. لعب صبي بلافتة (الطبيب موجود الطبيب غير موجود) الخشبية الموجودة على الجدار، محرّكاً اللوحة النحاسية إلى الأعلى والأسفل. حرق طفل محموم على صدر أمه. وشرحت مروحة السقف البطينة الهواء السميك المذعور في حلزون لانهائي دؤم ببطء نحو الأرض مثل جلد مقشور لبطاطا لانهاية.

لم يكن أحد يقرأ المجلات.

جاءت من تحت الستارة الهزيلة انني كات تسدل عبر المدخل الذي يقود مباشرة إلى الشارع، الصفعة المنزلفة القاسية لأرجل متحررة من الجسد في نعال. العالم الصاخب الهائئ لأولئك الذين لا يوجد شيء يعكّر صفاءهم.

تبادلت أمو وكالاياني الأطفال. دُفعت الأنوف نحو الأعلى، ولُويت الرؤوس إلى الخلف، وتحوّلت نحو الضوء ليُرى فيما لو تستطيع أم ان ترى ما فات الأم الأخرى أن تراه. عندما لم يُجد ذلك نفعا، استرجع لينين المرتدي مثل تاكسي - قميصاً أصفر، وبنطالاً قصيراً أسود سترتش - حضن أمه النايلوني (وعلبته الشكليس). جلس على ورود ساري وتفحص من موقع القوة المنيع ذاك

المشهد بفتور. أدخل سباته في منخره الشاغر وتنفس بصخب من فمه. كان له فرق جنب مرتب. وكان شعره قد مُلّس نحو الأسفل بزيث الأيورفيدك. كانت الشيكلس له ليصمكها قبل أن يراه الطبيب، ولتستهلك فيما بعد. كان العالم كله بخير. ربما كان صغيراً جداً ليعلم ان جو غرفة الانتظار، بالاضافة إلى الصراخ من وراء الستارة، لا بد وأن تُضاف منطقياً إلى الخوف الصحي من اعصيب ف. ف.

قام جردز بكتفين مكسوين بالشعر برحلات نشيطة عديدة بين غرفة الطبيب واسفل الحزانة في غرفة الانتظار.

ظهرت ممرضة واختفت عبر باب الطبيب الستاري المهترى. استخدمت بيراعة أسلحة غريبة. قارورة صغيرة جداً. مستطيلاً من الزجاج ملطخاً بالدم. انبوب اختبار لبول لامع مضاء من الخلف. صينية فولاذية خالية من البقع من الأبر المغلية. كان الشعر على رجليها مضغوطاً في مواجهة جوربها الأبيض نصف الشفاف. وكان الكعبان الصندوقيان لصندلها الأبيض البالي مهترئين من الداخل، ويدفعان قدميها للميلان نحو الداخل باتجاه بعضهما البعض. ثبتت دبابيس شعر بزاقة مثل أفاف معدلة قبعة الممرضة المتشاة إلى شعرها المزيت.

بدت وكأن لديها مصفاة جردان في نظارتها. فلم يبدُ عليها أنها لاحظت الجردز ذي الكتفين المكسوتين بالشعر حتى عندما انطلق ماراً بين قدميها. نادى على الأسماء بصوت عميق، مثل صوت رجل: «أ. نيتان.. س. كوسومالانا. ب. ف روشيني... ن. أمبادي...» وتجاهلت الجو الحاروني المدعور.

كانت عينا إستا صحنين صغيرين مرعوين. كان مفتوناً بلافتة الطبيب موجود الطبيب غير موجود.

صعد تيار من الهلع داخل راحيل.

«آمو، لنحاول مرة ثانية.»

أمسكت آمو مؤخرة رأس راحيل بيدها. سدّت بإبهامها الملفوف بمنديل المنخر الحالي من الخرزة. كانت كل العيون التي في غرفة الانتظار على راحيل.

كان من الممكن اعتبار ما ستقوم به أهم إنجاز في حياتها. تهيأ تعبير إستا لنفخ أنفه. تجمعت التجاعيد على جبينه وأخذ نفساً عميقاً.

استجمعت راحيل كل شجاعته. أرجوك يا رب، أرجوك أن تجعلها تخرج. من أخصص قدميها، من أعماق قلبها، نفخت في منديل أمها.

وانبثقت في اندفاع من مخاطر وإرتياح. خزانة بنفسجية صغيرة في طبقة طين برأق. مزهوة كلؤلؤة في محارة. تجتمع الأطفال لمعجبوا بها. كان الصبي الذي يلعب باللافتة لامبالياً ومُسْتَهْزِئاً.

«أستطيع أن أفعل ذلك بسهولة!» أعلن.

«حاول وانظر أية صفقة ستلتقي»، قالت أمه.

«الآنسة راحيل!» صرخت المريضة ونظرت حولها.

«خرجت!» قالت أمو للمريضة. «لقد خرجت.» أمسكت منديلها المجدد عالياً.

لم يكن لدى المريضة أية فكرة عما كانت تعنيه.

«لا بأس. سنغادر»، قالت أمو. «خرجت الخزانة.»

«تتالي»، قالت المريضة، وأغلقت عينيها خلف مصفاة الجرذان. («إنها

تصطاد جميع الأنوع» قالت لنفسها.) «س. ف. س. كوروب!»

أطلق الصبي المستهزئ عواءً بينما كانت أمه تدفعه داخل غرفة الطبيب.

غادر إستا وراحيل العيادة منتصرين. وبقي لينين الصغير ليخس منخره بأدوات فولاذية باردة من قبل الطبيب فبرغيس فبرغيس، ولشجش أمه بأدوات أخرى أكثر ليئاً.

كان ذلك لينين آنفذاً.

الآن، لديه منزل ودراجة باجا. وزوجة وفدية.

أعادت راحيل كيس الصور للرفيق يلاي وهنت بالذهب.

«دقيقة واحدة»، قال الرقيق يلالي. كان مثل راقص متعرج في سباح. يغوي الناس بحلمته ومن ثم يفرض صور ابنه عليهم. قلب رزمة الصور (دليل مصور لحياة لينين في - دقيقة، بالت - فصيل) حتى الصورة الأخيرة. «أوركونوندو؟» «Orkunnundo?»

كانت صورة قديمة بالأبيض والأسود. واحدة التقطها تشاكو بالكاميرا الرولفلكس التي أحضرتها له مارغريت كوتشاما كهديبة عيد الميلاد. كان أربعهم في الصورة. لينين، إستا، صوفي مول، وهي، واثنين قبالة منزل أيميم. وراء زينة يسي كوتشاما المتدلية في أناشيط من السقف. ونجمة من الكرتون مربوطة إلى مصباح كهربائي. كان لينين وراحيل وإستا يبدون مثل حيوانات مذعورة باغتهم أضواء سيارة. الراكب مضغوطة معاً، الابتسامات متجمدة على وجوههم، الأذرع مذبذبة إلى الجوانب، والصدور أمامية لتواجه الصورة. وكان الوقوف بشكل جانبي يُعتبر خطيئة.

فقط صوفي مول، بمهارة العالم المتقدم، كانت قد هيأت لنفسها وجهاً، من أجل صورة والدها البيولوجي. قلبت داخل جفنها خارجاً بحيث بدت عيناها مثل تويجات لحمة معزقة بالوردي (رماديتان في صورة بالبييض والأسود). كانت تضع أسناناً ناعمة مزيفة فُطعت من القشرة الصفراء لليمون حلو. وكان لسانها قد دُفع من خلال فم أسنانها وكشتبان ماماتشي الفضي في نهايته. (كانت قد اختطفته يوم وصولها ونذرت أن تمضي عطلتها وهي لا تشرب إلا من الكشتبان). كانت تحمل شمعتين مضاءتين في كل يد. وينطالها الواسع الأرجل من الدينيم^(١) تُثني ليعرض ركبة يضاء عظمية هزيلة بوجه مرسوم عليها. قبل أن تُلَقط الصورة بدقائق، كانت قد انتهت من الشرح بأنة لإستا وراحيل (داحضة أي دليل معاكس للصور والذكريات) كيف أنه كان هناك فرصة جيدة جداً في أن يكونا ابني حرام، وماذا كان «ابن حرام» يعني

(١) - نوع من القماش. (مترجمة).

حقاً. وقد استبج هذا وصفاً متضمناً للجنس وإن كان غير دقيق. «تريان، إن ما يفعلاه هو...»

كان هذا قبل أيام فقط من وفاتها.

صوفي مول.

شاربة الكشتبان.

ذات الثابت المُدَوَّل

وصلت على رحلة طيران بومباي - كوتشين. بقبعة، بينطال ذي أرجل واسعة، ومحبوبة منذ البداية.

كناغر كوتشين

في مطار كوتشين، كان سروال راحيل القصير منقطاً برقصة البولكا وما يزال مجعداً. كانت البروفات قد تُدرَّب عليها. كان يوم الأداء. ذروة أسبوع ما الذي ستعقده صوفي مول ؟

في الصباح في فندق ملكة البحر، ساعدت آمو - التي كانت قد حلمت في الليل بدلافيز وزرقة كحلية - راحيل على ارتداء عباءة المطار الرقيقة. وهي واحدة من تلك الشذوذات المحيرة في ذوق آمو، عدد من الأشرطة الصفراء الصلبة بزيئة فضية صغيرة جداً وقوس على كل كتف. وكانت التنورة المكشكشة مدعّمة بقماش بقرم^(١) ليجعلها تتموج. كانت راحيل قلقة لأنها لم تكن تنسجم حقاً مع نظارتها الشمسية.

أمسكت آمو لها سروالها القصير المنسجم المتجعد. نسأفت راحيل ويدها على كتفي آمو داخل سروالها القصير الجديد (الرجل اليسرى، الرجل اليمنى) وأعطت آمو قبلة على كل غمّازة (الخد الأيسر، الخد الأيمن). نقف المطاط بصوت واطيء فوق بطنها.

(١) - قماش قاسٍ لتجليد الكتب. (المترجمة).

«شكراً، أمو»، قالت راحيل.

«شكراً؟» قالت أمو.

«من أجل عبادتي وسروالي التقصير الجديدين»، قالت راحيل.

ابتسمت أمو. «على الرحب والسعة يا حبيبتي»، قالت، لكن بحزن.
عنى الرحب والسعة يا حبيبتي.

رفعت الفراثة التي على قلب راحيل رجلاً مزغبة. ثم أعادتها. كانت
رجلها الصغيرة باردة. كانت أمها تحبها أقل بعض الشيء.

كانت تفوح من غرفة ملكة البحر رائحة بيض وفيلتر قهوة.

في الطريق إلى السيارة، حمل إستا الترمس المعبأ بماء حنفية والذي بشكل
نسر. وحملت راحيل الترمس المعبأ بماء مغلي والذي بشكل نسر أيضاً. ترمسان
بشكل نسر عليهما نسران مفرغان من الهواء بجناحيهما ممتدين وبكرة أرضية
معلقة في محالبيهما. نسران مفرغان، كان يعتقد التوأم أنهما يشاهدان العالم
طوال النهار، ويطيران حول ترمسهما طوال الليل. يطيران بصمت كالبومة،
والقمر على أجنحتهما.

كان إستا يرتدي قميصاً أحمر بأكمام طويلة وقبة مديّة وبظلالاً أسود
ضيقة. بدت نفخة شعره متجعدة ومذهولة. مثل يياض بيضة مخفوقة جيداً.
قال إستا - لا بد من الاعتراف بذلك، ببعض الأسس - أن راحيل كانت
تبدو سخيفة بعباءتها الخاصة بالمطار. صفته راحيل، وردّ لها الصفعة.
لم يكلمها بعضهما البعض في المطار.

تشاكو الذي يرتدي عادة موندو، كان يلبس بدلة ضيقة مضحكة
وابتسامة مشرقة. سوّت أمو رباطة عنقه التي كانت غريبة ومنحرفة نحو الجانِب.
كانت قد تناولت فطورها وتشعر بالرضى.

قالت أمو، «ماذا حدث فجأة - لرجل الجماهير؟»

لكنها قالتها بغمازتيها، لأن تشاكو كان متفجراً جداً. وسعيداً بلا حدود.

لم يصفعها تشاكو.
ولذلك فهي لم تردّ له الصفعة.
اشترى تشاكو من بائع الزهور في ملكة البحر زهرتين حمراوين وحملهما
بتّان.
بشكل سمين.
يولع وحنان.

كان المحل التجاري في المطار المدار من قبل شركة تطوير السياحة
الكيرالية، مكتظاً بمهرجات^(١) الطيران الهندي (صغيرة وسط كبيرة)، فيلة من
حشب الصندل (صغيرة وسط كبيرة) وأقنعة من ورق ماشي لراقصين كاثكاليين
(صغيرة وسط كبيرة). وكانت رائحة خشب الصندل المتخمة وآباط قطن
الثيري (صغيرة وسط كبيرة) معلقة في الهواء.

في ردهة «الوصول»، كانت هناك أربعة حيوانات كنغر سميتة بالحجم
الطبيعي ذات جرايات اسميتية مكتوب عليها ~~الطبيعية~~. كان يوجد في
جراتها أعقاب سجاثر، عيدان ثقاب مستعملة، سدادات زجاجات، قواقع فول
سوداني، أوراق مجفدة وصراصير.

بلّلت لظف بصاق تانبول معدتهم الكنغرية مثل جروح حديثة.

كان لحيوانات الكنغر التي في المطار ابتسامات بأفواه حمراء.

وأذان وردية الخواف.

بدت وكأنها في حال ضغطتها فانه من الممكن أن تقول «ما - ما»
بأصوات بطارية فارغة.

عندما ظهرت طائرة صوفي مول في سماء بومباي - كوتشين السماوية،
تدافع الحشد باتجاه الدرايزين الحديدي ليروا كل شيء بوضوح أكثر.

(١) - جمع مهرجا، (الترجمة).

كانت ردهة «الوصول» جمهرة من الحب والشوق، لأن رحلة طيران بومباي - كوتشين رحلة قدم عليها المغتربون العائدون إلى الوطن.

كانت عائلاتهم قد قدمت لاستقبالهم. من كل أنحاء كيرالا. في رحلات باص طويلة. من راني، من كوميلي، من فيزهينجام، وأحضروا طعامهم معهم. ورقاقات تايوكا وتشاكا فيلايتشور للتسلي بها في طريق العودة.

كانوا جميعهم هناك - الأقارب الطرشان الذين من جهة الأم، وأقارب الأب العاجزون والمشاكسون، الزوجات المتلهفات، والأعمام الماكرون، أولاد يُجْرَوْنَ. والخطيبات لإعداد تقييمهم. زوج المعلمة ما يزال ينتظر فيزته إلى السعودية، شقيقة زوج المعلمة منتظرة دوطنتها. الزوجة الحبلى لعامل الهاتف.

«إنهم من طبقة الكتاسين غالباً.» قالت بيبي كوتشاما بتجهم، وأشاحت بنظرها عندما صوّبت أم لا ترغب في التحلي عن موقعها الجيد قرب الدرايزين، قضيب طفلها الذاهل داخل زجاجة فارغة بينما كان هو يلوح للناس حوله مبتسماً.

«سس..» هسهست أمه. بشكل مقنع في البداية، ثم بهمجية. لكن طفلها كان يعتقد أنه البابا. كان يتسم ويلوح ويتسم ويلوح. وقضيبه في الزجاجة.

«لا تنسيا أنكما سفيرا الهند»، قالت بيبي كوتشاما لراجيل وإستا. «ستعطيانهما انطباعهما الأول عن بلدكما.»

سفيرا توأم بيضتين. سعادة السفيرين! (لفيس). ييلفيس، وحـ (شرة). ماصة.

بدأت راحيل بثوبها ذي الأشرطة الصلبة ونافورتها في الحب - في - طوكيو كجنّة مطار ذات ذوق مربع. كانت محاطة بأوراق رطبة (كما ستكون مرة أخرى، في جنازة في كنيسة صفراء) وشوق متجهم. وفراثة جدها على قلبها. تجنّبت الطائر القولاذي الصارخ في السماء السماوية والذي كان يحتوي على ابنة خالها داخله، وما شاهدته كان هذا: كناغر بأفواه حمراء ذات ابتسامات ياقوتية تتحرك بثبات عبر أرض المطار.

كعب وأصبع قدم

كعب وأصبع قدم

قدم مسطحة طويلة.

نفاية المطار في جرابات أطفالهم.

مدّ الأصغر رقبته كالناس في الأفلام الانكليزية الذين يحلّون ربطات عنقهم بعد العمل. فتشت الوسطى في جرابها عن عقب سيجارة طويلة لتدّخنها. وجدت حبة كاجو قديمة في كيس بلاستيكي أسود. قضمتها بأستانها الأمامية مثل جرد. تلاعبت الكبرى باللافتة المنتصبة التي تقول شركة تطوير السياحة الكيرالية ترحب بكم مع راقص كانا كالي يقوم برقصة الناماسي. لافتة أخرى غير مؤرجحة من قبل كنفر، كانت تقول: أَلها مكب يف لحاس لباوت دنهلا^(١).

فتشت السفيرة راحيل، على نحو عاجل، خلال حشد الناس، عن شقيقها وشريكها السفير.

أنظر إستا / انظر إستا انظر /

لم يكن السفير إستا لينظر. لم يُرد. كان يراقب الهبوط الوعر وترمسه الذي يشكل نسر والمملوء بماء حنفية مدلّي حوله، وبإحساس سفلي سحيق: كان رجل مشروبات الليمون والبرتقال يعرف أين يجده. في المصنع في أيمبيم. على ضفاف الميناثال.

كانت أمو تراقب بحقيقية يدها.

وتشاكو بزهراته.

ويبي كوتشاما بشامة رقبته البارزة.

ثم خرج أناس بومباي - كوتشين. من الهواء البارد إلى الهواء الساخن. وتملّس الناس المجمدون^(٢) في طريقهم إلى ردهة الوصول.

(١) - مقلوب العبارة: أهلاً بكم في ساحل توابل الهند. (المترجمة).

(٢) - من جراء جلوسهم الطويل في الطائرة. (المترجمة).

وكانوا هناك، العائدون الغراء، في بذلاتهم «غسيل ولبس» ونظاراتهم الشمسية القوس قرحية. مع نهاية للفقر الطاحن في حقائبهم الارستقراطية. يسقوف اسمتية لمنازلهم المسقوفة بالقش، وسخانات لحمامات والديهم. شبكات مياه مجاري وأحواض عفن. ثواب ماكسي وكعوب عالية. أكمام منفوخة وحمرة شفاه. بخلاطات وفلاشات أوتوماتيكية لكاميراتهم. بمفاتيح ليحصرها، وخزائن يُقفلوها. بجوع للكبابا ولذين فيفيتشائو^(١) التي لم يأكلوها منذ وقت طويل. بحب ولحسة خجل من أن عائلاتهم التي قدمت للملاقاتهم بدوا... مغفلين. جداً. جداً... انظروا إلى الطريقة التي يلبسون بها! مؤكداً أن لديهم ثياباً نقي أكثر بالمطار! لماذا للحالايالين مثل هذه الأسنان الرهيبة؟

والمطار نفسه! إنه أشبه بمحطة باص داخلية! براز العصافير على الأبنية! أوه ولطخ البصاق على الكناغر!

آه! إن الهند في طريقها إلى الخراب.

عندما تلقي رحلات باص طويلة وانتظار طوال الليل في المطار، مع الحب ولحسة الخجل، تظهر تشققات صغيرة، والتي ستكبر وتكبر، وقبل أن ينتهوا لذلك، سيقع العائدون الغراء في الفخ خارج بيت التاريخ، وسيعاد حلم أحلامهم.

ثم، وبين بذلات «غسيل ولبس» والحقائب اللماعة، كانت صوفي مول، شاربة الكشيان.

ذات التابوت المدولب.

سارت على المدرج، والحة لندن في شعرها. خفقت الأطراف العريضة السفلية من بتطالها حول كاحليها. رفرف شعر طويل من تحت قمعتها النقشية. يد بيد أمها. والأخرى تتأرجح كيد حندي (يسار، يسار، يسار يمين يسار).

(١) - تايوكا، وسك مسلو. (الفرجة).

كان هناك

بنّت

طويلة و

بيضاء

وكان شعرها بركة لون

الزئ - جب - يل (يساريسار، يمين)

كان هناك

بنّت -

قالت لها يبي كوتشاما أن توقف ذلك.

فأوقفته.

قالت أمو، «هل بإمكانك رؤيتها، راحيل؟»

استدارت لتجد ابتها ذات السروال القصير المجدد تناجي جرابات
إسمتية. ذهبت وأحضرتها بعد تويخ. قال تشاكو أنه لا يستطيع حمل راحيل
على كتفه لأنه كان في الأصل يحمل شيئاً. زهرتين حمراوتين.
بشكل سمين.

بولع وحنان.

عندما دخلت صوفي مول ردهة «الوصول»، قرصت راحيل، ضحية
الانفعال والسخط، إمتا، بقوة. كان جلده بين أظافرها. أعطاه إمتا سواراً
صينياً، فاتلاً جلد معصمها باتجاهين مختلفين بكل يد من يديه. أصبح جلدها
معلماً ومؤلاً. كان طعمه مالحاً عندما لعقته. والبصاق على معصمها، بارداً
ومريحاً.

لم تلاحظ أمر مطلقاً.

عبر الدرايزين الحديدي الطويل الذي يفصل اللتقين من اللقا^(١)، والحين
من التبح^(٢)، انحنى تشاكو المتألق المتفجر في بذلته وربطة عنقه المائلة جانبياً

(١) - اللقاء. تعمدت الكتابة إنقاص الأحرف الباقية في غمزة ساخرة لطفلة. (المترجمة).

(٢) - التبح. تعمدت الكتابة إنقاص الأحرف الباقية في غمزة ساخرة لطفلة. (المترجمة).

لابنته الجديدة وزوجته السابقة.

في عقله، قال إمتا، «اتحن.»

«مرحباً، أيتها السيدتان»، قال تشاكو بصوته العالي الخاص بالقراءة (صوت الليلة الماضية الذي قال به، الحب، الجنون، الأمل، الفرع اللانهائي).
«وكيف كانت رحلتكما؟»

وبدا الجو مليئاً بأفكار وأمور يجب أن تُقال. لكن في أوقات كهذه، فقط الأمور الصغيرة هي التي دوماً تُقال. وتكمن الأمور الكبيرة في الداخل غير مُفصّل عنها.

«قولي مرحباً وكيف حالك؟» قالت مارغريت كوتشاما لصوفي مول.
«مرحباً وكيف حالك؟» قالت صوفي مول عبر اندرايزين الحديدي لكل واحد دوره.

«واحدة لك، وواحدة لك»، قال تشاكو بزهريته.

«وشكراً؟» قالت مارغريت كوتشاما لصوفي مول.

«وشكراً؟» قالت صوفي مول لتشاكو، مقلّدة، بهزة، إشارة استفهام أمها.

هزتها مارغريت كوتشاما قليلاً بسبب وقاحتها.

«على الرحب والسعة»، قال تشاكو. «والآن اسمحالي أن أقدم الجميع.»
ثم، ومن أحل المتفرجين والمتنصتين، لأن مارغريت كوتشاما لم تكن بحاجة فعلاً إلى تعريف، «زوجتي، مارغريت.»

ابتسمت مارغريت وهزّت زهرتها باتجاهه. زوجة سابقة، تشاكو !
صاغت شفاهها الكلمات، بالرغم من أن صوتها لم ينطقها أبداً.

كان من الممكن لأي كان أن يرى أن تشاكو رجل فخور وسعيد لأنه حظي بزوجة مثل مارغريت. بيضاء. في عباءة مزهرة مطبوعة وساقها تظهران من تحتها. وينمش بني على ظهرها. ونمش على ذراعيها.

لكن، كان الجو من حولها، حزيناً، بطريقة ما. وخلف الابتسامة، في عينيها، كان الأسى أزرق حديثاً مشعاً. جراء حادث تحطم سيارة مفجع. بسبب ثقب بشكل جو في الكون.

«مرحباً، جميعاً»، قالت. «أشعر أنني أعرفكم منذ سنوات.»
مرحباً أيها الجدار^(١)

«ابنتي، صوفي» قال تشاكو، وضحك ضحكة عصبية صغيرة تخوفاً من احتمال أن تقول مارغريت كوتشاما «ابنة سابقة». لكنها لم تفعل. كانت ضحكة سهلة الفهم. وليست كضحكة رجل مشروبات الليمون والبرتقال التي لم يفهمها إستا.

«حبا»^(٢) قالت صوفي مول.

كانت أطول من إستا. وأكبر. كانت عيناها زرقاوين رماديتين. وكان حلقها الشاحب بلون رمل الشاطئ. لكن شعرها المغطى بقبة كان بنياً محمراً غامقاً وجميلاً. ونعم (أوه نعم) كان أنف باباتشي ينظر داخل أنفها. أنف عالم حشرات امبراطوري - ضمن - أنف. أنف عاشق حشرات. كانت تحمل حقيقتها الغوغو المصنوعة في انكلترا، التي كانت تحبها.

«آمو، أختي»، قال تشاكو.

قالت آمو مرحبا على طريقة الناضجين لمارغريت كوتشاما ومر - حبا على طريقة الأطفال لصوفي مول. رابت راحيل، بعيني صقر، وحاولت أن تقيس مقدار حب آمو لصوفي مول، لكنها لم تستطع.

تسكع الضحك عبر ردهة «الوصول» مثل نسيم مفاجئ. فأدور باسي الممثل الكوميدي الأكثر شهرة والمحجوب أكثر من الجميع في السينما المالايالامية، كان قد وصل للثو (بومباي - كوتشين). مثقلاً بعدد من الظروف

(١) - استخدمت الكتابة العارة بحيث تكون على القافية مع «مرحباً جميعاً» كتفكير

هازيء لطفلة. "Hello all", "Hello wall" (الترجمة)...

(٢) - الأحرف الأخيرة من مرحبا. (الترجمة).

صعبة التدبير ويتملق علي عام جريء، فشر أنه مضطر للتمثيل. كان ما يفك
يوقع طروده ويقول، «Eee sadhananga | Ende Deivomay»^(١)

ضحكك إستا ضحكة عالية مبتهجة.

«انظري أمو! إن آدور باسي يوقع أشياء»!

«إنه يفعل ذلك عمدًا»، قالت بيبي كوتشاما في لهجة بریطانية جديدة
غريبة. «تجاهلوه، فحسب».

«إنه يمثل أفلام»، شرحت لما رغبت كوتشاما وصوفي مول، جاعلة آدور
باسي يبدو وكأنه ممثل أف يقوم من وقت لآخر بلام^(٢). «إنه يحاول فقط
جذب الانتباه» قالت بيبي كوتشاما، ورفضت بعزم أن يُجذب انتباهها.

كانت بيبي كوتشاما مخطئة. فلم يكن آدور باسي يحاول جذب الانتباه،
كان يحاول فقط أن يستحق الانتباه الذي سبق له أن جذبته.

«خالتي، بيبي»، قال تشاكو.

انشدته صوفي مول، حدقت بيبي كوتشاما باهتمام عيني خرزتين.
كانت قد علمت بأطفال بقر وأطفال كلاب. أطفال دبة - نعم. (وقرياً ستشير
إلى راحيل بصفتها الطفلة الوطواط.) لكن أطفال خالة، أذهلتها.

بيبي كوتشاما قالت، «مرحباً، مارغريت»، و «مرحباً، صوفي مول». قالت
أن صوفي مول كانت جميلة جداً بحيث أنها ذكرتُها بجنية الخشب.
بأريل^(٣).

«هل تعلمين من كان آريل؟» سألت بيبي كوتشاما صوفي مول. «آريل
في العاصفة؟»

قالت صوفي مول أنها لا تعرف.

(١) - اوه ا يا إلهي! كل هذه الأشياء! (الترجمة).

(٢) - بسبب اللهجة التي كانت تتكلم بها، قطعت العبارة «مثل أفلام» إلى «مثل أف
لام». (الترجمة).

(٣) - روح خيثة في «العاصفة» لشكسبير. (الترجمة).

«أينما تمتص النحلة، أمتص أنا؟» قالت يبي كوتشاما. ويجوب إستا وراحيل قائلين «في جرس زهرة الربيع، أضطجع».

قالت صوفي مول أنها لا تعرف.

«في جرس زهرة الربيع، أضطجع؟»

قالت صوفي مول أنها لا تعرف.

«العاصفة لشكسبير؟» ألحّت يبي كوتشاما.

كان هذا كله، بالطبع، لتعلن قبل كل شيء، عن أوراق اعتمادها لما رغريت كوتشاما. من أجل إبعاد نفسها عن طبقة الكتاكسين.

«إنها تحاول أن تتيجح»، همس السفير أ. يلفيس في «ذن السفير ح. حشرة. أفنت ضحكة السفير راحيل في فقاعة خضراء زرقاوية (لون ذبابة ثمرة الجاك^(١)) وانفجرت في هواء المطار الحار. كان يقف! هو الصوت الذي أصدرته.

شاهدت يبي كوتشاما ذلك، وعلمت إنه كان إستا من بدأه.

«والآن إلى الشخصين المهمين جداً»، قال تشاكو (وهوما يزال يستخدم صوته العالي الخاص بالقراءة).

«ابن أختي، إستان».

«إلفيس بريسلي»، قالت يبي كوتشاما متقدمة. «أخشى أننا، هنا، متأخرون قليلاً في الزمن». نظر الجميع إلى إستا وضحكوا.

ارتفع من نعل حذاء البيج والمذنب للسفير إستا، اشعور غاضب، وتوقف حول قلبه.

«كيف حالك، يا إستان؟» قالت مارغريت كوتشاما.

«بخير شكراً لك». كان صوت إستا ممتعضاً.

(١) - ثمرة لشجرة الجاك المدرية. (المترجمة).

«إستا»، قالت آمو بركة، «عندما يقول أحد كيف حالك، فمن المفترض بك أن تسأله بدورك كيف حالك؟. وليس «بخير، شكرًا». هيا، قل كيف حالك أنت؟»

نظر السفير إستا إلى آمو.

«هيا تابع»، قالت آمو لإستا. «كيف حالك أنت؟»

كانت عينا إستا الماعستان، عيدين.

قالت آمو بالمالايلامية، «هل سمعت ما قلته؟»

أحسن السفير إستا بعينين زرقاوين رماديتين عليه، وأنف عالم حشرات امبراطوري. لم يكن يملك كيف حالك أنت؟ في أعماقه.

«إستابن!» قالت آمو. وتعالى شعور غاضب داخلها وتوقف حول قلبها. شعور غاضب أكثر من اللازم بكثير. أحسّت بإنها أهنت بطريقة ما بهذه الانتفاضة العلنية في منطقة صلاحياتها. كانت قد أرادت أداء لطيفاً. جائزة تُمنح لولديها في مباراة السلوك الهندي - البريطاني.

قال تشاكو بالمالايلامية، «أرجوك، فيما بعد، ليس الآن.»

قالت عينا آمو الغاضبتان المسلطتان على إستا، حسناً، فيما بعد.

وأصبحت فيما بعد كلمة تهديد مرعبة تسبب القشعريرة.

فيما. بعد.

مثل جرس عميق الرنين في بئر مكسوة بالطحالب. مرتعش. وفروي. مثل أرجل فرائة.

فشدت اللعبة. مثل المخلل في الرياح الموسمية.

«وابنة أختي»، قال تشاكو «أين راحيل؟» نظر من حوله ولم يستطع العثور عليها. والسفيرة راحيل، غير القادرة على محاربة التغيرات المتقلبة في حياتها، كانت قد شبكت نفسها كانسجق داخل سجادة المطار القذرة، ولم تكن لتنفك. سجق بصندل باتا.

«نقط تجاهلوهما»، قالت آمو. «أنها تحاول جذب الانتباه فحسب.»
آمو أيضاً كانت مخطئة. فراجيل كانت تحاول فقط ألا تجذب الانتباه
الذي تستحقه.

«مرحباً، راحيل»، قالت مارغريت كوتشاما لسجادة المطار القذرة.
«كيف حالك أنت؟» أجابت السجادة القذرة في ددمة.
«ألن تخرجي وتقول مرحباً؟» قالت مارغريت كوتشاما بصوت معلمة
مدرسة حنون. «كصوت الأنسة ميتين قبل أن ترى إبليس في عينيها.»
لم تخرج السفيرة راحيل من السجادة لأنها لم تستطع. لم تستطع لأنها
لم تستطع. لأن كل شيء كان على نحو خاطيء. وحالاً سيكون هناك فيما
بعد لكليهما، هي وإستا.
ممتلئة بعثات فروية وفراشات متجلدة، وأجراس عميقة الرنين. وطحالب.
وبومة.

كانت سجادة المطار القذرة راحة كبيرة وظلمة ودرعاً.
«تجاهلوهما فحسب»، قالت آمو، وابتسمت بتوتر.
كان عقل راحيل مليئاً بأحجار رحي ذات عيين زرقاوين رماديتين.
صارت آمو تحبها أقل، الآن. وأصبح الأمر واضحاً مع تشاكو.
«تعالى، صوفيكينز، لنجلب حقائبك!» قال تشاكو بابتهاج، سعيداً
بالهرب.

صوفيكينز.

راقبهم إستا فيما كانوا يسبرون على طول الدرايزين مقتحمين الحشد
الذي تنحى جانباً، مُرهباً بذلة تشاكو وربطة عنقه المنحرفة جانباً وبسلوكه
المتفجر بعامة. كان تشاكو يحمل نفسه بطريقة تجعله يبدو وكأنه يصعد مرتفعاً
طوال الوقت. متفاوضاً مع منحدرات الحياة الزلقة وشديدة الانحدار. كان
يمشي على أحد جانبي الدرايزين، ومارغريت كوتشاما وصوفي مول على
الجانب الآخر.

صوفيكينز.

الرجل الجالس ذو القبعة والأكتاف، والمُرهب أيضاً يذلة تشاكو وربطة
عنقه المنحرفة جانباً، سمح له بالدخول إلى قسم المطالبة بالحقائب.

عندما لم يعد يوجد درابزين فيما بينهم، قَبِل تشاكو مارغريت كوتشاما،
ومن ثم التقط صوفي مول.

«في آخر مرة قمت بهذا حصلت على قميص مبلل مقابل ألامبي»، قال
تشاكو وضحك. عانقها وعانقها وعانقها. قَبِل عينيها الزرقاوين الرماديتين،
وأنفها أنف عالم حشرات امبراطوري، وشعرها البني المحمر المغطى بقبعة.

ثم قالت صوفي مول لتشاكو، «أعمم... عفواً؟ هل تعتقد أن بإمكانك
إنزالي الآن؟ فأنا للـل... لست معنادة في الواقع على أن أحمل.»

فأنزلها تشاكو.

رأى السفير إستا (بمعنيين عنيدتين) أن يذلة تشاكو أصبحت فجأة أوسع
وأقل تفجراً.

وبينما كان تشاكو يُحضر الحقائب، أصبحت إك فيما بعد الآن عند
النافذة السجادية القذرة.

رأى إستا كيف لعقت شامة رقبة بيبي كوتشاما قطعها ونبضت بتوقع
لذيذ مشبه. ترالا لا لا، ترالا لا لي بذلت لونها مثل حرياء، ترالا أخضر متقشر،
ترالا أزرق مسود متقشر، ترالا أصفر خردلي متقشر.

سيكون هناك

توأم للشاي

«حسناً»، قالت أمو. «هذا يكفي. كلاكما. تعالي من هناك راحيل!»
داخل السجادة، أغلقت راحيل عينيها وفكرت بالنهر الأخضر، بالأسمك
الصامته التي تسبح عميقاً، وبالأجنحة الخيطية الدقيقة لليعاسب (التي تستطيع
رؤيتها خلفها) في الشمس. فكرت بصنارة الصيد الأكثر حظاً التي صنعها لها
فيلوثا. خيزرانية صفراء ذات عوامة تغمس في كل مرة سمكة غيبية مطلوبة.
فكرت في فيلوثا وتملت لو كانت معه.

ثم فكّها إستا. وكانت الكتاغر الاسمتية تتفزع.
نظرت أمر إليهما. كان الجور صمّاً فيما عدا نبض شامة رقبة يبي
كوتشاما.

«وإذا»، قالت أمر.

وكان في الواقع سؤالاً. وإذا ؟

ولم يكن له من جواب.

نظر السفير إستا إلى الأسفل، ورأى أن حذاءه (من حيث صعد الشعور
الغاضب) كان ييجاً ومدياً. نظرت السفيرة راحيل إلى الأسفل ورأت أنه في
صندلها الباتا كانت أصابع قدميها تحاول الانفصال عن بعضها البعض. كانت
تختلج لتتقّم لقدمي أحد آخر. ولم يكن باستطاعتها إيقافهم. ستصبح حالاً
بدون أصابع وبمصابة مثل مجذوب تقاطع السكة الحديدية.

«إذا أنتما أبدأ»، قالت أمر «وأنا أعني هذا، أبدأ، أبدأ عصيتما في جهاراً،
فإني أتعهد بأن ترسلنا إلى مكان ما حيث ستعلمان بشكل جيد كيف ينبغي أن
نحسنا التصرف. هل هذا واضح ؟»

عندما تكون أمر غاضبة حقاً، كانت تقول بشكل جيد كيف ينبغي.
كانت بشكل جيد كيف ينبغي، بحق، بأناس أموات يضحكون فيها.

«هل. هذا. واضح ؟» قالت أمر ثانية.

عينان مذعورتان وناغورة ردّت النظرة لأمر.

عينان ناعستان ونفخة شعر متفاجئة ردّت النظرة لأمر.

رأسان أوّماً ثلاث مرات.

نعم. إنه. واضح.

لكن يبي كوتشاما كانت مستاءة من فشل الموقف الذي كان مليعاً
بالامكانيات والتوقعات. حرّكت رأسها.

«كما لو أن !» قالت

كما لو أن !

التفتت أمو إليها، وكانت استدارة رأسها بمثابة استفهام.

«لا جدوى»، قالت بيبي كوتشاما. «إنهما ماكران. إنهما فظان، إنهما مخادعان. إنهما يتحولان همجين. أنت لا تستطيعين تدبير أمورهما.»

عادت أمو والتفتت إلى إستا وراحيل وكانت عيناها جوهرتين ضبايتين. «الجميع يقول أن الأولاد يحتاجون إلى بابا. وأنا أقول لا. ليس ولدتي. هل تعرفان لماذا؟»

رأسان أوما.

«لماذا. أخيراني»، قالت أمو.

قال إستاين وراحيل وليس معاً، لكن تقريباً: «لأنك أنت آمونا وبابانا»^(١) وتحبيننا ضعفاً.»

«أكثر من الضعف»، قالت أمو. «إذاً تذكرنا ما قلته لكما. إن مشاعر الناس ثمينة. وعندما تعصيانني علانية، فإن كل شخص يأخذ الانطباع الخاطيء.»

«يا لكما من سفيرين ونصف!» قالت بيبي كوتشاما.

دلى السفير إ. بيلفيس والسفيرة ح. حشرة رأسيهما.

«والأمر الآخر يا راحيل»، قالت أمو. «أعتقد انه أن الأوان لك لتعرفي الفرق بين نظيف وقذر. خاصة في هذا البلد.»

نظرت السفيرة راحيل إلى الأسفل.

«نستانك - كان - نظيفاً» قالت أمو. «تلك السجادة قذرة. حيوانات الكنغر تلك قذرة. يدك قذرة.»

دُعرت راحيل من الطريقة التي كانت أمو تقول بها نظيف وقذر بصوت عالي جداً. وكأنها كانت تتكلم إلى شخص أصم.

(١) - ينادي الطفلان أمهما بآمو، ووالدهما بابا. (المترجمة).

«والآن أريد كما أن تذهبا وتقولاً مرحباً كما ينبغي»، قالت أمو. «هل ستفعلان ذلك أم لا؟»
رأسان أوماً مرتين.

سار السفير إستا والسفيرة راحيل باتجاه صوفي مول.
«إلى أين تظنين يُرسل الناس ليتعلّموا بشكل جيد كيف ينبغي حسن التصرف؟» سأل إستا راحيل في همس.
«إلى الحكومة»، ردّت راحيل همساً، لأنها كانت تعلم.
«كيف حالك؟» قال إستا لصوفي مول بصوت عالٍ كفاية لتسمعه أمو.
«مثل الضراط على البلاط^(١)»، همست صوفي مول لإستا. كانت قد تعلمت هذا من رفيق باكستاني.
نظر إستا إلى أمو.

كانت نظرة أمو تقول، لا تهتم بها طالما أنك قد قمت بالعمل الصحيح.
في طريق عودتهما عبر موقف سيارات المطار، زحف الجو الحار داخل ملابسهم ورطب السروال القصير للمحمد. تباطأ الأولاد في الخلف، يشقون طريقهم ملتفين حول السيارات والتاكسيات المصفوفة.
«هل تضربكما التي لكما؟» سألت صوفي مول.

راحيل وإستا غير المتأكدين من السياسة هذه، لم يقولوا شيئاً.
«التي لي تفعل»، قالت صوفي مول بإغراء. «التي لي تصفع حتى.»
«التي لنا لا تفعل»، قال إستا بولاء.
«محظوظان»، قالت صوفي مول.

صبي غني محظوظ له مصروف جيب. ومصنع جدة ليرته. لا هموم.

(١) - استخدمت الكتابة قولاً بديلاً آخر، لكننا أثّرنا استخدام هذا القول من أجل القارئ العربي. (الترجمة).

مرّوا بعلامة الإضراب عن الطعام ليوم واحد لاتحاد عمال المطار من الفئة الثالثة. ومرّوا بالناس الذين يتفرجون على علامة الإضراب عن الطعام ليوم واحد لاتحاد عمال المطار من الفئة الثالثة.

ومرّوا بالناس الذين يتفرجون على الناس الذين يتفرجون على الناس. كُتِبَ على لافتة قصديرية صغيرة على شجرة تين فارعة لأجل شكاوى جنسية تاسدية تتصل مع الطبيب و. ك. حوير.

«من تحين أكثر في العالم؟» سألت راحيل صوفي مول.
«جوة»، قالت صوفي مول دون تردد. «أي. توفي منذ شهرين. وقدمنا هنا لنتعافى من الصدمة.»

«لكن تشاكو هو أبوك»، قال إستا.
«إنه أبي الحقيقي فحسب»، قالت صوفي مول. «جو هو أبي. إنه لا يضرب أبداً، نادراً.»

«كيف يضرب إن كان ميتاً؟» سأل إستا بشكل منطقي.
«أين أبوكما؟» أرادت صوفي مول أن تعرف.
«إنه...» ونظرت راحيل إلى إستا طبعاً للمساعدة.
«... ليس هنا». قال إستا.

«هل أخبرك بقائمتي؟» سألت راحيل صوفي مول.
«كما تشائين»، قالت صوفي مول.

كانت «قائمة» راحيل محاولة لتنظيم القوضى. تفحصها باستمرار، ممزقة للأبد بين الحب والواجب. لم تكن على الإطلاق معياراً حقيقياً لشاعرها.
«أولاً أمو وتشاكو»، قالت راحيل. «ثم ماماتش.»
«جدتنا»، وضح إستا.

«أكثر من شقيقك؟» سألت صوفي مول.
«نحن لا نحسب»، قالت راحيل. «وعلى أية حال من الممكن أن يتغير. تقول أمو.»

«ماذا تقصدين ؟ بتغير إلى ماذا ؟» سألت صوفي مول.
 «إلى خنزير ذكوري شوفيني»، قالت راحيل.
 «من المستبعد جداً»، قال إستا.
 «على كل حال، بعد ماماتشي، فيلوثا، ثم...»
 «من هو فيلوثا؟» أرادت صوفي مول أن تعرف.
 «رجل نحب»، قالت راحيل. «وبعد فيلوثا، أنت»، قالت راحيل.
 «أنا؟ تحبيني من أجل ماذا ؟» قالت صوفي مول.
 «لأننا أقارب من الدرجة الأولى. لذا فأنا مضطرة»، قالت راحيل بشكل
 زائف.
 «لكك لا تعرفيني حتى»، قالت صوفي مول. «وعلى أية حال، أنا لا
 أحبك.»
 «ولكنك ستحبيني، عندما ستعرفيني»، قالت راحيل بثقة.
 «أشك بذلك»، قال إستا.
 «لم لا ؟» قالت صوفي مول.
 «لأن»، قال إستا. «وعلى كل حال على الأرجح أنها ستصبح قرماً.»
 «وكان محبة قرم أمر مستحيل كلياً.»
 «لن أصبح»، قالت راحيل.
 «بل ستصبحين»، قال إستا.
 «لن أصبح.»
 «بل ستصبحين.»
 «لن أصبح.»
 «بل ستصبحين. نحن توأم»، شرح إستا لصوفي مول، «وانظري فقط كم
 هي أقصر مني.»

أخذت راحيل بكرم أخلاق نفساً عميقاً، دفعت صدرها خارجاً ووقفت
ظهراً لظهر مع إستا في موقف سيارات المطار، من أجل أن ترى صوفي مول
تماماً كم كانت أقصر.

«ربما ستصححين قزماً وسطاً»، اقترحت صوفي مول. «إنه أطول من قزم
وأقصر من... إنسان.»

كان الصمت متشككاً من هذه التسوية.

«هل تعرفان كيف تنهadian؟» أرادت صوفي مول ان تعرف.

«لا. نحن لا تنهادي في الهند»، قال السفير إستا.

«حسناً نحن نفعل في انكلترا»، قالت صوفي مول. «جميع عارضات
الأزياء يفعلن ذلك. على التلفزيون. انظروا - إنه سهل.»

وتنهادي ثلاثتهم برعامة صوفي مول عبر موقف سيارات المطار، يتهادون
مثل عارضات الأزياء، والترمسان اللذان بشكل نسر وحقيقية الغوغو المصنوعة
في انكلترا يرتطمون حول أوراكيهم.

أقزام رطبة بمشية متطاولة.

لحقت الظلال بهم. نفاثات فضية في سماء زرقاء لكنيسة، مثل عثات في
شعاع ضوء.

كان لدى البليموث السماوية ذات الرفريف ابتسامة من أجل صوفي
مول. ابتسامة قرش ماص صدمات كرومي.

ابتسامة سيارة مخللات الجنة.

قالت مارغريت كوتشاما عندما شاهدت الحامل ذا زجاجات المحلل
المرسومة وقائمة منتحات الجنة، «أوه يا إلهي ! أشعر وكأنني في دعاية!» وقالت
أوه يا إلهي ! كثيراً.

أوه يا إلهي ! أوه يا إلهي ! أوه يا إلهي !

«لم أكن أعلم أنكم تصنعون شرائح أناناس!» قالت. «صوفي مول تحب الأناناس، أليس كذلك، صوفي؟»
«أحياناً»، قالت صوفي. «وأحياناً لا.»

صعدت مارغريت كوتشاما داخل الإعلان، بنمش ظهرها البني، ونمش ذراعيها، وثوبها المزهر وبساقها اللتين تظهران في أسفله.
جلست صوفي مول في الأمام بين تشاكو ومارغريت كوتشاما، قبعتهما وحدها كانت تسترق النظر من أعلى مقعد السيارة. لأنها كانت ابنتهما.
جلست راحيل وإستا في الخلف.
والأمتعة في الصندوق.

كانت صندوق كلمة جميلة محببة. قوي كانت كلمة رهيبة.
بالقرب من إتومانور مزوا بهيكل فيل ميت، ضُعن بسلك كهرباء عالي التوتر كان قد سقط على الطريق. مهندس من بندية إتومانور كان يُشرف على تصريف الجثمان. كان عليهم أن يكونوا حذرين لأن القرار سيكون بمثابة سابقة لجميع التصريفات الحكومية المستقبلية لجثث الحيوانات غليظة الجلد. مسألة لا يجب أن يتم التعامل بها بخفة. كانت هناك سيارة إطفاء وبضعة رجال إطفاء مرتبكون. كان مع موظف البلدية ملف وكان يصرخ كثيراً. وعربة بوظة فرح ورجل يبيع فولاً سودانياً في أكواز ضيقة مُعدّة من الورق بذكاء بحيث لا تحمل أكثر من ثمان أو تسع حبات.

قالت صوفي مول، «انظروا، فيل ميت.»
أوقف تشاكو السيارة ليسأل فيما إذا كان من المحتمل أن يكون ثومبان (الفيل الصغير)، فيل معبد أيمنيم الذي قدم إلى منزل أيمنيم ذات مرة من أجل جوز الهند. قالوا أنه لم يكن هو.

لأنه كان غريباً وليس فيلاً يعرفونه، تابعوا القيادة مرتاحي البال.
«الحمد لله»، قال إستا.

«الحمد لله، يا إستا»، صححت له بيبي كوتشاما.

على الطريق، تعلّمت صوفي مول كيف تميز النفحة الأولى من ثنّانة
المطاط الخام وكيف تمسك بمنخريها مغلقين لوقت طويل بعد مرور الشاحنة التي
تحمله.

اقتрحت يسي كوتشاما أغنية للسيارة.

كان على إستا وراحيل أن يغنيا بالانكليزية بصوتين مضيعين. وبابتهاج.
وكأنهما لم يُجبرا على التمرّن عليها طوال أسبوع كامل. السفير (أ). يلفيس
والسفيرة ح. حشرة.

أس - تبع ال - رب دو - ما^(١)

وأقول ثانية أَسْبَح.

كان للافتاهما^(٢) ممتازاً.

اندفعت البليموث في حرارة منتصف النهار الخضراء، تروّج للمخللات
على المسقف، وللسماء السماوية في رفرافها.

خارج أيمينيم بالضببط قادوا باتجاه فراشة كرنب خضراء (أو ربما هي قادت
باتجاههم).

(١) - أَسْبَح الرب دوماً. (الترجمة).

(٢) - لفتاهما. كما تُلفظ على الطريقة الهندية. (الترجمة).

دفتر الملاحظات الخاص بتدريبات الحكمة

في مكتب باباتشي، تفتحت الفراشات والعذات نثبنة إلى أكوام من الغبار قزحي الألوان انسحق في قاع علب العرض الزجاجية، تاركة الدبابيس التي كانت تمسكها عارية. وقاسية. كانت الغرفة منتنة بالفطر والاهمال. تدلّى طوق هولاً^(١) نيوني أخضر من وتد خشبي على الجدار، هالة هائلة مهملة لقديس. سار عمود من النمل الأسود المتألق عبر عتبة النافذة، كانت أسافلهم مائلة نحو الأعلى، مثل صف من كورس بنات مختالات في فيلم موسيقي لباسي بيركلي^(٢). مظللين في مواجهة الشمس. مصقولين وجميلين.

فتشت راحيل (فوق كرسي بلا ظهر، فوق طاولة) في خزانة كتب بألواح زجاجية وسخة وباهتة. كانت اثار قدميها العاريتين واضحة في الغبار على الأرض. تقود من الباب إلى الطاولة (المجرورة إلى رف الكتب)، إلى الكرسي دون ظهر (المجروور إلى الطاولة والمرفوع فوقها). كانت تبحث عن شيء ما. كان لحياتها حجم وشكل الآن. وكان لديها هالات تحت عينيها ومجموعة من الغيلان في أفقها.

(١) - رقصة من هاواي. (المترجمة).

(٢) - مصمم رقص ومخرج أميريكاني. ١٨٩٥ - ١٩٧٦. (المترجمة).

على الرف العلوي، كان الرباط الجلدي على مجموعة باباتشي ثروة الهند الحشرية، قد رفع كل كتاب وشبكة مثل أسبيستوس^(١) متموج. وحفرت أسماك فضية أنفاقاً عبر الصفحات، مختبئة بشكل اعتباطي من صنف إلى صنف، محيلة المعلومات المنظمة إلى شريط أصفر.

تلمست راحيل خلف صف الكتب وأحرحت أشياء مخبأة. صدفة بحر ناعمة وأخرى شائكة.

علية عدسات لاصقة بلاستيكية. وقطارة برتقالية

صليباً فضياً على حيط من الخرز. مسحة بيبي كورتناما.

رفعتها باتجاه الضوء. انتزعت كل حرزة جشعة حصتها من الشمس.

سقط ظل عبر المستطيل المشمس على أرض المكتب. التفتت راحيل باتجاه الباب بخيط صوئها.

«تخيل. إنها ما تزال هنا. سرقتها. بعد أن أعدت.»

أفادت تلك للكلمة بسهولة. أعدت. وكأن هذا هو المقصود من التوأم. أن يتم اقتراضهم وإعادةتهم. مثل كتب في مكتبة.

لم يطر إستا نحو الأعلى. كان عقله مليئاً بالقطارات. حجب الضوء القادم من الباب. ثقب بشكل إستا في الكون.

خلف الكتب، صادفت أصابع راحيل المشوشة شيئاً آخر. عقق^(٢) آخر كان يمتلك الفكرة ذاتها. أخرجه ومسحت الغبار عنه بكم قميصها. كان طرداً مسطحاً ملفوفاً بيلاستيك صافٍ وملصق بالسيللوتاب، كان مكتوباً على قصاصة ورق بيضاء داخله إستان وراحيل بحط أمو.

كان يوحد أربعة دفاتر ملاحظات مهترئة داخله. كتب على أعلفتها دفاتر الملاحظات الخاصة بالحكمة مع أماكن للإسم، المدرسة/الكلية، الصف، والموضوع. كان اسمها مكتوباً على اثنين، واسم إستا على اثنين.

(١) - حريو صحري. (الترجمة).

(٢) - طائر. (الترجمة).

داخل الغلاف الخلفي لأحدهما، كان قد كُتب شيء ما بخط طفل. كان الشكل المتعب لكل حرف والمسافة المتفاوتة بين الكلمات، مليئاً بالكفاح للسيطرة على قلم الرصاص الجانح ذاتي الإرادة. وعلى القيص، كانت المشاعر جلية «أنا أكره الأنسة ميتين وأعتقد أن غلسونها»^(١) ممزق».

في مقدمة الدفتر، كان إسنا قد مسح كنيته ببصاقه، وملأ نصف الورقة بذلك. وكان قد كتب فوق كل الفوضى بقلم رصاص غير معروف. إستابن غير معروف. (كانت كنيته مرجأة للوقت الحاضر، بينما تختار أمو بين اسم زوجها واسم أبيها.) بجانب الصف كُتب: ٦ سنوات. وبجانب الموضوع كُتب: كتابة قصص.

ترتمت راحيل، على الكرسي دون مسند، فوق الطاولة.
«إستابن غير معروف»، قالت. فتحت الدفتر وقرأت بصوت عالٍ.

عندما أتى عوليس^(٢) إلى البيت جاء ابنه وقال والدي اعتقدت أنك لن تعود. جاء العديد من الأمراء وأراد كل واحد منهم الزواج من بنيلوب، لكن بنيلوب قالت أن الرجل الذي يستطيع أن يسدد ويلق^(٣) عبر اثنتي عشرة حلقة يستطيع أن يتزوجني. وفشل الجميع. وجاء عوليس إلى القصر مرتدياً على نحو شبيه بشحاذ وسأل إن كان باستطاعته المحاولة. ضحك كل الرجال منه وقالوا إذا كنا لا نستطيع النجاح بذلك فأنت لا تستطيع. أوقفهم ابن عوليس وقال لهم دعوه يحاول وأخذ القوس وأطلق مباشرة عبر الحلقات الاثنتي عشرة.

كان يوجد في الأمفل تصحيح للدرس السابق.

(١) - كلسون (كتبها خطأ) سروال داخلي طويل كانت تلبسه النساء في السابق.
(الترجمة).

(٢) - من المثلوجيا الاغريقية الاوديسة. (الترجمة).

(٣) - يطلق. أسقط منها حرفاً. (الترجمة).

سرخس تعلم أيضاً عربات جسر حامل مثبت
 سرخس تعلم أيضاً عربات جسر حامل مثبت
 سرخس تعلم أيضاً
 سرخس تعلم أيضاً^(١)

نجد الضحك حول أطراف صوت رحيل. «بداية أمنية» أعلنت. كانت
 أمو قد رسمت خطأ متوجهاً إلى الأسفل على طول الصفحة بقلم احمر
 وكتبت، هامش ؟ وفي المستقبل حاول أن توصل الكتابة، من فضلك !

«عندما نسير في الطريق في المدينة» تابعت قصة إستا الحفرة، علينا دوماً
 أن نسير على الرصيف، إذا صعدت على الرصيف فلن يكون هناك مرور بسبب
 حودث^(٢)، لكن على الطريق الرئيس يوجد دوماً مرور خطير والذي من الممكن
 أن يردك بسهولة ويجعلك بلا شعور أو أعرج^(٣). إذا كسرت رأسك أو عظمة
 ظهر فستكون سيء الحظ جداً. يستطيع الشرطي أن يوجه السير بحيث لا
 يكون هناك الكثير من المرضى ليذهبوا إلى المستشفى. عندما نقادر الباص يجب
 أن نفعل ذلك فقط بعد سؤال الحائبي أولاً منصبح جرحى ويجعل الأطباء
 مشغولين جداً. إن عمل السائق ملقح^(٤) جداً لعائلته أن تكون كالكة^(٥) جداً
 لأن السائق من الممكن أن يموت بسهولة.

«طفل مريض» قالت راحيل لإستا. وبينما كانت تقاب لصفحة امتد

(١) - كتبت الكلمات خطأ. (الترجمة).

(٢) - حودث، كتبت خطأ. (الترجمة).

(٣) - أعرج، كتبت خطأ. (الترجمة).

(٤) - ملقح، كتبت خطأ. (الترجمة).

(٥) - كالكة، كتبت خطأ. (الترجمة).

شيء ما داخل حنجرتها، اجتث صوتها، خضه، وأعادته دون أطرافه اللغوية. كانت قصة إستا التالية تُدعى آمو الصغيرة.

في كتابة مشتركة. كانت ذيول الـ G و Y ملتفة ومعقودة. وقف الفضل في المدخل ساكناً جداً.

ذهبنا يوم السبت إلى مكتبة في كوتايام لمشتري هدية لآمو لأن عيد ميلادها في السابع عشر من تشرين الثاني. اشترينا لها مفكرة. نجأناها في الخيزانا^(١) ومن ثم بدأ الوقت يصبح ليلاً. ثم قلنا هل تريد أن تري هديتك قالت نعم أود أن أراها. وكتبنا على ورقة إلى آمو الصغيرة مع الحب من إستا وراحيل وأعطيناها لآمو وقالت يا لها من هدية جميلة إنها بالضبط ما أردناه^(٢) ثم تكلمنا لبرهة قصيرة حول المفكرة ثم أعطيناها قبله وذهبنا للنوم.

تكلمنا مع بعضنا ونمنا. حاضنا بحلم صغير.

بعد فترة من الوقت استيقظت وكنت عطشاً جداً وذهبت إلى غرفة آمو وقلت أنا عطشان. أعطتني آمو ماء وكنت على وشك الذهاب إلى سريري عندما نادتنني آمو وقالت تعال ونم معي. واستلقيت إلى ظهر آمو وتكلمت مع آمو ونمت. بعد برهة قصيرة استيقظت وتكلمنا ثانية وبعد ذلك قمنا بحفلة^(٣) منتصف الليل. أكلنا موز بالبرتقال والقهوة. بعد ذلك جاءت راحيل وأكلنا موزتين أخريين وأعطينا آمو قبله لأنه كان عيد ميلادها بعد ذلك غنيا عيد ميلاد سعيد. ثم في الصباح حصلنا على ثياب جديدة من آمو كهدية مقابلة كانت راحيل ماهراني وكنت أنا نهرو الصغير.

صححت آمو أخطاءاً للهجية، وكتبت تحت المقالة: إذا كنت أتكلم إلى أحد ما، تستطيع أن تقاطعني فقط إذا كان الأمر اضطرارياً ملحاً. وعندما تفعل

(١) - الخزانة، نُحِبْتُ خطأً. (المترجمة).

(٢) - أردته، كتبت خطأً. (المترجمة).

(٣) - حفلة، نُحِبْتُ خطأً. الكلمات السابقة نُحِبْتُ جميعها كما تُلفظ. (المترجمة).

ذلك، من فضلك قل «عفوًا». سأعاقبك بشدة إن عصيت هذه التعليمات. أتم
التصحيحات من فضلك.

آمو الصغيرة.

التي لم تكمل قط تصحيحاتها هي.

التي كان عليها أن تحزم حقائبها وتغادر. لأنه لم يكن لديها حق للمطالبة
بالملكية، لأن تشاكو قال أنها قد دمرت ما فيه الكفاية.

التي عادت إلى أيمينيم بربو وحشرجة في صدرها بدت كرجل يصرخ من
بعيد.

لم يرها إستا أبداً على هذه الشاكلة.

همجية. مريضة. حزينة.

آخر مرة جاءت فيها آمو إلى أيمينيم، كانت راحيل قد طردت لتوها من
دير نازاريت (بسبب زخرفتها الروث واصطدامها بالمتنسبات الأكبر سناً).
كانت آمو قد فقدت آخر أعمالها المتتالية - كعامله استقبال في فندق رحيص -
لأنها كانت مريضة و فوتت العديد من أيام عملها. لم يستطع الفندق تحمّل
ذلك، وأخبروها. كانوا محتاجين لعامله استقبال نشيطة.

في تلك الزيارة الأخيرة. أمضت آمو الصباح، مع راحيل، في غرفتها.
كانت قد اشترت لابنتها بأخر ما تبقى من راتبها الزهيد هدية صغيرة ملفوفة
بورق بني بقلوب ورقية ملونة ملصقة عليه. عليه من حلوى بشكل سجائر،
وعلبة قصديرية لأقلام رصاص فانتوم وبول بونيان - رسوم مصورة هزلية للأصغر
سناً. كانت هدايا لعمر السبع سنوات، كانت راحيل في الحادية عشرة تقريباً.
كان الأمر كما لو أن آمو تعتقد أنه إذا رفضت أن تعترف بمرور الوقت، وأرادته
ثابتاً في حياتي نوأها، فانه سيكون كذلك. وكان قوة الارادة المطلقة كانت
كافية لتعليق طفولة ولديها إلى أن تتمكّن من جعلهما يعيشان معها. عندها
يستطيعان ان يباشرا من حيث توقفا. يدآن ثانية من السابعة. أخبرت آمو راحيل
أنها قد اشترت لإستا أيضاً رسوماً هزلية، لكنها خضأتها من أجله إلى أن تحصل

على عمل آخر وتستطيع ان تكسب ما يكفي لاستئجار غرفة لثلاثتهم ليقفوا فيها معاً. عندها ستذهب إلى كالكونا لتحضر إستا، ويستطيع عندها ان يأخذ رسومه الهزلية. إن ذلك اليوم ليس ببعيد، قالت آمو. من الممكن أن يحدث في أي يوم. قريباً لن يكون الاستئجار مشكلة. قالت أنه كانت قد تقدّمت بطلب عمل في الأمم المتحدة وأنهم سيعيشون جمعياً في لاهاي مع مربية هولندية لتعتني بهم. أو من ناحية أخرى، قالت آمو، من الممكن أن تبقى في الهند وتقوم بما كانت تخطط له طويلاً - تنشئ مدرسة. إن الاختيار ما بين مستقبل في التعليم وعمل في الأمم المتحدة لم يكن أمراً سهلاً، قالت - لكن الشيء الذي يجب تذكره كان الحقيقة الجوهرية أنه كان لديها خيار وامتيار عظيم.

لكن للوقت الحاضر، قالت، وحتى تأخذ قرارها، فانها متخبيء، لإستا، هديته.

تكلمت آمو طوال الصباح بلا توقف. سألت راحيل أسئلة، لكن لم تدعها تجيب عليها بالمرّة. وإذا حاولت راحيل أن تقول شيئاً ما، كانت آمو تقاطعها بفكرة جديدة أو بتساؤل. بدت مرعوبة من أشياء خاصة بالراشدين قد تقولها ابتنها وتذيب الوقت المتجمّد. جعلها الخوف ثرارة. وأبقته هي بعيداً بهذرها.

كانت متورمة من الكورتيزون، بوجه مدور كالقمر، ليست الأم الهيفاء المشوقة التي عرفت راحيل. كان جلدها ممطوطاً فوق خديها المنتفخين كلصافة نذب مشعة تغطي علامات تلقيح قديمة. وعندما كانت تبتسم، تبدو غمازاتها وكأنهما تؤلمان. وكان شعرها المجعد قد فقد بريقه وتعلّق حول وجهها المتورم كستارة باهتة. كانت تحمل نَفْسها في مستنشق زجاجي في حقيبتها البالية. ودخان براون بروفون. كان كل نَفَس تأخذه بمثابة حرب تريحها ضد قبضة فولاذية تحاول عصر الهواء من رئتيها. راقبت راحيل أمها وهي تتنفس. في كل مرة كانت تستنشق، كان التجويف عند ترقوتها يصبح منحدراً أكثر وملوءاً بالظلال.

بصقت أمو حشوة من البلغم في منديلها وأرته لراحيل.

«يجب أن تتفقد فيه دوماً»، همست على نحو أجش، وكأن البلغم كان ورقة حساب يجب أن تُذقق قبل أن تُسلم. «عندما يكون أبيض، فهذا يعني انه غير ناضج. وعندما يكون أصفراً وله رائحة عفنة، فهذا يعني انه ناضج وجاهز ليسعل ويُصق. البلغم كالفاكهة. إما ناضج أو فج. عليك أن تكوني قادرة على التمييز.»

على العشاء نجشأت كسائق شاحنة وقالت، «عفواً»، في صوت شاذ عميق. لاحظت راحيل أن لديها شعرات جديدة سميكة في حاجبيها، وطويلة مثل قرون الاستشعار. ابتسمت أمو للصمت المتواجد حول الطاولة وتناولت سمكة امبراطورية مقلية من عظمها. قالت أنها تمتلك إحساساً مثل لافتة طريق والطيور تنبئ عليها. كان لها بريق مسعور غريب في عينيها.

سألتهما ماماتشي فيما إذا كانت تشرب واقترحت ان تزور راحيل نادراً قدر الامكان.

نهضت أمو عن الطاولة وغادرت دون أن تقول كلمة. ولا حتى وداعاً. «اذهبي وودعيها»، قال تشاكو لراحيل.

تظاهرت راحيل بانها لم تسمعه وتابعت أكل سمكتها. فكرت بالبلغم وكانت على وشك التقيؤ. لقد كرهت أمها آنثذ. كرهتها. لم ترها ثانية.

ماتت أمو في غرفة كدرة وسخة في نزل بهارات في ألبني، حيث كانت قد ذهبت لاجراء مقابلة عمل كسكرتيرة أحدهم. ماتت وحيدة. مع مروحة سقف صاخبة كرفقة ومن دون إستا ليستلقي إلى ظهرها ويتكلم معها. كانت في الواحدة والثلاثين.

ليست سنأ متقدمة. ليست سنأ صغيرة. لكن، سن ممكنة للحياة، ممكنة للموت.

كانت قد استيقظت في الليل لتهرب من حلم مألوف متكرر حيث يقترب منها شرطي مع مقص مثلم، ويريد أن يخلق لها شعراً. كانوا يفعلون ذلك في كوتايام للمومسات اللواتي كانوا يقبضون عليهن في السوق واصمين إياهن بحيث يعرف الجميع ما كته. Veshyas. بحيث لا يجد رجال الشرطة الحديثون في الواجب مشكلة في التعرف على من يضايقون. لطالما لاحظتهم أمو في السوق، النساء ذوات العيون الخاوية والرؤوس المخلوقة عنوة في بلد حيث الشعر الطويل المزيّن كان فقط من أجل الطاهرات التزيهات أخلاقياً.

تلك الليلة في النزّل، جلست أمو في السرير الغريب في الغرفة الغريبة في المدينة الغريبة. لم تعرف أين كانت، لم تتعرف على أي شيء من حولها. فقط خوفها كان مألوفاً. الرجل البعيد الذي بداخلها بدأ بالصراخ. هذه المرة لم تُرخ القبضة الفولاذية مسكنها. تجتمعت الظلال كالحفافيش في التجويف المنحدر بقرب ترقوتها.

وجدها الكتاس في الصباح. وأطقاً المروحة.

كان هناك كيسه زرقاء غامقة تحت عين واحدة انتفخت مثل فقاعة. وكأن عينها حاولت أن تفعل ما عجزت عنه رؤثاها. في وقت ما قرابة منتصف الليل، توقف الرجل البعيد الذي كان يعيش في صدرها عن الصراخ. حملت فصيلة من النمل صرصوراً ميتاً بوقار عبر الباب، مبيّنة ما الذي يجب فعله بالجثث.

رفضت الكنيسة أن تدفن أمو. لاعتبارات عديدة. فاستأجر تشاكو شاحنة لينقل الجثة إلى المحرقة الكهربائية. كان قد لفها في شرف وسخ ومذّدها على نقالة. فكّرت راحيل أنها تبدو مثل سيناتور روماني. *Ammu, Et tul* فكّرت وابتسمت، متذكّرة إستا.

كانت قيادة غريبة عبر طرق ناشطة مضيئة مع سيناتور روماني ميت

على أرض شاحنة. جعل ذلك السماء الزرقاء أكثر زرقة. خارج نوافذ الشاحنة، تابع الناس الذين مثل دمي ورقية مقصوصة حياة الدمي الورقية خاصتهم. كانت الحياة الحقيقة داخل الشاحنة. حيث كان الموت الحقيقي. فوق الارتطامات المرحجة والأخاديد، اهتزّ جسد آمو وانزلق عن الثقالة. ضرب رأسها بالرتاج على الأرض. لم تُجفل ولم تستيقظ. كان هناك طنين في رأس راحيل، ولبقية اليوم كان على تشاكو أن يصرخ إذا أراد أن يُسمع.

كان للمحرقة المظهر المتعب العفن ذاته الذي لمحلة السكة الحديدية، عدا أنها كانت مقفرة. لا قطارات، ولا تجمعات. لا أحد إلاّ المتسولين والمهجورين والأموات الذين بعهدة الشرطة. الناس الذين يموتون من دون أحد ليستند إلى ظهورهم ويتحدث إليهم. عندما جاء دور آمو، أمسك تشاكو يد راحيل باحكام. لم تكن تريد أن تمسك يدها. استغلت لزوجة عرق حرّ المحرقة لتنزلق من قبضته. لم يكن يوجد أحد آخر من العائلة.

فُتح باب المحرقة وأصبح الأزيز الأبكم للنار الأبدية، زئيراً أحمر. اندفعت الحرارة باتجاههم كوحش جائع. ثم أطعمت آمو التي لراحيل به. شعرها، جلدها، ابتسامتها. صوتها. الطريقة التي اعتادت أن تستخدم فيها كيبينغ^(١) لتحب بها طفلها قبل أن تضعهما في السرير: نحن نكون من دم واحد، أنتما وأنا. قبلّة تصبحان على خير. الطريقة التي كانت تمسك بوجهيهما ثابتين بيد واحدة (خدين مسحوقين، وفمين كفم سمكة) بينما تفرق وتسرح شعرهما بالأخرى. الطريقة التي كانت تمسك بها سروال راحيل القصير لتلبسها إياه. الرجل اليسرى. الرجل اليمنى. كل هذا أطعم للوحش، وكان في ذروة الرضى. كانت آموهما^(٢) و باباهما^(٣) وكانت تحبهما ضعفاً.

(١) - كيبينغ: كاتب بريطاني ولد في بومباي - الهند، معظم أعماله كتبها في، وعن الهند المحتلة من بريطانيا. حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٧. (الترجمة).

(٢) - آمو التي لهما. (الترجمة).

(٣) - بابا الذي لهما. (الترجمة).

فقع باب الفرن وهو ينلق. لم يكن هناك من دموع.

كانت «المسؤولة» عن المحرقة قد نزلت إلى الطريق لتشرب فنجاناً من الشاي ولم تعد قبل عشرين دقيقة. طوال تلك المدة كان على تشاكو وراحيل أن ينتظرا من أجل الايصال الوردي الذي يخولهم استلام بقايا أمو. رمادها. جريش عظامها. الاسنان من ابتسامتها. كلها، برمتها، محشورة في وعاء فخاري صغير. الايصال رقم. ك. ٤٩٨٦٧٣.

سألت راحيل تشاكو كيف عرفت ادارة المحرقة أي رماد كان لمن. قال تشاكو أنه لا بد وأن لديهم نظاماً.

لو كان إستا معهم، لاحتفظ بالايصال. فهو حافظ السجلات. الوصي الأمين الطبيعي لبطاقات الباص، وايصالات البنوك، للمذكرات النقدية، ولأرومات الشيكات. رجل صغير. كان يعيش في كارا - فان. ترالا لا.

لكن إستا لم يكن معهم. قرر الجميع أن هذا أفضل. وبدلاً من ذلك، كتبوا له. قالت ماماتشي أن على راحيل أن تكتب أيضاً. تكتب ماذا؟ عزيزي إستا، كيف حالك؟ انا بخير. ماتت أمو البارحة.

لم تكتب راحيل له أبداً. هناك اشياء لا تستطيع القيام بها - كالكتابة إلى جزء منك. إلى قدميك أو شعرك. أو قلبك.

في مكتب باباتشي، رفعت راحيل (غير المتقدمة في السن، غير الشابة) بغبار الأرض على قدميها، رفعت نظرها عن دفتر الملاحظات الخاص بالحكمة ورأت أن إستان غير معروف كان قد توارى.

رأت ظهر إستا يختفي عبر البوابة.

كان الوقت منتصف النهار، وكانت السماء على وشك أن تمطر ثانية. كانت الحضرة - في ضوء اللحظات الأخيرة لضوء ما قبل الهطول المتوهج الغريب - ضاربة.

صاح ديك في المدى وانفصل صوته إلى اثنين. مثل نعل متقشّر عن حذاء قديم.

وقفت راحيل، هناك، مع دفترها المهترىء، للملاحظات الخاص بالحكمة.
على الشرفة الأمامية لمنزل قديم، تحت رأس ثور اميركي يعين زريتين، حيث
قُدمت قبل سنوات، أهلاً بك، في بيتك. عزيزتنا صوفي مول، في اليوم الذي
جاءت فيه صوفي مول.
من الممكن للأمور أن تتغير في يوم.

أهلاً بك، في بيتك، عزيزتنا صوفي مول

كان منزل أيمينم منزلاً كبيراً، لكن متحفظ المظهر. وكأنه لم يكن معنياً إلا قليلاً بحياة الناس الذين يعيشون داخله. مثل رجل عجز بهيتين زمدين يراقب أطفالاً يلعبون، مشاهداً فقط سرعة الزوال في نشوتهم العالية والتزامهم القلبي الكامل بالحياة.

أصبح سطحه المنحدر والمائل غامقاً مكسوً بالطحالب من مرور الزمن والمطر. كانت الاطارات الخشبية المثلية المركبة في الجملونات منقوشة بشكل متشابك معقد، والضوء الذي ينحدر خلالها، ويسقط في أشكال على الأرض، كان مملوءاً بالاسرار، بالذئاب. بالورود. بالايغونات^(١). مبدلاً أشكاله مع تحرك الشمس عبر السماء. ميتاً، بدقة، عند الغسق.

لم يكن للأبواب مصراع، بل أربعة من ألواح خشب الساج بحيث كانت السيدات في الأيام الخوالي يستطعن إبقاء النصف السفلي مغلقاً، والأتكاء بأكواعهن على الاقريز والمنسومة مع البائعين الجوالين دون أن يفضحن أنفسهن تحت الحصر. تقنياً، كان بإمكانهن شراء سجادات، أو أمارد، وصدورهن

(١) - عظمة أميركية استوائية ضخمة عاشبة. (المترجمة).

مغطاة وأسافلهن عارية. تقنياً.

تسع درجات شديدة الانحدار كانت تقود من الدرب إلى الشرفة الامامية. أعطاها الارتفاع وقار منصة مسرح وكل ما حدث هناك اكتسب هالة وأهمية التمثيل. كانت تطل على حديقة بيبي كوتشاما الترينية، والتف الدرب الخصوي حولها في حلقات، منحدرًا نحو أسفل الهضبة الخفيفة التي ترتع المنزل عليها.

كانت شرفة عميقة، باردة، حتى عند الظهيرة، عندما تكون الشمس في انفجار قيلولها.

عندما مُدّدت الأرضية الاسمنتية الحمراء، دخل فيها بياض ما يقارب ٩٠٠ بيضة. لقد تطلّعت صقلاً رفيع المستوى.

تحت رأس الثور الاميركي المخطّ ذي العينين الزريتين، وصورتا حميها وحماتها على كل جانب، جلست ماماتشي على كرسي منخفض من خشب الأملود وأمام طاولة من خشب الأملود، والتي تتوضع عليها مزهية زجاجية خضراء وساق وحيدة لأوركيدة أرجوانية تنحني منها. كان العصر ساكناً وحاراً. وكان الهواء يترقب.

كانت ماماتشي تمسك بـ «كمان» لامع تحت ذقنها. وكانت نظارتها الكامدة التي تنتمي للخمسينات، سوداء ومائلة العدسات، وبأحجار راين^(١) عند زوايا الاطار. كان ساريها مشدوداً ومعطراً، أبيض مصفراً وذهبياً. تلاًلاً قرطاهما الماسيان في أذنها كثيراً بالعة الصغر. وكانت خواتمها الياقوتية مرخية. وجلدها الشاحب الرقيق مجعداً كالكرما فوق حليب مبرّد ومغبر بشامات حمراء صغيرة جداً. كانت جميلة. عجوزاً، استثنائية، وملوكية. أم، أرملة، عمياء مع كمان.

في أيام شبابها جمعت ماماتشي ببصيرتها وتديرها الجيد، كل شعرها

(١) - حجر كريستال وجد عند نهر الراين، يستخدم لتقليد الماس. (المترجمة).

المساقط في محفظة صغيرة مطرزة ركتها على مزيتها. وعندما تجمع مقدار كاف منه، جعلته في كعكة شبكية والتي حفظتها مخبأة في خزانة مع مجوهراتها. قبل بضعة سنوات، وعندما بدأ شعرها يهزل ويصبح فضياً، ولإعطائه قوامه، وضعت كعكتها السوداء الكهربائية مذبذبة إلى رأسها الفضي الصغير. كان هذا مقبولاً في كتابها طالما أن الشعر بأكمله كان شعرها هي. في الليل، وعندما كانت تنزع كعكتها، كانت تسمح لحفيديها أن يضفرا شعرها المتبقي بذيل فأر رمادي مزيت مشدود برباط مطاطي في نهايته. أحدهما كان يضفر شعرها، بينما كان الآخر يعدّ شاماتها التي لا تحصى. كانا يتبعان دوراً في ذلك.

كانت ماماتشي قد حصلت على جمجمتها، أخايد هلالية الشكل مخفية بعناية بشعرها الهزيل، ندوب ضرب قديم من زواج قديم. ندوبها من المزهريّة النحاسية.

كانت ماماتشي تعزف Lentement - حركة من المجموعة I في فا/ سي لمقطوعة هاندل الموسيقى المائبة. خلف نظارتها المائلة، كانت عينها عديمتا الفائدة مغلفتين، لكنها كانت تستطيع رؤية الموسيقى وهي تغادر كمانها وترتفع في العصر كالدخان.

داخل رأسها، كان الوضع كغرفة بستائر غامقة مسحوبة خلال يوم ساطع.

بينما كانت تعزف، سرح عقلها عائداً إلى أول دفعة لها من المخللات المحترقة. كم بدت جميلة ! معلّبة ومختومة، متوضعة على طاولة قرب رأس سريرها، بحيث تكون أول شيء تلمسه في الصباح عند استيقاظها. كانت قد ذهبت للنوم باكراً تلك الليلة، لكنها استيقظت بعد منتصف الليل بقليل. تلمستها، صادفت أصابعها المتلهفة طبقة من الزيت. كانت زجاجات المخلل واقفة في بركة من الزيت. والزيت في كل مكان. في حلقة تحت ترمسها. تحت المجليها. على كامل متصدتها الجانبية. كان المانغو المخلل قد امتص الزيت وتمدد، جاعلاً الزجاجات ترشح.

استشارت ماماتشي الكتاب الذي أحضره لها تشاكو مقياس الحفظ المنزلي، لكنه لم يقدم حلاً نافعاً. عندها كتبت رسالة تُصهر أناما تشاندي، الذي كان المدير الإقليمي لمخللات البادما في بومباي. اقترح أن تزيد من نسبة المادة الحافظة التي تستخدمها. ومن الملح. ساعد هذا، لكنه لم يحل المشكلة كلياً. حتى الآن، وبعد كل تلك السنين، ما تزال زجاجات مخمللات اللجنة ترشح قليلاً. يشكل غير محسوس، لكنها ما تزال ترشح، وفي الرحلات الطويلة كانت لصقاتها تصبح زيتية وشفافة. والمخللات ذاتها ظلت تميل إلى الملوحة نوعاً ما.

تسألت ماماتشي فيما إذا كانت ستتمكن أبداً من اتقان فن الحفظ، وفيما إذا كانت صوفي مول سترغب ببعض مسحوق العنب المثلج. أو بقليل من عصير أرجواني بارد في كأس.

ثم فكرت في مارغريت كوتشاما، وأصبحت النوبة السائلة الوانبة، لموسيقى هاندل، حادة مجلجلة وغاضبة.

لم تلتق ماماتشي أبداً بمارغريت كوتشاما. لكنها كانت تحقرها على أية حال. ابنة صاحب دكان هكذا كانت مارغريت كوتشاما قد حُفظت بعيداً في ذاكرة ماماتشي. كان عالم ماماتشي مرتباً بهذه الطريقة. عندما تُدعى إلى عرس في كوتايام، كانت تغطي الوقت وهي تهمس إلى أيٍّ من ذهبت معه، «إن جد العروس من جهة أمها، كان نجار والدي. كوني كوتي ايان وأخت جدته الكبرى كانت قابلة فحسب في تريفاندوم. كانت عائلة زوجي تملك هذه الهضبة بكاملها.»

بالطبع كانت ماماتشي لشكره مارغريت موتشاما حتى لو كانت وريثة عرش انكانترة، لم تكن خلفيتها التي تنتمي للطبقة العاملة فقط ما يسخط ماماتشي. لقد كرهها لأنها كانت زوجة تشاكو. كرهتها لأنها تركته. لكنها كانت لشكرها حتى أكثر إذا كانت قد بقيت.

في اليوم الذي منع فيه تشاكو باباتشي من ضربها (واغتال باباتشي كرسيه عوضاً عن ذلك)، حزمت ماماتشي حقائبها الزوجية وعهدت بها إلى

عناية تشاكو. منذئذ فصاعداً أصبح مستودع كل مشاعرها الانثوية. رجليها. حبها الوحيد.

كانت على علم بعلاقاته الفاجرة مع نساء العمل، لكنها توقفت عن التألم بسببهن. وعندما أثارت بيبي كوتشاما الموضوع، أصبحت ماماتشي متوترة ومشدودة الشفاه.

«إنه لا يستطيع تجنّب أن يكون لديه احتياجات رجال»، قالت بتزمّت. وبشكل يذوّل للاستغراب، قبلت بيبي كوتشاما هذا التعليل، وكسب مفهوم احتياجات الرجال المهيم والمثير سرّاً، مباركة ضمنية في منزل أيميم. ولم ترّ لا ماماتشي ولا بيبي كوتشاما أي تناقض بين عقل تشاكو الماركسي وبين شهرته الجنسية الاقصائية. قلقتا فقط بشأن الناكساليين الذين عُرفوا باجبارهم رجالاً من عائلات راقية على الزواج من البنات الخادמות اللواتي جعلوهن حاملات. بالطبع لم يشكّا ولا حتى من بعيد أن الصاروخ عندما سيطلق، ذاك الذي سيقتضي على اسم العائلة الصالح إلى الأبد، سيأتي من جهة غير متوقعة كلياً.

عمرت ماماتشي مدخلاً منفصلاً لفرقة تشاكو، التي كانت عند الطرف الشرقي من المنزل، بحيث لا يكون على أغراض «احتياجاته» أن تتسكع عبر المنزل. زلقت لهن مالاّ خفية لتبقيهن سعيدات. أخذنه لأنهن كنّ بحاجة له. كان لديهن أطفال صغار أو آباء عجائز. أو أزواج كانوا ينفقون كل ما يكسبونه في بارات التودي. ناسب الترتيب ماماتشي، لأنه في عقلها، الأجرة توضع الأمور. فاصلة بين الجنس والحب. بين الاحتياجات والمشاعر.

يبد أن مارغريت كوتشاما كانت مسألة يجب أن يُعامل معها بشكل مختلف كلياً. وحيث أنه لم يكن لديها وسائل لتكتشف (بالرغم من أنها قد حاولت مرة أن تجعل كوتشو ماريا تفحص شرائف السرير من أية لطخ)، لم يكن بمقدور ماماتشي سوى أن تأمل بأن مارغريت كوتشاما لم تكن تنوي امتثاف علاقتها الجنسية مع تشاكو. حينما كانت مارغريت كوتشاما في أيميم، تدرّت ماماتشي مشاعرها صعبة المراس بطريقة أخرى، وذلك برلقها

مالاً في جيوب الأتواب التي كانت تتركها مارغريت كوتشاما في سلة الغسيل. لم تُعد مارغريت كوتشاما أبداً المأل، لأنها ببساطة لم تجده مطلقاً. كانت جيوبها تُفرغ كنوع من الروتين من قبل آنيان منظف الثياب. كانت ماماتشي تعرف هذا، لكنها فضّلت أن تُفسّر صمت مارغريت كوتشاما كقبول ضمنّي للمعروف الذي كانت ماماتشي تتصور أنها تمنحه لابنها.

وهكذا شعرت ماماتشي بالرضى في اعتبارها لمارغريت كوتشاما كعاهرة أخرى فحسب. وكان آنيان منظف الثياب سعيداً بالبقشيش اليومي، وبالطبع ظلت مارغريت كوتشاما غافلة سعادة عن الترتيب بأكمله.

من مجثمه على الجدار، صاح طير غير مهندم هوروب هوروب وعدل جناحيه اللذين بلون حمرة الصدا.

سرق غراب قليلاً من صابون غرغر في منقاره.

في المطبخ المعتم المدخن، وقفت كوتشو ماريا القصيرة على أصابع أقدامها وتلّحت تورته أهلاً بك فحسب. بهذا صوّف هول الكبيرة وعديدة الأسطح. بالرغم من أنه في تلك الأيام، حتى النساء المسيحيات السوريات قد بدأن بارتداء الساري، إلا أن كوتشو ماريا كانت ما تزال ترتدي قميصها الأبيض النظيف ذا أكمام القصيرة والقبة التي بشكل V وموندوها الأبيض، والذي كان مطوياً في مروحة قماشية مجمدة على ظهرها. كانت مروحة كوتشو ماريا مخفية تقريباً بمئزر الخادمة الأزرق المكشكش ذي التريعات المتنافر على نحو سخيف، والذي كانت ماماتشي تُصرّ على أن ترتديه داخل المنزل.

كان لها سواعد ثخينة وقصيرة، وأصابع مثل كوكتيل سجن، وانف لحمي عريض بفتحات ضيقة. وتجاوّد عميقة من الجلد كانت تصل أنفها بطرفي ذقنها، وتفصل ذلك القسم من وجهها عن بقية، كالخطم. كان رأسها كبيراً جداً بالنسبة لجسمها. وتبدو كجنين معبأ فر من انائه الذي يحوي غازاً نفاذ الرائحة في محبر بيولوجي، وأصبح منفلاً ومكتفياً مع الزمن.

كانت تحتفظ بنقود رطبة في صدارتها التي تربطها بإحكام حول صدرها

لتبسط ثدييها غير المسيحيين. كان قرطاهما الكونوكو ثخينين وذهيبن. كانت شحمتا أذنيها قد امتدتا في حلقتين مثقلتين تتأرجحان حول رقبتها، وقرطاهما جالسان فيهما كأطفال فرحين ذاهبين في جولة دائرية (ليست دائرية بالكامل). انشطرت شحمتها وفتحت ذات مرة وخيطت مرة ثانية من قبل الطبيب فيرغيس فيرغيس. لم تستطع كوتشو ماريا ألا تضع قرطيهما الكونوكو لأنها لو لم تفعل، فكيف سيعرف الناس أنه بالرغم من عملها الوضيع كطباخة (بخمسة وسبعين روبية في الشهر) كانت مسيحية سورية، تابعة للقديس توما وليست ييلايا أو بولايا، أو بارافان. بل غير منبوذة، من الطبقة المسيحية العليا (التي تربت إليها المسيحية كالشاي من كيس شاي). لقد كانت شحمتان أعيدت خياطتهما خياراً أفضل إلى حد بعيد.

لم تكن كوتشو ماريا قد أطلعت على إدمان التلفزيون المنتظر داخلها. إدمان هالك هوغان. لم تكن قد رأت جهاز تلفزيون بعد. ولم تكن لتصدق بأن التلفزيون موجود. ولو اقترح أحدهم أنه موجود، لحسبته أو حسبتها يهينان ذكاءها. كانت كوتشوماريا حذرة ومتحفظة بشأن روايات الآخرين عن العالم الخارجي. وفي أغلب الأحيان كانت تعتبرها اساءة لنقص ثقافتها و (سابقاً) لسذاجتها. في انقلاب مزعم على فطرتها الطبيعية، كانت كوتشو ماريا الآن، وكسياسة، نادراً ما تصدق أي شيء يقوله لها أي شخص. منذ بضعة أشهر، في تموز، عندما أخبرتها راحيل أن رائد فضاء أميريكياً يُدعى نيل أمسترونغ قد سار على سطح القمر، ضحكت بتهكم وقالت أن رجلاً مالايالي يُدعى و. موثاتشان، قد قام بشقبة على الشمس. بأفلام فوق أنفه. كانت مستعدة لتقر بأن أميريكيا موجودة بالرغم من أنها لم ترها في حياتها. لكن جزء السير فوق القمر؟ لا ياسيدي. ولم تنق أيضاً بالصورة الرمادية المبهمة التي ظهرت في Malayala Manorama التي لم تكن تستطيع قراءتها.

ظلت متأكدة من أن إستا عندما كان يقول، «Et tu, Kochu Maria?»، كان يهينها بالانكليزية. اعتقدت انها كانت تعني شيئاً من قبيل كوتشو ماريا، أنت قزم أسود قبيح. انتظرت، مترقبة فرصة مناسبة لتشتكيه.

انتهت من تليج التورقة العالية. ثم أرخت رأسها إلى الوراء وامتصت
البقايا المثلجة على لسانها. لقائف لا نهائية من معجون أسنان شوكولاني على
لسان كوتشو ماريا الوردى. عندما نادى ماماتشي من الشرفة «كوتشو ماريا!
إنني أسمع السيارة!» كان فيها غملاً بالمثلجات ولم تستطع الإجابة. عندما
انتهت، جابت بلسانها على أسنانها وقامت بسلسلة من أصوات امتصاص
قصيرة بلسانها مقابل سقف حلقها كأنها كانت قد كُلت للتو شيئاً حامضاً.

صوت سيارة بليموث بعيدة (مارة بموقف الباص، مارة بالمدرسة، مارة
بالكنيسة الصفراء وصاعدة الطريق الأحمر الوعر عبر أشجار المطاط) بعث
بهمهمة عبر أبنية مخلات اللجنة المظلمة الباهتة.

توقف التخلييل (والهرس، والتقطيع، والغلي والتحرك، والحرس،
والتعليق، والتجفيف، والوزن وحتم الزجاجات)

«Chacko Saar vannuk»^(١) استمر الهمس المرتحل. وضعت
السككاكين الفارمة. أهملت الخضراء نصف مقطعة على صحف فولاذية
كبيرة. وقطع القرع المرة المتروكة، والأناناسات غير المكتملة. نُزعت الكفوف
المطاطية الملونة (البهاقة، كموازل ثخينة مبهجة). وغُسلت الأيدي المخملية
وُنُشت بالمرابيل المصبوغة بالأزرق. استعيدت لحصل الشعر الفاترة وأعيدت
تحت مناديل الرأس البيضاء. أنزلت الموندو المطوية تحت المرابيل. وُنعت
مفصلات أبواب المصنع الشفافة، وتُركت تغلق لوحدها بصخب.

وعلى جانب واحد من الدرب، بجانب البئر القديمة، في ظل شجرة التمر
الهندي، تجتمع جيش صامت من المرابيل الزرقاء في الخضرة الحارة لينقرج.

بمرابيل زرقاء وقبعات بيضاء، مثل تجعد أعلام زرقاء وبيضاء أنيقة.

آتشو، جوزيف، ياكو، أنيان، الأيان، كوتان، فيجايان، فاوا، جوي،

(١) - جاء السيد. (المترجمة).

سومائي، آمال، أناما، كانكاما، لاثا، سوشيل، فيجاياما، جولي كوتي، مولي كوتي، لاكي كوتي، بينامول (بنات بأسماء باصات). التهدير المبكر للاستياء محجوباً تحت طبقة سميكة من الولاء.

دخلت البليموث السماوية البوابة وطحنت فوق الدرب الحصوي ساحقة قواقع صغيرة ومشطية حصى حمراء وصفراء صغيرة. تطوَّح الأطفال خارجاً. نافورتان منهارتان.

نفخات شعر مسطحة.

بنطال أصفر معقد برجلين عريضتين وحقيبة غوغو محبوبة. دفق متباطيء وبالكاد مستيقظ. ثم الراشدون المتورمو الكواحل. متيبسون من الجلوس الطويل.

«هل وصلتم؟» سألت ماماتشي، مديرة نظارتها الغامقة المائلة باتجاه الأصوات الجديدة: صفق أبواب سيارة، الخروج، وخفضت كمانها. «ماماتشي!» قالت راحيل لجدتها العمياء الجميلة. «تقياً إستا! في منتصف صوت الموسيقى! ...»

لمست آمو ابتها بلطف، على كتفها. وكانت اللمسة تعني شششش... نظرت راحيل حولها ووجدت أنها كانت في مسرحية. لكن لم يكن لها إلا دور صغير.

كانت الخلفية فحسب. وردة ربما. أو شجرة.

وجهاً في حشد. سكان مدينة.

لم يقل أحد مرحباً لراحيل. ولا حتى الجيش الأزرق في الخضرة الحارة. «أين هي؟» سألت ماماتشي أصوات السيارة. «أين حبييتي صوفي مول؟» تعالي هنا ودعيني أراك.

بينما كانت تتكلم، تفتت اللحن المنتظر الذي كان معلقاً فوقها كمظلة هيكل فيل متألّيء، وسقط بنعومة حولها كالغبار.

تشاكو ببذله ماذا حدث لرجل جماهيرنا؟ وبربطة عنقه المعلوفة جيداً، قاد مارغريت كوتشاما وصوفي مول بانتصار إلى أعلى الدرجات الحمر التسع ككأسي تنس كان قد ربحهما مؤخراً.

ومرة أخرى، لم تُقل إلا الأشياء الصغيرة. وكمنت الأشياء الكبيرة مصممة لم تُلفظ. «مرحباً، ماماتشي»، قالت مارغريت كوتشاما في صوت معلمة المدرسة اللطيف الذي لديها (والذي كان يصفع في بعض الأحيان). «شكراً لك لقبولنا. نحتاج كثيراً لأن نبعد.»

التقطت ماماتشي نفحة من عطر رخيص متحفظ عند الأطراف بجانب خطوط التعرق. (كان لديها زحاجة من ديور في كيس جلدي أخضر رقيق أغلقت عليها بعيداً في خزانها.)

أخذت مارغريت كوتشاما يد ماماتشي. كانت الأصابع ناعمة، والخواتم الياقوتية قاسية.

«مرحباً، مارغريت»، قالت ماماتشي (لا فظة، ولا مهذبة)، ونظارتها الغامقة ما تزال في مكانها. «أهلاً بك في أيجينيم. وأنا آسفة لأنني لا أستطيع رؤيتك، فكما ولا بد أنك ترين، أنا عمياء تقريباً.» تكلمت بطريقة مفتعلة بطيئة.

«أوه لا عليك»، قالت مارغريت كوتشاما. «أنا واثقة أنني أبداً مريعة على أي حال.» ضحكت نارتباك، غير متأكدة إذا كان الجواب مناسباً.

«خطأ»، قال تشاكو. استدار إلى ماماتشي مبتسماً ابتسامة فخورة لم تستطع أمه أن تراها. «إنها جميلة كهدهدا دائماً.»

«لقد أسفت جداً للسماع بأمر.. جو»، قالت ماماتشي. بدت أنها أسفت قليلاً. وليس كثيراً.

وكان هناك صمت حزن بشأن جو.

«أين هي حبيبتي صوفي مول؟» قالت ماماتشي. «تعالى هنا ودعي جدتك تنظر إليك.»

قيدت صوفي مول إلى ماماتشي. دفعت ماماتشي نظارتها الشمسية إلى الأعلى داخل شعرها. نظرنا إلى الأعلى كعيني قطرة مائتين إلى رأس الثور الأميركي المتعفن. قال رأس الثور الأميركي المتعفن «لا، قطعاً لا». في صوت ثيران أميركية متعفنة.

لم يكن باستطاعة ماماتشي حتى بعد عمليتها لزرع القرنية، أن ترى سوى ضوء وظلال. إذا كان أحد يقف على المدخل، كان باستطاعتها أن تقول أن أحدهم كان يقف في المدخل. ولكن لا تستطيع معرفة من هو. كانت تستطيع قراءة شيك، أو ايصال، أو إشعار بنك فقط إذا كان قريباً كفاية لتلامسه رموشها. عندها كانت تمسك به ثابتاً، وتحرك عينها عبره. منقلة إياها من كلمة إلى كلمة.

شاهدت سكان المدينة (في عبايتها التي لجنية) ماماتشي تسحب صوفي مول قريباً من عينها لتتظر إليها. لتقرأها كشيك. لتفحصها كإشعار بنك. رأت ماماتشي (بعينها الأفضل حالاً) شعراً نبياً محمراً (تـ... تقريباً أشقر)، انحناء خدين منمشين (تـ... تقريباً زهرين)، وعينين زرقاوين رماديتين.

«أنف باباتشي»، قالت ماماتشي. «قولي لي، هل أنت بنت جميلة؟» سألت صوفي مول.

«نعم»، قالت صوفي مول.

«وطويلة؟»

«وطويلة بالنسبة لستّي»، قالت صوفي مول.

«وطويلة جداً»، قالت بيبي كوتشاما. «أطول بكثير من إستا.»

«إنها أكبر»، قالت آمو.

«ولو...» قالت بيبي كوتشاما.

أبعد قليلاً، صعد فيلوثا، الطريق المختصر عبر أشجار المطاط. عارياً. لفيفة من سلك كهربائي مهان كانت معقودة حول كتف واحد. كان يلبس موندوه

المرسوم بالأزرق الغامق والأسود مطوياً بشكل غير محكم فوق ركبتيه. وعلى ظهره، ورقة الشجر التي له من شجرة الوحمة (التي كانت تجعل الرياح الموسمية تأتي في وقتها). ورقة الشجر الخريفية في الليل.

قبل أن يلوح عبر الأشجار وينلج الدرب، رأته راحيل وانزلت خارجة من المسرحية وذهبت إليه.
وأنها آمو تذهب.

بعيداً عن خشبة المسرح، رقبتهما يؤديان تحيتهما الرسمية المسهبة. انحنى فيلوثا كما لقّن، ونشر موندوه كتشورة، كخادمة مصنع الأنبان الانكليزية في قطور الملك. انحنى راحيل (وقالت «انحن»). ثم عققا أصابعهما الصغيرة وتصافحا برزانة بسماء رجال مصرفيين في اجتماع رسمي.

في ضوء الشمس المرقط المرتشح عبر أشجار الغابة الداكنة الخضرة، راقبت آمو فيلوثا وهو يرفع ابتها بسهولة وكأنها طفلة قابلة للنفخ، مصنوعة من الهواء. ينما كان يقدفها عالياً وكانت هي تحط بين ذراعيه، رأّت آمو على وجه راحيل فرحة كبيرة لصغير طائر.

رأت ان حواف العضلات على معدة فيلوثا قد أصبحت مُدربة وبرزت تحت جلده كتقاطيع على لوح شوكولاتة. تساءلت كيف تغير جسمه - بهدوء شديد - من جسم صبي مشطح العضلات إلى جسم رجل. مميز وصلب. جسم سباح. جسم سباح بحار. مصقول بلمنح جسم من الشمع الرفيع.
كان لديه عظمتا خد عاليتان وابتسامة بيضاء مفاجئة.

ابتسامته هي التي تذكر آمو بفيلوثا كصبي صغير. يساعد فيلثا يابن في عدد ثمرات جوز الهند. ممكناً بهدايا صغيرة صنعها من أجلها، مسضخة على راحة يده بحيث تستطيع أخذها دون أن تلمسه. قوارب، صناديق، طواحين هواء صغيرة. مخاطباً إياها بـ «آمو كوتي». آمو الصغيرة. مع أنه كان أصغر منها بكثير. عندما تنظر إليه الآن، لا تستطيع مقاومة التفكير أن الرجل الذي أصبحه يحمل القليل جداً من الصبي الذي كانه في السابق. ابتسامته كانت

قطعة المتاع الوحيدة التي حملها معه من الصبا إلى الرجولة.

فجأة، أملت أمو أن يكون هو من رآته راحيل في المسيرة. أملت أن يكون هو من رفع علمه وفراعه المعقودة بشريطة في غضب. أملت أن يكون قد أسكن نعت عباءة بشاشته، غضباً متنفساً حياً ضد العالم النظيف المرتب، التي كانت تشعر بسخط شديد تجاهه.

أملت أن يكون هو.

تفاجأت بمدى الاستجابة البدنية لابنتها معه. تفاجأت من أن طفلتها بدت وكأن لديها عالماً فرعياً أبعداها هي كلياً. عالماً حسياً من الالتسامات والضحك، حيث هي، أمها، ليس لها دور فيه. لاحظت أمو أن أفكارها قد طُغمت بلمسة أرجوانية رقيقة من الحسد. لم تسمح لنفسها أن تفكر من كان الذي حسدته. الرجل أم طفلتها. أم فقط عالمها من الأصابع المعقوفة والالتسامات المفاجئة.

الرجل الواقف في ظل أشجار المطاط ونقود من أشعة الشمس ترقص على جسده، حاملاً ابنتها بين ذراعيه، اختلس النظر نحو الأعلى، والتقط نظرة أمو. قُربت قرونٌ بمنظار داخل لحظة زائلة واحدة. أخطأ التاريخ خطواته، قبض عليه بعيداً عن الحراسة. سُلخ كجلد أفعى قديم. علاماته، ندوبه من الحروب القديمة وأيام السير نحو الخلف، سقطت جميعها بعيداً. ترك في غيابه، هالة، تلاًوفاً حسياً ملموساً كان من السهل رؤيته كسهولة رؤية الماء في النهار أو الشمس في السماء. من السهل الإحساس به كسهولة الإحساس بالحرارة في يوم حار، أو بجذب سمكة بخيط مشدود. جلياً لدرجة أن احداً لم يلاحظه.

في تلك اللحظة الموجزة، نظر فيلوتا نحو الأعلى ورأى أشياء لم يكن قد رآها من قبل. أشياء كانت بعيدة عن الحدود حتى الآن، محتجة بغمامات التاريخ.

أشياء بسيطة.

فعلى سبيل المثال، رأى أن أم راحيل كانت امرأة.

وأن لها غمازتين عميقتين حين تبسم وأنهما كانتا تظلآن طويلاً بعد أن تغادر الابتسامة عينيها. رأى أن ذراعيها البينيتين كانتا مدورتين ومكنترتين ومثاليتين. وأن كتفيها كانتا مشعبتين، لكن عينيها كانتا في مكان آخر. رأى أنه عندما يعطيها هدايا لن يكون هناك من داع ليقدمها على راحتي يديه حتى لا تلمسه. قواربه وصناديقه. طواحين هوائه الصغيرة. رأى، أيضاً، أنه لم يكن، بالضرورة، هو المقدم الوحيد للهدايا. أن لديها هي، أيضاً، هدايا لتقدمها له. انزلقت هذه المعرفة داخله بنقاء، كحد سكين حادة. باردة وساخنة في الوقت نفسه. استغرق الأمر لحظة فقط.

رأت أمو أنه رأى. نظرت بعيداً. وكذلك هو. عادت شياطين التاريخ لتحتج عليهما. لتغلف ثانية فروتها القديمة المليئة بالندوب وتجرهما إلى حيث كانا يعيشان في الواقع. حيث تحدّد قوانين الحب من يجب أن يُحب. وكيف. وكم.

صعدت أمو الشرفة، عائدةً إلى المسرحية. ترتجف.

نظر فيلوثا إلى السفيرة ح. حشرة بين ذراعيه. وضعها. وهو يرتجف أيضاً. «وانظري إلى نفسك!» قال، ناظراً إلى عباءتها الرقيقة السخيفة. «جميلة جداً! هل ستزوجين؟»

اندفعت راحيل نحو ابنيها ودغدغته دون رحمة. غرغر غر!

«لقد رأيتك البارحة»، قالت.

«أين؟» جعل فيلوثا صوته عالياً ومتفاجئاً.

«كاذب» قالت راحيل. «كاذب ومدّع. لقد رأيتك. كنت شيوخاً وكان

لديك قميص وعلم. وتجاهلتنني.»

«Ayyo Kashdam» قال فيلوثا. «هل أفعل أنا ذلك؟ أنت قولي لي، هل

يفعل فيلوثا ذلك أبداً؟ لا بد وأنه توأمي الضائع منذ زمن بعيد.»

«أي توأم ضائع منذ زمن بعيد؟»

«أورومبان السخيف... ذاك الذي يعيش في كوتشي.»

«من أورومبان؟» ثم رأت راحيل الوميض. «كاذب! ليس لديك توأم! لم يكن أورومبان! كان أنت!»

ضحك فيلوثا. كانت له ضحكة حلوة من قلبه.

«لم أكن أنا»، قال. «كنت مريضاً في الفراش.»

«انظر، أنت تبتسم!» قالت راحيل. «هذا يعني أنه كان أنت. الابتسام يعني «أنه كنت أنت.»»

«هذا في الانكليزية فقط!» قال فيلوثا. «في المالايالام، كان أستاذي يقول دائماً، «الابتسام يعني أنه لم يكن أنا.»»

استغرق الأمر راحيل لحظة لفهم ثم اندفعت نحو إبطيه ودغدته ثانية غر غر غر!

نظر فيلوثا وهو ما يزال يبتسم إلى داخل المسرحية باحثاً عن صوفي مول.

«أين عزيزتنا صوفي مول؟ لنراها. هل تذكرت اصطحابها، أم خلفتها وراءك؟»

«لا تنظر هناك»، قالت راحيل بعجل.

وقفت على الحاجز الاسمتي الذي يفصل أشجار المطاط عن الدرب، ووضعت يديها بقوة على عيني فيلوثا.

«لماذا؟» قال فيلوثا.

«لأنني»، قالت راحيل. «لا أريدك أن تفعل.»

«أين الصبي إستا؟» قال فيلوثا، بسفيرة (متكررة في زي حشرة ماصة متكررة في زي جنية مطار) متدلية على ظهره ورجلاها تطوقان خصره، معصبة إياه بيديها الصغيرتين اللزجتين. «لم أره.»

«اوه، لقد بعناه في كوتشين»، قالت راحيل بمرح. «مقابل كيس أرز ومصباح يدوي.»

ضغط زيد العبادة الصلبة وروداً مخزومة خشنة على ظهر فيلوثا. أزهرت
ورود مخزومة وورقة شجر جالبة للنحظ على ظهر أسود.
لكن عندما بحث راحيل في المسرحية عن إستا، وجدت أنه لم يكن
هناك.

بالعودة إلى داخل المسرحية وصلت كوتشو ماريما، نصيرة، وراء تورتنها
العالية.

«جاءت التورثة»، قالت، بصوت عالي قليلاً، لماماتشي.
كانت كوتشو ماريما تتكلم دوماً بصوت عالي قليلاً مع ماماتشي لأنها
افترضت أن نظراً ضعيفاً يؤثر أوتوماتيكياً على بقية الحواس.
«Kondoo»^(١)، كوتشو ماريما؟ قالت ماماتشي. «هل تستطيعين رؤية
حييتنا صوفي مول؟»
«Kandoo»^(٢)، كوتشاما»، قالت كوتشو ماريما بصوت عالي زيادة.
«أستطيع رؤيتها».

ابتمت لصوفي مول بشكل عريض زيادة. كانت بطول صوفي مول
بالضبط. أكثر قصراً من المسيحيين السوريين، بالرغم من جهودها الكبيرة.
«لها لون أمها»، قالت كوتشو ماريما.
«وانف باباتشي»، أصرت ماماتشي.
«لا أعلم بشأن ذلك، نكنها جميلة جداً»، صاحت كوتشو ماريما.
«Sundari Kutty». إنها ملاك صغير.

كانت الملائكة بلون شاطئ البحر وتليس سراويل عريضة الأرجل.
الشياطين الصغيرة كانت بلون الوحل بعباءات جنية مطار وبخططات على

(١) - هل رأيت؟ (الترجمة).

(٢) - نعم رأيت. (الترجمة).

الجين من الممكن أن تتحول إلى قرون. بتأقررات في الحب - في - طوكيو.
وبعادات قراءة بالقلوب.

وإذا ما دقت النظر، تستطيع رؤية إبليس في عيونهم.

أخذت كوتشو ماريا يدي صوفي مول كليهما في يديها الراجتين نحو
الأعلى، ورفعتهما إلى وجهها وتنشقت بعمق.

«ماذا تفعل؟» أرادت صوفي مول أن تعرف، يدان لندنيان رقيقتان
مُحضَّتان في يدين أيميتيتين قاسيتين. «من هي؟ لماذا تشم يدي؟»

«إنها الطباخة»، قال تشاكو. «هذه طريقتهما في تقبيلك.»

«تقبيل؟» كانت صوفي مول غير مقتنعة، لكن مهتمة.

«يا للروعة!» قالت مارغريت كوتشاما. «أنه نوع من الاستنشاق! هل
يفعل الرجال والنساء ذلك مع بعضهم البعض أيضاً؟»

لم تكن تريدها أن تبدو كذلك، احمرت. ثقب بشكل معلمة مدرسة
مُخرجة في الكرون.

«أوه، طوال الوقت!» قالت آمو، وخرجت أعلى قليلاً من التمتمة
الساخرة التي كانت تقصدها. «هكذا نحب الأطفال.»

لم يصفعها تشاكو.

فلم ترد له الصفعة.

لكن جوالانتظار أصبح هائجاً.

«أعتقد أنك مُدنية لزوجتي باعتذار، يا آمو»، قال تشاكو، بظهور امتلاكي
احترازي، (أملأ أن مارغريت كوتشاما لن تقول، «زوجك سابقة، يا تشاكو!»
وتهزّ زهرة بانجهاه.)

«أوه، كلا!» قالت مارغريت كوتشاما. «لقد كانت غلطتي! لم أكن
أقصد مطلقاً أن تبدو كذلك.. ما قصدته كان - أعني إنه لأمر ساحر أن نفكر-»

«لقد كان سؤالاً مشروعاً تماماً»، قال تشاكو. «وأنا أعتقد أن على آمو أن

تعتذر.»

«هل علينا أن نتصرف كقبيلة ما ننذاها الله ملعونة أكتشفت للتو؟» قالت
آمو.

«يا إلهي!» قالت مارغريت كوثشاما.

في هدوء المسرحية الغاضب (والجيش الأزرق في الحضرة الحارة مايزال
يتفرّج)، عادت آمو إلى الليموث، أخرجت حقيبتها، صفقت الباب، واتجهت
نحو غرفتها، وكتفأها تشعان. تاركة الجميع يتساءلون من أين اكتسبت
وقاحتها.

والحق يُقال، لم تكن مسألة استفهام بسيطة.

لأن آمو لم تكن قد تلقت شيئاً من الثقافة، ولا قرأت أصنافاً من الكتب،
ولا التقت أجناساً من الناس، الذين من الممكن أن يكونوا قد أنزوا عليها لتفكر
بالطريقة التي كانت تفكر بها.

✽

كانت بالصبط ذلك النوع من الحيوان.

في طفولتها، تعلّمت بسرعة أن تنبذ وتتخطى قصص الدب الأب والدبة
الأم التي كانت تُعطى لها لتقرأها. في نسختها، كان الدب الأب يضرب الدبة
الأم بمزهرية نحاسية. وكانت الدبة الأم تتحمّل ذلك الضرب باستسلام أبكم.

في سنوات نموها، شاهدت آمو والدها ينسج نسيجه القبيح. كان ساحراً
ودمناً مع الزوار، ويتوقف قليلاً لمداهنتهم إذا صدف وكانوا من البيض. تبرّع
بالمال للأيتام ولعيادات البرص. عمل جاهداً على صورته العلنية أمام الناس
كرجل أخلاقي كريم ومحتك مطّلع. لكنه لوحده مع زوجته وأولاده، كان
يتحول إلى أمر شرس مرتاب شنيع، بمسحة من دهاء شرير متوحش. كانوا
يُضربون ويذلون ومن ثم كان عليهم تحمّل حسد الأصدقاء والأقارب لأن لهم
مثل هذا الزوج والأب الرائع.

كانت آمو قد احتملت ليالي شتاء باردة في دلهي مختبئة في السياج مع
أمها حول منزلهم (في حال رآهم أناس من عائلات راقية) لأن باباتشي كان قد
عاد من العمل معتلاً، وضربها وماماتشي وأخرجهما من البيت.

في ليلة ماثلة، راقبت أمو التي كانت في التاسعة من عمرها، المختبئة مع أمها في السياج، ظلّ باباتشي الأنيق في النوافذ المضاءة وهو يطير من غرفة إلى غرفة. غير مكثف من كونه قد ضرب زوجته وابنته (تشاكو كان غائباً في المدرسة)، مرق الستائر، رفس الأثاث، وحطّم مصباح منضدة. بعد ساعة من إنطفاء النور، مستخفة بمناشدة ماماتشي المدعورة، زحفت أمو الصغيرة عائدة إلى المنزل عبر كوة التهوية لتنقذ حذاءها المطاطي الجديد الذي كانت تحبه أكثر من أي شيء آخر. وضعت في كيس ورقي وزحفت عائدة إلى غرفة الاستقبال عندما أشعل النور فحاة.

كان باباتشي جالساً على كرسيه الماهوغي الهزاز طوال الوقت، يورجح نفسه بصمت في الظلام. عندما قبض عليها لم يقل كلمة. جلدها بسوط ركوبه العاجي المقبض (ذاك الذي وضعه على حجره في صورة الاستوديو). لم تبتك أمو. عندما فرغ من ضربها، جعلها تُحضر له مقص ماماتشي المشحوذ من خزنة خياطتها. بينما كانت أمو تتفرّج، كان عالم الحشرات الامبراطوري يمزّق حذاءها المطاطي الجديد بمقص والدتها المشحوذ. كانت شرائط المطاط السوداء تسقط على الأرض. والمقص يصدر أصوات تقطيع مقصية. تجاهلت أمو وجه والدتها المشدود المدعور الذي ظهر على النافذة. استغرق الأمر عشر دقائق ليصبح حذاؤها المطاطي المحبوب ممزقاً كلياً. عندما رفرت الشريطة المطاطية الأخيرة باتجاه الأرض، نظر والدها إليها بعينين باردتين مسطحتين، وتأرجع وتأرجع. محاطاً ببحر من أفاع مطاطية متلوية.

وفيما كانت أمو تكبر، تعلّمت أن تعيش هذه الوحشية المحسوبة. طورت شعوراً عالياً بالظلم والاضطهاد، وتلك الصبغة العنيدة المتهورة التي تنمو عند الصغار الذين كانوا طوال حياتهم مُرهين من قبل كبار. لم تفعل شيئاً، على وجه الدقة، لتجنب الشجارات والمجابهات. وفي الحقيقة، من الممكن البرهان على أنها سعت إليها، وربما استمتعت بها حتى.

«هل ذهبت؟» سألت ماماتشي الصمت من حولها.

«لقد ذهبت»، قالت كوتشو ماريا بصوت عالي.
«هل من المسموح لكم في الهند أن تقولوا «ملعون؟» سألت صوفي مول.

«من قال «ملعون؟» سألت تشاكور.
«هي»، قالت صوفي مول. «العمة آمو. قالت «قبيلة ما هجرها الله منعونة.»

«اقطعي التورتة وأعطي كل واحد قطعة»، قالت ماماتشي.
«لأنه في انكلترا، ليس»، قالت صوفي مول لتشاكو.
«نيس ماذا؟» قال تشاكور.
«مسموح أن تقول م ل ع و ن»، قال صوفي مول.
نظرت ماماتشي بشكل أعمى إلى العصر المشرق. «هل الجميع هنا؟» سألت.

«أوير كونشاما»، قال الجيش الأزرق في الخضرة الحارة، «نحن جميعاً هنا.»

خارج المسرحية، قالت راحيل لفيولوتا: «نحن لسنا هنا، أليس كذلك؟ نحن لا نمثل حتى.»

«هذا صحيح بالضبط»، قال فيولوتا. «نحن لا نمثل حتى، لكن ما أود معرفته هو، أين عزيزنا إستانبايتشاتشن كوتابن بيتر مون»

وأصبح هذا شبيهاً برقص رامبليستيلسكين لاهت بين أشجار المطاط.

أوه يا إستانبايتشاتشن كوتابن بيتر مون

أين؟ أوه أين ذهبت ؟

وتزوج من رامبليستيلسكين إلى سكارليت ييميرنيل^(١).

نحن نبحث عنه هنا. ونبحث عنه هناك

وهؤلاء الفرنسيون يبحثون عنه في كل مكان.

(١) - شخصيات في قصص للأطفال. (المترجمة).

هل هو في الجنة؟ هل هو في الجحيم؟

نلك المضا - مع اللعين إستا - بن؟

قطعت كوتشو ماريا قطعة تورنة نموذجاً لتوافق عليها ماماتشي.

«قطعة واحدة لكل واحد»، أكدت ماماتشي على كوتشو ماريا، وهي تلمس التورنة قليلاً بأصابع ياقوتية الخواتم لترى إن كانت صغيرة كفاية.

نشرت كوتشو ماريا بقية التورنة بشكل فوضوي، وبمشقة، وهي تتنفس من فمها، وكأنها كانت تقطع حروفاً مشوياً. ووضعت القطع على صينية فضية كبيرة. عزفت ماماتشي لحن أهلاً بك في بيتك، حبيبتنا صوفي سول. لحناً متخماً بالشوكولاتة، حلاوة دبكة، وبنية ذائبة. أمواجاً شوكولاتية على شاطئ شوكولاتي.

في وسط اللحن، رفع تشاكو صوته فوق الصوت الشوكولاتي. «ماما! قال (بصوته العالي الخاص بالقراءة). «ماما! يكفي! يكفي كماناً!»

«يكفي؟ أعتقد أنه يكفي، يا تشاكو؟»

«وأكثر من يكفي»، قال تشاكو.

«يكفي يكفي»، غمغمت ماماتشي لنفسها. «أعتقد أنني سأتوقف الآن.» وكأن الفكرة قد خطرت لها فجأة.

وضعت كمانها في العلبة السوداء التي بشكل كمان. التي تغلق كحقيبة. وأغلقت الموصيقى معها.

تيك. وتيك.

وضعت ماماتشي نظارتها السوداء ثانية. ومسحت سنارتها في مواجهة اليوم الحار.

ظهرت أمو من المنزل ونادت على راحيل.

«راحيل أريدك أن تنامي قبلولتك لبعد الظهر! ادخلي بعد أن تتناولتي تورنتك!»

غاص قلب راحيل. قيلولة بعض^(١) الظهر. كانت تكرهها.
عادت أمر داخلًا.

أنزل فيلوثا راحيل، ووقفت هي يئس على طرف الدرب، على محيط
المسرحية، قيلولة بعض ظهر تلوح كبيرة وشريرة مقرقة في أفقها.

«ومن فضلك كفي عن التألف الزائد جداً مع ذلك الرجل!» قالت بيبي
كوتشاما لراحيل.

«تألف زائد؟» قالت ماماتشي. «من هو، تشاكو؟ من هو المتألف زيادة؟»
«راحيل»، قالت بيبي كوتشاما.

«متألفة مع ماذا؟»

«مع من»، صحح تشاكو لأمه.

«حسناً، مع من هي متألفة زيادة؟» سألت ماماتشي.

«مع أثيرك فلوثا - من غيره؟» قالت بيبي كوتشاما. وتشاكو - «أسأله أين
كان البارحة. لنكن حازمين بشكل بهائي»
«ليس الآن»، قال تشاكو.

«ماذا تعني متألف زيادة؟» سألت صوفي مول مارغريت كوتشاما التي
لم تحب.

«فيلوثا؟ هل فيلوثا هنا؟ هل أنت هنا؟» سألت ماماتشي بعد الظهر.

«أوير كوتشاما»، خطا عبر الأشجار إلى داخل المسرحية.

«هل عرفت السبب؟» سألت ماماتشي.

«الغشالة في الصمام السفلي»، قال فيلوثا. «لقد غيّرته. إنه يعمل الآن.»

(١) - استخدمت الكاتبة كلمة خاطئة تفحّم «القيلولة» بشكل بشع بالنسبة لإحساس
طفلة تكرهها. ولذلك ارتأينا أن نستخدم «قيلولة بعض الظهر» بدلاً من «قيلولة بعد
الظهر». (المترجمة).

«إذن أشعله»، قالت ماماتشي. «الخران فارغ».

«سيصبح ذلك الرجل خصمنا»، قالت بيبي كوتشاما. لا لأنها كانت بعيدة النظر وأحسّت بوميص مفاجيء لرؤية تنبؤية. لكن لتوقعه في المشاكل فحسب. لم يعرفها أحد انتباهاً.

«علّموا على كلامي»، قالت بمرارة لاذعة.

«أترينها؟» قالت كوتشو ماريا عندما اقتربت من راحيل بصينية التورته. كانت تقصد صوفي مول. «عندما تكبر، ستصبح كوتشامانا^(١)، وسترفع أجورنا، وستعطينا أثواب ساري نايلونية من أجل الأونام^(٢)» كانت كوتشو ماريا تجمع أثواب الساري بالرغم من أنها لم تلبس قط واحداً منها، ومن المحتمل أنها لن تفعل ذلك أبداً.

«وإذا؟» قالت راحيل. «بحلول ذلك الوقت أكون في أفريقيا».

«أفريقيا؟» ضحكت كوتشو ماريا. «إن أفريقيا مليئة بالناس السود البشعين وبالبعوض».

«أنت هي البشعة الوحيدة»، قالت راحيل، وأصافت (بالانكليزية) «قرمة غبية ا!»

«ماذا قلت؟» قالت كوتشو ماريا مهددة. «لا تخبريني. انا أعرف. سمعت. سأخبر ماماتشي. انتظري فقط ا!»

سارت راحيل عابرة إلى البئر القديمة حيث كان هناك دوماً بعض النمل للقتل. نمل أحمر كان له رائحة ضرطة حامضية عندما يُسحق. تبعها كوتشو ماريا بصينية التورته.

قالت راحيل أن لا تريد أيّاً من التورته السخيفة.

(١) - أي كوتشاما الخاصة بنا. (المترجمة).

(٢) - حفل استقبال حاكم كيرالا القديمة. (لمترجمة).

«Kushumbi»^(١)، قالت كوتشو ماريا، «الغيورون يذهبون مباشرة إلى

المحجم».

«من هو الغيور؟»

«لا اعرف، أنت قل لي»، قالت كوتشو ماريا، بمريول مكشكش وقلب

خالي.

وضعت راحيل نظارتها ونظرت في المسرحية. كان كل شيء بلون الغضب. بدت صوفي مول الواقعة بين مارغريت كوتشاما وتشاكو، وكأنه كان من الواجب صنعها. شاهدت راحيل صفاء كاملاً من النمل الريان. في طريقه إلى الكنيسة. جميعهم يرتدون الأحمر. كان من الواجب قتلهم قبل أن يصلوا هناك. أن يهرسوا ويسحقوا بحجر. لا تستطيع أن تسمح بنمل نث في كنيسة.

أصدر النمل صوت مضغ خافتاً عندما كانت الحياة تفارقه. مثل جنني يأكل خبزاً محمصاً، أو بسكويتاً هشاً.

سكون الكنيسة النملية فارغة وسيستقر الأسقف النملية بثياب الأسقف النملية المضحكة، مؤرجحاً البخور في وعاء فضي. ولن يصل أحد.

وبعد أن يكون قد انتظر قدراً معقولاً من الوقت النملية، سيضطرب تقطعية نملية مضحكة على جبينه، ويهز رأسه بحزن. سينظر إلى النوافذ النملية المتوهجة المنطحة الزجاج وعندما ينتهي من النظر إليها، سيقفل الكنيسة بمفتاح ضخم ويجعلها مظلمة. ثم سيذهب إلى البيت إلى زوجته، و (إذا لم تكن ميتة) ينأمان قبيلة بعظ ظهر نملية.

صوفي مول المرتدية قبعة وبنطالاً برجل عريضة والمحجوبة من البداية، خرجت من المسرحية لترى ما الذي كانت تفعله راحيل خلف البئر. لكن

(١) - شريفة. (الترجمة).

المسرحية ذهب معها. سارت عندما كانت هي تسير، وتوقفت عندما وقفت هي. ابتسامات مولعة تبعتها. أبعدت كوتشو ماريا صينية الثورثة عن طريق ابتسامتها أنثيمة بينما كانت صوفي مول تفرص عند بحر - السحق (أصبح الطرفان السفليان الصفراويان الواسعان موحلين ومبللين الآن)

تفحصت صوفي مول التشويه النتن بنجرود طيب. كان الحجر مكسراً بجث حمراء ويضع أرجل تلوح بوهن.

تفرجت كوتشو ماريا بقطع تورثها.

تفرجت الابتسامات المولعة بافتتان.

بتان صغيرتان تلعبان.

عذبتان.

واحدة بلون الشاطئ.

وواحدة سمراء.

واحدة محبوبة.

واحدة محبوبة أقل قليلاً.

«لنترك واحدة على قيد الحياة حتى تشعر بالوحدة»، اقترحت صوفي مول.

تجاهلتها راحيل وقتلتهم جميعاً. ثم وبعاءتها الرقيقة الخاصة بالمطار وبنطالها القصير الذي يناسبها (والذي لم يعد مجمداً) وبنظارتها الشمسية غير المتناسبة، ركضت بعيداً. اختفت داخل الخضرة الحارة.

بقيت الابتسامات المولعة على صوفي مول كبقعة ضوء، معتقدة ربما أن بنتي الخال والعمة العذبتين كانتا تلعبان لعبة الغميضة، كما يفعل أولاد الخال والعم غالباً.

السيدة بيلاي، والسيدة إيبان، والسيدة راجاغوبالان

تسرّبت خضرة النهار المشّعة من الأشجار. بُسطت أوراق النخل القائمة
كأمشاط متدلّية في مواجهة سماء الريح الموسمية. وانزلقت الشمس البرتقالية
خلال أسندنها المنحنية القابضة الجشعة.

أسرع سرب من خفافيش الفواكه في العتمة.
في الحديقة التزيينية المهملة، شاهدت راحيل الأقزام المتدلّية والملائكة
المهجورة، قرفصت بجانب البركة الآسنة وتفرّجت على الضفادع تقفز من
حجر إلى حجر مزبدة. ضفادع بشعة جميلة.
لزجة. مثأللة. تنقّ.

أمرأ غير مُقبّلين، متلهفون واقعون في فخ داخلها. طعام للأفاعي الكامنة
في عشب حزيران الطويل. حفيف. اندفاع. ولا مزيد من الضفادع لتشب من
حجر إلى حجر مزبدة. لا مزيد من الأمراء ليقبّلوا.

كانت الليلة الأولى منذ قدومها التي لم تهطل فيها الأمطار.
في مثل هذا الوقت تقريباً، فكّرت راحيل، أكون في طريقي إلى العمل.
ركوب الباص. أضواء الشوارع. دخان المحطة. أشكال تنفس الناس على زجاج

حجرتي الواقعي من الرصاص. صالصة النقود المدفوعة تجامي في الصنية المعدنية. رائحة النقود على اصابعي. السكر الدقيق المرعد بعينين صاحيتين والذي يصل عند العاشرة صباحاً بالضبط: «هيه، أنت! أيتها العاهرة السوداء! مقبي قضيتي ١».

كانت تملك سبعمائة دولار. سواراً ذهبياً له رأسي أفعى. لكن يبي كوتشاما كانت قد سألتها كم من الوقت تنوي بقاءه بعد. وماذا تنوي أن تفعل بشأن إستا.

لم يكن لديها أية خطط.

لا خطط.

لا حق في الملكية.

نظرت نحو الخلف إلى الثقب الذي بشكل منزل جملوني والذي يلوح في الكون وتخللت العيش في القصعة الفضية التي كانت يبي كوتشاما قد ركبته على السطح. إنها أكبر بالتأكيد من بيوت الكثيرين. أكبر، على سبيل المثال، من مسكن كوتشو ماريا الضيق.

إذا ما ناما هناك، هي وإستا، ملتفين كحبيبين في رحم مولادي ضحل، فماذا سيفعل هالك هوغان وبام بام ييفيلو؟ إذا أُحتل الديش، أين سيذهبان؟ هل سينزلقان عبر المدخنة إلى داخل حياة يبي كوتشاما وتلفزيونها؟ هل سيحطآن على الموقد القديم وهما يقولان هيه!، بمضلاتهما وثيابهما المبهجة؟ وهل سينزلق الناس النحيلون - ضحايا المجاعات واللاجئون - من خلال التشققات التي في الأبواب؟ وهل ستزلق الأباداة الجماعية من بين القرميدات؟

كانت السماء كثيفة بالتلفزيون. وإذا ما وضعت نظارة خاصة لكان باستطاعتك أن تراهم يحومون في السماء بين الخفافيش والطيور المهاجرة العائدة - شقراوات، حروب، مجاعات، كرة قدم، عروض طعام، انقلابات، تسريحات شعر متييسة بمثبت شعر. وصدريات مصممة. ينسابون نحو أيمينيم كفواصين سماويين. يقومون بأشكال في السماء. عجالات. طواحين هواء. أزهار مبرعمة وغير مبرعمة.

هيها!

عادت راحيل إلى الضفادع المتألمة.

سبنة صفراء. من حجر إلى حجر مزبدة. لمست واحدة بركة. فحركت جفونها إلى الأعلى. واثقة من نفسها على نحو مضحك. غشاء راسم^(١)، تذكرت نفسها وإستا ذات مرة يمضيان يوماً بأكمله يقولانها. هي وإستا وصوفي ومول.

رامش

رام

را

ر

في ذلك اليوم، كان ثلاثتهم، يرتدون أثواب ساري (قديمة، وممزقة إلى نصفين)، وكان إستا الخبير المتجسس. ثنى طيات صوفي مول. ورثب تنورة راحيل وعدل خاصته. وكان يوجد بينديس^(٢) على جبينهم. وفي محاولة غسل كحل أمر المحرم، كانوا قد لظخوه على كامل أعينهم، وبشكل عام كانوا يبدون مثل حيوانات راكون^(٣) تحاول أن تعبر كسيدات هندية. حدث هذا بعد حوالي أسبوع من قدوم صوفي مول. أسبوع قبل موتها. بحلول ذلك الوقت كانت قد عملت بثبات تحت نفخص التوأم الثاقب الفطن وأربكت كل توقعاتهم. كانت قد:

(أ) أعلمت تشاكو أنه حتى لو كان والدها الحقيقي، لكنها كانت تحبه أقل من جو - (الأمر الذي تركه متاحاً - وإن لم يكن راغباً - ليكون أباً وكيلاً لشخصين مؤكدين من بيضة واحدة نهمين لعاطفته).
(ب) رفضت عرض مامانشي بأن تحل محل إستا وراحيل كضائرة مميزة لذلك فأر مامانشي الليلي ومحصىة لشاماتها.

(١) - غشاء رقيق يوجد تحت الجفن السفلي لعين الحيوان. (الترجمة).

(٢) - النقطة الحمراء التي تضعها السيدات الهنديات على جبينهن. (الترجمة)

(٣) - حيوان ثديي شمال أمريكي من اللواحم. (الترجمة).

(ج) (والأكثر أهمية) - عايرت بنباهة المزاج السائد، ولم ترفضه فقط، بل إنها رفضت تماماً وبشكل وقح إلى أبعد الحدود جميع تقدمات بيبي كوتشاما وإغواءاتها الصغيرة.

وكان ذلك لم يكن كافياً، كشفت نفسها بأنها إنسانة. فذات يوم عاد التوأم من رحلة سرية في النهر (والتي كانت قد أسست منها صوفي مول)، ووجدها في الحديقة تبكي، جاثمة على أعلى نقطة من لفات بيبي كوتشاما العشبية، «تسهر بالوحدة» كما عبّرت هي. في اليوم التالي أخذها إستا وراحيل لتزور فيلوثا.

زاروه في أثواب ساري، متجمعين بسملجة خلال الوحل الأحمر والعشب الطويل (رامش رام رار) وقدموا أنفسهم له على أنهم السيدة يلاي والسيدة إيبان والسيدة راجاغبالان. وقدم فيلوثا نفسه وأخاه المشلول، كوتابن (بالرغم من أنه كان غارقاً في النوم). حياهم بأدب وكيامة عالية. خاطبهم جميعاً بكونتشاما وقدم لهم ماء جوز هند طازجاً ليشرّبوه. ثرثر معهم عن الطقس. وعن النهر. وعن حقيقة أنه يراه أن أشجار جوز الهند تتقرّم مع السنين. قدّمهم لدجاجته الشكسة. وأراهم أدوات نجارتهم ونجر لكلّ منهم ملعقة خشبية صغيرة.

فقط الآن، وبعد كل هذه السنوات، تترك راحيل بإدراك متأخر لراشد، عذوبة تلك البادرة. رجل بالغ يسلي ثلاثة حيوانات راكون، ويعاملهم كسيدات حقيقيات. متواطئاً بشكل غريزي مع مؤامرة خيالهم، محتاطاً ألا يُتلفها بعدم الاكتراث الذي للبالغين. أو يعاطفتهم.

ومع ذلك، من السهل تهشيم قصة. كسر سلسلة من الأفكار. هدم شظية من حلم حُمل بعناية كقطعة بورسلين.

أن يجعله يتحقق، أن يسافر معه، كما فعل فيلوثا، هو أمر أصعب بكثير.

قبل الرعب بثلاثة أيام، تركهم يطلون أظافره بظلاء أظافر كانت أمو قد

رمته. على هذا الشكل كان عندما زارهم التاريخ في الشرفة الخلفية. نجار
بأظافر مزوّقة. نظر حشد الشرطة من غير المنبذين إليهم وضحكوا.
«ما هذا؟» قال أحدهم. «مختث»

رفع آخر حذاءه بديدان ملتفة في أخطايد نعله. بني صديء غامق. مليون
رجل.

انزلت آخر حزمة ضوء عن كسف الملاك. وابتلعت الظلمة الحديقة.
بأكملها. كأفعى كبيرة. أشعلت الأضواء داخل المنزل.

استطاعت راحيل ان ترى إستا في غرفته، جالسا على سريره النظيف
المرتّب. كان ينظر عبر النافذة المخططة إلى الظلام. لم يستطع أن يراها، جالسة
في الخارج، في الظلام، تنظر إلى الضوء في الداخل.

إثنان من الممثلين محصوران في مسرحية غامضة دون أي تلميح لحبكة أو
لرواية. يتلعثمان بأدوراهما، يمزضان وبحضنان شجن شخص آخر. يحزنان
حزن شخص آخر.

عاجزان عن تغيير الأداء، بطريقة ما. أو عن شراء، بأجرة، صنف من
تعويذة رخيصة من مستشار يحمل شهادة رفيعة، والذي يجلسهما ويقول،
بطريقة من طرق عديدة: «لستما آثمين. بل أنتما من وقع الائم عليهما. كنتما
طفلين. ولم يكن لديكما ضابط. أنتما الضحيتان، ولستما الجانين.»

لو أنهما استطاعا القيام بذلك العبور، لكان ذلك عوناً كبيراً. لو كان
بامكانهما فقط ارتداء، حتى ولو مؤقتاً، الغطاء المأساوي للفاجعة. عندها لكان
بامكانهما أن يضعا وجهاً عليه، ويستحضرا الغضب على ما قد حدث. أو
ينشدوا الاصلاح. وأخيراً، ربما، يتخلصا من الذكريات التي تلازمهما.

لكن الغضب لم يكن متوفراً لهما ولم يكن هناك من وجه ليضعاه على
هذا الشيء الآخر الذي حملاه بيديهما الآخرين الدبقتين، كبرتقالة مُتخيلة. لم
يكن هناك من مكان ليضعاه. لم يكن لهما حتى يهباه. كان يجب أن يُحمل.
بعناية وإلى الأبد.

علم كل من إستان وراحيل أنه (في ذلك اليوم) كان هناك العديد من
الجنّة (بالإضافة إليهما). لكن لم يكن هناك سوى ضحية واحدة. وكان له
أظافر حمراء بلون الدم وورقة شجر بنية على ظهره كانت تجعل الريح الموسمية
تأتي في وقتها.

ترك خلفه ثقباً في الكون انسكبت من خلاله الظلمة كقطران مانع.
وتبعته من خلاله أمهما من دون استدارة حين لتألّج مودعة. تركتهما خلفها،
يدوران في الظلام، دون مرسى، في مكان بدون أساس.

بعد ساعات، بزغ القمر وجعل الأفق المظلمة تتخلّى عما كانت قد
ابتلعت. ظهرت الحديقة ثانية. كلاً مُتَقِيّاً. وراحيل في قلبه.

تغير اتجاه النسيم وحمل لها صوت طبول. هدية. وعداً بحكاية. كان يا
مكان، كانت تقول، كان يعيش هناك
رفعت راحيل رأسها وأنصتت.

في الليالي الصافية كان صوت التشيندا^(١) يسافر إلى مسافة كيلومتر من
معبد أيمينيم، معلناً أداء كاثا كاليا.

ذهبت راحيل. مشدودة بذكرى أسطح منحدره وجدران بيضاء. يذكرى
مصاييح نحاسية وخشب مزيت غامق. ذهبت بأمل لقاء فيل عجوز لم يصعب
بالكهرباء على أوتو ستراد كوتا يام - كوتشين. توقفت في المطبخ من أجل جوز
هند.

في طريقها إلى الخارج، لاحظت أن أحد الأبواب الشفافة للمصنع كان
قد خرج من مفضلاته وركن تجاه المر. أراحته جانباً وخطت إلى الداخل. كان
الهواء مثقلاً بالرطوبة، رطباً كفاية لتسبح فيه سمكة.

(١) - صوت قرع طبول سريع. (الترجمة).

كانت الأرض تحت حذاءها زلقة بطفافة الريح الموسمية. طار عفاش
مذعور بين دعامات السقف.

جعل ظلّ أحواض المحلل الاسمنتية، في الظلمة، أرض المصنع تبدو
كمقبرة داخلية لأموات أمطوانيين.

البقايا الذنبوية لخللات ومعلبات الجنة.

حيث منذ زمن بعيد، في اليوم الذي قدمت فيه صوفي مول، حرك السفير
ل. يلفيس قدراً من المربى القرمزي وفكر بفكرتين اثنتين. أين يُخلّل سرُّ بشكل
مانفا طرية حمراء، ويُعبأ ويُحفظ بعيداً.

حقاً. يمكن أن تتبدل الأمور في يوم.

النهر الذي في القارب

بينما كانت مسرحية أهلاً بك في منزلك، عزيزتنا صوفي مول، تُمثل على الشرفة الأمامية وكوتشو ماريا تورّع التورّة على الجيش الأزرق المتواجد في حرارة النباتات الخضراء، دفع السفير [إ. بيلفيس/ س. كزبرة (ذو نفخة شعر)] الذي ينتعل الخذاء السيج المدبب، الأبواب الشفافة ودخل إلى الأبنية الشديدة الرطوبة والعابقة برائحة المخلل لخللات الجنة. سار بين أحواض المخلل الإسمنتية العملاقة ليجد مكاناً يفكر فيه. أوسا، بومّة^(١) الإسطبل، التي تعيش في شعاع مسود قرب المنور (والتي تساهم من حين لآخر في نكهة منتجات مخلل محددة)، شاهدته يسير.

ماراً بالليمونات الحامضة الصفراء العائمة في محللول ملحي والتي تحتاج للتحرّيك من وقت لآخر (ولاً فستتشكل فيها جزر قطر سوداء كفطر مكشكش في شوربة صافية).

ماراً بالمانغا الخضراء، المقطّعة والمحشية بالكركم وبودرة التثيللي والمربوطة بخيط مع بعضها البعض. (لم تكن تحتاج لانتباه لبرهة من الوقت).

(١) - بومّة، ولكنها كتبت بشكل خاطئ للتشديد على لفظها من قبل طفل. (الترجمة).

ماراً بخوابي الخل الزجاجية ذات القلبيات.
 ماراً برفوف البكين والمواد الحافظة.
 ماراً بصواني اليقطين المرء بالسكاكين والقفاذات الملونة.
 ماراً بأكياس القتب المنتفخة بالثوم والبصل الصغير.
 ماراً بثلال من حب الفلفل الأخضر.
 ماراً بكومة من قشور الموز على الأرض (محفوظة لعشاء الحنازير) .
 ماراً بمخازن اللصاقات المليئة باللصاقات.
 ماراً بالفراء.
 ماراً بفرشاة الفراء.
 ماراً بحوض حديدي من الزجاجات الفارغة العائمة في ماء بفقاعات صابون.
 ماراً بمسحوق الليمون.
 ماراً بمجروش العنب.
 وعائداً.

كان المكان في الداخل مظلماً، مضاءً فقط بضوء رشع من خلال الأبواب الشفافة المعقودة، وبشعاع من ضوء شمس مغتبر (لم تستخدمه أوسا) دخل من المنور. وخزت رائحة الخل و الأصنافوتيدا منخريه، لكن إستا كان معتاداً عليها، وكان يحبها. المكان الذي وجده ليفكر فيه كان بين الجملار والمرجل الحديدي الأسود حيث كانت دفعة من مربي الموز المغلي حديثاً (بشكل غير قانوني) قد تركت لتبرد ببطء.

كان المربي ما يزال ساخناً وعلى سطحه القرمزي اللزج، رغوة وردية تموت ببطء. وبقاعات موزية صغيرة تفرق نحو الأسفل دون أن يساعدها أحد. قد يدخل رجل مشروبات البرتقال والليمون في أية لحظة. يأخذ باص كوتشين - كوتايام ويكون هنا. وستقدم أمواله فنجان شاي. أو ربما مجروش

أناناس. مع الثلج. أصفر في زجاجة.
حزرك إستا، بالمحرك الحديدي الطويل، المربى الطازج السميك.
صنعت الرغبة، الماتة، أشكلاً رغوية تموت.
غريباً بهجناحين مكسرين.
مخلب دجاجة مطبق.
بوومة «ليس أوماء» موحدة في مربى مقرز.
دوامة تدور يحزن.
ولا أحد ليساعد.

بينما كان إستا يحرك المربى السميك كان يفكر بفكرتين، والفكرتان
اللتان فكر بهما كانتا:

(أ) أي شيء من الممكن أن يحدث لأي كان.

(ب) من الأفضل أن يكون المرء مستعداً.

بعد أن فكر بهاتين الفكرتين، كان إستا الوحيد سعيداً بذرة حكمته.
بينما كان المربى الأحمر الأرجواني يدور، أصبح إستا ساحراً محرراً
حماسياً بنفخة شعر ممتدة وسن ناشز، ومن ثم تحول إلى ساحرات ماكث.
فقاعات موز محترقة بالنار.

كانت آمو قد سمحت لإستا أن ينسخ وصفة مامانثي لمربى الموز في دفتر
الوصفات الحديد، الأسود ذي الراصور الأبيض.
استخدم إستا الواعي، بعنق، للشرف الذي أسبقته آمو عليه، أفضل خطي
كتابة يتقنها.

مويك الموز (في أفضل خط تقديم له)

اسحق موزاً ناضجاً. ثم أضيف ماء حتى يغمره واطبخه على نار قوية جداً حتى

تصبح الفاكه طرية.

استخرج العصير منها وذلك بتصفيتها في موسلين خشن

زن كمية مساوية من السكر واحتفظ بها

اطبخ عصير الفاكه حتى يصبح قرمزياً وتنبخر حوالي نصف الكمية.

حضر الجيلاتين (البكتين) كما يلي:

بنسبة ١ : ٥

أي. ٤ ملاعق من البكتين. ٢٠ ملعقة سكر.

كان إستا يفكر دوماً في البكتين على أنه الأخ الأصغر لثلاثة أخوة يحملون مطارق، بكتين، وهيكتين، وأدينغو^(١) كان يتحيلم بينون سفينة خشبية في ضوء واهن ورذاذ مطر. مثل أبناء نوح. كان يستطيع أن يراهم بوضوح في عقله. يتسابقون مع الزمن. وصوت مطارقهم يدوي بثاقل تحت السماء الحاضنة للعاصفة القادمة. وقرياً في الغابة، اصطفت أزواج الحيوانات في ضوء العاصفة القادمة الغريب:

بنت صبي.

بنت صبي.

بنت صبي.

بنت صبي.

ثم يكن مسموحاً بالتوائم.

وكتبت نقية الوصفة بأفضل خط جديد لإستا. زاوي، ومدب. مائلة نحو الخلف وكأن الحروف كانت عازفة عن تشكيل الكلمات، والكلمات عازفة عن تشكيل الجمل:

(١) - في العهد القديم، شاب يخرج مع ميشاتش وشادراتش من الفرن الحارق في بابل من غير أدى. (الترجمة).

أضف البيكن إلى العصير المكثف. اطبخه لمدة خمس دقائق.
استخدم ناراً قوية، حارقاً، ما حولها، بغزارة.
أضف السكر. واطبخ حتى تحصل على خليط مركز.
برد ببطء.

آمل أن تستمتع بالوصفة.
بمعزل عن الأخطاء الاملائية، كان السطر الأخير - آمل أن تستمتع
بالوصفة - إضافة إستا الوحيدة على النص الأصلي.
بالتدريج، وبينما كان إستا يحرك، شَمَك مربى الموز وبرد، وبزغت
الفكرة رقم ثلاثة من حذائه البيج والمدبب.
كانت الفكرة رقم ثلاثة هي:
(ج) قارب.

قارب ليجذف به عبر النهر. آكارا. الجهة الأخرى. قارب ليحمل
التجهيزات الاحتياطية. عيدان ثقاب. ملاس. قدوراً وطناجر. أشياء سيحتاج
لها ومن غير الممكن السباحة معها.
وقف شعر ذراع إستا حتى آخره. أصبح المربى المخزك قارباً يجذف.
التدوير والتدوير أصبح ذهاباً وإياباً. عبر النهر القرمزي الدبق. ملأت أغنية من
سباق قوارب أونام المصنع. «*Thaiy thaiy thaka thay thome*»

Enda da korangacha chandi ithra thenjadu?

(هيه أيها السيد الرجل السعدان، لماذا مؤخرتك حمراء؟)

Pandyill thooran poyappol nerakkamuthiri nerangi njan.

(ذهبت إلى مدارس من أجل التغوط، وحككتها حتى نرفت؟)

طففا صوت راحيل في المصنع، فوق أسئلة وأجوبة أغنية القارب الفظة
وغير المحتشمة إلى حد ما.

«إستاء، إستاء، إستاء»

لم يجب إستا. وكان كورس أغنية القارب يهمس داخل المربي السميك.

Theeyome

Thithome

Thakara

Thithome

Theem

صرّ الباب الشفاف، وظهرت جنية مطار بتقوعين قرنيين ونظارة بلاستيكية حمراء بإطار أصفر، والشمس خلفها. كان المصنع بلون الغضب. كانت الليمونات المملحة حمراء. والمانغا الطرية حمراء. وخزانة النضاقات حمراء. وشعاع الشمس المغبر (الذي لم يستخدمه أوما أهداً) كان أحمر. أغلق الباب الشفاف.

وقفت راحيل في المصنع الفارغ بنافورتها في الحب - في - طوكيو. سمعت صوت راهبة يهني أغنية القارب. اندفع صوت سويرانو عال واضح فوق دخان الخلل وأحواض الخلل.

استدارت إلى إستا المنحني فوق الحساء القرمزي في الرجل الأسود.

«ماذا تريدين؟» قال إستا دون أن ينظر إلى الأعلى.

«لا شيء»، قالت راحيل.

«إذن لماذا قدمت إلى هنا؟»

لم تجب راحيل. وخيمت صمت عدائي وجيز.

«لماذا تجذف للمربي؟» سألت راحيل.

«الهند بلد حر»، قال إستا.

لم يكن باستطاعة أحد أن يناقش في ذلك.

الهند بلد حر.

بإمكانك أن تصنع ملحاً. وإن تجذف لمربي، إذا أردت.

وباستطاعة رجل مشروبات البرتقال والليمون أن يدخل يساطة عبر
الأبواب الشفافة.

إذا ما أراد.

وستقدم أمر له عصير أناناس. مع الثلج.

جلست راحيل على حافة حوض اسمنتني (حواف رقيقة من قماش البقرم
ورباط، غُمست بلطف في مخلل مانغا طري) وجُزبت قفازاً مطاطياً. قاتلت
ثلاث زجاجات زرقاء، يعنف، الأبواب الشفافة، تريد الدخول. ورافبت البوومة
أوسا الصمت المخल्ली الرائحة الواقع بين الترام مثل كدمة.

أصبحت أصابع راحيل صفراء خضراء زرقاء حمراء صفراء.

وكان مربي إستا يتحرك.

نهضت راحيل لتذهب. من أجل قيلولة بعض الظهر.

«إلى أين أنت ذاهبة؟»

«إلى مكان ما.»

خلعت راحيل أصابعها الجديدة. وعادت أصابعها القديمة التي بلون
الأصابع. ليست صفراء. ليس خضراء، ليست زرقاء، ليست حمراء، ليست
صفراء.

«أنا ذاهب إلى آكاراته قال إستا. دون أن ينظر نحو الأعلى. «إلى بيت

التاريخ.»

وقفت راحيل واستدارت، وعلى قلبها، نشرت فرائة باهتة، ذات كثافة
غير اعتيادية لرغبها الظهري، جناحيها المفترسين.

بيطء نحو الخارج.

بيطء نحو الداخل.

«لماذا؟» قالت راحيل.

«لأن أي شيء من الممكن أن يحدث لأي كان»، قال إستا. «ومن الأفضل أن يكون المرء مستعداً.»

لا تستطيع أن تناقش في ذلك.

لم يعد أحدٌ يذهب إلى منزل كاري سايبو. ادّعى فيليبا باين أنه آخر إنسان أبصره قال انه كان مسكوناً. وأخبر التوأم عن قصة لقائه مع شبح كاري سايبو. قال أنه حدث منذ سنتين. كان قد ذهب عبر النهر متعباً شجرة جوز الطيب ليصنع عجينة من جوز الطيب والثوم لثيلا، زوجته، بينما كانت ممددة تموت من السل. فجأة شَمّ دحان سيجار (والذي مِتره حالياً، لأن باباتشي كان يدخن نفس الماركة). دار فيليبا باين وألقى بمنجله على الرائحة. شبك الشبح إلى جذع شجرة مطاط، حيث، تبعاً لفيليبا باين، ما يزال هناك. رائحة مسجالية، تنزف دماً كهربائياً واضحاً، وتتوسل من أجل سيجار.

لم يجد فيليبا باين أبداً شجرة جوز الطيب، وكان عليه أن يشتري لنفسه منجلًا جديداً. لكنه حصل على رضی معرفته أن رد فعله الذي بسرعة البرق (بالرغم من عينه الموهونة) وحضور دهنه، قد وضعاً حدّاً لتسكعات مسجالية لشبح شاذ.

طالما لم يستسلم أحدٌ لمكره وفكّ منجله بـسيجار.

ما لم يعرفه فيليبا باين (الذي كان يعرف معظم الأمور) هو، أن منزل كاري سايبو كان بيت التاريخ (الذي كانت أبوابه مقفلة ونوافذه مفتوحة). وفي الداخل، أجداد بأنفاس خرائط وأظافر أرجل قاسية، يهمسون للعظاءات التي على الجدار. أن بيت التاريخ يستخدم الشرفة الخلفية لتداول مصطلحاته وجبي ديونه. وأن التأخر في الدفع يقود إلى نتائج رهيبه. وأنه في اليوم الذي سيختاره التاريخ ليدقّق سجلاته، فإن إستا سيحتفظ بايصال الديون التي سيدفعها فيلوثا.

لم يكن لدى فيليبا باين أدبى فكرة أن كاري سايبو هو من قبض على الأحلام وأعاد حلمها ثانية. أنه نزعها من عقول المازين بالطريقة التي ينزع بها

الأطفال الزبيب من تورتة. أن تلك التي تاق إليها واشتهاها أكثر الجميع، الأحلام التي أحب إعادة حلمها، كانت الأحلام الرقيقة لتوأم ببيضتين.

مسكين فيليبا بابن، هل علم عندها أن التاريخ سيختاره هو كنايب له، أنه ستكون دموعه هو التي ستبدأ هيجان الرعب؟ ربما لما كان اختال مثل ديك صغير في سوق أيميني، متبجحاً بكيفية سباحته في النهر ومنجمله في فمه (حامضاً كان طعم الحديد على لسانه). وكيف أنزله لدقيقة فقط عندما ركع لغسل حصباء النهر عن عينه الموهنة (في بعض الأحيان كان يوجد حصباء في النهر، وخاصة في الأشهر الماطرة) عندما التقط أول نفحة من دخان سيجار. وكيف التقط منجمله، ودار ومثجل الرائحة مثباً الشبح إلى الأبد. في حركة رياضية متدفقة واحدة.

بحلول الوقت الذي فهم فيه دوره في خطط التاريخ، كان الوقت متأخراً جداً لينقلب على عقبه. كان قد كُنس آثار أقدامه بنفسه. زاحفاً نحو الخلف مع مقشة.

هوى الصمت في المصنع مرة ثانية وضيق الخناق على التوأم. لكنه كان نوعاً مختلفاً من الصمت هذه المرة. صمت نهر شائخ. صمت صيادين وحوريات ماء شمعية.

«لكن الشيوعيين لا يؤمنون بالأشباح»، قال إستا، وكأنهما كانا يتابعان محادثة يبحثان فيها عن حلول لمشكلة الشبح. كانت محادثتهما تلوح وتغوص مثل جداول جبلية. أحياناً تكون مسموعة للناس الآخرين وأحياناً لا تكون كذلك.

«وهل ستصبح شيوعياً؟» سألت راحيل. «ربما أضطر.»

إستا - اله - عملي.

أصوات تفتيت تورتة بعيدة، وخطوات جيش أزرق قدنو، دفعت الرفيقيين إلى ختم السرّ.

لقد خلل وخم وحفظ بعيداً. سرّ بشكل مانعاً طرية حمراء في حوض.
مُترأس من قبل بومعة.

كانت المفكرة الحمراء قد أعدت وأُتفّق على:

ستذهب الرفيقة راحيل من أجل قيلولة بعظ الظهر، ثم ستستلقي
مستيقظة حتى تنام آمو.

سيذهب الرفيق إستا ليجد العلم (الذي أُجبرت بيبي كوتشاما على
التلويح به) ، وسيتنظرها قرب النهر، وهناك سوف:

(ب) يستعدان لِمُتعدان ليكونان مستعدين.

انتصبت عباءة جنبة مهجورة لطفلة (نصف مخللة) بمفردها في وسط
أرضية غرفة نوم آمو.

في الخارج، كان الجو صاحياً وماطعاً وحاراً. استلقت راحيل بجانب
آمو، يقظة جداً بينطال المطار القصير المناسب. كان باستطاعتها أن ترى شكل
الورود المدروزة من اللحاف الأزرق ذي القطب المتصالبة على خد آمو. كان
باستطاعتها أن تسمع الظهيرة المدروزة.

ومروحة السقف البطيئة. والشمس خلف الستائر.

والدبور الأصفر يُدبّر على زجاج النافذة في زرز خطرة.

وغمضة عظاءة متشككة.

وخطر عالٍ للدجاجات في البحة.

وصوت الشمس تعقد الفصيل. وتموّج الشراشف البيضاء. وتُصلّب أثواب
النساري المتشاة. بيضاء مصفرة وذهبية.

ونملاً أحمر على أحجار صفراء.

وبقرة ساخنة تشعر بالحر. مووو. في المدى.

ورائحة شبح رجل انكليزي مأكّر، تُمنجل إلى شجرة مظاط، يطلب

سيجاراً، بلطف. «عمم... من فضلك؟ ليس من المحتمل أن يكون معك
سس... سيجار، أليس كذلك؟»

في صوت من ذاك الذي معلمة مدرسة.
أوه يا الهي.

واسنا ينتظرها. بجانب النهر. تحت شجرة المانغا التي كان المحترم إ. جون
إي قد أحضرها معه إلى الوطن من زيارته للماندالائي.

على ماذا كان إستا يجلس؟

على ما كانا يجلسان عليه دوماً تحت شجرة المانغا. شيء رمادي أشيب.
مغطى بالأشنيات والطحالب، ومختوفاً بالسراخس. شيء طالبت به الأرض.
ليس خشبة. ليس صخرة...

قبل أن تكمل الفكرة، كانت راحيل واقفة على قدميها، وتركض.
عبر المطبخ، مارة بكونشو ماريا الفارقة في النوم. مجقدة نخينة مثل
كركدن مفاجيء في مربلة مكشكشة.
مارة بالمصنع.

تعتبر حافضة عبر الحرارة الحضاء، متبوعة بدبور أصفر.
كان الرفيق إستا هناك. تحت شجرة المانغا. مع علم أحمر مغروس في
الأرض إلى جانبه. جمهورية متقلبة. ثورة شق توأم بفضحة شعر.
وعلى ماذا كان يجلس؟

على شيء مغطى بالطحالب، مخبأ بالسراخس.
انقر عليه وسيصدر صوت نقر مجوف.
عُمس الصمت وارتفع وانقصر وعُقد في شكل رقم ثمانية^(١)
رفرفت يعاسب مرصعة كأصوات أطفال عالية في الشمس.

(١) - رقم ثمانية بالانكليزية «8». (المترجمة).

عاركت أصابع بلون أصابع السراخس، أزاحت الأحجار، سوت الطريق.
وحدث تشابك بالأيدي من اجل حافة لئتشبث بها. وواحد اثنان و.
من الممكن أن تتغير الأمور في يوم.

لقد كان قارياً. جندولاً حشيباً صغيراً جداً.
القارب الذي جلس عليه إستا ووجدته راحيل.
القارب الذي ستستخدمه أمو لتعبر النهر. لتعشق في الليل الرجل الذي
أحبه طعلاها في النهار.

قارب قديم جداً بحيث انه اتخذ جذوراً. تقريباً.
نبته قارية رمادية عجور بأزهار قارية وثمار قارية.
وتحتها، رقعة من العشب الذابل. عالم قاري مسرع يعدو.
مظلم وجاف وبارد. مفتوح الآن. وأعمى.
نمل أبيض في طريقه إلى العمل.

دعاسيق بيضاء في طريقها إلى المنزل.
خنافس بيضاء تختبئ بعيداً عن الضوء.
جنادب بيضاء بكمانات من خشب أبيض.
موسيقى بيضاء حزينة.

دبور أبيض. ميت.
جلد حية أبيض هش، محفوظ في العتمة، متفسخ في الشمس.
لكن هل سيفي بالغرض، ذلك الحندول الصغير؟ هل كان قديماً جداً ربما؟
ميتاً جداً؟ هل كانت آكارا بعيدة جداً بالنسبة له ؟
نظر توأم ببيضتين عبر نهرهما.
الميناثال.

أخضر رمادي. بأسمائك داخله. بالسماء والأشجار داخله. وفي الليل،
بالقمر الأصفر المكسور داخله.

عندما كان باباتشي صبياً، وقعت شجرة تمر هندي عجوز في عاصفة
داخله. كانت ما تزال هناك. شجرة ملساء دون لحاء، مسودة من تخمة ماء
أخضر. كومة خشب بلا معنى.

كان الثلث الأول من النهر صديقهما. قبل أن يبدأ العمق الحقيقي. كانا
يعرفان درجات الأحجار الزلقة (ثلاث عشرة) قبل أن يبدأ الوحل اللزج. كانا
يعرفان حشيش الظهيرة الذي كان يتدفق داخلاً من مياه كوماراكوم الراكدة.
كان يعرفان الأسماك الأصغر. البالاتي العبية المسطحة، البارال الفضية، الكوري
الماكرة ذات الشوارب، وكاريمين بعض الأحيان.

هنا كان تشاكو قد علمهما السباحة (يتبلان حول بطنه الخالي الفسيح
دون مساعدة). وهنا اكتشفا لنفسيهما المتع الفرحة المستقلة للفسو تحت الماء.
هنا كانا قد تعلّما الصيد، تعلّما أن يسلكا ديداناً قرمزية ملتفة على
خطّافي صنارتي الصيد اللتين صنعتهما لهما فيلوثا من الجذور الدقيقة لخيزران
أصفر.

هنا درسا الصمت (مثل أطفال الصيادين)، وتعلّما اللغة المضيفة لليعاسب.
هنا تعلّما أن ينتظرا. أن يراقبا. أن يفكرا بهواجس ولا يعترّيا عنها. أن
يتحرّكا كالبرق والخيزرانة الصفراء المخنية مقوسة نحو الأسفل.

فهذا الثلث الأول من النهر، كانا يعرفانه جيداً. أما الثلثان الآخران فأقل.
الثلث الثاني كان حيث يبدأ العمق الحقيقي. حيث كان التيار سريعاً
ومؤكداً (بانجاه التيار عندما يكون المد نحو الخارج، ودافعاً نحو الأعلى بدءاً من
المياه الراكدة عندما يكون المد نحو الداخل).

الثلث الثالث كان ضحلاً ثانية. المياه بنية ومظلمة. مليئة بالحشائش
وبأسماك الأتقليس وبطيئة بالوحل الذي يرشح خلال أصابع الأقدام مثل
معجون أسنان.

كان باستطاعة التوأم أن يسبحا كالفقعات، وكانا قد عبرا النهر عدة مرات تحت مراقبة تشاكر، وعادا لاهتين محوّلين من الجهد، مع حجر، غصن أو ورقة شجر من الجهة الأخرى كشهادة إثبات على مأثرتهما. لكن وسط نهر محترم، أو الجهة الأخرى، لم يكونا مكانين ليتلکأ فيهما أطفال أو ليتدلّوا أو ليتعلموا أموراً. أضفى إستا وراحيل على الثلث الثاني والثلث الثالث للميناتشال الاعتبار والتجمل اللذين يستحقهما. ومع ذلك، فالسباحة عبره لم تكن المشكلة. بل أخذ القارب مع أشياء فيه بحيث يكون بإمكانهما (ب. أن يستعمله ليستعدا ليكونا مستعدين) كان المشكلة.

نظرا عبر النهر بعيني قارب عجوز. من حيث وقفا لم يكن بإمكانهما رؤية بيت التاريخ. كانت الظلمة فقط فيما وراء المستقع، في قلب مزرعة المطاط المهجورة، من حيث تتصاعد أصوات الصراصير.

رفع إستا وراحيل القارب الصغير وحمله إلى الماء. بدا مدهوشاً، كسمكة شهياء كانت قد وصلت من الأعماق إلى السطح. في حاجة ملحة لنور الشمس. كان بحاجة لحك، وتنظيف، ربما، لكن لا شيء غير ذلك.

حلق قلبان سعيدان كطائرتين ورفيتين في سماء زرقاء. لكن بعد ذلك، في همس خضمر بطيء، بقيق النهر (بأسماك، بسمائه وأشجاره) داخله.

غرق القارب القديم ببطء، واستقر على الدرجة السادسة.

وغاص زوج من قلوب توأم بيضتين واستقرا على الدرجة فوق السادسة.

الأسماك التي تسبح في العمق، غطّت أفواهها بزعانفها وضحكت جانبياً على المشهد.

طفلا عنكبوت قاربي أيضاً نحو الأعلى مع النهر الذي في القارب، وصارع بشكل وجيز قبل أن يغرق. تمزّق كيس بيضاته البيضاء قبل أوانه، ونقطت المئات من أطفال العنكبوت (أخف من أن تغرق، وأصفر من أن تسبح) السطح الناعم للمياه الخضراء، قبل أن تُجرف إلى البحر، إلى مدغشقر، لتبدأ شعبة جديدة من عناكب مالايالي السباحة.

وفي لحظة، وكأنهما كانا قد ناقشا ذلك (بالرغم من أنهما لم يفعلا)، بدأ التوأم بغسل القارب في النهر. طفت بعيداً بيوت العنكيوت والوحل والطحالب والأشنيات. وعندما صار نظيفاً، قلباه ورفعاه فوق رأسيهما. كقبة مشتركة تدلف. واقتلع إستا العلم الأحمر.

موكب صغير (علم، ودبور وقارب على رجلين)، مضى في طريقه المعلوم أسفل الممر الصغير عبر الشتلات والشجيرات. تجنّب أجماع القراض، قنوات الري المعروفة الجانية، وكتبان النمل. وجانب جرف الهاوية العميقة التي أقتلع منها اللطريط، وأصبحت الآن بحيرة راكدة بضفتين منحدرتين يرتقالتين، والمياه السمكية اللزجة المغطاة بطبقة مضيئة من الزبد الأخضر. ومرج غدار أخضر، حيث يتكاثر البعوض وحيث الأسماك سمينة لكن بعيدة المثال.

كان الممر موازياً للنهر، ويقود إلى فسحة معشوشبة مسيجة بتجمع لأشجار: جوز الهند، والكاجو، والمانغا، والبيليمي. على حافة الفسحة، وبظهرة للنهر، كوخ منخفض بجدران من لطريط يرتقالي ملصقة بالوحل وسقف قشبي، عشعر قريباً من الأرض، وكأنه كان يستمع للسر تحت الأرضي المهموس. كانت جدران الكوخ المنخفضة بنفس لون الأرض التي وقف عليها، وبدا أنه قد نما من بذرة بيت زُرعت في الأرض، والتي برغت منها أضلاع أرضية يمينية الزاوية وطوّقت المكان. ثلاث أشجار موزعت في المساحة الصغيرة التي كانت قد سُجّجت بالواح من أوراق نخيل مجدولة.

اقترب القارب الذي على رجلين من الكوخ. تعلّق مصباح غير مضاء على الجدار بجانب الباب، كانت لطخة الجدار خلفه موقعة بسخام اسود. كان الباب مفتوحاً. وكان الداخل مظلماً. ظهرت دجاجة سوداء في الممر، ثم عادت إلى الداخل غير عابئة نهائياً بزيارات قارب.

لم يكن فيلوثا في المنزل. ولا فيليا باين. لكن أحدهم كان. طفا صوت رجل من الداخل ودوى حول الفسحة، جاعلاً إياه يبدو وحيداً.

صرخ الصوت الأشياء نفسها، مراراً وتكراراً، وفي كل مرة كان يتعالى

لى نبرة أعلى وأكثر هيستيرية. كان مناشدة لجوافة ناضجة تهدد بالسقوط من شجرتها وبالبعثرة على الأرض.

Papera -pera -pera -perakka

(يا سيد جوا - جو - جو - جوافة)

Endeparambilthooralley

(لا تنفوط هنا في مجتمعاتي.)

ChetendeparambilthoorikkoK

(بامكانك النفوط في الجوار في مجتمعات أخي،)

Papera -pera -pera -perakka

(يا سيد جوا - جو - جو - جوافة)

كان الصارخ كوتابن، شقيق فيلوثا. لقد كان مشلولاً من صدره وحتى الأسفل. يوماً بعد يوم، شهراً بعد شهر، عندما كان شقيقه غائباً ووالده في العمل، كان كوتابن يضطجع مسطحاً على ظهره ويشاهد شبابه يمر ماشياً الهوينى دون أن يتوقف ليقول مرحباً. كان هناك طوال النهار يستمع لصمت الأشجار المجتمعة برفقة دجاجة مستبدة سوداء فقط. كان يشاقق لأمه، تشيلا، التي ماتت في نفس الزاوية من الغرفة التي يضطجع فيها الآن. ماتت موتاً بلغمياً أليماً باصقاً ساعلاً. كان كوتابن يتذكر كيف لاحظ أن قدميها ماتتا قبل وقت طويل من موتها هي. كيف أصبح جلدهما رمادياً وميتاً. كيف راقب بخوف الموت يزحف عليها من الأسفل نحو الأعلى. ظل يسهر على قدميه فاقدتي الاحساس برعب متعاضم. يخزهما من وقت لآخر مفعماً بالأمل بعصاة كان يحتفظ بها مُسندة في الزاوية ليدافع عن نفسه ضد أفانع زائرة. لم يكن لديه أي إحساس في قدميه على الإطلاق، وفقط الدليل البصري كان يؤكد له أنهما كانتا متصلتين بجسده، وأنهما كانتا حقاً له.

بعد موت تشيلا، نُقل إلى زاويتيها، الزاوية التي تخيل كوتابن أنها الزاوية من منزله التي احتفظ بها الموت ليدبر شؤونه الإفنائية. واحدة للطبخ، واحدة للملايس، واحدة للفائف الأسرة، وواحدة للموت فيها.

تساءل كم من الوقت سيستغرق ذلك، وماذا يفعل الناس، الذين لديهم أكثر من أربع زوايا في بيوتهم، ببقية زواياهم. وهل يعطيهم هذا خياراً للزوايا التي يموتون فيها؟

افتراض أنه سيكون الأول من عائلته الذي سيلحق بصحوة أمه. سيتعلم شيئاً آخر. قريباً. قريباً جداً.

كان كوتابن في بعض الأحيان (بحكم العادة، من اشتياقه لها) يسعل كما اعتادت أمه أن تسعل، وكان نصفه العلوي يتفرض مثل سمكة صيدت للتو. ويستلقي نصفه السفلي، وكأنه ينتمي لأحد آخر. أحد ميت، روحه محصورة ولا تستطيع الفكاك.

بخلاف فيلوثا، كان كوتابن Paravan جيداً ومأموناً. لم يكن يستطيع لا القراءة ولا الكتابة. وبينما كان مستلقياً هناك في سريره القاسي، كان يسقط عليه فئات وجريش القش من السقف ويختلط بعرقه. وأحياناً كان يسقط معه نمل وحشرات أخرى. في الأيام السيئة كانت الجدران البرتقالية تشابك أيديها وتنحني فوقه، تنفخه كطبيب حقود، يبطء، يتعمد، تعصر النفس منه جاعلة إياه يصرخ. وأحياناً كانت تراجع عن اقترابها، وتصبح الغرفة التي يستلقي فيها كبيرة على نحو مستحيل، مروعة إياه بخيال ضالته الخاص. ذلك أيضاً كان يجعله يصرخ.

حوم الجنون، قريباً، في متناول اليد، مثل نادل متلهف حريص في مطعم باهظ (يشعل السيجارات، يعيد ملء الكؤوس). فكر كوتابن بحسد بالرجال المحجّنين القادرين على السير. لم يكن لديه أي شك في عدالة الصفقة: جنونه، مقابل رجلين مجديتين.

أنزل التوأم القارب، تصادفت القعقة مع الصمت المفاجيء في الداخل. لم يكن كوتابن يتوقع أحداً.

دفع إستا وراجيل الباب ودخلا. ويرغم الصغر الذي كانا عليه، كان عليهما أن ينحنيا قليلاً ليدخلا. انتظر الدبور في الخارج على المصباح. «هذا نحن».

كانت الغرفة مظلمة ونظيفة. وتنفوح منها رائحة سمك بالكاراي ودخان حطب. علقت الحرارة بالأشياء كحصى خفيفة. لكن الأرض الطينية كانت باردة تحت قدمي راحيل. كانت فرش فيلونا وفيليا باين مطوية ومسنودة على الجدار. والملابس معلقة على حبل. وكان يوجد رف مطبخ منخفض رُتبت فوقه قدور مغطاة من الفخار، ومغرفات من قشور جوز الهند وثلاثة أطباق مكسورة من المينا ذات حواف زرقاء غامقة. كان بإمكان رجل بالغ أن يقف في وسط الغرفة، لكن ليس على امتداد جوانبها. باب منخفض آخر كان يقود إلى باحة خلطية حيث كان يوجد المزيد من أشجار الموز، يترقق النهر خلفها من خلال الأوراق. منجرة كانت قد أنشأت في الباحة الخلفية.

لم يكن يوجد لا مفاتيح ولا خزائن ثققل.

غادرت الدجاجة السوداء عبر الباب الخلفي، وحكّت نفسها بذهول في الباحة حيث كانت تهب نشارة خشب هنا وهناك كخصل شقراء. بالحكم على شخصيتها، بدت أنها كانت قد تربت على حمية من الخردة: مشابك أبواب، قبضات، مسامير، وبراعي قديمة.

«Aiyyo، أيها الصبي والبنت ما الذي لا بد وأنكما تفكران به؟ أن

كوتابن مُقعّد!» قال بصوت محرر مُخرج.

استغرق التوأم برهة ليعتادا على الظلام. ثم ذابت الظلمة وظهر كوتابن في سورمه، عفريتاً متألّقاً في الحمّة. كان بياض عينيّه أصفر غامقاً. وبرز باطن قدميه (الطيرتين من الاستلقاء الطويل جداً) من تحت القماش الذي كان يغطي رجله. كانا ما تزالان ملطختين بلون برتقالي باهت من سنوات السير حافيتين على الطين الأحمر. وكان لديه تصليبات رمادية على كاحليه من احتكاك الحبل الذي يربطه الـ Paravan حول أقدامهم عندما يتسلقون أشجار جوز الهند.

على الجدار خلفه، كان يوجد وزنامة يسوع لطيف خيّر يشعر بني فاتح باهت وحمرة شفاه وحمرة خدود، وقلب متوهج مزّين بالجواهر يتألّق خلال ثيابه. كان الربع السفلي لفرزنامة (الجزء الذي عليه التواريخ) مكشكشاً مثل تنورة. يسوع في تنورة قصيرة. اثنتا عشر طبقة من التنانير لاثني عشر شهراً من السنة. لم يكن أيّ منها قد نُزع.

كانت توجد أشياء أخرى من منزل أيمينيما إما أعطيت أو أُنقذت من صندوق القمامة. أشياء غنية في منزل فقير. ساعة معطلة، سلة مهملات قصديرية عليها ورود. حذاء باباتشي القديم الخاص بالركوب (بني، نقائب أخضر) وأشجار اسكافي ما تزال عليه. علب بسكويت عليها صور فائحة لقلاع انكليزية وسيدات في هرج ومرج وشعور مجعدة.

ملصق صغير (كانت يبي كونشاما قد أعطته لأن عليه لطخة مبللة) كان معلقاً إلى جوار صورة يسوع. وصورة لطفلة شقراء تكتب رسالة. ودموعها تتساقط على حذائها. كُتب تحته: أكتب لك لأقول أنا مشتاقة إليك. بدت وكأنها قالت قد قصت شعرها، وأن خصلاتها القصورة هي التي تطير في باحة البيت الخلفية.

انبوب بلاستيكي شفاف كان يفضي من تحت الشرشف القطني المتهرىء الذي كان يغطي كوتابن إلى زجاج لسائل أصفر النقط عمود النور الذي دخل عبر الباب، وفتح سؤالا كان ينشأ داخل راحيل. أحضرت له الماء في كوب قصديري من الجزيرة الفخارية. بدت أنها تعرف طريقها. رفع كوتابن رأسه وشرب. تقطر بعض الماء أسفل ذقنه.

قرعص التوأم، مثل بالغين محترفين يستقيان في سوق أيمينيما. جلسا بهست لبرهة. خذل كوتابان التوأم المشغولين بأفكار قارية.

«هل جاءت ابنة السيد تشاكو؟» سأل كوتابن.

«لا بد وأنها» قالت راحيل بإيجاز.

«أين هي؟»

«من يعرف؟ لا بد وأنها بالقرب في مكان ما. نحن لا نعرف».

«هل ستحضرونها هنا لأراها؟»

«لا نستطيع» قالت راحيل.

«لماذا لا؟»

«يجب أن تبقى في الداخل. إنها رقيقة للغاية. إذا تسخت تموت».

«أفهم».

«ممنوع علينا أن نحضرها هنا.. وعلى أية حال، لا شيء مهم لئرى،»
طمأنت راحيل كوتابن. «لها شعر، رجلين، أسنان - تعلم - المأكوف... سوى
أنها طويلة قليلاً.» وكان هذا الاعتراف الوحيد الذي استطاعت أن تُدلي به.
«هل هذا كل شيء؟» قال كوتابن، مدركاً الفكرة بسرعة. «إذا أين
الأهمية في رؤيتها؟»

«لا يوجد أهمية،» قالت راحيل.

«كوتابن، إذا كان الجندول مثقوباً، هل من الصعب إصلاحه؟» سأل
إستا.

«ليس من المفروض،» قال كوتابن. «حَسَب. لماذا، جندول مَنْ هذا
المثقوب؟»

«خاصتنا - الذي وجدناه. هل تريد رؤيته؟»

خرجوا وعادا بالقرب الأشيب ليفحصه الرجل المشلول. حملاه فوقه مثل
سقف. وقطر الماء عليه.

«أولاً علينا أن نجد التسربات،» قال كوتابن. «ثم علينا أن نسدّها.»

«ثم حكّ بورق الصنفرة،» قال إستا. «ثم صقل.»

«ثم مجاذيف،» قالت راحيل.

«ثم مجاذيف،» وافق إستا.

«ثم نرحل» قالت راحيل.

«إلى أين ؟» سأل كوتابن.

«فقط هنا وهناك،» قال إستا بمرح.

«يجب أن تكونا حذرين،» قال كوتابن. «هذا النهر الذي لنا - انه ليس
كما يتظاهر.»

«بماذا يتظاهر؟» سألت راحيل.

«أوه. حدة عجوز صغيرة مواظبة على الكنييسة، هادئ ونظيف...»

idi appams^(١) للفطور و kanji و meen^(٢) للغذاء. لا يتدخل بشؤون غيره.
لا ينظر يمينه ولا يسرة.

«وفي الحقيقة هو...؟»

«هو في الحقيقة شيء متوحش... أستطيع أن أسمعه في الليل - يندفع
ماراً في ضوء القمر، دوماً في عجلة. يجب أن تكونا حذرين منه.»

«وماذا يأكل في الحقيقة؟»

«يأكل في الحقيقة ؟ أوه.. شيء مقرف... و... قتش عن شيء
بالانكليزية ليأكله نهر شرير.

«شرائع أناناس... اقترحت راحيل.

«هذا صحيح! شرائع أناناس وشيئاً مقرفاً. ويشرب ويسكي.»

«وبراندي.»

«وبراندي. صحيح.»

«وينظر يمينه ويسرة.»

«صحيح.»

«ويتدخل بشؤون الآخرين...»

ثبتت إستانين القارب الصغير على الأرض غير المستوية ببضعة قطع خشب
وجدها في منجرة فيلوثا في الباحة الخلفية. أعطى راحيل مفرقة طبخ مصنوعة
من قبضة خشبية مشته إلى نصف قشرة جوز هند مصقولة.
تسلق التوام الجندول وجذفا عبر مياه متلاطمة شاسعة.

مع Thaiy thaiy thaka thaiy thaiy thome. ويسوع مرضع بالجوهر
يراقب.

لقد سار على الماء. ربما. لكن هل كان بإمكانه أن يسبح على الأرض ؟

(١) - كعكة على البخار. (المترجمة).

(٢) - عصيدة وسمك. (المترجمة).

بسرور! قصير مناسب ونضارة غامقة؟ بنافورته في الحب - في - طوكيو؟
بحدائه المدب ونفخة شعره؟ هل كان ليحوز الخيلة؟

عاد فيلوثا ليرى فيما إذا كان كوتابن يحتاج لشيء. سمع عن بعد الغناء
للأجش. أصواتاً صغيرة تشدد بسرور ومثمة على الكلمات البديعة.

معه إليها السيد السعدان

لماذا مؤخرتك حمراء جداً؟

ذهبت إلى مدارس من أجل الخطوط

وحككتها حتى أدت ؟

مؤقتاً، من أجل بضع لحظات سعادة، أغلق رجل مشروبات البرتقال
والليمون ابتسامته الصفراء ومضى بعيداً. غرق الخوف واستقر في قاع المياه
العبيقة. نائماً نوم كلب. مستعداً للنهوض وتظليم الأمور في لحظة انتباه.

ابتسم فيلوثا عندما رأى العلم الماركسي كشجرة مزهرة خارج ممّره. كان
عليه أن ينحني ليدخل منزله. أسكيمو مداري. عندما رأى الطفلين، أطبق شيئاً
ما داخله. ولم يستطع فهمه. كان يراهما كل يوم. وكان يحبهما دون أن
يعرف ذلك. لكن الأمر أصبح مختلفاً فجأة. الآن. بعد أن أخطأ التاريخ بشكل
سيء للغاية. لم تطبق أي قمضة داخله من قبل.

طفلاها هي، هَمَسَ هَمَسَ مجنون له.

عينها هي، فمنها هي. أسنانها هي.

بشرتها الطريقة اللامعة.

طرد الفكرة عنه بغضب. عادت وجلست خارج جمجمته. مثل كلب.

«ها !» قال لضيفيه الصغيرين. «وهل بإمكانني أن أسأل من يكون هؤلاء

الصيادون ؟»

«إستابانشاتشن كوتابن بيتر مون. السيد والسيدة تشرفا بمعرفتك». مدت

راحيل الخرفة لثصافح في تحية.

صوفحت في تحية. مغرقتها، ثم مغرفة إستا.

«وهل بإمكانني أن أسأل، إلى أين هما ينطلقان بالقارب؟»

«إلى أفريقيا!» صرخت راحيل.
«توقفي عن الصراخ»، قال إستا.
دار فيلوثا حول القارب. وأخبراه أين وجداه.
«وهكذا فهو ليس لأحد»، قالت راحيل بشك خفيف: «لأنه ظهر لها
فجأة أنه من الممكن أن يكون. هل علينا أن نخبر الشرطة عنه؟»
«لا تكوني حمقاء»، قال إستا.
نقر فيلوثا على الخشب ثم حك منظفاً رقعة صغيرة بأظفره.
«خشب جيد»، قال.
«إنه يفرق»، قال إستا. «إنه يسرب».
«هل تستطيع أن تصلحه لنا، فيلوثا بايتشاتشن بير مون؟» سألت
راحيل.
«سنرى بشأن ذلك»، قال فيلوثا. «لا أريد كما أن تلعباً ألعاباً سخيفة في
النهر».
«لن نعمل. نعدك. سنستخدمه فقط عندما تكون أنت معنا».
«أولاً علينا إيجاد التسربات...». قال فيلوثا.
«ثم علينا أن نسدها!» صرخ التوأم، وكأنه كان الشطر الثاني من قصيدة
معروفة.
«كم من الوقت سيستغرق ذلك؟» سأل إستا.
«يوماً»، قال فيلوثا.
«يوماً! اعتقدت أنك ستقول شهراً!»
إستا، المحموم بالهجة، قفز على فيلوثا، وطوّق خصره برجليه وقبّله.
فُسم ورق الصنفرة إلى أجزاء متساوية تماماً، وانقضّ التوأم منشغلين بتركيز
غريب أقصى أي شيء آخر.
هبّ غبار القارب في الغرفة واستقر على الشعر والحواجب. على كوتابن
كفيمة، وعلى يسوع كفريان. وكان على فيلوثا أن يخلّص ورق الصنفرة من
أصابعهما.

«ليس هما،» قال بحزم. «في الخارج.»

التقط القارب وحمله إلى الخارج. تبعه التوأم وعميونهما مثبتة على قاربهما بتركيز ثابت العزم، جراء تنضور جوعاً تنتظر أن تطعم.

هتأ فيلوتا القارب لهما. القارب الذي جلس عليه إستا، ووجدته راحيل. بين لهما كيف يتبعان تعريقات الخشب. بدأهما في الحك بورق الصنفرة. عندما عاد إلى الداخل، تبعته الدجاجة السوداء، مقررّة أن تكون في أي مكان لا يوجد فيه القارب.

غمس فيلوتا منشفة قطنية في قدر الماء الفخارية. عصر الماء منها (بهمجية، وكأنها كانت فكرة غير مرغوب بها) وناولها لكوتابن ليمسح الجريش عن وجهه ورقبته.

«هل قالوا شيئاً؟» سأل كوتابن. «بشأن رؤيتك في المسيرة؟»

«لا،» قال فيلوتا. «ليس بعد. لكنهم سيفعلون مع ذلك. إنهم يعرفون.»
«بالتأكيد؟»

هزّ فيلوتا كتفيه لامبالياً وأخذ المنشفة ليغسلها، ليشطفها. ليضربها. وليعصرها. وكأنها كانت دماغاً متمرداً سخيفاً.

حاول أن يكرهها.

إنها واحدة منهم، قال لنفسه. واحدة أخرى منهم فحسب. لم يستطع.

لها غمازتان عميقتان عندما تضحك. وعيناها دوّما في مكان آخر. انسلّ الجنون داخلاً من خلال شق في التاريخ. استغرق الأمر دقيقة فقط.

بعد ساعة من الحك بورق الصنفرة، تذكرت راحيل قيلولته بعظ الظهر. ونهضت وأخذت تركض. متعثرة عبر حرارة العصر الخضراء. متبوعة بشقيقها وبدبور أحفر.

أملة، داعية، ألا تكون آمو قد استيقظت ووجدتها قد ذهببت.

إله الأشياء الصغيرة

ذلك العصر، سافرت آمو عالياً عبر حلم حضنها فيه رجل يشوش ييد واحدة بالقرب من ضوء مصباح زيتي. لم يكن لديه ذراع أخرى ليقا تل بها الظلال التي رفرت حوله على الأرض.

الظلال التي كان هو وحده من يقدر على رؤيتها.

برزت أخاديد من العضلات على معدته تحت جلده ككتا طيع على لوح شو كولة.

حضنها بالقرب من ضوء مصباح زيتي، وشعّ وكأنه كان قد صُقل بلمع جسم من الشمع الرقيق.

لم يكن يستطيع أن يقوم بالأشياء إلاّ واحدة فواحدة فقط.

إذا حضنها، لم يكن يستطيع أن يقبّلها. وإذا قتلها، لم يكن يستطيع أن يراها. وإذا رآها، لم يكن يستطيع أن يشعر بها.

كان بإمكانها أن تلمس جسده قليلاً بأصابعها، وتشعر ببشرة معدته تقشّر. وبإمكانها أن تترك أصابعها تنوء في أسفل معدته المسطّحة. بإهمال، فوق الخواف الشوكولاتية المجلّوة اللامعة. وتترك دروباً، يُقتدى بها، من القشعريرة الوعرة على جسده، مثل طبشورة مسطّحة على لوح أسود، مثل لفافة

نسيم في حقل أرز، مثل خطوط طائرة نفثة في سماء سماوية لكنيسة. كان بإمكانها أن تفعل ذلك بسهولة، لكنها لم تفعل. كان بإمكانه لمسها أيضاً. لكنه لم يفعل، لأنه في الظلمة فيما وراء المصباح الزيتي، في الظلال، كانت هناك كراس معدنية تُطوى مرتبة في حلقة وعلى الكرسي كان هناك أناس، بنظارات مائلة عليها أحجار راين، يراقبون. وجميعهم كانوا ممسكين بكمانات مصقولة تحت ذقونهم، وكانت الأقواس متوازنة في زوايا متماثلة. كانوا جميعاً متصاليي الأرجل، اليسرى فوق اليمنى، وجميع أرجلهم اليسرى كانت تهز. كان مع بعضهم جرائد. وبعضهم لم يكن معه. بعضهم كان ينفخ فقاعات بصاق. وبعضهم لم يكن ينفخ. لكن كان لدى الجميع الانعكاس المتراقص لمصباح زخبي على كل عدسة.

وراء دائرة الكرسي التي تُطوى كان يوجد شاطئ مبعر بقوارير زجاجية زرقاء مكسورة. كانت الأمواج الصامتة تجلب قوارير زرقاء جديدة للكسر، وتسحب القديمة بعيداً في التيار البحري التحتي. كانت هناك أصوات مثلثة خشنة لزجاج فوق زجاج. وعلى الصخر، بعيداً في البحر، في عمود من ضوء قرمزي، كان يوجد كرسي هزاز من خشب الماهوغاني والأمنود. محطماً.

كان البحر أسود، والزيد كان قياً أخضر.

كانت الأسماك تقف على الزجاج المهشم.

ارتاحت أكواع الليل على الماء، وسحت النجوم الساقطة كسوره الهشة. أضواء عثات السماء. لم يكن هناك قمر.

كان باستطاعته السباحة، بذراعه الواحدة. وهي بذراعيها.

كان جلده ملحياً. وجلده كذلك.

لم يترك ثار أقدام على الرمل، ولا توجات في الماء، ولا خيلاً في المرايا. لكان بإمكانها أن تلمسه بأصابعها، لكنها لم تفعل. وقتاً، فقط، معاً.

ساكنين.

جلداً جلداً.

رفع نسيم ملون ذروري شعرها ونفخه كشال متموج حو كنفها
الأعزلىن؁ انتهى ذلك فجأة؁ كجرف.

ظهرت بقرة حمراء نحيلة بعظام حوض ناتئة وسبحت مباشرة في البحر
من دون أن تبلل قرنها؁ ومن دون أن تنظر إلى الوراء.
حلقت أوف فوق حلمها بجناحين مرتجفين ثقيلين؁ وتوقفت لترات؁ مباشرة
تحت جلده.

كانت قد ضغطت زهوراً من لحافها الأورق ذي القطب المتصالية على
ذقنها.

أحتت بوجهي طفليها متدليين فوق حلمها؁ مثل قمرين قاتمين؁ يتظران
أن يُسمح لهما بالدخول.

«هل تعتقد أنها تموت؟» سمعت راحيل تهمس لإستا.
«أنة كابوس بعد الظهر»؁ أجاب إستا - ال - دقيق. «إنها تحلم كثيراً».

إذا ما نسيها؁ لم يكن باستطاعته أن يتكلم معها؁ إذا أحبها لم يكن
باستطاعته المغادرة؁ إذا تكلم لم يكن باستطاعته أن يصغي؁ إذا قاتل لم يكن
باستطاعته أن يتصر.

من كان؁ رجل الذراع الواحدة؟ من من المحتمل أن يكون؟ إله الضياع؟
إله الأشياء الصغيرة؟ إله القشعريرة والابتسامات المفاجئة؟ إله روائح المعدن
الحمضية - مثل سلك باص فولاذية ورائحة يدي جنبي الباص من الامساك
بها؟

«هل يجب أن نوقظها؟» قال إستا.

تسللت شقوق من ضوء بعد الظهر المتأخر؁ داخل الغرفة؁ من خلال
الستائر؁ وصققت على راديو أمو الترانزستور الذي بشكل مندرين؁ والذي
تأخذ معها دوماً إلى النهر. (بشكل مندرين أيضاً؁ كان الشيء الذي حمته إستا

إلى داخل صوت الموسيقى بيده الدبقة الأخرى.)
خطوط برّاقة من ضوء الشمس أنارت شعر آمو المتشابك. انتظرت، تحت
جلد حلمها، غير راغبة أن تدع طفلها يدخلان.
«إنها تقول يجب ألا نوقظ، أبدأ، الناس الذين يحلمون، فجأة»، قالت
راحيل. «تقول إن هذا من الممكن أن يسبب لهم سكتة قلبية بسهولة».
فيما بينهما قررا أنه سيكون من الأفضل أن يزعجاها باحتراز، من أن
يوقظاها فجأة. وهكذا فتحا الجوارير، وتنحنحا، وهمسا بصوت عالٍ، ودندنا
لحناً قصيراً. نقلاً أحذية. ووجدنا باب خزانة يصير.
آمو المريحة تحت جلد حلمها، لاحظتهما وتوجعت من حبها لهما.
نفخ رجل الذراع الواحدة مطلقاً مصباحه وسار عبر الشاطئ المثلم المتعرج،
بعيداً داخل الظلال التي كان وحده يستطيع رؤيتها.
لم يترك أية آثار أقدام على الشاطئ.
طويت الكراسي التي تُطوى. مُلّس البحر الأسود. كويت الأمواج المجمعة.
أعيدت تعبئة الزبد. ومُدت الزباجات.
أرجئ الليل حتى إشعار آخر.
فتحت آمو عينيها.
كانت رحلة طويلة تلك التي قامت بها، من عناق رجل الذراع الواحدة
إلى توأم البيضتين غير المتماثل الذي لها.
«كنت تشاهدين كابوس بعد الظهر»، أعلمتها ابنتها.
«لم يكن كابوساً»، قالت آمو. «كان حلماً».
«اعتقد إستا أنك كنت تموتين»،
«بدوت حزينة جداً»، قال إستا.
«كنت سعيدة»، قال آمو، وأدركت أنها كانت كذلك.
«آمو، إذا كنت سعيدة في الحلم، فهل يُحتسب هذا؟» سأل إستا.

«ما الذي يُحتسب؟»

«السعادة - هل تُحتسب؟»

فهمت بالضبط ماذا كان يقصد، إنها بنفخة شعره المخزبة.

لأن الحقيقة هي، أن فقط ما يُحتسب، يحتسب.

الحكمة الثابتة البسيطة للأطفال.

إذا ما أكلت سمكة في حلم، فهل تُحتسب؟ هل يعني ذلك أنك قد

أكلت سمكة؟

الرجل البشوش الذي من دون آثار أقدام - هل كان يُحتسب؟

تلمست آمو راديوها الترانزستور، فتحتة. بث أغنية من فيلم يُدعى

تشمين.

كانت قصة فتاة فقيرة أُجبرت على الزواج من صياد من الشاطئء المجاور،

بالرغم من أنها كانت تحب شخصاً آخر. عندما علم الصياد بشأن حبيب

زوجته القديم، انطلق إلى البحر بقراره الصغير بالرغم من انه كان يعلم أن هناك

عاصفة في الأفق. الوقت ليل، وتهب الرياح. وتدوم دوامة من قاع المحيط. هناك

موسيقى عاصفة، ويفرق الصياد، منجذباً إلى أسفل البحر بدوار الدوامة.

يرم العشاقان معاهدة انتحار، ويُعثر عليهما في الصباح التالي، متطهرين

على الشاطئء وذراعهما حول بعضهما البعض. وهكذا يموت الجميع. الصياد،

زوجته، حبيبها، وقرش لم يكن له أي دور في القصة، لكنه يموت على أبة

حال. البحر يطالب بهم جميعاً.

في ظلمة القطب المتصالبة الزرقاء المخزمة بحواف من ضوء، وبزهور من

قطب متصالبة على خديها النعسين، غنت آمو وتوأمها (واحد على كل

جانب)، بنعومة مع الراديو الذي بشكل مندرين. الأغنية التي غنتها الصيادة

للعروس الصغيرة الحزينة بينما كانوا يصفرون لها شعرها ويهيئونها لرقانها على

رجل لم تكن تحبه.

Pandoru mukkuvan muthinu poyi,

(ذات مرة ذهب صياد إلى لبحر.)

Padinjaran kattathu mungi poyi,

(هبت الريح الغربية وابتلعت قاربه.)

وقفت عباءة جنية مطار على الأرض، مدعومة برغوتها وصلابتها. في الخارج فوق الدرج، استلقت أثواب ساري مجمدة في صف تنغضن في الشمس. أبيض مصفر وذمبي. حصي صفاء عشت في ثناياها الممدودة ويجب أن نُحْض قبل أن تُطوى وتؤخذ لكوني.

Arayathi pennu pizhachu poyi,

(تاھت زوجته على الشاطئ.)

رُتد الفيل المصاب بصدمة كهربائية (ليس كوتشو ثومبان) في إيتومانور. نُصب حرقاً عملاقاً على الاوتوستراد. نشر المهندسون من البلدية المعنية الأنابيب وتقاسموها بشكل غير رسمي. وبشكل غير متساو. ثمانون صفيحة من السمن الصافي صُبت فوق الفيل لتغذية انار. ارتفع الدخان في أدخنة سميكة ورتب نفسه في أشكال معقدة باتجاه السماء. تجمع الناس حوله على مسافة آمنة، يستخلصون تأويلاتهم الخاصة. كان هناك الكثير من النذباب.

Avaney kadalamma kondu poyi.

(فنهضت الأم المحيط وأخذته بعيداً.)

صقور منبذة تساقطت داخل الأشجار المجاورة، لشرف على مراقبة الطقوس الأخيرة للفيل الميت. أملوا، ليس من دون داع، بجمع أحشاء عملاقة. صفراء هائلة، مثانة، ربما، أو طحال ضخمة محروقة. لم يكونوا خائبي الأمل. ولا راضين كلياً.

لاحظت آمو أن كلاً من طفليها كانا مغطين بغيار دقيق. مثل قطعني كاتو غير متساويتين مغبرتين قليلاً بالسكر. كان لدى راحيل خصلة شقراء تستقر بين خصلاتها السوداء. خصلة من باحة فيلوثا الخلفية. أخرجتها آمو.

«قلت لكما من قبل»، قالت. «لا أريدكما أن تذهبا إلى بيته. لن يسبب ذلك إلّا المتاعب.»

أية متاعب، لم تقل. لم تكن تعرف.

بطريقة ما، وبدعم ذكر اسمه، علمت أنها قد جرتّه داخل الحميمية المشعة لذلك العصر الأزرق ذي الفطْب المتصالية وللأغنية المبتوثة من الترانزستور الذي يشكل مندرين. بدعم ذكر اسمه، شعرت أن عهداً قد رُور بين حلمها و العالم. وأن مولدات ذلك العهد، كائنا، أو سيكونا، توأم البيضتين المكسوتين بالشارية، الذي لها.

علمت من كان - إله الضياع، إله الأشياء الصغيرة. بالطبع علمت.

أطفأت راديو المندرين. التف طفلها في صمت بعد الظهر (الخزوم بحواف ضوء) داخل دغها. داخل رائحتها. غطيا رأسيهما بشعرها. أحسا بطريقة ما أنها قد سافرت بعيداً عنهما في حلمها. استدعيها ثانية الآن براحتي يديهما الصغيرتين موضوعتين مسطحتين على بشرة الحجاب الحاجز العارية. بين ثورتها وبلورتها. أحبا حقيقة أن اللون البني لظهر يديهما كان اللون البني ذاته لبشرة معدة أمهما.

«انظر إستا»، قالت راحيل، وهي تنقر على اللون البني الناعم الذي يقود إلى الأسفل من صرة أمو.

«هنا حيث رفسناك.» تبع إستا العلامة الفضية التائهة الممتدة بإصبعه.

«أمو، هل كان ذلك في الباص؟»

«أم على طريق المزرعة المتعرج؟»

«عندما أمسك بابا بطنك؟»

«هل كان عليكما أن تشتريا بطاقتي باص؟»

«هل أذيتك؟»

ومن ثم، محتفظة بصوتها عادياً، سؤال راحيل:

«هل تعتقدين أنه من الممكن أن يكون قد أضاع عنواننا؟»

مجرد إبحاء لوقفة في إيقاع تنفس أمو، جعلت إستا يلمس إصبع راحيل الوسطى بإصبعه الأوسط. وإصبع أوسط على إصبع أوسط على الحاجب الحاجر الجميل الذي لأمهما، تخليا عن ذلك السطر من الأسئلة.

«هذه رفسة إستا، وهذه رفستي»، قالت راحيل... وهذه لإستا وتلك

لي.

ورّعا بينهما قطب أمهما الفضية السبع. ثم وضعت راحيل فمها على معدة أمو ومصبتها، جاذبة اللحم الطري داخل فمها ومرجة رأسها إلى الخلف لتعجب بالشكل البيضوي المشع للصاق والآثار الحمراء الباهتة لأستانها على جلد أمها.

ذهشت أمو من شفافية تلك القبلية. كانت قبلية شفافة كالزجاج. غير معكرة بالهوى والرغبة - زوج الكلاب ذاك الذي ينام عميقاً داخل الأطفال، ينتظروهم ليكبروا. كانت قبلية لا تطالب بوحدة مقابلة.

ليست قبلية ملبدة بأسئلة تريد أجوبة. مثل قُتل رجال الذراع الواحدة البشوشين في الأحلام.

بدأت أمو تتضايق من لمسها التملكي لها. أرادت أن تستعيد جسمها. لقد كان لها. خلعت نفسها من طفلها بالطريقة التي تخلع كلبة نفسها من جرائها عندما تكتفي منهم. جلست وعقصت شعرها في عقدة في مؤخرة عنقها. ثم أرجحت رجلها عن السرير، وسارت إلى النافذة وأزاحت الستائر.

غمر ضوء بعد ظهر مائل الغرفة وأضاء طفلين على السرير.

سمع التوأم القفل يدور في باب حمام أمو.

تيك.

نظرت أمو إلى نفسها في المرأة الطولانية على باب الحمام وظهر خيال مستقبلها فيها ليهزأ منها. مخلة. رمادية. عمشة العينين. زهوراً من قطب متصالة على خد غائر مرتخ. ثدين ذاوين يتدليان مثل جوربين مثقلين. الشعر

الأبيض بين رجليها، جافاً كعظمة. ضاوباً. هشاً متقصفاً كسراخس مضغومة.
الجلد الذي يتقشر ويسيل كالثلج.

ارتجفت آمو.

بذلك الاحساس البارد أن الحياة قد عيشت في بعد ظهر حار. أن كأسها
كان مليئاً بالغبار. أن الهواء، والسماء، والأشجار، والشمس، والمطر، والضوء
والظلام، كانت تتحول، جميعها، رويداً رويداً إلى رمل. أن الرمل سيملاً فتحة
منخريها، ورثيها، وفمها. سيسحبها نحو الأسفل، تاركاً على السطح، دوامة
تدور مثل التي تتركها السرطانات عندما تختبئ على الشاطئ.

تعرت آمو ووضعت فرشاة أسنان حمراء تحت ثدي لترى إن كانت
ستقف. لم تقف. حيثما لمست نفسها كان لحمها مشدوداً وناعماً. تجعدت
حلماتها تحت يديها وتصلبتا كحبتي فستق قائمتين، جاذبتين جلد ثديها الطري.
قاد خط الأسفل النحيل من صرتها وفوق الانحناء الرقيق لأسفل بطنها، إلى
مثليها الأسود. كقوس يرشد مسافراً تائهاً. حبيباً غزاً.

حلّت آمو شعرها واستدارت لترى إلى أي طول كان قد وصل. سقط،
في خصل فائرة متعردة ملتفة وتموجة - ناعماً في الداخل، أحشن قليلاً في
الخارج - اتجهت انحناءاته باتجاه وركيها بالضبط عند أسفل بداية خصرها القوي
الصغير. كان الحمام حاراً. خرزات صغيرة من العرق رصمت بشرتها كالмас.
ثم انفصلت وتقطرت نحو الأسفل. انساب العرق أسفل الخط المستريح لسلسلة
ظهرها. نظرت بانتقاد طفيف إلى مؤخرتها الثقيلة المدورة. ليست كبيرة هي
ذاتها. ليست كبيرة بذاتها (كما سيصوغها تشاكو - الا - كسفوردي دون
شك). كبيرة فقط لأن بقية جسمها كان نحيلاً جداً. كانت مؤخرتها تنتمي
إلى جسد آخر أكثر شهوانية.

اضطرت أن تعترف أنها تتحمل بسعادة فرشاة أسنان لكل منها. ربما
اثنتين. ضحكت عالياً على فكرة السير عارية في أيمتيم بنسق من فراشي أسنان
ملونة ماصقة خارج كل فلة من مؤخرتها. أسكتت نفسها بسرعة. رأت حفنة

جنون نفر من قارورتها وترقص مرحاً بانتصار حول الحمام.

كانت أمو تخشى الجنون.

كانت ماماتشي تقول انه يسري في عائلتهم. ينتهب الناس فجأة ويأخذهم على حين غرة. كانت هناك بائيل أماي التي بدأت في عمر الخامسة والستين بخلع ملابسها والركض عارية بمحاذاة النهر، مغنية للأسماك. وثامبي تشاتشن الذي كان يفتش غائطه بأبرة حياكة كل صباح بحثاً عن سن ذهب كان قد ابتلعه من سنين. والدكتور موناتشن الذي كان يجب أن يُنقل من حفلة زفافه. هل ستقول أجيال المستقبل، كانت توجد أمولامي. تزوجت من بنغالي. وُجِّت تماماً. وماتت صبية. في نزل رخيص في مكان ما.

كان تشاكو يقول أن حالات الجنون المرتفعة الواقعة بين المسيحيين السوريين كانت الثمن الذي يدفعونه مقابل الزيجات الداخلية. ماماتشي قالت أن ذلك لم يكن السبب.

جمعت أمو شعرها الثقيل، ولفته حول وجهها، وحذقت من خلال جدائله المفرقة، عبر الطريق إلى العصر و الموت. مثل جلالاد من العصور الوسطى يحدق إلى الضحية من خلال ثقب العين المائلين لقلنسوته المدية السوداء. جلالاد عاري نحيل بحلمتين قاتمتين وغمازتين إذا ضحك. بسبع قطب فضية من نوأم البيضتين خاصتها، اللذين ولدا لها في أضواء الشموع في غمرة أخبار عن حرب خاسرة.

ما يتوضع في نهاية الطريق لم يكن هو ما يخيف أمو بقدر خوفها من طبيعة الطريق ذاته. لا معالم تميزه. لا أشجار تنمو على امتداده. لا ظلال مرقطة تظلمه. لا سحب تتكور فوقه. لا طيور تحيطه. لا اتحاذات، لا تعرجات أو دبابيس شعر محنية لتحجب، ولو للحظة، رؤيتها الواضحة للنهاية. ملأ هذا أمر برعب مربع. لأنها ليست من نوع النساء اللواتي يردن أن يُقال مستقبلهن لهن. كانت تفرغ منه كثيراً. ولذلك فإذا كانت مستمخ أمنية صغيرة لربما كانت أن لا تعلم فقط. أن لا تعلم ما يدسره كل يوم لها. أن لا تعلم أين من المحتمل أن تكون في الشهر التالي، في السنة التالية. بعد عشر سنوات. أن لا تعلم أي

طريق قد يتخذة دريها وماذا يتوضع بعد المتعطف. وآمو كانت تعلم. أو اعتقدت انها كانت تعلم، الأمر الذي كان في الحقيقة بالسوء ذاته (لأنك إذا كنت تأكل سمكة في حلم، فهذا يعني انك كنت تأكل سمكة). وما علمته آمو (أو اعتقدت أنها كانت تعلمه)، فاح يرائحة الأدخنة الخلية النكدة التافهة التي تصعد من الأحواض الاسمنتية في مخلات الجنة. أدخنة كانت تجعد الشباب وتخلل المستقبل.

آمو المحجوبة بشعرها، استندت على نفسها في مرآة الحمام وحاولت أن تبكي.

من أجل نفسها.

من أجل إله الأشياء الصغيرة.

من أجل توأم السكر المغتر مولد حلمها.

ذلك العصر - بينما كانت الأقدار تتآمر على تغيير وجهة طريق أهمها الغامض على نحو رهيب، وبينما كان قارب قديم ينتظرهما في باحة فيلونا الخلقية، وبينما كان خفاش صغير ينتظر أن يولد في كنيسة صفراء - في غرفة نوم أهمها، وقف إستا على رأسه على مؤخرة راحيل.

غرفة النوم ذات الستائر الزرقاء والديابير الصفراء التي أفلقت ألواح الزجاج. غرفة النوم التي ستعلم جدرانها قريباً أسرارهم المعبدة. الحمام الذي ستحس فيه آمو أولاً، ومن ثم ستحس نفسها فيه. الذي سيخلع تشاكو، المسوس بالحزن، بعد أربعة أيام من جنازة صوفي مول، بابه من الضرب.

«أخرجني من بيتي قبل أن أكسر كل عظمة في جسمك!»

بيتي أنا، أنا ناساتي أنا، مخلاتي أنا.

ستعلم راحيل لسنوات، بعد ذلك، هذا الحلم: رجل سمين، دون وجه، جاث بالقرب من جثة امرأة. يخلع شعرها. ويكسر كل عظمة في جسدها. قاصفاً حتى العظام الصغيرة. الأصابع. عظام الأذنين مصدعة كالأغصان. طق طق كان الصوت الخافت لكسر العظام. عازف يانو يقتل البيانو الذي له.

حتى المفاتيح السوداء. وراحيل (بالرغم من أنها بعد سنوات، في المحرقة الكهربائية، ستستفيد من العرق لتفعل من قبضة تشاكو)، كانت تحبهما كليهما. العازف والبيانو.

القاتل والجنّة.

بينما كان الباب ينخلع ببطء، ولتسيطر آمو على ارتجاف يديها، ستعتمد إلى حياكة أطراف شرائط راحيل التي لم تكن تحتاج لذلك «عداني أنكما ستحبان بعضكما البعض يوماً»، سنقول، وهي تجذب طفلها إليها.

«نعدك»، سيقول إستا وراحيل. دون أن يجدا الكلمات المناسبة؛ يشعرون أنها بالنسبة لهما لا يوجد بعض ولا بعض آخر.

حجرا طاحون توأم وأمهما. حجرا طاحون فاقدًا الإحساس. ما فعلاه سيعود لإفراغهما. لكن ذلك سيكون فيما بعد.

فيما بعد. جرس ذو صوت عميق في بئر مكسوة بالطحالب. مرتجف ومكسو بالفراء كقدمي عثة.

في ذلك الوقت، كان يوجد فقط التشظي. وكان المعنى كان قد انسلّ من الأشياء وتركها مفتتة. مبتورة. الومضة في إبرة آمو. لون شريطة. نسج اللحاف ذي القطب المتصلة. باب ينكسر ببطء. الأشياء المعزولة التي لم تكن تعي أي شيء. وكان الذكاء الذي يفك شيفرة أساليب الحياة الخبئة - الذي يربط الأخيصة بالصور، الومضات بالضوء، النسج بالأقمشة، الأبر بالخيط، الجدران بالغرف، الحب بالخوف بالغضب بالندم - كان قد ضاع فحاة.

«احزمي أشياءك وارحلي»، سيقول تشاكو، وهو يدوس فوق الحطام، ناشراً تهديده، فوقه. وقبضة باب كرومية في يده. يهدأ فجأة بشكل غريب. مدهوشاً من قوته الخاصة. من كبره. من قوته المهولة. من جسامته حزنه الرهيب. أحمر، كان لون خشب الباب المتشظي.

آمو، الهادئة في الخارج، المرتجفة في الداخل، تنتظر رافعة عينيها عن

حياتها غير الضرورية. ستتوضع علبة الشرائط القصديرية مفتوحة في حضنها، في الغرفة التي فقدت فيها حقها في المطالبة بالملكية.

الغرفة ذاتها (بعد أن أجاب خبير التوائم من هيدراباد)، التي ستحزم أمورها فيها حقيبة إستا الصغيرة وجرابه الكاكي: ١٢ صدار قطني بدون أكرام، ١٢ صدار قطني بأكرام قصيرة. هالك إستا، اسمك مكتوب عليها بالحبر. جواربه. بنطلوناته الضيقة. قمصانه ذات الياقات المديية، حذاءه البيج المدبب الذي تصعد منه مشاعر الغضب. أسطواناته الخاصة بالفيس بريسلي. حبوب الكالسيوم وشراب الفيدالين الخاص به. زرافته المجانية (التي أتت مع الفيدالين). أجزاء كتب المعرفة خاصته. من ١ حتى ٤. لا يا حبيب قلبي، لن يكون هناك نهر لتصطاد فيه. إنجيله الجلدي الأبيض ذو السحاب الذي عليه زر لربط أكرام من حجر الجمشت تابع لعالم حشرات امبراطوري. فنجان. صابونه. هديته لعيد ميلاده القادم الذي عليه ألا يفتحها. أربعون نموذج رسالة، بون أخضر، خاصة بمراسلات داخل البلاد. انظر، إستا، لقد كتبت عليها عنواننا. كل ما عليك فعله هو أن تطويها. لنرى إن كنت تستطيع طويها بنفسك. وسيطوي إستا الرسالة الحضرء، الخاصة بداخل البلاد، بأناقة على طول الخط المنقط حيث كتب أطير هنا ويرفع بصره إلى أموري بأسماء حطمت قلبها.

هل ستعدني أنك ستكتب؟ حتى لو لم يكن لديك أخبار؟

أعذك، سيقول إستا. غير مدرك كلياً لوضعه. فقد ثلّمت الخافة الحادة لإدراكه بهذه الثروة المفاجئة من الملكيات الدنيوية. كانت له. وكان اسمه مكتوباً عليها بالحبر. وكانت ستحزم داخل حقيبة (باسمه عليها) ستتوضع على أرض غرفة النوم.

غرفة النوم، التي ستعود راحيل إليها بعد سنوات، لتشهد غريباً صامتاً يستحم. ويفسل ثيابه بصابونة زرقاء زاهية مفتتة.

ذو عضلات مسطحة، وبون العسل. بأسرار البحر في عينيه. وقطرات مطر فضية في أذنه.

إستابايتشانشن كوتابن يتر مون.

كوتشو ثومبان

أبرز صوت التشيندا^(١) المنتشر فوق المعبد، صمت الليل المهدق. الطريق
الليل الوحيد. والأشجار المراقبة. خطت راحيل اللاهثة والممسكة بشمرة جوز
هند، دأخل بناء الهيكل عبر الباب الخشبي الموجود في الجدار المتاخم الأبيض
العالي.

في الداخل. كان كل شيء محاطاً بجدران يضاء، مكسواً بالطحالب،
ومضاء بالقمر. كان الكاهن التحيل نائماً على حصيرة في الشرفة الحجرية
المشيدة. وتوضعت صخفة نقود نحاسية بجانب وسادته كتوضيح هنري
لأحلامه. كان البناء مبعثراً بالأهلة، واحد في كل بركة طين. كان كوتشو
ثومبان قد أنهى جولاته الشعائرية، واضطجع مربوطاً إلى وتد خشبي بجانب تلة
روثه الخاص التي تتصاعد منها الأبخرة. كان نائماً، واجبه منجز. أمعاؤه مفرغة.
تاب يرتاح على الأرض، والآخر يشير إلى النجوم. اقتربت راحيل بهدوء. رأت
أن جلده كان أطرى مما تذكر. لم يعد كوتشو ثومبان. فقد نما ناباه. أصبح فيلينا
ثومبان الآن. الفيل الكبير. وضعت ثمرة جوز الهند على الأرض بالقرب منه.
انفصلت تجعيدة جلدية لتكشف ومضة سائلة لعين فيل. ثم انغلقت واستدعت

(١) - التشيندا: قرع طبول. (الترجمة).

الأهداب الطويلة المتسعة، النوم، ثانية. ناب باتجاه النجوم.

إن حزيران هو موسم منخفض للكاثاكالي. لكن هناك بعض المعابد التي لا يمكن للفرق أن تمر بها من غير أن تمثل فيها. ومعبد أيمينيم لم يكن واحداً منها، لكن في هذه الأيام، وبفضل موقعه الجغرافي، تغيرت الأمور.

في أيمينيم رقصوا هوانهم لحمولة البحر في قلب الظلمات. رقصوا تمثيلياتهم المبثورة التي يقدمونها عند بركة السباحة. رقصوا لجوءهم إلى السباحة لتفادي الجوع.

في طريق عودتهم من قلب الظلمات، توقفوا في المعد ليطلبوا المغفرة من آلهتهم. ليعتذروا عن تشويههم ومسخهم لقصصهم. لتزييفهم هوياتهم. لاساءة استعمالهم حيواتهم.

في مثل هذه المناسبات، كان حضور انساني أمراً مرحباً به، لكنه عرضياً تماماً.

في الممر المسقوف العريض - الكوثامبالام^(١) المحاط بالأعمدة، المتاخم لقلب المعبد حيث يعيش الإله الأزرق مع زمواره، قرع قارعو الطبول طبولهم ورقص الراقصون، وتحولت ألوانهم يبطء في الليل. جلست راحيل متصالبة الرحلين، مسندة ظهرها إلى استدارة عمود أبيض. تلالأت علبة طويلة من زيت جوز الهند في ضوء مرفرف لمصباح نحاسي. ملأ الزيت الضوء بأسره. والضوء أضاء العلبة.

لم يكن يهم أن القصة كانت قد ابتدأت، لأن الكاثاكالي اكتشفوا منذ زمن بعيد أن سر القصص العظيمة هو أنها لا تنطوي على أسرار. القصص العظيمة هي القصص التي سمعتها وتريد أن تسمعها ثانية. تلك التي تستطيع أن تدخل في أي مكان وتقط براحة. إنها لا تخدعك بنهايات تشويق وخديعة. ولا تفاجئك بغير المتوقع. إنها مألوفة كالبيت الذي تعيش فيه. أو رائحة جلد حبييك. تعرف كيف ستكون خاتمتها، وبالرغم من ذلك فأنت

(١) - الحرم المقدس داخل المعبد (المترجمة).

تستمع وكأنك لا تعرف. بالطريقة التي بالرغم من أنك تعرف أنك ستموت في يوم ما، لكنك تعيش وكأنك لن تموت. في القصص العظيمة أنت تعرف من يعيش، ومن يموت، من يجد الحب، ومن لا يجده. ومع ذلك فأنت تريد أن تعرف كل ذلك ثانية.

هذا هو السر في سحرهم.

بالنسبة لرجل كاثاكاللي، هذه القصص هي أولاده وطفولته. لقد كبر داخلها. إنها البيت التي رُبي فيه، البراري التي لعب فيها. إنها نوافذه وطريقته في الرؤية. ولذلك عندما يخبر قصة فهو يسلمها وكأنه يسلم طفله الخاص. يلاعبها. يعاقبها. يطيرها عالياً كفقاعة. يصارعها حتى الأرض ثم يتركها تذهب ثانية. يضحك عليها لأنه يحبها. يستطيع أن يطير بك في لحظة عبر عوالم كاملة، ويستطيع أن يتوقف لساعات ليتملى ورقة شجر ذابلة. أو ليلعب بذيل فرد نائم. يستطيع أن يتحول بسهولة من مجزرة حرب إلى غبطة امرأة تغسل شعرها في جدول جبلي. من حماسة عريت محتال لديه فكرة جديدة إلى مالايالي ثرثار يريد نشر فضيحة. من شهوانية أم بطفل على ثديها إلى الأذى المغربي لابتسامة كريشنا يستطيع أن يكشف عن شذرة الحزن التي تحتويها السعادة. وعن سمكة العار المخبأة في بحر المجد.

يجبر قصص الآلهة، لكن خيطه مغزول من القلب الانساني الآثم.

رجل الكاثاكاللي هو أكثر الرجال جمالاً. لأن جسمه هو روحه. أداته الوحيدة. من عمر الثلاث سنوات يُشوى ويُصقل ويُشدب، مسخراً لمهمة رواية القصص. يمتلك سحراً في داخله، هذا الرجل ذو القناع المرسوم والتورة المدوّمة.

لكنه، في هذه الأيام، أصبح بضاعة غير نافعة. متقدرة. ومستهجنة. مصدرًا لسخرية أولاده. إنهم يتوقون لكل شيء ليس فيه. لقد راقبهم يكبرون ليصبحوا موظفين وجباة باص، موظفي جريدة غير رسمية من الدرجة الرابعة. باتحادات خاصة بهم.

أما هو نفسه، فقد ترك معلقاً في مكان ما بين الجنة والأرض. فهو لا يستطيع أن ينزل في ممرات الباصات، يعد نفكة ويبيع البطاقات. ولا أن يجيب الأجراس التي تناديه. ولا أن ينحني وراء صواني الشاي ويسكوت ماري. دفعه بأسه إلى السياحة. دخل السوق. ونادى على الشيء الوحيد الذي يملكه. القصص التي يستطيع أن يرويها جسده. أصبح نكهة محلية.

يهزؤون منه في قلب الظلمات بعريهم المتدلي وأشبار انتباههم المستوردة. يتفقد مجاله ويرقص لهم. يجمع أجرته. يسكر. أو يدخن ماريجوانا. ماريجوانا كبرالية جيدة. يضحكه ذلك. ثم يتوقف عند معبد أيمينيم، هو والآخرون الذين معه، ويرقص ليطلب المغفرة من الآلهة.

تفرجت راحيل التي (من دون خطط، ومن دون حق المطالبة بملكية)، بظهرها المنسد إلى عمود، على كارنا يصلي على ضفاف الغانغا^(١). كارنا المتسربل في ذرع نوره. كارنا، الابن السوداوي لسوريا، إله النهار. كارنا الكريم. كارنا الطفل المهجور. كارنا المحارب الأكثر احتراماً بينهم جميعاً. كان كارنا محششاً تلك الليلة. رُنقت تنورته المهترئة. وكان يوجد تجاوب في تاجه حيث توجد المجوهرات عادة. أصبح قميصه الخملي أحرّ من الاستعمال. وكان كعباء مشققين. وقاسيين. كان يطفىء أعقاب ماريجواناته فيهما.

لكن لو كان لديه أسطول من الرجال المبرجين منتظرين في الأجنحة، ووكيل، وعقد، ونسبة مئوية من الأرباح - فماذا سيكون عندئذ ؟ مخادعاً نصّاباً. مدّعياً غنياً. ممثلاً يمثل دوره. هل بإمكانه أن يكون كارنا ؟ أو أنه سيكون أمناً جداً داخل جيب ثروته ؟ هل ستنمو أمواله عندئذ كقشرة بين وبين قشرة ؟ هل سيتمكن من لمس قلبها، أسرارها المخبأة، بالطريقة التي يستطيعها الآن ؟ وبما لا.

(١) - الغانغا: نهر في الهند وبنغلاديش، ينبع من جبال هيمالايا، وهو مقدس عند الهندوس. (المترجمة).

هذا الرجل خطير هذه الليلة. إن يأسه كامل. هذه القصة هي شبكة الأمان التي يهوي ويغطس فوقها كمهرج ألمعي في سيرك مفلس. إنها كل ما لديه ليمنعه من التحطم عبر العالم كحجر ساقط. إنها لونه وضوؤه. إنها اناؤه التي يسكب فيه نفسه. إنها تعطيه شكلاً. بناءً. إنها تسخره. تحويه. تحوي حبه. جنونه. أمله. فرحه اللامتناهي. وما يدعو للسحرة، أن صراعه هو تقيض لصراع مثل - إنه لا يكافح ليدخل دوراً بل يهرب منه. لكن هذا ما لا يستطيعه. في هزيمته الذليلة يكمن انتصاره الأسمى. إنه كارنا، الذي تخلى عنه العالم. كارنا الوحيد. البضاعة المستهجنة. أمير ترعرع في الفقر. وُلد ليموت مظلوماً، أعزل ووحيداً بين يدي أخيه. جليلاً في يأسه الكامل. يصلي على ضفاف الغائفا. محشّشاً ذاهلاً.

ثم ظهرت كونتي. هي أيضاً كانت رجلاً، لكن رجلاً ناعماً وأثوياً، رجلاً بدين، من جراء قيامه بأدوار سائية لسنين. كانت حركاتها متدققة. مليئة بالانوثة. كونتي، أيضاً كانت محشقة. عالياً بالأعقاب المشتركة ذاتها. كانت قد أنت نتخير كارنا قصة.

أمال كارنا رأسه الجميل وأصغى.

رفعت له، كونتي، ذات العيتين الحمراءوين. أخبرته عن صبية كانت قد مُنحت نعمة. مانترا^(١) سرية تستطيع استخدامها لتختار لها حبيباً من بين الآلهة. وكيف قررت بطيش شباب، أن تختبره لترى إن كان سينجح فعلاً. وكيف وقفت وحيدة في حقل فارغ، وأدارت وجهها نحو السموات وأنشدت المانترا كانت الكلمات قد غادرت شفيتها الغبيتين بشق الأنفس، قالت كونتي، عندما ظهر سوربا، إله النهار، أمامها. منحت الصبية المفتونة بجمال الإله الشاب المتألّيء نفسها له. بعد تسعة أشهر ولدت له ولداً. وُلد الطفل متسربلاً بالنور، بقرطين ذهبيين في أذنيه ودرع ذهبي على صدره، منقوشاً برمز الشمس.

(١) - صيغة لفظية مقدمة تتكرر في الصلوات والتعازيم والتأملات، وتحوي قوى كامنة باطنية. (هندوسية). (الترجمة).

أحبت الأم الصغيرة ولدها الأول بعمق، قالت كوتني، لكنها كانت عزباء ولم تستطع الاحتفاظ به. وضعت في سلة خيزران وطرحته في نهر. وُجد الطفل أسفل النهر بواسطة أبهيراتا، سائق عربة. وشمي كارنا. رفع كارنا نظره إلى كوتني. من تكون؟ من هي أمي؟ أخبريني أين هي. خذيني إليها.

خففت موني رأسها. إنها هنا، قالت. واقفة أمامك. نشوة كارنا وغضبه من البوح، رقصة ارتباك وياسه. أين كنت، سألها، عندما كنت بأشد الحاجة إليك؟ هل حملتيني، أهدأ، بين ذراعيك؟ هل أطعمتني؟ هل بحثت عني؟ هل تسألت أين من الممكن أن أكون؟

في إجابتها، أخذت كوتني الوجه المكسي بين يديها، أخضر الوجه، أحمر العينين. اختلج كارنا باللذة. محارب يُخَفَّض إلى طفل. نشوة تلك القيلة. بعثها إلى أطراف جسده. أصابع قدميه. بصمات أصابعه. قيلة أمه الحبيبة. هل تعلمين كم اشتقت إليك؟ استطاعت راحيل أن تراها تسري في شرايينه، واضحة كبيضة ترنجل في رقبة نعامه.

قيلة مسافرة تُقَضِّع رحلتها بالرعب عندما يدرك كارنا أن أمه قد كشفت نفسها له فقط لتكفل سلامة ولادها الحبيبة، الأكثر إثرة لديها - الباندا فاس - المتوازنين على شفا معركتهم الملحمية مع أولاد أعمامهم المثة. لقد كانوا هم من سعت كوتني لتحميمهم بكشفها لكارنا أنها أمه. كان عليها أن تنتزع وعداً. ناشدته بقوانين الحب.

إنهم إنخوتك. لحملك ودمك. عدني أنك لن تذهب إلى الحرب ضدهم. عدني بذلك.

لم يستطع كارنا المحارب أن يعد، لأنه لو فعل لتقض وعداً آخر. غداً سيذهب إلى الحرب، وسيكون الباندا فاس أعداءه. لقد كانوا هم، وآرجونا على وجه الخصوص، من شتمه علناً لكونه ابن سائق عربة وضيع. وكان دوريو دهانا، أكبر الأخوة الكاورفا المثة، من أنقذه بمنحه مملكة خاصة به. وفي المقابل، قطع كارنا عهداً بالولاء الأبدي لدوريو دهانا.

لكن كارنا الكريم لم يستطع أن يرفض ما تطلبه أمه منه. فبدل الوعد.
راوغ. قام بتعديل بسيط، أقسم قسماً محزناً نوعاً ما.
أعدك بذلك، قال كارنا لكونتي. سيكون لك دوماً خمسة أبناء. لن
أؤذي يوردهيشيرا. ولن يموت بهيما على يدي. وسيذهب التوأم - ناكولا
وساهاديفا - دون أن أفسدهما. لكن أرجونا - لن أستطيع أن أعد بشأنه. سأقتله،
أو سيقتلني هو. أحذنا سيموت.

تبدل شيء في الجو. وعلمت راحيل أن إستا قد قدم.
لم تدر رأسها، لكن وهج انتشر داخلها. إنه هنا، فكرت. إنه هنا. معي.
استقر إستا على عمود بعيد وجلسا طوال المسرحية على هذا الشكل،
مفصولين بعرض الكوثامبالام، لكنهما متصلان بقصة. وبذكرى أم أخرى.
أصبح الجو أكثر دفئاً. وأقل رطوبة.

ربما كانت تلك الأمسية أمسية سيئة على وجه الخصوص في قلب
الظلمات. رقص الرجال في أيمينيم وكأنه لم يكن بإمكانهم التوقف. مثل
أطفال في منزل دافئ يحتمون من عاصفة. يرفضون الخروج والاعتراف
بالطقس. بالرياح والبرد. بالجرذان التي تتسابق عبر المنظر المهدم وعلامات
الدولار في أعينهم. بالعالم الذي يتحطم من حولهم.

كانوا يخرجون من قصة ليتوغلوا عميقاً داخل أخرى.
من Karna Shabadam - قسم كارنا - إلى Duryodhana Vadham -
موت دوريودهانا وأخيه دوشاسانا.

كانت الرابعة صباحاً تقريباً عندما قنص بهيما دوشاسانا الحسيس. الرجل
الذي حاول جاهدة أن يعزّي زوجة الباندافاس، دراوبادي، بعد أن فاز بها
الكاوارفا في لعبة نرد. دراوبادي (الغاضبة بشكل غريب فقط من الرجل لذي
فاز بها، وليس من أولئك الذين راهنوا بها)، كانت قد أقسمت أنها لن تعقص
شعرها حتى تغسله بدم دوشاسانا. وكان بهيما قد أقسم على الثأر لشرفها.

ضيق بهيما الخناق على دوشاسانا في ميدان معركة ميعثر مسبقاً بالجنث. تبارزا لساعة مع بعضهما البعض. تبادلوا الالهانات. سردا كل الأخطاء التي فعلها كل منهما بحق الآخر. وعندما بدأ الضوء الآتي من المصباح النحاسي يرفرف ويموت، طلبا هدنة. صبَّ بهيما الزيت، ونظف دوشاسانا الفتيلة المحروقة. ثم عادا إلى الحرب. انسكبت معركتهما اللاهفة من الكوثامبالام ودارت حول المعبد. طاردا بعضهما اليه عبر البناء، مديرين قناعيهما الكرتونيين. رجلان بتورتين بالونيتين وقمصين مخمليين أجردين، يثبان فوق أهلة مبعثرة وثلاث من الروث، يدوران حول هيكل ضخم لقليل نائم. دوشاسانا مليفاً بالتجحجح تارة. وذليلاً تارة أخرى. وبهيما بلاعبه. وكلاهما محششان.

كانت السماء قصعة زهرية. احتاج الثقب، الذي بشكل فيل في الكون، في نومه، ثم رقد ثانية. كان الفجر على وشك الانبلاج عندما ثار الحيوان الذي داخل بهيما. ضربت الطبول بصوت أعلى، لكن الجو أصبح هادئاً ومليفاً بالوعيد.

في ضوء الصباح الباكر، شاهد إستان وراحيل، بهيما يفي بوعدہ لدراوبادي. أوقع دوشاسانا أرضاً. لاحق بصولجانه كل خنفة خائرة في جسده الذي يموت، طارقاً عليه حتى سكن. حداد يسوي صفيحة من معدن صعب البراس. يسوي بانتظام كل فجوة وكل نتوء. استمر بقتله حتى بعد وقت طويل من موته. ثم، ويديه العاريتين شقَّ الجسد فاتحاً إياه. مرقَّ أحشائه خارجاً وانحنى ليلعق الدم مباشرة من قصعة الجثة الممزقة، وعيناه المسمومتان تختلسان النظر من فوق الحافة، ملتعتين بالغضب والكراهية وبإنجاز مجنون. وفقاعات دم شاحبة تفرقر بين أسنانه. وتقطر أسفل وجهه المدهون، ورقبته وذقنه. عندما شرب كفايته، وقف وأمعاء دموية تلتف حول رقبته كوشاح وذهب ليجد دراوبادي ويحتم شعرها في دم طازج. وما زالت لديه هالة الغضب التي حتى القتل لا يستطيع إطفاءها.

كان يوجد هنالك جنون ذلك الصباح. تحت القصعة الزهرية. لم يكن هناك من أداء. ميزاه إستان وراحيل. كانا قد أبصرا عمله من قبل. في يوم آخر.

في طور آخر. نوع آخر من السعار (بديدان على نعال أحذيته). الاسراف الوحشي لهذا تناسب مع الاقتصاد الهسجي لذلك.

جلسا هناك، الصمت و الفراغ، متحجرا يعضتين متجمدتين، بتتوعات قرنية لم تنم لتصبح قروناً. مفصولين بمرض كوثامبالام. محصورين في مستنقع قصة كانت ولم تكن قصتهما. انطلقت على شاكلة بناء ونظام، ثم أجفنت كحصان خائف داخل فوضى.

استيقظ كوتشو ثومبان ويطفئ بلطف فائحاً ثمرة جوز الهند الصباحية خاصته.

أزال رجال الكاثاكالتي تبرجهم وذهبوا إلى بيوتهم ليضربوا زوجاتهم. حتى كوتشي، الناعم ذو الشدين.

خارجاً وفيما حول، تحركت المدينة الصغيرة المتكررة بقرية وجاءت إلى الحياة. استيقظ رجل عجوز وترنح حتى القرن ليدفيء زيت جوز الهند المفلقل خاصته.

الرفيق بيلاي. محطم بيض أيمينيوم وانحرف في عجة البيض. غريباً كفاية، كان هو من عوف التوأم بالكاثاكالتي. ضد أفضل قرار لبيني كوتشاما، كان هو الذي أخذهما، مع لينين، من أجل مسرحية طوال الليل في المعيد، وجلس معهما حتى الفجر، شارحاً لهما لغة وإيماءة الكاثاكالتي. في عمر السادسة، كانا قد جلسا معه أمام هذه القصة ذاتها. كان هو من عرفهما براودرا بهيما - بهيما المسوس المتعطش للدماء في بحثه عن الموت والانتقام. «إنه يفتش عن الوحش الذي يعيش داخله»، قال لهما الرفيق بيلاي - الطفلين المدعورين متسعي الأعين - عندما بدأ بهيما حسن الضبع عادة بالنباح والزمجرة.

أي وحش، على وجه الخصوص، لم يقله الرفيق بيلاي. ربما التفتيش عن الانسان الذي يعيش داخله، كان ما عناه حقاً، لأنه بالتأكيد لا وجود لوحش اخبر الفن المبكر غير النهائي وغير المحدود للكراهية الانسانية. لا وجود لوحش يستطيع أن يماثل مداها وقوتها.

بهتت القصعة الزهرية وأرسلت نحو الأسفل برذاذ رمادي دافئ. وبينما كان إسنا وراحيل يخطوان عبر بوابة الهيكل، كان الرفيق بيلاي يخطو إلى الداخل، زلقاً من حمامه الزيتي. وعجينة من خشب الصندل على جبينه. وقفت قطرات المطر على جلده الزيتي كالأزرار. كان يحمل في راحتيه الكأسيّتين كومة صغيرة من ياسمين نضر.

«أوهو!» قال بصوته الحاد «أنتما هه! أما ترالان تهتمان بحضارتكما الهندية؟ جيد جيد. جيد جداً».

لم يقل التوأم شيئاً، من غير أن يدوا وقحين، من غير أن يدوا مهذبين. سارا معاً إلى البيت. هو وهي. نحن ونا^(١).

(١) - ضمير الجماعة (التثنية) للدلالة على أنهما واحد. (الترجمة).

المتشائم والمتفائل

انتقل تشاكو من غرفته وسينام في مكتب باباتشي حتى تستطيع صوفي مول ومارغريت كوتشاما استعمال غرفته. إنها غرفة صغيرة، بنافذة تطل على مزرعة المطاط المتضائلة والمهملة نوعاً ما، التي كان الموقري. إبي قد اشتراها من الجار. أحد البايين كان متصلاً مع المنزل الرئيسي، والآخر (المدخل المنفصل الذي ركبته ماماتشي من أجل أن يمارس تشاكو «احتياجاته الرجالية» بسرية) كان يقود خارجاً إلى داخل الردهة الجاسبية.

استلقت صوفي مول نائمة على سرير مخيم نَقال كان قد صُنِع خصيصاً لها بجانب السرير الكبير. ملأ الطنين البطيء لمروحة السقف رأسها. طقطقت عینان زرقاوان رماديتان زرقاوان وفُتحتا.

مستقطلة

على قيد الحياة

متبهة، حذرة.

صُرف النوم باختصار.

للمرة الأولى منذ موت جو لم يكن هو أول شيء فكرت فيه عندما استيقظت.

أجالت نظرها في الغرفة. دون أن تتحرك، محركة بؤبؤها فحسب.
جاسوسة أسيرة في منطقة العدو، تخطط لقرارها المذهل.

زهوية لجلاجل^(١) مرتبة بخطورة، منحنية مسبقاً، تتوضع على منضدة
تشاكو. كانت الجدران مسطرة بالكتب. خزانة ذات ألواح زجاجية كانت
محشوة بطيارات البالسا. فراشات محطمة بأعين متضرعة. زوجات خشبيات
للك نعن تخور قواهن تحت تعريضة حشبية شريفة.
واقعات في الفخ.

فقط واحدة، أسماء مارغريت، كانت قد فرت إلى انكلترا.
دارت الغرفة حول المركز الهاديء الكرومي لمروحة السقف الفضية.
كانت البسكويت النيفة التي رنت إليها بعينين مهتمتين بلون أبو بريص ييج.
فكرت بجو. اهتز شيء ما داخلها. وأغلقت عينيها.
دار المركز الكرومي الهاديء لمروحة السقف الفضية داخل رأسها.
كان جو يستطيع السير على يديه. وعندما يقود الدراجة أسفل التلة،
يستطيع وضع الريح داخل قميصه.

على السرير المجاور، كانت مارغريت كوتشاما ما تزال نائمة. مستلقية
على ظهرها وبداها متشابكتان تحت قفصها الصدري بالضبط. كانت أصابعها
متورمة وبدا حاتم زفافها ضيقاً على نحو غير مريح. سقط لحم خديها بعيداً في
كلا الجانبين من وجهها، جاعلاً وجنتيها تبدو عاليتين وبارزتين، وجاذباً فمها
نحو الأسفل في ابتسامة فرح احتوت فقط على ومضة سن. كانت قد نمت
ذات مرة حاجبيها الكثين إلى قوسين بشحول خط قلم رصاص على الموضة في
هذه الأيام مما أعطاهما تعبير أندهاش خفيف حتى وهي نائمة. وكانت بقية
تعايره تستحيل إلى لحية وليدة. كان وجهها متورداً. وجنتيها ملتصقاً. وتحت
الثورد، يتوضح شحوب. حزن متفادى.

ذبلت المادة الرقيقة لغوب البولستر القطني الأزرق الغامق المزهر بالأبيض

(١) - نوع من الأزهار ذات أجراس. (الترجمة).

وتثبتت بارتخاء محيط جسدها، مرتفعاً عند ثدييها، ومنخفضاً على طول الحلق بين ساقيهما القويتين الطوليتين - وكأنه هو أيضاً غير معتاد على الحرارة بحاجة إلى قبولة.

على المنضدة الجانبية كانت هناك صورة زفاف بالأبيض والأسود ذات إطار فضي لتشاكو ومارغريت كوتشاما أُلصقت خارج الكنيسة في أوكسفورد. كانت تُتلج قليلاً. توضع البشارات الأولى للتلج النظر على الطريق والرصيف. كان تشاكو يرتدي مثل نهرو. تشوريانار أبيض وشيرفاني أسود. كانت كتفاه مغبرتين بالتلج. وتوجد زهرة في عروته، وطرف محرمته المطوية بشكل مثلث يختلس النظر من جيب صدره. وفي قدميه انتعل حذاء أسود لماعاً من نوع أكسفورد^(١). بدا وكأنه يضحك على نفسه من الطريقة التي كان يرتدي فيها. كشخص في حفلة تنكرية.

كانت مارغريت كوتشاما ترتدي فستاناً رقيقاً طويلاً وتاجاً رخيصاً فوق شعرها المجعد المقصوص. وكانت طرحتها قد رُفعت عن وجهها. كانت بطولة. ظهرا سعيدين. نحيلين وشابين؛ مقطعين من الشمس التي كانت بمواجهة أعينهما. وكان حجابها الغامقان الكثيفان معقودين معاً خالقين بطريقة ما تناقضاً محبباً مع ثوب انغروس الأبيض الرقيق. غيمة مقطبة ذات حاجبين. وقفت خلفهما امرأة ضخمة وقورة بكاحلين ثخينين مزوّرة جميع أزرار معطفها. والدة مارغريت كوتشاما. وكانت حفيداتها الصغيرتان تقفان إلى جانبيها، في تنانير من الطرطان^(٢) المطوي، وجوارب وحواشٍ متماثلة. تضحكان كليهما وأيديهما على أفواههما. كانت أم مارغريت كوتشاما تنظر بعيداً خارج الصورة، وكأنها تفضل ألا تكون هناك.

رفض والد مارغريت كوتشاما أن يحضر الزفاف. كان يكره الهند، ويعتقد أنهم أناس ماكرون ومخادعون. لم يستطع أن يصدق أن ابنته كانت ستزوج واحداً منهم.

(١) - حذاء منخفض، تربط أربطته فوق مشط القدم. (المترجمة).

(٢) - فماش ذو تريعات. (المترجمة).

في زاوية الصورة، رجل يدير دراجته عند الحاجز الجداري، كان قد توقف ليحديق بالثنائي.

كانت مارغريت كوتشاما تعمل كنادلة في مقهى أكسفورد عندما التقت تشاكو لأول مرة. كانت عائلتها تقطن في لندن. حيث كان والدها يملك مخبزاً. وأنها مساعدة صانع قبعات. كانت قد انتقلت من منزل والديها منذ سنة، لا لسبب أكبر من تأكيدات شابة على الاستقلال. كانت تنوي أن تعمل وتدخر مالاً كافياً لتسجل نفسها في برنامج لتأهيل المدرسين، ومن ثم تبحث عن عمل في مدرسة. في أكسفورد كانت تتشارك مع صديقة في شقة. نادلة أخرى في مقهى آخر.

وبانتقالها، وجدت مارغريت كوتشاما نفسها تصبح تماماً الفتاة التي أراد والداها أن تكونها. مُواجهَةً مع العالم الحقيقي، تشبّثت بقلق بقواعد قديمة مُتذكّرة، ولم يكن لديها أي أحد للتمرد عليه باستثناء نفسها. وهكذا حتى في أكسفورد، وباستثناء رفعها لصوت الفونوغراف أعلى مما كان مسموحاً لها في المنزل، استمرت في متابعة الحياة الضيقة الصغيرة ذاتها التي اعتقدت أنها فُرت منها.

إلى أن دخل تشاكو إلى المقهى ذات صباح.

في صيف آخر سنة له في أكسفورد. كان لوحده. قميصه المجدّد كان مزرراً بشكل خاطيء. وأربطة حذائه محلولة. وشعره، مسرحاً وملساً بعناية في الأمام، وواقفاً كهالة من الريش في الخلف. بدا كقنفذ مطوّب مهممل. كان طويلاً، وتحت فوضى الثياب (ربطة عنق غير مناسبة، ومعطف رث)، استطاعت مارغريت كوتشاما أن تتيقن من قوة بنيتها. كان له هيئة مسلية، وطريقة في تضيق عينيه وكأنه يحاول قراءة لافتة بعيدة وقد نسي إحضار نظارته. وأذناه ملصقتان على جانبي رأسه كقبضتي ابريق شاي. كان هناك شيء متناقض في بنيتها الرياضية ومظهره الأشعث. العلامة الوحيدة على أن هناك رجلاً سميناً يكمن داخله، كانت وجنتاه السعيدتان المشرقتان.

لم يكن لديه أي من الغموض أو الارتباك الاعتذاري اللذين يربطهما المرء عادة بالرجال شاردي الذهن المهملين. يبدو بشوشاً، وكأنه مع صديق مُتَخِيل يستمتع بصحبته. اتخذ مقعداً بالقرب من النافذة وجلس بمرق على الطاولة ووجهه مكوَّب في راحة يده، مبتسماً فيما حول المقهى الفارغ وكأنه يفكر في إجراء محادثة مع الأثاث. طلب قهوة بالانتسامة الودودة ذاتها، لكن دون أن يبدو أنه قد لاحظ حقاً النادلة الطويلة كثرة الحاجبين التي أخذت طلبه.

أجفلت عندما وضع ملعقتين مكومتين من السكر في قهوته الحليبية إلى أقصى حد.

ثم طلب بيضاً مقلياً وخبزاً محمصاً. قهوة زيادة، ومرى فريز.

عندما عادت بطلبه، قال، وكأنه كان يتابع محادثة قديمة، «هل سمعت عن الرجل الذي لديه ابنان توأم؟»

«لا،» قالت، وهي تضع فطوره. ولسبب ما (حيلة فطرية ربما، وتحفظ غريزي مع الغرباء) لم تظهر الاهتمام الذي بدا أنه يتوقعه منها حول الرجل ذي الابنين التوأم. ولم يبدو تشاكو أنه يمانع.

«رجل لديه ابنان توأم،» قال لماغريت كوتشاما. «بيت وستوارت. كان بيت متفائلاً وستوارت متشائماً.»

أخرج قطع فريز من المربى ووضعها في جانب طبقه. ومدّ بقية المربى في طبقة سميكة على خبزه المحمص المدهون بالزبدة.

«في عيد ميلادهما الثالث عشر، أعطى والدهما ستوارت - المتشائم - ساعة ثمينة، ومجموعة نجارة ودراجة.»

رفع تشاكو نظره إلى مارغريت كوتشاما ليرى إن كانت تستمع.

«وملاً غرفة بيت - المتفائل - بروث حصان»

وضع تشاكو البيض المقلي على الخبز المحمص، كسر الصفار المتذبذب اللامع ومدّه فوق مربى الفريز بظهر ملعقة الشاي.

«عندما فتح ستوارت هداياه، تذمر طوال الصباح، لم يكن يريد مجموعة

نجارة، ولم تعجبه الساعة والدراجة كان لها النوع الخاطئ من الاطارات». كانت مارغريت كوتشاما قد توقفت عن الاستماع لأنها كانت مشدودة بالنشر الشعائري الاحتفالي الغريب الذي في طبقه. كان الخبز المحمص مع المري والبيض المقلي قد قُطع إلى مربعات صغيرة مرتبة، وقطع الفريز لجمعت واحدة واحدة، وشُرحت إلى قطع دقيقة.

«عندما ذهب الأب إلى غرفة بيت - المتفائل - ، لم يستطع أن يرى بيت، بل استطاع أن يسمع صوت جرف مسعور وتنفساً ثقیلاً. كان روث الحصان يطير في أرجاء الغرفة».

كان تشاكو قد بدأ يهتز بالنضحك الصامت في استباق لنهاية نكته. ويدين ضاحكين، وضع شطايا الفريز على كل صفار لامع من المربع الأحمر للخبز المحمص - جاعلاً كل شيء يبدو كوجبة خفيفة فظيعة من الممكن أن تقدمها امرأة عجوز في حفلة برديج.

«ماذا تفعل بحق السماء؟» صرخ الأب بيت.

نثر الملح والفلفل على مربعات الخبز المحمص. توقف تشاكو قبل ذروة النكته، ضاحكاً وهو ينظر إلى مارغريت كوتشاما التي كانت تبسم لطقه. جاء صوت من داخل الروث. «حسناً، أبت»، قال بيت. «إذا كان هنالك الكثير من الروث، فلا بد من وجود مهر في مكان ما»

مال تشاكو، ممسكاً بشوكة وسكينة في كل يد، نحو الخلف، في كرسيه، في المقهى الفارغ، وضحك ضحكته ذات الشبهق المعديّة العالية الخاصة برجل سمين حتى سالت الدموع على خديه. مارغريت كوتشاما التي فوّت معظم النكته، اتبسمت. ثم بدأت تضحك على ضحكته. غدّت ضحكتهما بعضهما البعض وارتفعت إلى درجة هستيرية. عندما ظهر مالك المقهى، رأى زبوناً (ليس مرعوباً على وجه الخصوص) ونادله (مرعوباً بها بشكل لا بأس به فقط)، مُحْتَجِزِينَ في زنبرك ضحك ناعب قاهر.

في هذه الأثناء، زبون آخر، نظامي، وصل دون أن يلاحظ، وانتظر أن يُخدم.

نظف المالك بعض الزجاجات المنظفة مسبقاً مصلصلاً إياها بصخب،
وطفلق بالفخاريات على الطاولة لينقل استيائه لمارغريت كوتشاما. حاولت هي
أن تستجمع نفسها قبل أن تذهب لتأخذ الطلب الجديد. لكن كان ما يزال في
عينها دموع، وكان عليها أن تكبت دفعة جديدة من الفهقات، التي جعلت
الرجل الجائع الذي كانت تأخذ طله يرفع نظره عن قائمة الطعام، وشفتاه
التحيفتان مضغوطتين في استنكار صامت.

سرقّت نظرة باتجاه تشاكو، الذي نظر إليها واتسم. كانت ابتسامة ودودة
بجنون.

أنهى فطوره، دفع، وغادر.

وبُحِث مارغريت كوتشاما من قبل رب عملها وأُعطيَت محاضرة عن
أخلاقيات المقهى. اعتذرت له. كانت حقاً متألفة من الطريقة التي تصرف
بها.

ذاك المساء، بعد العمل، فكرت بما حدث وكانت منزوعة ومحرجة من
نفسها. لم تكن طائشة في العادة، وفكرت انه لم يكن من الصائب أن تشارك
في مثل تلك الضحكة الطليقة الجنونية مع غريب مطلق. بدا أمراً حميمياً فوق
العادة لتفعله. تساءلت عما جعلها تضحك إلى هذا الحد. كانت تعرف أنه لم
يكن بسبب النكتة.

فكرت بضحكة تشاكو، وبقيت ابتسامة في عينها لوقت طويل.

بدأ تشاكو في زيارة المقهى مراراً وتكراراً.

كان يأتي دوماً مع صاحبه غير المرئي وابتسامته الودودة. حتى عندما لم
يكن مارغريت كوتشاما هي التي تخدمه، كان يبحث عنها بعينه، ويتبادلان
ابتسامات سرية تستحضر ذكرى مشتركة للضحكهما.

وجدت مارغريت كوتشاما نفسها تترقب زيارات القنفذ الأشعث. دون تحرق، بل بنوع من عاطفة زاحفة. علمت أنه من الهند وحاصل على منحة روديز. أنه يقرأ الأدب الكلاسيكي. ويجذب لصالح بالبول. إلى اليوم الذي تزوجته لم تصدق مطلقاً أنها ستقبل أن تكون زوجته يوماً.

بعد بضعة أشهر من خروجهما معاً، بدأ في تهريبها إلى داخل غرفته، حيث كان يعيش كأمير منفي عاجز. بالرغم من أفضل الجهود لسيدته المشرفة والمنظفة، كانت غرفته قدرة دوماً. كتب، زجاجات نيز فارغة، ألبسة داخلية وسخة وأعقاب سيجارات، مبعثرة على الأرض. كان من الخطر فتح الخزائن لأن الملابس والكتب والأحذية ستساقط وبعض كتبه كانت ثقيلة كفاية لتلحق أذى حقيقياً. تخلت حياة مارغريت كوتشاما الدقيقة والمنظمة عن نفسها لصالح مستشفى المجانين الباروكي حقاً هذا بلهات حسد دافئ يدخل بحراً قارساً.

اكتشفت أنه تحت مظهر القنفذ الأشعث، كان يختبيئ ماركسي معذب في حرب رومانسية مستعصية مستحيلة - الذي نسي شموعه، وكسر زجاجات نيزه، وفقد الخاتم. والذي مارس الحب معها بهيام كان يخطف نفسه بعيداً. لطالما فكرت بنفسها أنها مملة نوعاً ما، ثخينة الخصر، ثخينة الكاحلين. ليست بثقة. وليست مميزة. لكن عندما كانت مع تشاكو، كانت القيود القديمة تراجع، ويتوسع الأفق.

لم تكن قد التقت من قبل أبداً برجل كان يتكلم عن العالم - عما كان وكيف أصبح، أو كيف يعتقد أنه سيؤول - بالطريقة التي كان رجال آخرون عرفتهم، يتكلمون بها عن أعمالهم، وأصدقائهم أو عطلهم على البحر.

أحست مارغريت كوتشاما بوجودها مع تشاكو وكأن روحها كانت قد فزت من الحدود الضيقة لجزيرة وطنها إلى الفضاءات المفرطة المتهورة الشاسعة

التي له. جعلها تشعر وكأن العالم لهما - وكأنه تمدد امامهما كصفدة مفتوحة على طاولة تشريح، تتوسل أن تُفحص.

في السنة التي عرفته فيها، قبل أن يتزوجا، اكتشفت سحراً صغيراً فيها، وشعرت ببرهنة وكأنها جنية مرحة محررت من مصباحها. كانت صغيرة جداً ربما لتدرك أن ما افترضته أنه حبها لتشاكو كان في الواقع قبولاً متهيباً مبدئياً لنفسها.

أما بالنسبة لتشاكو، فقد كانت مارغريت كوتشاما أول صديقة أنثى له على الإطلاق. ليست فقط أول امرأة نام معها، بل أول صاحب حقيقي له. ما أحبه تشاكو فيها أكثر هو اكتشافها الذاتي. ربما لم يكن جديراً بالملاحظة في امرأة انكليزية عادية، لكنه كان لافتاً بالنسبة لتشاكو.

أحب حقيقة أن مارغريت كوتشاما لم تتشبه به. أنها لم تكن واثقة من مشاعرها تجاهه. وأنها لن تعرف أبداً حتى اليوم الأخير إن كانت ستتزوج أم لا. أحب الطريقة التي كانت تجلس فيها عارية في سريره، وظهرها الأبيض الطويل مداراً بعيداً عنه، تنظر إلى ساعتها وتقول بأسلوبها العملي - «آه، علي أن انطلق». أحب الطريقة التي كانت تتأرجح بها كل صباح إلى عملها على دراجتها. شجع اختلافاتهما بالرأي، وسرّ روحياً بانفجارات غضبها العرضية من سوقته.

كان ممتناً لها لأنها لم تكن تريد أن تعتني به. لأنها لم تعرض عليه ترتيب غرفته. لأنها لم تكن أمه المتخمة. آل إلى أن يعتمد على مارغريت كوتشاما لأنها لم تعتمد عليه. عبدها لأنها لم تعبده.

عرفت مارغريت كوتشاما القليل جداً عن عائلته. نادراً ما كان يتكلم عنها.

الحقيقة أن تشاكو قلما فكر بهم، خلال سنواته في أكسفورد. كان الكثير

جداً يحدث في حياته وكانت أيميم تبدو بعيدة جداً. والنهر صغيراً جداً. والأسماك قليلة جداً.

لم تكن لديه أسباب اضطرابية لبقى على اتصال مع والديه. فقد كانت منحة روديز في غاية السخاء. ولم يكن يحتاج إلى نقود. كان واقعاً في الحب بعمق في حبه لمارغريت كوتشاما ولم يكن لديه مكان في قلبه لأي أحد آخر.

كانت ماماتشي تكتب له بانتظام، مع وصف مفصل لمشاحنتها المنحطة مع زوجها وقلقها بشأن مستقبل آمو. بالكاد قرأ رسالة كاملة. وأحياناً لم يكن يتجشم عناء فتحها على الإطلاق. ولم يرد مطلقاً.

حتى في المرة الوحيدة التي عاد فيها (عندما أوقف باباتشي عن ضرب ماماتشي بالزهريّة النحاسية، وأُغتيل كرسي هزاز في ضوء القمر)، كان بالكاد واعياً لأي درجة أصبح والده ملسوعاً، أو لعبادة أمه المضاعفة له، أو جمال أخته الصبية المفاجيء. جاء وعاد، في غيبوبة، تواقاً من اللحظة التي وصل فيها ليعود إلى البنت البيضاء ذات الظهر الطويل التي كانت بانتظاره.

تزوج تشاكو ومارغريت كوتشاما في الشتاء بعد أن نزل من باليول (كان قد قدم امتحاناته بشكل سيء). من دون رضی عائلتها. ومن دون معرفة عائلته.

قررا أنه يجب أن ينتقل إلى شقة مارغريت كوتشاما (طارداً النادلة الأخرى التي تعمل في مقهى آخر) إلى أن يجد عملاً لنفسه.

كان توقيت الزفاف أسوأ ما يمكن.

جاء الفقر بالإضافة إلى صعوبات العيش المشترك. لم يعد هناك من نقود منحة، وكان يجب دفع كامل ايجار الشقة.

مع انتهاء تجاربه، جاء اتساع منتصف عمر مفاجيء وسابقاً لأوانه. تشاكو رجلاً سميناً بجسم يناسب ضحكته.

في سنة زواج، اهترأ سحر كسل تشاكو الدراسي بالنسبة لمارغريت كوتشاما. لم يعد يسليها أنها عندما تذهب إلى العمل فإن الشقة تبقى في الفوضى القذرة ذاتها التي غادرتها فيها. أنه كان من المستحيل بالنسبة له أن يفكر حتى بترتيب السرير، أو غسل الملابس أو الأطباق. أنه لم يعتذر بشأن حروق السيجارة في الكنية الجديدة. أنه بدا غير قادر على ترزير قميصه، وعقد ربطة عنقه وربط أربطة حذائه قبل ان يقدم نفسه في مقابلة عمل. خلال سنة كانت مستعدة لاستبدال الضفدعة على طاولة التشريح بتنازلات عملية صغيرة. مثل عمل لزوجها ومنزل نظيف.

أخيراً حصل تشاكو على وظيفة وجيزة سيئة الأجر في قسم مبيعات ما وراء البحار لمجلس الشاي الهندي. انتقل تشاكو ومارغريت كوتشاما إلى لندن، أملين أن يقود هذا إلى أمور أخرى. رفض والدها مارغريت كوتشاما أن يقابلها.

كانت قد اكتشفت للتو أنها كانت حاملاً عندما التقت جو. صديق مدرسة قديم لأخيها. عندما التقيا، كانت مارغريت كوتشاما في أقصى جاذبيتها جسدياً. وضع الحمل لوناً في خديها وجلب بريقاً لشعرها السميك الغامق. بالرغم من متاعبها الزوجية، كان لديها هيئة النشوة السرية تلك، تلك العاطفة تجاه جسدها الخاص التي تشعر بها المرأة الحامل غالباً.

كان جو عالم أحياء، يجدد الطبعة الثالثة لقاموس علم الأحياء لصالح دار نشر صغيرة. كان جو كل شيء لم يكنه تشاكو. مستقراً. موسراً. ونحياً.

وجدت مارغريت كوتشاما نفسها تنجذب تجاهه كما تنجذب نبتة في غرفة مظلمة تجاه وتد نور.

عندما أنهى تشاكو وظيفته ولم يستطع ايجاد عمل آخر، كتب لماماتشي يخبرها عن زواجه ويطلب مالا. دُمرت ماماتشي، لكنها رهنّت مجوهراتها سراً وتدير الأمر لتبعث النقود إليه في انكلترا. لم تكن كافية. لم تكن يوماً كافية.

بحلول الوقت الذي ولدت فيه صوفي مول، أدركت مارغريت كوتشاما أنه من أجل مصلحتها ومصلحة ابنتها، عليها أن تترك تشاكو. وطلبت منه الطلاق.

عاد تشاكو إلى الهند، حيث وجد عملاً بسهولة. درّس لبضع سنوات في كلية مدارس المسيحية، وبعد وفاة باباتشي، عاد إلى أيمينيم مع آلة لإغلاق الزجاجات من نوع بهارات، ومجذاف باليول وقلبه المحطم.

رحبت ماماتشي بحرارة بعودته إلى حياتها. أطعمته، خاطت له، واهتمت أن يكون في غرفته أزهار نضرة كل يوم. كان تشاكو محتاجاً لعبادة أمه له. في الحقيقة، لقد طالب بها، بالرغم من أنه احتقرها لأجلها وعاقبها عليها بطرق سرية. بدأ يربي بدانته وخرا به البدني العام. كان يلبس قميصاً مطبوعاً رخيصاً من التريلين فوق موندوه الأبيض وأبشع صندل بلاستيكي كان متوفراً في السوق. إذا كان لدى ماماتشي ضيوف، أو أقارب، أو ربما صديقة قديمة تزورها من دلهي، كان تشاكو يظهر عند طاولة طعامها اللذيذة الممدودة - المزينة بتشكيلات رائعة من الاوركيد وبأفضل خزفياتها الصينية - ويهرش قشرة جرح قديم، أو يحك الجسأة^(١) الكبيرة لمستطيبة السوداء التي كان قد ثَمَّأها في كوعه.

كانت أهدافه الخاصة ضئيلة يبي كوتشاما - أساقفة كاثوليك ورجال دين زائرين - الذين كانوا يملكون غالباً لأخذ وجبة خفيفة.

كان في حضورهم يخلع صندله ويهوي بشرة مرضى السكري الملتهته المملوءة بالفحيح التي في قدمه.

«أيها الرب ارحم هذا الأبرص المسكين»، كان يقول، بينما تحاول يبي كوتشاما باستماتة أن تلهيهم عن المشهد بالتقاط فئات البسكويت ومضغ شرائح الموز المبعثرة في لحاهم.

(١) - الجزء المتصل من المجلد (الترجمة).

لكن من بين كل العقوبات السرية التي عذّب تشاكو بها ماماتشي، كان الأسوأ والأكثر خزيًا، عندما يستغرق في ذكرياته مع مارغريت كوتشاما. كان يتكلم عنها غالباً بفخر غريب خاص. وكأنه كان معجباً بها لأنها طَلّفته. «استبدلني برجل أفضل،» كان يقول لماماتشي، وكانت تجفل وكأنه كان قد شوه سمعتها هي بدلاً منه.

كثبت مارغريت كوتشاما بانتظام، معطية أخباراً لتشاكو عن صوفي مول. طمأنته أن جو كان أباً محبباً رائعاً وأن صوفي مول تحبه بشدة - معلومات أسعدت تشاكو وأحزنته بنفس المقدار.

كانت مارغريت كوتشاما سعيدة مع جو. أكثر سعادة ربما مما كانت لتكون، لو أنها لم تعيش تلك السنوات الضارية المتزعزعة مع تشاكو. كانت تفكر في تشاكو بحنان، لكن دون ندم. ببساطة لم يظهر لها أنها قد أدته بعمق كما فعلت، لأنها كانت ما تزال تفكر في نفسها، على أنها امرأة عادية، وفيه، على أنه رجل استثنائي. ولأن تشاكو لم يبدِ عندهُذ أو منذ ذلك الحين، أيًا من أمارات الحزن والحسرة المعتادة، فقد افترضت مارغريت كوتشاما أنها كانت غلطة بالنسبة إليه تماماً كما كان بالنسبة إليها. عندما أخبرته عن جو رحل بحزن، لكن بهدوء. مع صاحبه غير المرئي وابتسامته الودودة.

كتبنا إلى بعضهما البعض كثيراً، وعلى مرّ السنوات نضجت علاقتهما. أصبحت بالنسبة لمارغريت كوتشاما صداقة ملتزمة مريحة. بالنسبة لتشاكو، كانت طريقة، الطريقة الوحيدة، للبقاء على اتصال مع أم طفلته والمرأة الوحيدة التي أحبها.

عندما أصبحت صوفي مول كبيرة كفاية لتذهب إلى المدرسة، سجلّت مارغريت كوتشاما نفسها في دورة تدريبية للمدرسين، ثم حصلت على عمل كمعلمة مدرسة مبتدئة في كاليفام. كانت في غرفة المدرسين عندما أخبرت بحادث جو. سلّم الخبر بواسطة شرطي شاب يرسم تعبيراً خطيراً (على وجهه)

ويحمل خوذته يديه. كان يبدو هزلياً على نحو غريب، مثل ممثل سيء يجرب دوراً جاداً مهيباً في مسرحية. تذكرت كوتشاما أن أول رد فعل غريزي لها عندما شاهدته كان ابتسامة.

من أجز صوفي مول، إن لم يكن من أجلها هي، بذلت مارغريت كوتشاما كل ما في وسعها لتواجه المأساة - ناطة جأش. لتظاهر أنها تواجه المأساة - ناطة جأش. لم تأخذ عطلة من - جال. واهتمت بالألا بتغير روتين المدرسة مع صوفي مول - أنهى وظائفك. نبي ييضك. كلا، لا نستطيع الامتناع عن الذهاب إلى المدرسة.

أخفت لها ولوعتها وراء قناع معلمة مدرسة عملية نشيطة. الثقب الصارم الذي يشكل معلمة مدرسة، الذي في الكون (والذي يصفغ أحياناً).

لكن عندما كتب تشاكو لها يدعوها إلى أيمينيم، تنهت شيء ما داخلها وجلس. بالرغم من كل ما قد حدث بينها وبين تشاكو، لم يكن يوجد شخص آخر في العالم تفضل أن تقضي عيد الميلاد معه أكثر منه. وكلما فكرت بالأمر أكثر، كلما استهوتها الفكرة أكثر. أقنعت نفسها أن رحلة إلى الهند ستكون أفضل شيء لصوفي مول.

وهكذا أخيراً، بالرغم من أنها كانت تعلم أن أصدقاءها وزملاءها في المدرسة سيعتقدون أنه أمر غريب - عودتها الراكضة إلى زوجها الأول فور وفاة الثاني تماماً - أوقفت مارغريت كوتشاما مدة ابداعها واشترت بطاقة قتي طيران. لندن - بومباي - كوتشين.

لقد لازمها قرارها هذا طوال حياتها.

أخذت معها إلى القبر صورة جسد ابتها الصغيرة الموضوع على اشمز لونغ في غرفة المكب في منزل ايمينيم. حتى من عن بعد، كان واضحاً أنها كانت ميتة. وليست مريضة أو نائمة. كان الأمر يتعلق بالطريقة التي كانت ممددة فيها. الزاوية التي صنعتها أطرافها. شيء ما يتعلق بسطوة الموت. سكونه الرهيب.

أعشاب خضراء وقذارة نهر كانت مجدولة داخل شعرها البني المحمر
الجميل. كان جفناها العائزان مقضومين نيتين من قبل الأسماك. (أوه نعم إنها
نفع ذلك، الأسماك التي نسبح في الأعماق. إنها تتذوق كل شيء.) قالت
مريبتها القطنية البنفسجية عطلة/ بخط مائل سعيد. كانت مغمضة كإيهام
منظف ملابس من جراء البقاء في الماء لمدة طويلة.

حورية بحر اسفنجية قد نسيت المباحة.

كشتبان فضي، من أجل الحظ، في قبضتها الصغيرة.

شارية الكشتبان.

ذات الثابت المذوّب.

لم تسامح مارغريت كوتشاما نفسها أبداً لأخذها صوفي مول إلى أيمتيم.
لتركها لها هناك في عطلة نهاية الأسبوع بينما ذهبت هي وتشاكوا إلى كوتشين
لشيت حجز بطاقات العودة.

كانت حوالج التاسعة صباحاً عندما تلقت ماماتشي وبيبي كوتشاما أخباراً عن جسد طفلة بيضاء وجد طافياً باتجاه التيار عندما يتسع المينانشال وهو يقترب من المياه الراكدة. وكن إستا وراحيل ما يزالان مفقودين.

في وقت أبكر من ذلك الصباح لم يظهر الأطفال - ثلاثتهم - من أجل كوب حليبهم الصباحي. فكرت بيبي كوتشاما وماماتشي أنه من الممكن أن يكونوا قد نزلوا إلى النهر ليسبحوا، والذي كان أمراً مقلقاً لأنها كانت قد أمطرت بغزارة في اليوم السابق وخلال شطر لا بأس به من الليل. كانتا على علم بأن النهر قد يكون خطيراً. أرسلت بيبي كوتشاما كوتشو ماريا للبحث عنهم لكنها عادت بدونهم. في البلبلة التي أعقبت زيارة فيليبا بابن، لم يكن باستطاعة أحد أن يتذكر متى كانت آخر مرة رأى فيها الأطفال. فلم يكونوا الاهتمام الأول في عقل أي أحد. وربما كانوا مفقودين طوال الليل.

كانت أمو ما تزال مُحتجزة في غرفة نومها. والمفاتيح مع بيبي كوتشاما. نادى عبر الباب لتسأل أمو إن كان لديها أية فكرة عن مكان وجود الأطفال. حاولت أن تبعد الذعر عن صوتها، وتجعل الأمر يبدو استفساراً عرضياً عادياً. تحطمت شيء على الباب. كانت أمو مشوشة بالحلق وعدم التصديق لما كان يحدث لها - بحبسها مثلما كانوا يحبسون أفراد العائلة المسوسين في عائلات القرون الوسطى. لم يحدث إلا فيما بعد، عندما انهار العالم من حولهم، بعد إحضار جثة صوفي مول إلى أيميسيم، فلك حبسها من قبل بيبي كوتشاما، أن

محضت أمو خلال حنقها لتحاول أن تفهم ما قد حدث. أجبرها الخوف والحبس على أن تفكر بوضوح، ولم تتذكر إلا أنذاك ماذا كانت قد قالت لتوأمها عندما جاءا إليها عند باب غرفة النوم وسألاها عن سبب حبسها. الكلمات المتهورة التي لم تكن تعنيها.

«بسببكما!» صاحت أمو. «لولاكما لما كنت هنا! لكنت حرة! كان يجدر بي أن أرميكما في ميتم في اليوم الذي ولدتما فيه! أنتما حجرا طاحون حول عنقي!».

لم تستطع أن تراهما جاثمين عند الباب. نفخة شعر مذهوشة ونافورة في الحب - في - طوكيو. توأم سفيرين لما لا يعرفه إلا الله. سعادة السفيرين! - بنفس وح. حشرة.

«فقط إذهبا!» قل أمو. «لَمْ لا نذهبان فقط وتدعاني وحدي؟»

وهكذا فعلا.

لكن عندما كان الجواب الوحيد الذي حصلت عليه يبي كوتشاما على سؤالها عن الأطفال، شيئاً تحطم على باب غرفة نوم أمو، غادرت. تصاعد جزع بطيء داخلها حينما بدأت تقوم بالربط الواضح المنطقي والخطي كليا بين ما كان يحدث في الليل وبين الأطفال المفقودين.

كان المطر قد بدأ مبكراً في العصر الفاتئ. فجأة اسود النهار الحار وبدأت السماء تقصف وتذمر. كانت كوتشو ماريا، التي في مزاج سيء دونما سبب معين، واقفة في المطبخ على كرسي منخفض تنظف، بوحشية، سمكة ضخمة، مثيرة عاصفة ثلجية تننة من حراشف السمكة. كان قرطاهما الذهبيان يتأرجحان بعنف. طارت حراشف السمكة الفضية في أرجاء المطبخ، وحطت على الأباريق، والجدران، وقشارة الخضروات، وقبضة البراد. تجاهلت فيليا بابن عندما وصل عند باب المطبخ، مبتلاً مرتجفاً. كانت عينه الحقيقية محتقنة بالدم وبدا كما لو أنه ثمل. وقف هناك لعشر دقائق ينتظر أن يلاحظ. وعندما انتهت

كوتشو ماريا من السمكة وبدأت بالبصل، تنحنح وسأل عن ماماتشي. حاولت كوتشو ماريا أن تطرده، لكنه لم يكن ليذهب. في كل مرة كان يفتح فيها فمه ليتكلم كانت رائحة العرق في نفسه تضرب كوتشو ماريا كمطرقة. لم تكن قد رأته هكذا أبداً من قبل، فذعرت قليلاً. كان لديها فكرة جيدة عن سبب كل ذلك، وهكذا فقد قررت أخيراً أنه سيكون من الأفضل أن تنادي ماماتشي. أغلقت باب المطبخ تاركة فيليبا باين خارجاً في الردهة الخلفية، يتمايل بالسكر في المطر الجارف. بالرغم من أنه كان كانون الأول، لكنها كانت تمطر كما في حزيران. ثائرة إعصار، وصفته الجرائد في اليوم التالي. لكن في ذلك الوقت لم يكن أحد في ظرف موافق لقراءة الجرائد.

لربما كان المطر هو الذي قاد فيليبا باين إلى باب المطبخ. فبالنسبة لرجل يؤمن بالخرافات قد تكون نسوة ذاك الهطول الذي في غير اوانه، نذيراً من إله غاضب. بالنسبة لرجل مثل يؤمن بالخرافات، من الممكن أن يبدو الأمر كما لو أنها كانت بداية نهاية العالم. وقد كانت، نوعاً ما.

وصلت ماماتشي إلى المطبخ في تنورتها وروبها الزهري الباهت ذي الحواشي المتعرجة. تعلق فيليبا باين درج المطبخ وقدم لها عينه الموهنة. أمسك بها في راحة يده. قال أنه لا يستحقها وأنه يريد أن تسترجعها. سقط جفنه الأيسر فوق التجويف الفارغ في غمزة فظيعة دائمة. وكأن كل ما كان على وشك قوله كان جزءاً من مزحة مسهبة.

«ماذا هناك؟» سألت ماماتشي، مائة يدها، معتقدة ربما أنه ولمسب ما فإن فيليبا باين كان يعيد كيلو الأرز التي كانت قد أعطته إياه ذلك الصباح.

«إنها عينه»، قالت كوتشو ماريا بصوت عالٍ لماماتشي، وعيناها تهرقان بدموع البصل. حينذاك كانت ماماتشي قد لمست بالفعل عينه الزجاجية. نفرت من صلابتها الزلقة. من مرميتها اللزجة.

«هل أنت مثل؟» قالت ماماتشي بغضب لصوت المطر. «كيف تجرؤ على الجيء هنا في هذه الحالة؟»

تخبطت في طريقها إلى المغسلة، وغسلت بالصابون سوائل

عين Paravan المبلل. وشئت يدها عندما انتهت. أعطت كوتشو ماريا فيلها
باين خرفة مطبخ قديم ليمسح نفسه به، ولم تقن شيئاً عندما وقف على أعلى
درجة، تقريباً داخل مطبخها الخاص بغير المنبوذين، يجفف نفسه، محتشماً من
المطر بالانحدار المتدلي للسطح.

عندما هدأ، أعاد فيلها باين عينه إلى تجويفها الشرعي وبدأ بالكلام. استهل
بسرده لماماتشي كم فعلت عائلتها لعائلته. جيلاً لجيل. وكيف، قبل زمن طويل
من أن تفكر الشيوعية بذلك، أعطى الموقر إ. جون إني لأبيه، كيلان، الحق
بملكية الأرض التي يقع فيها كوخهم الآن. وكيف دفعت ماماتشي من أجل
عينه. وكيف ربت الأمر من أجل أن يتعلم فيلوثا وأعطته عملاً..

لم تكن ماماتشي، بالرغم من انزعاجها من سكره، كارهة للاستماع عن
قصص كرمها وتسامحها المسيحيين هي وعائلتها. لم يعد لها أي شيء لما كانت
على وشك سماعه.

بدأ فيلها باين بالبكاء. نصفه بكى. نبتت الدموع من عينه الحقيقية
والتمعت على خده الأسود. وبعينه الأخرى حدق إلى الأمام يتحجر. paravan
عجوز، رأى الأيام تسير بالقلوب، وكان ممزقاً بين الوفاء والحب.

ثم استولى الرعب عليه وخضت الكلمات مخرجاً إياها. أخبر ماماتشي بما
كان قد رأى. قصة القارب الصغير الذي كان يعبر النهر ليلة بعد ليلة، عمن
كان فيه. قصة رجل وامرأة، واقفين معاً في ضوء القمر. جلدأً لجلد.

دهبا إلى منزل كاري سايبو، قال فيلها باين. دخلهما عفريت الرجل
الأبيض. لقد كان انتقام كاري سايبو، لما كان هو، فيلها باين، قد فعله له.
القارب (الذي جلس عليه إستا ووجدته راحيل) كان مربوطاً إلى جذع الشجرة
بالقرب من الدرب المنحدر الذي يفود عبر المستنقع إلى مزرعة المظاظ المهجورة.
لقد رآه هناك. كل ليلة. متأرجحاً على الماء. فارغاً. منتظراً عودة العاشقين. في
بعض الأحيان لم يكونا يظهرا من خلال الحشائش الطويلة قبل الفجر. رأهما
فيلها باين بأمر عينه. كانت القرية بأكملها تعلم. لم تكن سوى مسألة وقت قبل
تكتشف ماماتشي. ولهذا أتى فيلها باين ليخبرها بنفسه. فك Paravan وكرجل

ذي أجزاء مرهونة من جسمه، اعتبر ذلك واجبه.

كان العاشقان متحدرين من صلبه وصلبها، ابنه وابنتها. كانا قد جعللا
الحال ممكناً والمستحيل يحدث فعلاً.

استمر فيليبا باين في التحدث. في البكاء. في التقيؤ. في تحريك فمه. لم
تستطع ماماتشي أن تسمع ما كان يقوله. علا صوت المطر في أذنيها وانفجر في
رأسها. ولم تسمع نفسها تصرخ.

فجأة خطت المرأة العمياء العجوز في رובהا وشعرها الأشيب القليل
المركب بشكل ذيل فأر نحو الأمام ودفعت فيليبا باين بكل ما أوتيت من قوة.
تعثر نحو الخلف أسفل درج المطبخ ووقع ممدداً في الطين الرطب. أخذ على
حين غرّة كلياً. فجزء من التحريم المطبق على المنبوذ، كان توقع ألا يلمس. على
الأقل ليس في هذه الظروف. أن يكون محجوزاً داخل شرنقة منيعة بدنياً.

سمعت بيبي كوتشاما، المارة بالمطبخ، الهياج. ووجدت ماماتشي تبصق
في المطر، نفوا! نفوا! نفوا! وفيليبا باين ممدداً في الوحل، مبللاً، باكياً، داباً. يعرض
أن يقتل ابنه. أن يمزقه إرباً إرباً.

كانت ماماتشي تصرخ، «كلب ثمل! Paravan كاذب مخمور!»

صرخت كوتشو ماريما من خلال الضجيج، مخيرة بيبي كوتشاما بقصة
فيليبا باين. أدركت بيبي كوتشاما على الفور امكانية الوضع الجسيمة، لكنها
مسحت حالاً أفكارها بزيورها المداهنة. وأزهرت. رأت في ذلك طريقة الله
في معاقبة آمو على خطاياها وفي الوقت ذاته انتقاماً لها (لبيبي كوتشاما)
من الاهانة التي لحقت بها على يد فيلوئا والرجال في المسيرة -
مهزأة Modalalı Mariakutty ، والتلويح الاجباري بالعلم. أبحرت فوراً.
سفينة خير عبر بحر من الخطايا.

وضعت بيبي كوتشاما ذراعها الثقيلة حول ماماتشي.

«لا بد وأنه صحيح» قالت في صوت هادئ. «انها قادرة تماماً على فعله.
وكذلك هو. لن يكذب فيليبا باين في مثل هذا الأمر.»

طلبت من كوتشو ماريا أن تحضر لماماتشي كوب ماء وكرسياً لتجلس عليه. جعلت فيليا بابن يعيد القصة، مستوقفة إياه بين الحين والآخر من أجل تفاصيل - قارب من ؟ كم مرة ؟ منذ متى يحدث هذا ؟

عندما انتهى فيليا بابن، استدارت يبي كوتشاما إلى ماماتشي. «عليه أن يذهب»، قالت. «الليلة. قبل أن يستفحل الأمر أكثر. قبل أن ندمر كلياً.»

ثم افشعرت قشعريرة طالبة مدرسة. كان ذلك عندما قالت: - «كيف استطاعت أن تحمل الرائحة ؟ ألم تلاحظي، إن لهم رائحة معينة هؤلاء Paravan ؟»

بتلك الملاحظة الشمية، ذلك التفصيل المحدد الصغير، جمد الرعب.

غضب ماماتشي تجاه Paravan ذي العين الواحدة الواقف في المطر، ثملاً، يقطر ومغطى بالوحل، أعيد توجيهه في احتقار بارد تجاه ابنتها وما فعلته. فكرت فيها عارية، تقترن في الوحل مع رجل لم يكن سوى عامل قذر. تخيلت الأمر في تفصيل نابض بالحياة، شديد الوضوح: ظهر يد Paravan خشن على صدر ابنتها. فمه على فمها. وركه الأسود يربح بين ساقها المتباعدتين. صوت تنفسهما. رائحته المميزة الخاصة بالـ Paravan. كالحيوانات، فكرت ماماتشي وكانت على وشك التقيؤ. مثل كلب وكلبة مهتاجين.

تحملها لـ «احتياجات الرجال» بقدر ما كان ابنها معنياً، أصبح الوقود لغضبها الشديد صعب المراس تجاه ابنتها. لقد دُثت أجيالاً من الولادات (الصغير المبارك، المبارك من قبل بطريك انطاكيا شخصياً، عالم حشرات امبراطوري، حاصل على منحة روديز من أكسفورد) وأركت العائلة. سيشير الناس الآن إليهم لأجيال قادمة، للأبد، في حفلات الزفاف والمآتم. وفي حفلات التعميد وحفلات أعياد الميلاد. سيكزون ويتها مسون. لقد انتهى كل شيء الآن.

فقدت ماماتشي السيطرة.

قامت السيدتان الهرمتان بما كان عليهما القيام به، زوّدت ماماتشي

بالأنفعال وببني كوتشاما بالخطئة. وكانت كوتشو مازيا نقيبتهما القزمة. حبستا
آمر (خدعاهما في عرفة نومها) قبل أن يُرسلا في طلب فيلوئا. أدركتا أن عليهما
أن تجبراه على مغادرة أيينيم قبل عودة تشاكو. فلم يكن بمقدورهما لا الثقة ولا
التنبؤ بما سيكون عليه موقف تشاكو.

ومع ذلك، لم تكن غلظتهما بالكامل، أن كل شيء دار خارجاً عن
السيطرة مثل قمة مضطربة معكرة. وأنه ساط كل أولئك الذين عبروا دربه.
بحيث أنه بحلول الوقت الذي عاد فيه تشاكو ومارغريت كوتشاما من
كوتشين، كان الألوان قد فات.

كان الصياد قد وجد مسبقاً صوفي مول.

تخيله.

في قاربه عند لفجر، عند فم النهر الذي كان يعرفه طوال حياته. إنه ما
يزال سريعاً ومتضخماً من مطر الليلة الفائتة. مر به شيء يتمايل في الماء
واجتذبت الألوان عينيه. بنفسحي. بني محتر. رمل بحر. كان يتحرك مع
التيار، بسرعة كبيرة نحو البحر. بعث بسارته الخيزرانية ليوقفه وجذبه باتجاهه.
كانت حورية متغضنة. طفلة بحر. مجرد طفلة. بشعر بني محمر. بأنف عالم
حشرات امبراطوري، بكشتبان فضي مطبق عليه في قبضتها من اجل الحظ.
سحبها من الماء إلى داخل قاربه. وضع منشفته القطنية تحتها، تمددت على قاع
قاربه مع سمكة فضية. جُدْف نحو البيت *Thaiy thaiy thaka thay thome!*
مفكراً في مدى خطأ أن يعتقد الصياد أنه يعرف نهره جيداً. لا أحد يعرف
الميتاشال. لا أحد يعرف ما قد يختطفه أو يتنازل عنه فجأة. و متى. إن هذا ما
يجعل الصياد يصلي.

في مركز شرطة كونايم، أرشدت ببني كوتشاما مرتجفة إلى غرفة ضابط
مركز الشرطة. أخبرت المفتش توماس ماثيو عن الظروف التي أدت إلى طرد

مفاجيء للعامل مصنع. Paravan. فمنذ بضعة أيام حاول أن، أن... أن
يفتصب ابنة أخيه، مطلقا ولها ولدان.

حزنت يبي كوتشاما العلاقة بين أمو وفيلوثا، ليس من أجل مصلحة أمو،
وإنما محاولة منها لاحتواء الفضيحة وانقاذ سمعة العائلة في عيني المفتش توماس
ماثيو. لم يخطر ببالها أن أمو ستجلب فيما بعد العار على نفسها - أنها ستذهب
إلى الشرطة وتنظم المحضر بشكل صحيح. وفيما كانت يبي كوتشاما تخبر
قصةها، بدأت في تصديقها.

لماذا لم يُلغ عن القضية منذ البدء، أراد المفتش أن يعرف.

«نحن عائلة قديمة»، قالت يبي كوتشاما. «وهذه ليست أمور نرغب في
الحديث عنها...»

المفتش توماس ماثيو المنكفي وراء شارب طيار هندي نشيط، فهم تَمَاماً.
فقد كان لديه زوجة غير منبوذة، وابنتان غير منبوذتين - أجيال غير منبوذة
بأكملها تنتظر في رحميهما...
«أين المُحَرَّش بها؟»

«في البيت، إنها لا تعرف أنني هنا. ما كانت لتدعني آني. طبعاً - فهي
مسعورة بالقلق على طفلها. هستيرية.»

فيما بعد، عندما وصلت القصة الحقيقية لمسامع المفتش توماس ماثيو، اهتم
بعمق بحقيقة أن Paravan كان قد أخذ من مملكة غير المنبوذين، لم يكن قد
اختطف بل أُعطي. وهكذا، بعد جنازة صوفي مول، عندما ذهبت أمو مع التوأم
إليه لتخبره أن هناك غلظة قد أرتكبت ونقر هو على صدرها بهراوته، لم يكن
ذلك بهيمية شرطي عفوية من طرفه. كان يعرف بالضبط ماذا كان يفعل.
كانت حركة مبيتة، محسوبة ليهنّها ويرعبها. محاولة لفرس النظام في عالم
كان يجري بشكل خاطئ.

ومع ذلك لاحقاً، عندما استقر الغبار وكان هناك عمل مكثي عليه أن

ينحزّه، هنّا المفتش توماس ماثيو نفسه على الطريقة التي جرت فيها الأمور.
لكنه الآن، كان يستمع بعناية ولطف، بينما كانت يبي كوتشاما تنشي
نصتها.

«الليلة الفائتة كان الظلام على وشك الهبوط - حوالي الساعة مساءً -
عندما جاء إلى المنزل وهدّنا. كانت تمطر بغزارة. والأضواء قد انطفأت وكنا
نشعل المصابيح عندما أتى،» قالت له. «كان يعلم أن رجل البيت - ابن احي - ،
تشاكواي، كان - وما زال - مسافراً في كوتشين. كنا ثلاث نساء لوحدها في
المنزل.» توقفت لتترك المفتش يتخيل الذعر الذي من المحتمل أنه دخل
بواسطة Paravan مهووس بالجنس على ثلاث نساء وحيدات في المنزل.

«قلنا له أنه إن لم يغادر أيمينيم بهدوء فسوف نخبر الشرطة. بدأ بالقول
أن ابنة أخي استجابت له، هل تتخيل ؟ وسألنا أي دليل لدينا على ما اتهمه به.
قال أنه تبعاً لقانون العمل فليس لدينا أي أساس نستند إليه في طرده. كان هادئاً
جداً. «لقد ذهبت تلك الأيام،» قال. «عندما كان بمقدوركم ركلنا هنا وهناك
كالكلاب...». «عندئذ بدت يبي كوتشاما مقنعة تماماً. مجروحة. ومرتابه.

ثم استولى الخيال على يبي كوتشاما كلياً. لم تصف له كيف فقدت
ماماتشي السيطرة على نفسها. وكيف ذهبت تجاه فيليا بابن وبصقت مباشرة
في وجهه. والأشياء التي قالتها له. والنعوت التي نعتته بها.

وبدلاً من ذلك، وصفت للمفتش توماس ماثيو كيف أنه لم يكن ما قاله
فيلوثا فقط هو الذي جعلها تأتي إلى مركز الشرطة، بل الطريقة التي قاله بها.
افقاده الكامل للندم وتبكيك الضمير، والذي كان أكثر ما صدمها. وكأنه كان
فخوراً حقاً بما كان قد فعله. ودون أن تدرك ذلك بنفسها، طعمت طريقة
الرجل الذي أهانها خلال المسيرة على فيلوثا. وصفت الغضب على وجهه.
الغطرسة الوقحة في صوته التي أرعبتها كثيراً. جعلها ذلك تتأكد أن طرده
واختفاء الأطفال، من غير الممكن، ان يكونا، منفصلين.

كانت تعرف Paravan مذ كان طفلاً، قالت يبي كوتشاما. كان قد

دُرس بواسطة عائلتها، في مدرسة غير المنبوذين التي أنشأها والدها، بونيان كونيجو (لايد وأن المفتش توماس ماثيو يعرف من كان؟ نعم، بالطبع)... وكان قد دُرب ليصبح نجاراً بواسطة عائلتها، والبيت الذي كان يقطن فيه أعطي لجدّه من قبل عائلتها. كان يدين بكل شيء لعائلتها.

«أنتم أيها الناس»، قال المفتش توماس ماثيو، «تفسدون أولاً هؤلاء الناس، تَحْمِلُونَهُمْ هنا وهناك على رؤوسكم كالميداليات، وعندما يسيئون التصرف تهزولون إلينا طالبين المساعدة.»

خفضت بيبي كوتشاما عينيها مثل طفل معاقب. ثم تابعت قصتها. أخبرت المفتش توماس ماثيو كيف أنها كانت قد لاحظت في الأسابيع الماضية أمارات منذرة، بعض العجرفة، بعض الوقاحة. ذكرت رؤيتها له في المسيرة في الطريق إلى كوتشين والاشاعات التي كانت تدور حول كونه ناكسالياً. لم تلاحظ أخذود القلق الخفيف الذي ولّده هذا الجزء من المعلومات على جين المفتش.

كانت قد حذرت ابن أخيها بشأنه، قالت بيبي كوتشاما، لكنها لم تفكر حتى في أكثر أحلامها وحشية أن الأمر سيصل إلى هذا الحد على الإطلاق. طفلة جميلة ميتة. وطفلان مفقودان.

وانهارت بيبي كوتشاما.

أعطاهما المفتش توماس ماثيو فنجان شاي بوليسياً. عندما تحسنت قليلاً، ساعدها على تسجيل كل ما أخبرته به في المحضر. وطمأن بيبي كوتشاما بالتعاون الكامل لشرطة كوتايام. سيُقبض على النذل السافل قبل نهاية اليوم. Paravan مع توأم ييضتين، مطاردًا من قبل التاريخ - كان يعرف أنه لا يوجد العديد من الأماكن ليختبئ فيها.

كان المفتش توماس ماثيو رجلاً حكيماً متعقلاً. اتخذ احتياطاً واحداً. أرسل سيارة جيب لاحتضار الرفيق ك. ن. يلاي إلى مركز الشرطة. كان أمراً

جوهرياً وحاسماً بالنسبة له أن يعرف إن كان لدى Paravan أي دعم سياسي أم أنه كان يتصرف لوحده. فبالرغم من أنه هو نفسه كان رجل حزب المؤتمر، لكنه لم يكن ينوي أن يخاطر بأية مجابهات مع الحكومة الماركسية. عندما وصل الرفيق بيلاي، أرشد إلى المقعد الذي لم تكن بيبي كوتشاما قد أخلته إلا مؤخراً. أراه المفتش توماس ماثيو محضر بيبي كوتشاما. وتحدث الرجلان. محادثة مختصرة، غامضة، سديدة. وكأنهما كانا قد تبادلوا أرقاماً وليس أسماء. لم يبدُ أنه هناك حاجة لأية إيضاحات. لم يكن الرفيق بيلاي، والمفتش توماس ماثيو أصدقاء، ولم يثقاً ببعضهما البعض. لكنهما فهما بعضهما البعض تماماً. كان كلاهما رجلين هجرتهما طفولتهما دونما آثار. رجلاً من دون فضول. من دون شك. كان كلاهما كل بطريقته الخاصة، ناضجين، بشكل مرعب حقاً. أطلاً على العالم ولم يتساءل أبداً كيف يسير لأنهما كانا يعرفان كيف. سبباً. كانا ميكانيكيين يصونان أجزاءً مختلفة من الآلة ذاتها.

أخبر الرفيق بيلاي المفتش توماس ماثيو انه كان يعرف فيلوتا، لكنه أغفل ذكر أن فيلوتا كان عضواً في الحزب الماركسي، أو أن فيلوتا كان قد قرع بابيه في وقت متأخر من الليلة الفائتة، مما يجعل الرفيق بيلاي آخر شخص رأى فيلوتا قبل اختفائه. ولم يدحض، أيضاً، بالرغم من أنه كان يعلم أنه أمر عار عن الصحة، ادعاء بيبي كوتشاما في محضرها. طمأن المفتش توماس ماثيو فقط أنه بقدر ما كان معنياً فإن فيلوتا لم يكن يتمتع بنصرة أو بحماية حماية الحزب الماركسي. أنه كان بمفرده.

بعد أن غادر الرفيق بيلاي، أعاد المفتش توماس ماثيو النظر ثانية في محادثتهما في عقله، متفحصاً إياها، متفحصاً منطقها، باحثاً عن منافذ. وعندما اقتنع، أوعز إلى رجاله.

عادت في هذه الأثناء بيبي كوتشاما إلى أميينيم. كانت الليموث مصفوفة في العمر. ومارغريت كوتشاما وتشاكو قد عادا من كوتشين.

كانت صوفي مول ممددة على الشيزلونغ.

عندما رأَت مارغريت كوتشاما جسد ابنتها الصغيرة، ماجت الصدمة داخلها كصفيق وهمي في صالة فارغة. فاضت في موجة من التقيؤات تركها خرماء وفارغة العينين. كانت تندب موتين، وليس واحداً. فبفقدان صوفي مول، مات جو ثانية. وهذه المرة لم يكن هناك من وظيفة لشهي ولا بيضة لتؤكل. كانت قد قدمت إلى أيميني، لتشفي عالمها المجروح، ففقدته بأكلمه بدلاً من ذلك. وتهشمت كالزجاج.

كانت ذكريتها ضبابية عن الأيام التي تلت. ساعات طويلة قائمة من سكون ثقيل فروي اللسان (مشرف عليها طياً من قبل الطبيب فيرغاس فيرغاس)، مقطعة بشطبات فولاذية حادة من الهستيريا، باترة وماضية كحد نصل موسى جديدة.

كانت واعية بشكل غامض بشاكو - مهتماً قلقاً ورقيق الصوت عندما يكون بجانبها - وإلاً غاضب حائق، يتفخ مثل ربح هاتجة في منزل أيميني. مختلف جداً عن القنفذ المجمع المسلي الذي كانت قد التقت ذات صباح بعيد جداً في المقهى.

كانت تتذكر، بشكل باهت، الجارة في الكنيسة الصفراء. الترتيل الحزين. وخفاشاً أزعج شخصاً ما. وتذكر أصوات أبواب تُخَطَّم، وأصوات امرأة مذعورة. وكيف بدت أصوات صراصير الأجمات في الليل مثل صرير درج وضخمت الخوف والوحشة والحزن المعلقين فوق منزل أيميني.

لم تنس أبداً غضبها غير المنطقي تجاه الطفلين الآخرين الأصغر اللذين كانا قد فصلتا لسبب ما. كان عقلها المحموم مثبت مثل صمغ على فكرة أن إستا كان مسؤولاً بطريقة ما عن موت صوفي مول. إن ذلك لغريب، إذا ما أخذ بعين الاعتبار أن مارغريت كوتشاما لم تعرف أنه كان إستا - ساحراً محرراً حماسياً بنفخة شعر من جذف المري وفكر بفكرتين - إستا من انتهلك القوانين

وجذف بصوفي مول وراحيل عبر النهر في أوقات العصر في قارب صغير، إستا من أبطل رائحة منجلية بتلويحه علماً ماركسياً تجاهها. إستا من جعل الشرفة الخلفية من بيت التاريخ منزلاً لهم بعيداً عن المنزل، مفروشاً ببساط عشبي ومعظم ألعابهم - مقلع، أوزة قابلة للنفخ، وكوالا كانتاس ذو عين زرية محلولة. وأخيراً، في تلك الليلة الرهية، كان إستا من قرر أنه بالرغم من أن هناك ظلاماً وأنها كانت تمطر، فإن الوقت قد حان بالنسبة إليهما ليهربا، لأن آمو لم تكن تريدهما بعد الآن.

لماذا لامت مارغريت كوتشاما إستا على ما حصل لصوفي مول، بالرغم من عدم معرفتها بأي من هذا ؟ لربما كانت غريزة أم.

ثلاث أو أربع مرات، وهي عائمة خلال طبقات سمكية من النوم الناتج عن أدوية منومة، كانت في الواقع قد استهدفت إستا وصفعته إلى أن هدأها أحد ما وقادها بعيداً. فيما بعد، كتبت لآمو لتعذر. بحلول الوقت الذي وصلت فيه الرسالة، كان إستا قد أعيد وكان على آمو أن تحزم حقائبها وتغادر. فقط راحيل بقيت في منزل أيمينيم لتقبل، باسم إستا، اعتذار مارغريت كوتشاما. لا أستطيع تصوّر ماذا حصل لي، كتبت. لا أستطيع أن أرجعه إلا إلى تأثير المهدئات. لم يكن لي حق في التصرف بالطريقة التي تصرفت بها، وأريدك أن تعلمي أنني خجولة ومتأسفة جداً جداً.

ومما يدعو للاستغراب، أن الشخص الذي لم تفكر فيه مارغريت كوتشاما، كان فيلوثا. لم يكن لديها حوله أية ذكرى. ولا حتى كيف كان شكله.

ربما كان هذا لأنها لم تعرفه حقاً، مطلقاً، ولم تسمع أبداً بما حدث له.

إله الضياع.

إله الأشياء الصغيرة.

لم يترك أية آثار أقدام على الرمل، ولا تموجات في الماء، ولا أخيلة في المرايا.

ففي النهاية، لم تكن مارغريت كوتشاما مع فصيلة رجال الشرطة غير النبوذين وهم يعبرون النهر المتضخم. وسراويلهم القصيرة الكاكية متبسة بالنساء.

الصلصلة المعدنية للأصفاد الثقيلة في جيب أحدهم.

إنه من غير المنطقي أن نتوقع من شخص أن يتذكر ما لم يكن يعرف أنه قد حدث.

بيد أن، الحزن كان ما يزال بعيداً بأسبوعين عن ذلك العصر ذي القطب المتصالبة الزرقاء، بينما كانت مارغريت كوتشاما مستلقية مرهقة من السفر وما تزال نائمة. ، في طريقه لرؤية الرفيق ك. ن. بيلاي، انساق تشاكو ماراً بنافذة غرفة النوم مثل حوت مختلس متنهف متوخياً أن يسترق النظر ليرى فيما إذا كانت زوجته (زوجة سابقة، يا تشاكو!) وابنته مستيقظتين وبحاجة إلى شيء ما. خذلته شجاعته في اللحظة الأخيرة وعام يبدانة من دون أن ينظر. صوفي مول (المستيقظة، على قيد الحياة، الواعية) رأيته يذهب.

جلست في سريرها ونظرت خارجاً إلى أشجار المطاط. كانت الشمس قد تحركت عبر السماء وألقت بظل المنزل على المزرعة، مقنعة الأشجار ذات الأوراق القائمة بالأصل. وفيما وراء الظل، كان الضوء مسطحاً ولطيفاً. كان يوجد شق مائل على اللحاء المبرقش لكل شجرة يرشح منه مطاط حلبي مثل دم أبيض ينز من جرح، ويتقطر داخل نصف قوقعة جوز الهند المنتظر والمربوط إلى الشجرة.

خرجت صوفي مول من السرير وفشت في حقيبة أمها النائمة. وجدت ما كانت تبحث عنه - مفاتيح الحقيبة الكبيرة المقفلة المتوضعة على الأرض بلصاقات شركة الطيران وبطاقات الامتعة. فتحتها ونقّت في محتوياتها بكل الرقة التي لكلب يحفر مسكبة أزهار. بعثرت أكواماً من الملابس التحتية، والتنانير المكوية والقمصان، وعلب الشامبو والكريم والشوكولاتة، والسيلوتاب،

والمظلات، والصواوين (وروائح لندنية معبأة أخرى)، والكينين، والاسبرين،
والمضادات الحيوية واسعة الطيف. «خذي كل شيء» كان زملاء مارغريت
كوتشاما قد نصحوها بأصوات قلقة. «لن تعرفي مطلقاً». والتي كانت طريقتهم
في القول لزمنية مسافرة إلى قلب الظلمات أن:

(أ) أي شيء من المحتمل أن يحدث لأي كان.

ولذا

(ب) من الأفضل أن يكون المرء مستعداً.

وجدت صوفي مول أخيراً ما كانت تبحث عنه.

هدايا لولدي عندها. أرباحاً مثلية من شوكولاتة التوبليرون (طرية ومائلة
من الحرارة). جوارب ذات أصابع منفصلة بألوان متعددة. وقلمي حبر - النصف
العلوي مملوء بالماء حيث علقت لصاقة لمنظر شارع لندني. قصر باكنغهام وبيغ
بن. محلات تجارية وبشر. باصاً أحمر بطابقين يسير بواسطة قفاعة هوائية تطفو
نحو أعلى وأسفل الشارع الصامت. كان يوجد أمر شرير حول غياب الضجيج
في شارع قلم الحبر الناشط.

وضعت صوفي مول الهدايا في حقيبتها ال غوغو، وذهبت قدماً داخل
العالم. لتعقد صفقة صعبة. لتفاوض على صداقة.

صداقة مشترك، لسوء الحظ، معلقة، غير مكتملة. مرفقة في الهواء دون
موطيء قدم. صداقة لم تتحلّق مطلقاً في قصة، ولهذا السبب، أصبحت صوفي
مول، أسرع بكثير مما يجب أن يحدث أبداً، ذكرى، بينما ازداد فقدان صوفي
مول متانة وحيوية. مثل فاكهة الموسم. كل موسم.

العمل كفاح

أخذ تشاكو طريقاً مختصراً خلال أشجار المطاط المائلة بحيث لن يكون عليه إلا أن يعبر امتداداً قصيراً أسفل الطريق الرئيسي حتى منزل الرفيق ك. ن. م. بيلاي. كان يبدو سخيلاً قليلاً، وهو بطأ بساط اوراق الأشجار الجافة في بذته الضيقة الخاصة بالمطار، وربطة عنقه تطير من فوق كتفه.

لم يكن الرفيق بيلاي في الداخل عندما وصل تشاكو. زوجته، كالياني، بمعجينة خشب صندل طازجة على جبينها، أجلسته على كرسي فولاذي قابل للطوي في غرفتهما الأمامية الصغيرة واختفت عبر ستارة من أشرطة نايلونية وردية براق داخل غرفة مجاورة حيث كان يرتعش اللهب الصغير في مصباح زيتي نحاسي كبير. هبت رائحة البخور المتخمة عبر الممر، المعلق فوقه لوحة خشبية كُتِب عليها، العمل كفاح. الكفاح عمل.

بدا تشاكو كبيراً جداً بالنسبة للغرفة. اكتظت به الجدران الزرقاء. نظر حوله باضطراب وتوتر خفيف. منشقة تجفف على قضبان نافذة خضراء صغيرة. طاولة الطعام مغطاة بغطاء طاولة بلاستيكي مزهر لماع. ذباب صغير يئز حول حزمة من الموز الصغير في طبق أبيض من المينا أزرق الاطار. وفي إحدى زوايا الغرفة كان يوجد كومة من ثمار جوز الهند الخضراء غير المقشرة. وتوضع حف مطاطي لطفل كأصابع حمامة في متوازي أضلاع من ضوء شمس مخطط على

الأرض. خزانة ذات ألواح زجاجية إلى جانب الطاولة. لها ستائر مرسومة معلقة في الداخل، تُغفي محتوياتها.

ولدة الرفيق ييلاي، سيدة عجوز صغيرة في قميص بني وموندو مصفر، كانت تجلس على طرف سرير خشبي عالٍ دُفع باتجاه الجدار، ورجلاها متدليتان على مسافة من الأرض. كانت تضع منشفة بيضاء مهلهلة مرتبة بشكل قطري فوق صدرها ومتنية فوق كتف واحد. قمع من البعوض، مثل قبعة أبله مقلوبة، كان يطن فوق رأسها. تجلس وخذها مرتاحان في راحة كل يد، حازمة معاً كل تجمعها في تلك الجهة من وجهها. كل إنش منها كان مجمداً، حتى خصرها وكاحليها. فقط بشرة حنجرتها، كانت مشدودة وناعمة، وممتدة فوق غدة هائلة. نافورة شبابها. كانت تمحّد بخواء إلى الجدار المقابل لها، مؤرجحة نفسها رويداً رويداً، مثل مسافر ضجر في رحلة باص طويلة.

شهادات الرفيق ييلاي الثانوية والباكاليوس والماجستير كانت جميعها مؤطرة ومعلقة خلف رأسها.

وعلى جدار آخر صورة مؤطرة للرفيق ييلاي يكّمل الرفيق ي. م. س نامبوديرباد، وكان هناك ميكروفون على منصة، يشع في المقدمة مع لافتة كُتب عليها *Ajantha*^(١).

كانت مروحة الطاولة الدائرة الموضوعة بالقرب من السرير، تقيس نسيمها الميكانيكي في دورات ديمقراطية نموذجية مثلى - أولاً ترفع ماتبقى من شعر السيدة ييلاي، ثم شعر تشاكو. والبعوض يختفي ويتجمع دون كلل.

كان تشاكو يستطيع أن يرى من خلال النافذة سقوف الباصات، والأمتعة في محاملها، وهي تهتز مازة. مرّت سيارة جيب بمكبّر يدوي بأغنية للحزب الماركسي موضوعها العاطلون على العمل. كان الكورس بالانكليزية، والبقية بالمالايلامية.

(١) - أحمر غامق (لون النقطة الحمراء التي تضعها السيدات الهنديات على جبينهن). (المترجمة).

لا وظائف شاغرة ! لا وظائف شاغرة !

أين يذهب الانسان الفقير في العالم.

لا لا لا لا لا لا لا وظائف شاغرة.

جعلت «لا» بحيث تكون مقفاة مع باب.

عادت كالاياني مع كوب مضاد للصدأ من القهوة المنقطرة وطبق مضاد للصدأ من شرائح الموز (صفراء لامعة مع بذور سوداء في الوسط) من أجل تشاكو.

«لقد ذهب إلى أولاسا، سيعود بين اللحظة والأخرى»، قالت. كانت تشير إلى زوجها *addacham*، وهي صيغة محترمة من «هو»، بينما كان يناديه *edi* والتي كانت تعني تقريباً، «هيه، أنت!»

كانت امرأة خصبة جميلة ذات بشرة بنية ذهبية وعينين واسعتين جداً. شعرها المجعد الطويل كان مبللاً ومتدلياً محلولاً حول عنقها، مضفوراً فقط عند أقصى نهايته. وقد بلل قميصها الأحمر الغامق الضيق ولطخه جاعلاً إياه أكثر حمرة وأغمق وأضيق. تتألم ذراعيها الناعمين عند نهايتي كميها، وسقط فوق كوعيهما المثقبتين في تبرعم فخم. كان موندوها وكافانباها البيضاءان مجعدين ومكويين. وتفوح منها رائحة خشب الصندل و الحمص الأخضر المسحوق اللذان تستخدمهما بدلاً من الصابون. راقبها تشاكو للمرة الأولى منذ سنوات، دون أدنى إثارة للشهوة الجنسية. فقد كان لديه زوجة (زوجة سابقة، يا تشاكو!) في المنزل. لها نمش ذراع ونمش ظهر. بثوب أزرق وساقين من تحتها. ظهر لينين الصغير عند الباب بسرور قصير أحمر. وقف على رجل نحيلة واحدة كالقلق، وضفر أشرطة الستارة الوردية في عمود، محدقاً إلى تشاكو بعيني أمه. كان في السادسة الآن، متخطياً بمدة طويلة زمن دفع الأشياء داخل أنفه.

«يا صبي، اذهب ونادي لاثا»، قالت السيدة بيلاي له.

بقي لينين حيث كان، وهو ما يزال يحدق في تشاكو، صائحاً بسهولة، بالطريقة التي لا يستطيع إلا الأطفال أن يقوموا بها.

«لاثا! لاثا! انت مطلوبة!»

«ابنة أختنا من كونايام، ابنة أخيه الكبير،» شرحت السيدة بيلاي. «لقد ربحت الجائزة الأولى في الخطابة في مهرجان الشباب في تريفاندرام الاسبوع الفائت.»

ظهرت فتاة صغيرة شرسة المنظر، في حوالي الثانية أو الثالثة عشرة من عمرها، خلال ستارة الأشرطة. ترتدي تنورة مرسومة طويلة وصلت حتى كاحليها وقميصاً أبيض قصيراً يصل حتى الخصر بإندفاعين أفسحاً مجالاً لثديي المستقبل.

كان شعرها المزيّن مفروقاً إلى نصفين. وكانت كل من ضفيريها المشدودتين اللامعتين معقودتين ومربوطتين بشريطتين بحيث تتدليان نحو الأسفل على جانبي وجهها مثل محيطي أذنين ضخمتين لم تُلونا بعد.
«هل تعرفين من هذا؟» سألت السيدة بيلاي لاثا.
هزت لاثا رأسها.

«تشاكو، صاحب مصنعنا.»

حدقت لاثا فيه باتزان وقلة فضول نادرين لمن في سن الثالثة عشرة.
«درس في أكسفورد لندن،» قالت السيدة بيلاي. «هل ستقومين بقراءتك له؟»

لبت لاثا دون تردد. باعدت قدميها قليلاً.

«الرئيس المحترم،» انحنى لتشاكو، «الحكام الأعزاء و..» نظرت حولها إلى جمهور متخيل مزدحم داخل غرفة حارة صغيرة، «أصدقائي الأحباء.» وتوقفت بشكل مسرحي.

«وَدَّ اليوم أن ألقى عليكم قصيدة كتبت من قبل السيد والتر سكوت، بعنوان لوتشيفان.» شبكت يديها وراء ظهرها. وسقطت غشاوة فوق عينيها. كانت تحديقتها مثبتة بشرود فوق رأس تشاكو بالضبط. وكانت تتمايل قليلاً وهي تتكلم. في البدء اعتقد تشاكو إنها كانت ترجمة مالايلامية لـ

«لوتشيفان». ارتطمت الكلمات ببعضها البعض. ووصل المقطع الأخير لكل كلمة نفسه مع المقطع الأول للكلمة التالية. كانت تؤدي في سرعة ملحوظة.

«أوه، لقد جاء لوتشيفان الشاب من الغرب،

وكان حصانه هو الأفضل عبر جميع الفيافي الشاسعة:

ولم يكن معه أي سلاح،

ركب حصانه طوال المسافة أعزل، وحيداً».

كانت القصيدة مرصعة بشخير صادر عن السيدة العجوز التي في السرير، والذي لم يبدُ أن أحداً لاحظته عدا تشاكو.

عبر الفهر حيث لم يكن هناك من مخاضة:

وترجل أمام بوابة قرية،

بعث العروس بالقناصة، فالشاب الوسيم وصل متأخراً^(١).

وصل الرفيق يلاي في منتصف القصيدة، ولمعان من العرق يجلو جلده، كان موندوه مشياً إلى أعلى ركبته، وانتشرت بقعاً عرق قاتمتان تحت إبطيه اللذين من اثنتين. في أواخر ثلاثينياته، كان رجلاً صغيراً شاحباً غير رياضي. كانت ساقاه طويلتين وضعيفتين بالأصل وكان بطنه المنتفخ والمشدود مثل غدة أمه الصغيرة، متعارضاً تماماً مع بقية جسمه الضيق النحيل ووجهه اليقظ. وكان شيئاً في مورثات عائلتهما كان قد منحهما نغمة إجبارية تظهر في أجزاء مختلفة من جسديهما.

قسم شاربه المرتب الذي بدقة خط قلم رصاص شفنه العلوية أفقياً بالنصف وانتهى عند نهايات خط فمه، تماماً. كان خط شعره قد بدأ بالتراجع ولم يبق بأية محاولات لاختفائه. كان شعره مزيتاً ومسرّحاً نحو الخلف. شباب بشكل واضح لم يكن ما أصبح عليه فيما بعد. كان يتمتع بالسلطة السهلة لرجل البيت. ابتسم وهز رأسه بتحية لتشاكو، لكنه لم يعر اهتماماً لوجود زوجته أو أمه.

(١) - وصلت أواخر الكلمات في القصيدة مع بداية الكلمات التي تليها، بطريقة تجعلها غير مفهومة على الإطلاق. (المترجمة).

نقرت عينا لاثا نحوه من أجل إذن بمتابعة قصيدتها. وفتح الاذن. خلع الرقيق ييلاي قميصه، وكوّره وجفف بإبطيه به. وعندما انتهى، أخذته منه كالاباني وأمسكته وكأته هدية. باقة أزهار. جلس الرقيق ييلاي بصداره الذي بدون أكمام على كرسي يطوى وجزّ قدمه اليسرى رافعاً إياها فوق فخذه الأيمن. طوال بقية أداء ابنة أخيه، جلس محدقاً بتأمل إلى الأرض، وذقنه في راحة يده، ناعراً بقدمه اليمنى مع بحر وإيقاع القصيدة. ومدلكاً يده الأخرى مشط قدمه اليسرى المقوس بالثقان.

عندما انتهت لاثا، صفق تشاكو بنطف صادق. لم تعر تصفيقه اهتماماً ولا حتى بوميض ابتسامة. كانت مثل سباحة من أفانية الشقية في مسابقة محلية. عيناها شاخصتان بنبات على الذهبية الالومبية. وأي انجاز أقل من هذا كانت تعتبره على أنه مُستحق. نظرت إلى عمها من أجل إذن بمغادرة الغرفة. أوماً الرقيق ييلاي لها وهمس في أذنها، «ذهبي وقولي بوئاتشان وماثوكوتي أن عليهما أن يأتيا حالاً، إن أرادا أن يرياني.»

«لا، أيها الرقيق، حقاً... لن أتناول أي شيء آخر،» قال تشاكو مفترضاً أن الرقيق ييلاي كان يرسل لاثا من أجل وجبات خفيفة اضافية. أدام الرقيق ييلاي هذا، ممثناً لسوء الفهم.

«لا لا لا. ها! ما هذا؟» Ebi كالاباني، احضري طبقاً من عصيدة الأرز تلك..

كسياسي طموح، كان أمراً أسامياً بالنسبة للرقيق ييلاي أن يرى في دائرته الانتخابية المفضلة كرجل ذي تأثير. أراد أن يستخدم زيارة تشاكو ليؤثر على متوسلين محليين وعاملي الحزب. كان بوئاتشان وماثوكوتي، الرجلان اللذان أرسل في طلبهما، قرويين قد طلبا منه أن يستخدم صلاته في مستشفى كوتايام من أجل تأمين وظائف وممرضات لبناتهما. كان الرقيق ييلاي تواقاً لمشاهدة منتظرين خارج بيته من أجل مواعدهما معه. فكلما كان عدد الناس الذين يؤمنون ينتظرون لقاءه، كلما بدا أكثر انشغالاً، وكلما أعطى انطباعاً أفضل. وكان يعلم أنه إذا رأى الناس المنتظرون أن مالك المصنع بنفسه قد جاء لرؤيته،

في مضماره هو، فستبحث أفضل أنواع الاشارات المفيدة.

«واذا، أيها الرفيق!» قال الرفيق يلاي، بعدما كانت لاثا قد أوفدت. «وما هي الأخبار؟ كيف تتأقلم ابتك؟» كان يصبر على أن يتكلم مع تشاكرو بالانكليزية.

«أوه بشكل حسن. إنها غارقة في النوم الآن».

«أوه. أظن أنه إرهاق السفر»، قال الرفيق يلاي، مسروراً من نفسه لمعرفة أمراً أو اثنين حول السفر الدولي.

«ما الذي يحدث في أولاسا؟ اجتماع حزبي؟» سأل تشاكرو.

«أوه، لا شيء من هذا القليل. كانت أختي سودها قد واجهت كسراً منذ وقت مضى»، قال الرفيق يلاي، وكأن الكسر كان وجيحاً زائراً. «ولهذا فقد أخذتها إلى أولاسا موس من أجل استشارة طبية. بعض الزيوت وكل تلك الأمور. زوجها في باتنا، ولهذا فهي لوحدها في بيت نسب».

تخلى لينين عن مكانه عند الممر، ووضع نفسه بين ركبتي والده والتقط أنفه.

«وما رأيك في قصيدة منك، أيها الفتى؟» قال تشاكرو له. «ألم تعلمك أبوك أية واحدة؟»

حدّق لينين في تشاكرو، دون أن يدي أي دليل على أنه سمع أو فهم ما قاله تشاكرو.

«إنه يعرف كل شيء»، قال الرفيق يلاي. «إنه عبقرى. إنه صامت فقط أمام الزوار».

مزّ الرفيق يلاي لينين بركبته.

«لينين، أخبر العم الرفيق ما علمت إياه البابا. أيها المواطنون الرومان الأصدقاء...»

تابع لينين اصطياذ كنزّه الأنفي.

«ها. يا ولد، إنه عمك الرفيق فحسب -»

حاول الرفيق بيلاي أن يرفس بداية شكسبير. «أيها المواطنون الرومان الأصدقاء، أعبروني - ٢٢»

بقيت تحديقة لينين منصبة على تشاكو. حاول الرفيق بيلاي ثانية.

«أعبروني - ٢٣»

خطف لينين ملء كفه من شرائح الموز واندفع خارج الباب الأمامي. بدأ يعدو أعلى وأسفل نطاق الباحة بين المنزل والطريق، ناهقاً بهياج بحيث لم يتمكن من الفهم. عندما تخلص من بعضها تحول ركضه إلى عدو حصان لاهت عالي الركب.

«أعبروني سماعكم»^(١)

صاح لينين من الباحة، فوق صوت الباصات المارة.

«جئت كي أدفن قبصر لا لأطريه.

البشر يعيش بعد البشر

والخير يُدفن مع عظامهم.

صرخها بطلاقة، دون أن يتلثم مرة واحدة. وهو أمر لافت، بالأخذ بعين الاعتبار أنه كان في السادسة فقط من عمره وأنه لم يكن يفهم أيّاً مما كان يقول. ابتسم الرفيق بيلاي بفخر وهو جالس في الداخل، وينظر خارجاً إلى عفريت مغترب يدور في ساحته (متعهد خدمات المستقبل وله طفل ودراجة باحاج).

«إنه الأول في صفه. سينال هذه السنة ترقية مضاعفة.»

كان هناك الكثير من الطموح محشوراً في تلك الغرفة الحارة الصغيرة. فأيّ ما كان الرفيق بيلاي يخزّنه في خزانته ذات الستائر، لم يكن طائرات محطمة من البانسا.

(١) - سمعكم. (المترجمة).

ومن الناحية الأخرى، فإن تشاكو، ومن اللحظة التي دخل فيها المنزل، أو ربما من اللحظة التي وصل فيها الرفيق بيلاي، كابد عملية فضولية من الالغاء. ومثل جنرال كان قد جُرد من نجومه، حذّ من ابتسامته. واحتوى توسعته. كان من الممكن لأي أحد التقاه هناك للمرة الأولى أن يظنه متحفظاً صموتاً. وتقريباً خجولاً.

بغريزة مقاتل شارع لا تخطئ، علم الرفيق بيلاي أن ظروفه الحرجة (بيته الحار الصغير، أمه ذات الغدة، التصاقه بالجماهير الكادحة) أعطاه سلطة على تشاكو لا تضاهيها في مثل هذه الأيام الثورية أية كمية من الثقافة الأكسفوردية.

أمسك بفقره كمسدس موجه إلى رأس تشاكو.

أخرج تشاكو قطعة ورق مجمدة حاول أن يرسم عليها تصميماً تقريبياً للمصق جديد كان يريد الرفيق بيلاي أن يطبعها له. وهو من أجل منتج جديد كانت مخلات ومعلبات اللجنة تخطط لإطلاقه في الربيع. خل طبخ اصطناعي. لم يكن الرسم إحدى مزايا تشاكو، لكن الرفيق بيلاي فهم المغزى العام. كان معتاداً على رمز راقص الكاثا كالي، والشعار تحت تنورته الذي يقول أباطرة عالم الذوق (فكرته) والذين كانوا قد اختاروه لمخللات ومعلبات اللجنة.

«أظن أن التصميم هو ذاته، الاختلاف هو فقط في النص»، قال الرفيق بيلاي.

«وفي لون الخطوط الخارجية»، قال تشاكو. «لون خردلي بدلاً من الأحمر.»

رفع الرفيق بيلاي نظارته إلى الأعلى داخل شعره من أجل أن يقرأ النص بصوت عالٍ. تفتشت العدسات حالاً بسبب زيت الشعر.

«خل طبخ اصطناعي»، قال. «أظن أن هذا بأكمله بأحرف كبيرة.»

«أزرق بروسبي»، قال تشاكو.

«مختصر من حمض خلطي؟»

«أزرق ملكي»، قال تشاكو. «مثل ذلك الذي استخدمناه للفليفة الخضراء في المحلول الملحي.»
«محتويات صاقية. دفعة رقم، تاريخ الصنع، تاريخ الانتهاء، الأزرق الملكي ذاته لكن باستخدام ج وج. ٩١.»
هز تشاكو رأسه.

«نحن نشهد هنا أن الخل الذي في الزجاجاة مكفول بأن يكون من الطبيعة والنوعية التي تدعيها. المكونات: ماء وحمض خلطي. ستكون هذه باللون الأحمر. كما أظن.»

كان الرفيق يستخدم كلمة «أظن» ليقويه السؤال ويجعله يبدو كملاحظة. كان يكره أن يسأل أسئلة إلا في حال كانت أسئلة شخصية. أسئلة تدل على عرض سوقي مبتذل من الجهل.

في حلول الوقت الذي انتهيا فيه من مناقشة لصاقة الخل، كان قد أحرز كل من تشاكو والرفيق ييلاي أقماعهما من البعوض الشخصي. واتفقا على موعد استلام.

«وإذن، هل نجحت مسيرة البارحة؟» قال تشاكو، متطرقاً أخيراً للسبب الحقيقي من زيارته.

«إلا إذا وحتى تُنفذ الطلبات، يا رفيق، لا نستطيع أن نقول إن كانت قد نجحت أم لم تنجح.» زحفت نبرة مؤلف كتيبات إلى صوت الرفيق ييلاي. «حتى ذلك الوقت، يجب أن يستمر الكفاح.»

«لكن الاستجابة كانت جيدة،» حفز تشاكو محاولاً أن يتكلم بنفس المصطلحات.

«هذا بالطبع موجود،» قال الرفيق ييلاي. «لقد قدّم الرفاق التقرير إلى اللجنة العليا للحزب. لنرى الآن. لا نملك إلا أن ننتظر ونرى.»
«لقد مررنا بهم البارحة على الطريق،» قال تشاكو. «المظاهرة.»

«في الطريق إلى كوتشين، كما أظن،» قال الرفيق ييلاي. «لكن تبعاً لمصادر الحزب فإن استجابة تريفاندام كانت أفضل بكثير.»

«كان هناك الآلاف من الرفاق في كوتشين أيضاً،» قال تشاكو. «وفي الحقيقة فقد رأت ابنة أخي شابنا فيلوتا بينهم.»

«أوه، أفهم.» فوجئ الرفيق ييلاي. فقد كان فيلوتا موضوعاً قد خطط أن يتطرق إليه مع تشاكو. يوماً ما. وأخيراً. لكن ليس بهذه المباشرة. أزعج عقله كمروحة طاولة. تساءل هل يستفيد من الافتاحية التي أتاحت له، أم يتركها ليوم آخر. قرر أن يستخدمها الآن.

«نعم، إنه عامل جيد،» قال. «على درجة عالية من الذكاء.»

«نعم إنه كذلك،» قال تشاكو. «نجار ممتاز له عقل مهندس. لو لم يكن

لـ - -

«ليس ذلك العامل، يا رفيق،» قال الرفيق ييلاي. «عامل حزب.»

استمرت والدة الرفيق ييلاي في التأرجع والنخير. كان يوجد شيء في إيقاع نخيرها. مثل تكتكة ساعة. صوت بالكاد تلاحظه، لكنك تفتقده إن توقفت.

«آه، أفهم. إذن فهو حامل بطاقة؟»

«أوه نعم،» قال الرفيق. «أوه نعم.»

تقطر التعرق في شعر تشاكو. شعر كما لو كانت جماعة من النمل تجول داخل جلدة رأسه. هرش رأسه لوقت طويل، بكلتا يديه. محركاً جلدة رأسه نحو الأعلى والأسفل.

«Oru kaaryam parayatthey? تحول الرفيق ييلاي إلى المالايلامية

وبصوت تأمري حسن الظن باناس. «أنا أتكلم كصديق، keto. بشكل غير رسمي.»

قبل أن يكمل، درس الرفيق ييلاي تشاكو، محاولاً أن يقيس تجاوبه. كان تشاكو يتفحص عجينة العرق الرمادية وقشرة الرأس المتوضعة تحت أظافره.

«عن ذلك Paravan سيسبب لك المتاعب.» قال «خذها مني... اعثر له على عمل في مكان آخر. أرسله بعيداً»

تشوش تشاكو من التحول الذي طرأ على المحادثة. فهو لم يكن ينوي إلا أن يعرف ماذا كان يحدث، أين مواقع الأمور. كان يتوقع أن يواجه معاداة، وحتى مجابهة، وبدلاً من ذلك كان يُعرض عليه مؤمرة مضللة خبيثة.

«أرسله بعيداً؟ ولكن لماذا؟ ليس لدي أي اعتراض على أن يكون حامل بطاقة. كنت فضولياً فحسب، هذا كل ما في الأمر.. اعتقدت أنك لربما كنت قد تتكلم معه،» قال تشاكو. «لكنني واثق أنه يجرب فقط، يفحص جناحيه، إنه زميل حساس، يا رفيق. وأنا أثق به...»

«ليس بهذه الطريقة،» قال الرفيق بيلاي. «من الممكن أن يكون جيداً جداً كشخص. لكن عاملين آخرين ليسوا مرتاحين معه. وقد تقدموا لي بشكاوى... ترى، أيها الرفيق، من وجهة نظر محلية، فإن قضايا الطبقات هذه متأصلة جداً...»

وضعت كالاياني كوباً فولاذياً من قهوة يتصاعد منها البخار على المنضدة من أجل زوجها.

«أتراها هي، على سبيل المثال، ربة المنزل. حتى هي لن تسمح أبداً لـ Paravan بدخول بيتها. أبداً. حتى أنا لا أستطيع أن أقنعها. زوجتي الخاصة. فهي الرئيس داخل البيت بالطبع.» استدار نحوها بابتسامة محبة خبيثة.
«Allay edi. kalayani?»

نظرت كالاياني نحو الأسفل وابتسمت بحياء، مقررة بتعصّبها.

«أترى؟» قال الرفيق بيلاي بانتصار. «إنها تفهم الانكليزية بشكل جيد تماماً. لكنها لا تتكلمها.»

ابتسم تشاكو بشكل لطيف جزئياً.

«تقول أن العاملين لدي يأتون إليك بشكاوى...»

«أوه نعم، هذا صحيح،» قال الرفيق بيلاي.

«هل من شيء محدد؟»

«لا شيء محدد من هذا القبيل»، قال الرفيق ك. م. ن. بيلاي. «لكن انظر، أيها الرفيق، إن أية امتيازات تعطيتها له، من الطبيعي أن يستاء منها الآخرون. إنهم يرونها تحيزاً. وفي النهاية، فمهما كان العمل الذي يقوم به، نجاراً، أو كهربائياً، أو خلافه، بالنسبة اليهم ليس سوى Paravan. انه موقف تعودوا عليه منذ ولادتهم. وهذا ما قلته لهم أنا بنفسى أنه أمر خاطئ. لكن لتكلم بصراحة، أيها الرفيق، إن التغير شيء، والقبول شيء آخر. عليك أن تكون حذراً. من الأفضل بالنسبة إليه أن ترسه بعيداً...»

«زميلي العزيز»، قال تشاكو. «إن هذا المستحيل. إنه لا يُقدر بثمن. أنه يدير المصنع عملياً.. ونحن لا نستطيع أن نحل المشكلة بإبعاد Paravans. علينا بكل تأكيد أن نتعلم كيف نتعامل مع هذه التفاهات.»

كره الرفيق بيلاي أن يُخاطب بزميلي العزيز. بدت له كإهانة صيغت بانكليزية جيدة، مما جعلها، بالطبع إهانة مضاعفة، الإهانة بحد ذاتها، وحقيقة أن تشاكو اعتقد أنه لن يفهمها. أفسد ذلك مزاجه كلياً.

«من الممكن لهذا أن يحدث»، قال بتهكم لاذع. «لكن روما لم تبنَ يوماً. تذكر ذلك دوماً، إن هذه ليست كليتاك الأكسفوردية. فما تعتبره تفاهات بالنسبة لك، هو أمر مختلف بالنسبة للجماهير.»

ظهر لينين، بنحالة أيه وعيني أمه، عند الباب، مقطوع النفس. كان قد انتهى من صراخ خطاب مارك انتوني بأكمله ومعظم «لوتشينفار» قبل أن يدرك أنه قد فقد مستمعيه. أعاد وضع نفسه بين ركبتى الرفيق بيلاي المتباعدتين.

صفق يديه فوق رأس أيه مشوهاً قمع البعوض. أحصى الجثث المسحوقة في راحتيه. أخرج بعضها دماً طازجاً. أراهم لأيه، الذي سلمه لأمه لتنظفه.

ومرة أخرى كان الصمت ملائماً بينهما بنخب السيدة بيلاي العجوز.

وصلت لانا مع بوثاشين واثوكتوتي. جعل الرجلان ينتظران في الخارج. وترك الباب مفتوحاً جزئياً. وعندما تكلم الرفيق بيلاي ثانية، تكلم بالمالايلامية

وتأكد من أن صوته كان عالياً كفاية لمستمعه في الخارج.

«بالطبع المنتدى المناسب لمناقشة أمور العمال على الملأ، تُقدم الشكوى والتظلمات عن طريق النقابة. وفي هذه الحالة، عندما يكون السيد بنفسه رقيقاً، فإنه لمن المعيب ألا ينضموا للنقابة ويشاركوا في كفاح الحزب. لقد فكرت في ذلك،» قال تشاكو. «وسأنظّمهم رسمياً في نقابة. وسيتخبون مدراءهم.»

«لكنك لا تستطيع يا رفيق أن تنظم لهم ثورتهم. بإمكانك فقط خلق وعي. ثقّفهم. عليهم مباشرة كفاحهم الخاص. عليهم أن يتغلبوا على مخاوفهم.»

«من من؟» ابتسم تشاكو. «مني؟»

«لا، ليس أنت، يارفيقي العزيز. بل من قرون من الاضطهاد.»

ثم اقتبس الرفيق يلاي بصوت رهيب، من الرئيس مارو. في المالايا لامية. كانت تعابيره كتعابير ابنة أخيه بشكل غريب لافت للنظر. «ليست الثورة حفلة عشاء. إن الثورة تمزّد، عمل عنف تطيح بواسطته طبقة بطبقة أخرى.»

وهكذا، وبعد أن وضع عقد لصاقات خل الطبخ الاصطناعي في جيبه، طرد تشاكو من طبقات المطيحين المناضلة، إلى طبقات الحائزين الواجب الإطاحة بهم.

جلسا بجانب بعضهما البعض على كراسي تُطوى، في عصر اليوم الذي أتت فيه صوفي مول، يرتشفون القهوة ويقضمون رقائق الموز. يزبحان بلسانيهما الفطير الأصفر الذي التصق بسقفي حلقيهما.

الرجل التحيل الصغير والرجل البدين الكبير. خصما كتاب هزلي في حرب قادمة.

لقد انقلبت إلى حرب، ولمسوء حظ الرفيق يلاي، ستهي تقريباً قبل أن تبدأ. وهب النصر له ملفوفاً ومربوطاً بشريطة، على طبق من قضة. فقط عندئذ،

عندما كان الأوان قد فات، وتدهورت مخلالات اللجنة إلى الحضيض دون الكثير من النغمضة أو حتى ادعاء المقاومة - أدرك الرفيق بيلاي أن ما كان يحتاجه حقاً هو عملية حرب أكثر من احتياجه لمحصلة فوز. كان من الممكن للحرب أن تكون الفصل الذي امتطاه، في جزء من الطريق إلى الجمعية التشريعية، إذا لم يكن الطريق بأكمله، في الوقت التي تركه فيه النصر ليس بأفضل حال مما كان عليه عندما شدّ الرحال.

كسر البيض لكنه حرق العجة.

لم يعلم أحد أبداً الطبيعة الدقيقة للدور الذي لعبه الرفيق بيلاي في الأحداث التي تلت. حتى تشاكو - الذي كان يعلم أن الخطابات حول حقوق المنبوذين («أيها الرفقاء، الطائفة هي الطبقة») المسلمة من قبل الرفيق بيلاي خلال محاصرة الحزب الماركسي لمخللات اللجنة، كانت منافقة - لم يعرف مطلقاً القصة بأكملها. ولا يعني هذا انه اهتم بمعرفتها. ففي ذلك الحين، نظر مخدراً من جراء فقدان صوفي مول، إلى كل شيء برؤية ملطخة بالحزن. مثل طفل دهم بمأساة، يكبر فجأة ويهجر ألبابه، رمى تشاكو ألبابه. أحلام بارون المخلل وحرب الشعب انضمت إلى رفوف الطائرات المخططة في الخزنة ذات الألوان الزرجاجية. بعدما أغلقت مخلالات اللجنة، بيعت بعض حقول الأرز (مع رهونها) لتسديد قروض المصرف. وبيعت حقول إضافية لشمكن العائلة من الحصول على الطعام واللباس. وبحلول الوقت الذي هاجر فيه تشاكو إلى كندا، كان دخل العائلة الوحيد يأتي من مزرعة المطاط المنضمة إلى منزل إيميس وبضعة أشجار جوز الهند في بناء واحد. كان هذا ما عاشت عليه بيبي كوتشاما وكوتشو ماريا بعدما مات كل شخص آخر، أو غادر، أو أُعيد.

ولكن منصفين مع الرفيق بيلاي، فهو لم يخطط لمسار الأحداث التي تلت. فقط زلق أصابعه الجاهزة داخل قفاز التاريخ المتظفر.

لم يكن بالكامل خطأه أنه كان يعيش في مجتمع حيث موت الإنسان أكثر ربحاً مما كانت عليه حياته على الإطلاق.

بقيت زيارة فيلوثا الأخيرة له وما جرى بينهما - بعد مواجهته مع ماماتشي
ويبي كوتشاما - سرّاً. الخيانة الأخيرة التي أرسلت فيلوثا عبر النهر، سابحاً ضد
التيار، في الظلام والمطر، في الوقت المحدد تماماً من أجل مواعده الأعمى مع
التاريخ.

أخذ فيلوتا الباص الأخير من كوتايام حيث كان يُصلح آلة التعليب. صادف عاملاً من عمال المصنع عند موقف الباص، أخبره بابتسامة متكلفة أن ماماتشي تريد أن تراه. لم يكن لدى فيلوتا أدنى فكرة عما كان قد حصل ولم يكن يعلم مطلقاً بزيارة أبيه الثملة لمنزل أيمينيم. ولم يكن يدري أيضاً أن فيلوتا كان جالساً منذ ساعات أمام باب كوخهم، وما يزال ثملاً، تلتصع عينه الزجاجية وحافة فأسه في ضوء المصباح، منتظراً عودة فيلوتا. ولا أن كوتابن المشلول المسكين، المخدر من الحبس، كان يتكلم مع أبيه باستمرار لمدة ساعتين محاولاً تهدئته، مجهداً أذنيه طوال الوقت ليلتقط صوت وقع أقدام أو خشخشة نباتات فيتمكن من أن يصرخ ليحذر لأخيه الذي لا يخافه الشك بشيء.

لم يذهب فيلوتا إلى البيت. ذهب مباشرة إلى منزل أيمينيم. بالرغم من أنه من جهة كان قد أخذ على حين غرة، لكنه علم، كان يعلم، من ناحية أخرى بغريزة قديمة أن دجاجات التاريخ الملوية ستأتي ذات يوم إلى البيت لتجثم. طوال هيجان ماماتشي بأكمله بقي مكبوحاً و رابط الجأش على نحو غريب. كانت رباطة جأش وُلدت من استفزاز شديد. انبثقت من وضوح يقع فيما وراء الغضب.

عندما وصل فيلوتا، فقدت ماماتشي تحمّلها وتقيأت غلّها الأعمى، وإهاناتها الشديدة غير المحتملة، باتجاه لوح في الباب السحاب إلى أن أدركتها بيبي كوتشاما ببراعة ووجهت غضبها في الاتجاه الصحيح، إلى فيلوتا الواقف ساكناً جداً في الظلام. تابعت ماماتشي خطبتها العيفة المسهبة، بعينين فارغتين،

ووجهه ملئ وبشع، ثم دفعها غضبها باتجاه فيلوثا حتى أصبحت تصرخ في وجهه تمام. وكان باستطاعته الشعور برشاش بصاقها وان يشم الشاي النبات في أنفها. بقيت بيبي كوتشاما قريبة من ماماتشي. لم تقل شيئاً، لكنها كانت تستخدم يديها لتُظلم غضب ماماتشي، وتوجهه من جديد، تربتة مشجعة من الخلف. ذراع مطمئنة حول الكتف. ماماتشي كانت غير واعية مطلقاً بالمعالجة.

لكن من أين كانت سيدة عجوز مثلها - تلبس أثواب ساري مكوية مجمدة وتعزف كسارة البندق على الكمان في الأمسيات - قد تعلمت اللغة التي استعملتها ماماتشي ذلك اليوم، كان لغزاً بالنسبة للجميع (بيبي كوتشاما، كوتشو ماريما، وأمو في غرفتها المغلقة) من سماعها.

«أخرج!» صرخت، أخيراً. «إذا ما وجدتك غداً في ممتلكاتي سأخصمك كالكلب المنبوذ الذي هو أنت! سأقتلك!»

«سنرى بشأن ذلك»، قال فيلوثا بهدوء.

كان هذا كل ما قاله. وهذا ما عززته وزر كشته بيبي كوتشاما في مكتب المفتش توماس ماثيو، محولة إياه إلى تهديدات قتل واختطاف.

صقت ماماتشي في وجه فينوئا. بصفة سميكة. بللت بشرته. وفمه وعينه.

وقف هناك فحسب. مشدوهاً. ثم استدار وغادر.

وبينما كان يبتعد عن المنزل شعر بأحاسيسه تُشحذ وتشد. وكان كل شيء حوله يتمسّح في شكل مرتب. آلة تصوير مع كراس إرشاد يخبره ماذا يفعل. تشبّث عقله المتعطش بياس لنوع من أنواع الرسوم، بالتفاصيل. وعنون كل شيء صادقه.

بوابة. فكر عندما خرج من البوابة. بوابة. طريق. حجارة. شمس. مطر.

بوابة.

طريق.

حجارة.

شمس.

مطر.

كان المظر دافئاً على جلده. وصخور اللطريط مسنة تحت قدميه. كان يعرف أين سيذهب. لاحظ كل شيء. كل ورقة شجر. كل غيمة في السماء الخالية من النجوم. كل خطوة اتخذها.

Koo - Koo Kookum theevandi

Kooki paadum theevandi

Rapakal odum theevandi

Thalannu nilkum theevandi^(١)

كان هذا الدرس الأول الذي تعلمه في المدرسة. قصيدة عن قطار. بدأ بالعدّ. شي ما. أي شيء. واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة أحد عشر اثنا عشر ثلاثة عشر أربعة عشر خمسة عشر ستة عشر سبعة عشر ثمانية عشر تسعة عشر عشرون واحد وعشرون اثنان وعشرون ثلاثة وعشرون أربعة وعشرون خمسة وعشرون ستة وعشرون سبعة وعشرون ثمانية وعشرون تسعة وعشرون..

بدأت آلة التصوير بالتغيش. وتلصحت الخطوط الواضحة. لم يعد هناك أي معنى للارشادات. ارتفع الطريق ليلاقيه وأصبحت الظلمة أكثر كثافة. ولزوجة. أصبح الدفع خلالها جهداً. كالسباحة تحت الماء. إنه يحدث، أعلمه صوت. لقد بدأ.

طفا عقله الذي تقدّم في الزمن فجأة وبشكل مستعجل، خارج جسده وحوم عالياً فوقه في الهواء، غمغم بتحذيرات عديمة الفائدة.

نظر نحو الأسفل وتفزع على جسد شاب يسير خلال الظلام والمطر الجارف. كان ذلك الجسد يريد أن ينام أكثر من أي شيء آخر. أن ينام

(١) - قصيدة عن القطار وعن الأصوات التي يصدرها أثناء سيره (توت توت، تشك تشك ...). (الترجمة).

ويستيقظ في عالم آخر. مع رائحة جلدها في النفس الذي يتنفسه هو.
وجسدها فوق جسده. من المحتمل ألا يراها ثانية أبداً. أين هي؟ ماذا فعلوا لها؟
هل آذوها؟

تابع السير. لم يكن وجهه لا مرفوعاً باتجاه المطر ولا محنياً بعيداً عنه. لم
يرحب به، ولم يتحاشاه.

بالرغم من أن المطر غسل بصقة ماماتشي عن وجهه، إلا أنه لم يوقف
احساسه بأن أحداً قد خلع رأسه وتقياً داخل جسده. قيء متكثل يتقطر داخله.
فوق قلبه. فوق رئتيه. دلفت السماكة ببطء في تجويف معدته. جميع أعضائه
عُسلت بالقيء. لم يكن باستطاعة المطر أن يفعل شيئاً بشأن ذلك.

كان يعلم ما يجب عليه فعله. وجهه كتراس الارشادات. عليه أن يصل
إلى الرفيق ييلاي. لم يعد يدري لماذا. أخذته قدماه إلى المطبعة المخطوطة، التي
كانت مغلقة، ومن ثم عبر الساحة الصغيرة جداً إلى بيت الرفيق ييلاي.
فقط جهد رفع ذراعه لقرع الباب، أرققه.

كان الرفيق قد أنهى وجبة عشائه، وكان يسحق موزة طازجة مخرجاً
مسحوقها من خلال قبضته المغلقة داخل طبقه من اللبن الرائب، عندما قرع
فيلوثا. أرسل زوجته لتفتح الباب. عادت وهي مقطبة، واستثير الرفيق ييلاي
جنسياً فجأة. أراد أن يلمس صدرها حالاً. لكن كان هناك لبن رائب على
أصابعه وكان يوجد أحد بالباب. جلست كالاياني على السرير وربت شاردة
الذهن على ليتين، الذي كان نائماً بجانب جدته البالغة الصغر، وهو يمس
أصبعه.

«من هذا؟»

«ذاك الـ Paravan ابن بابن. يقول أنه يريدك لأمر عاجل».

أنهى الرفيق ييلاي لبنه الرائب من غير استعجال. نفخ أصابعه على
طبقه. أحضرت كالاياني الماء في وعاء فولادي لا يلصق وصبته له. ارتفعت

وطفت بقايا الطعام المتروكة في طبقه (تشيللي حمراء جافة، وعظام أفخاذ دجاج زاوية قاسية، محبوسة ومبصوقة). أحضرت له منشفة يدين. جفف يديه، تجشأ تشكراته، وذهب إلى الباب.

«Enda ؟ في مثل هذا الوقت من الليل ؟»

سمع فيلونا نفسه وهو يجيب، صوته يرتد إليه وكأنه كان قد ارتطم بجدار. حاول ان يشرح ما كان قد حدث، لكنه تمكن من سماع نفسه ينزلق في تصكك. كان الرجل الذي يتكلم إليه صغيراً وبعيداً، خلف جدار من الزجاج.

«هذه قرية صغيرة،» كان الرفيق بيلاي يقول. «والناس يتكلمون. وأنا أستمع إلى ما يقولونه. ليس الأمر كما لو كنت لا اعرف ماذا يجري.» مرة أخرى سمع فيلونا نفسه يقول شيئاً لم يهم في شيء الرجل الذي كان يتكلم معه. التف صوته حوله مثل أفعى.

«ربما،» قال الرفيق بيلاي. «لكن يا رفيق، كان عليك أن تعلم أن الحزب لم يؤسس ليدعم عدم انضباط العمال في حياتهم الخاصة.»

شاهد فيلونا جسد الرفيق بيلاي وهو يتلاشى عند الباب. بقي صوته الحاد والمفصول عن جسده ويبحث بشعارات. وأعلام البطولة ترفرف في ممر فارغ. إنه ليس من اهتمامات الحزب أن يتحمل أموراً كهذه.

اهتمامات الأفراد هي أمور ثانوية بالنسبة لاهتمامات المؤسسات.

انتهاك انضباط الحزب يعني انتهاك وحدة الحزب.

استمر الصوت. مقسماً الجمل في مقاطع. وكلمات.

تقدم الثورة.

إبادة العدو الطبقي.

كومبرادور الرأسمالية.

الرعد المنبثق.

وهاهو مرة أخرى، دين آخر يرتد ضد نفسه، صرح أنثنى بواسطة عقل
الإنسان، يباد بمعظمه بواسطة الطبيعة الإنسانية.

أغلق الرفيق يلاي الباب وعاد إلى زوجته وعشائه، قرر أن يأكل موزة
أخرى.

«ماذا كان يريد؟» سألت زوجته، وهي تسلمه واحدة.
«لقد اكتشفوا الأمر. لا بد وأن أحداً قد أخبرهم. لقد طردوه.»
«هل هذا كل شيء؟ إنه محظوظ أنهم لم يشنقوه على أقرب شجرة.»
«لاحظت أمراً غريباً...» قال الرفيق يلاي وهو يقشر موزته. «يوجد على
أصابعه طلاء أحمر...»

وهو واقف في الخارج تحت المطر، في البرد، في صوء مبلى قادم من
مصباح الشارع الوحيد، غلب النعاس فيلوثا فجأة. كان عليه أن يجبر جفنيه
على البقاء مفتوحين.

غداً، قال لنفسه. غداً عندما يتوقف المطر.

قادته قدماه إلى النهر. وكأنهما كانتا الرسن وكان هو الكلب،
التاريخ يقود الكلب.

العبور

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل. وكان النهر قد ارتفع، وكانت مياهه سريعة وسوداء، تتلوى كأفعى نحو البحر، حاملة معها سماءات الليل الغائمة، و سحفة بخيل بكاملها، وجزعاً من سياج قش، وهدايا أخرى كانت الريح قد أعصتها له.

وفي برهة أبطأ المطر متحولاً إلى رذاذ ثم توقف. هزّ النسيم الأشجار، ولفترة أمطرت فقط تحت الأشجار، حيث كان المكان مأوئاً فيما مضى.

رشح قمر مائي ضعيف عبر السحب وكشف شاباً جالساً على قمة الحجارة الثلاث عشرة التي تقود إلى داخل الماء. كان ساكناً جداً، ورضياً جداً. وشاباً جداً. وفي ثانية وقف وخلع الموندو الأبيض الذي كان يرتديه، وعصر الماء منه ولقعه حول رأسه كالعمامة. والآن نزل وهو عابياً درج الحجارة الثلاث عشرة. داخل الماء ومضى أبعد، حتى أصبح النهر يعلو صدره. ثم بدأ بالسباحة بضربات قوية سهلة، مجدداً حيث كان التيار سريعاً ومضموناً، حيث بدأ العمق الحقيقي. سقط النهر المضاء بضوء القمر من ذراعيه السابحتين كأكمام من فضة. لم يستغرق سوى بضعة دقائق ليقوم بالعبور. عندما وصل الضفة الأخرى خرج متلاًثناً وسحب نفسه باتجاه الشاطئ: أمود كالليل الذي يحيط

به، أسود كالماء الذي عبره.
حطاً على المر الذي يقود حلال المستنقع إلى بيت التاريخ.
لم يترك تموجات في الماء.
ولا بصمات أصابع على الشاطئ.
أمسك بموندوه منشوراً فوق رأسه ليحفظ. حملته الرياح كشراع. شعر
بالسعادة فجأة. ستسوء الأمور، قال لنفسه. ثم ستتحسن. كان يسير بسرعة
الآن، باتجاه قلب الظلمات. وحيداً كذئب.
إله الضياع.
إله الأشياء الصغيرة.
عارياً إلا من طلاء أظافره.

بعد بضعة ساعات

ثلاثة أطفال على ضفة النهر. زوج توأم وأخرى، كانت مريبتها القطنية البنفسجية تقول عطلة! في خط سعيد مائل.

تلألأت أوراق الأشجار مثل معدن مطروق. تدلّت أجسام كثيفة من خيزران أصفر في النهر وكأنها تخزن مسبقاً على ما كانت تعلم أنه سيحدث. النهر نفسه كان قائماً وهادئاً. غائباً أكثر منه حاضراً، دون أن يشي بأية إشارة عن مدى علوه وقوته في الحقيقة.

جزّ إستا وراحيل القارب خارج الشجيرات حيث كانا يخبئانه عادة. وكانت المجاديف التي صنعها فيلوتا مخبأة في شجرة مجوفة. أنزلاه إلى الماء وأمسكاه بثبات لتصعد إليه صوفي مول. ظهرا وكأنهما يتقان بالظلام ويتحركان أعلى وأسفل درج الحجارة اللامعة بأقدام واثقة مثل ماعز صغير.

كانت صوفي مول مترددة أكثر. وخائفة قليلاً مما يكمن في الظلال التي حولها. كان لديها حقيبة قماشية مملوءة بالطعام اختلس من البزاد مدلاة على عرض صدرها. خبز، كاتو، بسكويت. التوأم الثقيلان بكلمات أمهما. - لولاكما لكنت حرة. كان عليّ أن أرميكما في ميثم يوم ولادتكما. أنتما حجرا الطاحون حول عنقي - لم يحملنا شيئاً. فبفضل ما فعله رجل مشروبات

البرتقال والليمون لإمتسا كان يتتهما البعيد عن البيت مجهزاً بالأصل. وخلال أسبوعين، منذ أن جَدَفَ إستا مربي قمرزياً وفكّر بفكرتين، كانا قد غزّنا إمدادات أساسية: أعواد ثقاب، بطاطا، أوزة قابلة للنفخ، جوارب ذات ألوان أصابع متعددة، قلبي حبر ياصات لندن، ودب كوالا كاتشار ذي عيين زرقين محلولين.

«ماذا لو وجدتنا أَمَور رجتنا أن نعود ؟»

«عندها سنعود. لكن فقط إذا رجتنا».

أستا ال - حنون.

كانت صوفي مول قد أقنعت التوأم أنه من الضروري أن تذهب هي أيضاً. إن غياب الأطفال، كسر الأطفال، سيصعد من ندم وتبكيّت ضمير البالغين. سيجعلهم أسفين حقاً، كالبالغين في هاميلين بعد أن أخذ هايد بير^(١) جميع أطفالهم. سيحبون في كل مكان، وعندما يتأكدون أن ثلاثتهم ماتوا، سيعودون إلى البيت منتصرين. مقدّرين، محبوبين، ومحتاجاً إليهم أكثر من أي وقت مضى. كان نقاشها الحاسم أنه إذا ما تركاها فإنه من الممكن أن تُعَذَّب وتُجبر على كشف مكان اختبائهما.

انتظر إستا حتى صعدت راحيل، ثم اتخذ مكانه، جالساً منفرج الساقين في القارب الصغير وكأنه أرجوحة. استخدم رجله ليدفع القارب بعيداً عن الشاطئ. عندما تمايلا داخل المياه الأعماق بدأوا بالتجديف بشكل مائل ضد التيار، بالطريقة التي كان فيلونا قد علّمهما أن يجدفا بها. (إن كنتما تريدان أن تصلا إلى هناك، عليكما أن تتوجها إلى هناك.)

لم يستطيعا التمييز في الظلام أنهم كانوا على الخط الخاطئ في طريق عام صامت مليء بحركة مرور مكتومة الصوت. أن أغصاناً، وجذوعاً، وأجزاء من أشجار، كانت تقود باتجاههم في سرعة ما.

(١) هاميلين: مدينة في شمال ألمانيا، على نهر ويسر. مشهورة سياحياً لأنها مكان أسطورة هايد بير، والذي هو بطل قصيدة للشاعر روبرت براونينغ. (الترجمة).

كانا قد قطعاً الهموق الحقيقي، فقط على بعد ياردات من الضفة الأخرى، عندما اصطدموا بجذع شجرة عائم وانقلب القارب الصغير. كان هذا قد حدث معهما لمرات كثيرة كافية في بعثات سابقة عبر النهر، وكانا يسبحان خلف القارب، مستخدميه كطوف، مجدّفين بأرجلهما حتى الشاطئ. هذه المرة، لم يستطعا رؤية قاربهما في الظلام. وانجرف مع التيار. توجهوا إلى الشاطئ، مندهشين من الجهد الشديد الذي تطلبت منهما هذه المسافة القصيرة. تمكن إستا من التقاط غصن منخفض محني نحو الأسفل في الماء. حدّق في النهر خلال الظلام ليرى إن كان بإمكانه رؤية القارب على الإطلاق.

«لا أستطيع رؤية أي شيء. لقد ذهب.»

تسلّقت راحيل المغطاة بالوحل الكثيف إلى الشاطئ ومدّت يدها لتساعد إستا في سحب نفسه خارج الماء. استمرقا بضعة دقائق ليلتقطا أنفاسهما ويؤثقا ضياع القارب. ويتحسّرا على فقدانه.

«وقد صعامنا كله،» قالت راحيل لصوفي مول وقوبلت بالصمت. صمت سباحة أهماك متدرجة متدفة.

«صوفي مول؟» همست لنهر المتدفع. «نحن هنا! هنا! قرب شجرة الإليميا^(١)»

لا شيء.

طقظت فرائة بابانشي فاتحة جناحيها المنعمن فوق قلب راحيل.

إلى الخارج.

إلى الداخل.

ورفعت رجليها.

إلى الأعلى.

إلى الأسفل.

(١) - شجرة ضخمة ترمي ظللاً كثيرة. (الترجمة).

ركضاً على طول الضفة يناديان عليها. لكنها كانت قد ذهبت. جُرفت بعيداً على الطريق العام المكتوم الصوت. الأخضر الرمادي. بأسمائه وأشجاره. وفي الليل، بالقمر الأصفر المكسور فيه.

لم تكن هناك موسيقى عاصفة. ولا دوامة تدور عالياً منبعثة من الأعماق الحيرية للميناثال. ولا قرش يشرف على المأساة.

فقط تسليم هادئ بمراسم. قارب يسفح حمولته. ونهر يتقبل العرض. حياة صغيرة واحدة. شعاع شمس مختصر. بكشبان فضي مغلق عليه من أجل الحظ في قبضته الصغيرة.

كانت الرابعة صباحاً، وما يزال الظلام حالكاً، عندما اتخذ التوأم المرهقين، الناهلين والمغطين بالطين طريقهما عبر المستنقع واقتربا من بيت التاريخ. هانسل وغريتل في قصة جنّ حيث يُقبض فيها على أحلامهما ويُعاد حلمها. تمددا في الشرفة الخلفية على بساط عشب مع أوزة قابلة للنفخ ودب كوالا كانتس. زوج أقزام مبلبل، مخدرين بالخوف، ينتظران أن ينتهي العالم.

«هل تعتقد أنها ماتت الآن؟»

لم يجب إستا.

«ماذا سيحدث؟»

«سندخل السجن.»

كان يعرف بشكل جيد كما ينبغي. رجل صغير. كان يعيش في كارا - فان. ترالا لا.

لم يريا أحداً آخر مستلقياً ينام في الظلال. كذئب وحيد. وورقة شجر بنية على ظهره الأسود. تجعل الريح الموسمية تأتي في حينها.

محطة ميناء كوتشين

في غرفته النظيفة في منزل أيمينيم القذر، جلس إسمتا (ليس متقدماً في السن، وليس شاباً) على سريره في الظلام. جلس مستقيماً جداً. كتفاه مربعتان. ويداه في حجره. وكأنه كان التالي في نوع من أنواع التفتيش. أو ينتظر أن يُلقى القبض عليه.

كان الكي قد أُنجِز. وتوضع في كومة مرتبة على لوح الكوي. كان قد كوى ملابس راحيل أيضاً.

كانت تمطر بانتظام. مطراً ليلياً. قارع الطبل ذاك، كان يمارس دوره بعد وقت طويل من ذهاب بقية الفرقة للنوم.

في الردهة الجانبية، إلى جانب مدخل «احتياحات الرجال»، التمتعت الرفاريف الكرومية للبيموث القديمة للحطة في البرق. منذ أن غادر تشاكو إلى كندا وبيبي كوتشاما جعلها تُغسل بانتظام. فمقابل أجر زهيد كان صهر كوتشو ماريا الذي يقود شاحنة القمامة الصفراء في كوتايام، يدخل منزل أيمينيم مرتين في الأسبوع (مُعلناً عه بنتانة قمامة كوتايام التي تبقى حتى بعد وقت طويل من انتهائه) ليجرّد أخت زوجته من معاشها وليقود البيموث في جولة ليبقي على البطارية مشحونة. عندما انشغلت بيبي كوتشاما بالتلفزيون، نهدت السيارة والحديقة في آن واحد. توتي فروتي.

مع كل ريح موسمية، كانت السيارة القديمة تتمسح بثبات أكبر على الأرض. مثل دجاجة زاوية متصلة تستقر بعناد على قبضة بيوضها. دون أية نية بالقيام مطلقاً. نما العشب حول دواليبها المنقوسة. تفسخت لوحة مخملات ومعلبات الجنة وسقطت داخلاً مثل تاج منهار. اختلس زاحف نظرة إلى نفسه في النصف لبقع المتبقي من مرآة السائق المتصدعة.

تمدد عصفور دوري ميتاً على المقعد الخلفي. كان قد شق طريقاً إلى هناك عبر فجوة في التزجاج الأمامي. مستدرجاً بعض إسفنجة مقعد من أجل عشه. ولم يحذ طريقه نحو الخارج أبداً. لم يلاحظ أحد مناداته المذعورة من خلال نافذة السيارة. مات على المقعد الخلفي، ورجلاه في الهواء، كمزحة.

كانت كوتشر ماريا نائمة على أرض غرفة المكتب، ملتفة بشكل فاصلة في الضوء المرجف للتلفزيون الذي كان ما يزال شغالاً. شرطي أميركي كان يحشر مراهقاً مكبل اليدين داخل سيارة شرطة. كان يوجد دم مرشوش على الرصيف. التمعت أضواء سيارة الشرطة وولونت صفارة إنذار في تحذير. امرأة هزيلة، أم الصبي وباء، كانت ترافق بذعر من النمل. كان الصبي يصارع. كانوا قد استخدموا غشاوة سيفسائية على القسم الأعلى من وجهه فلا يتمكن من مقاضاتهم. غطت قشرة متصلة من الدم كامل وجهه وفي الأسفل مقدمة كنزته مثل مريلة حمراء. شفتاه الورديتان الخاصتان اللتان كشفتني طفل، كانتا رففعتين فوق أسنانه في زمجرة. بدا كإنسان مسخ ذئباً. صرخ من خلال نافذة السيارة باتجاه الكاميرا.

«أنا في الخامسة عشر من عمري وأتمنى لو كنت شخصاً أفضل. لكنني لست كذلك. هل تريدون سماع قصتي المؤثرة؟»
صق على الكاميرا ورشت قذيفة من البصاق العدسة وتقطرت نحو الأسفل.

كانت بيبي كوتشاما في غرفتها، جالسة في سريرها، تملأ قسيمة تخفيض

ليستيرين، التي تقدّم عرضاً بخصم رويتين لزجاجتهم الجديدة ذات الـ ٥٠٠ مل وابطالات بألفي روية تُعطى للرايح انمظوظ ليا نصيبهم.

انقضّت ظلال عملاقة لحشرات صغيرة على طون الجدران والسقف. وللتخلص منها كانت بيبي كوتشاما قد أطفأت النور وأشعلت شمعة كبيرة في حوض ماء. كان الماء قد أصبح سميكاً بالجنث المتساقطة. أبرز ضوء الشمعة خديها الخشنين وفمها المطلي. كانت مسكرتها ملطخة. وحليتها تتلألأ.
أمالت القسيمة باتجاه الشمعة.

أي ماركة من مطهر قم تستعمل عادة؟

ليستيرين، كتبت بيبي كوتشاما يد أصبحت عنكبوتية بتقدّم السن.
وضّح أسباب تفضيلك له:

لم تتردد. ذو نكهة مميزة. ونفس تقي. كانت قد تعلّمت لغة إعلانات التلفزيون الذكية اللاذعة.

ملأت إسمها وكذبت بشأن سنّها.

نحت المهنة: كتبت، تزوين حدائق من معهد روتش. الولايات المتحدة الأمريكية.

وضعت القسيمة في المغلف وعنونت أطباء مورفوفون. كوتشام. سذهب مع كوتشو ماريا في الصباح، عندما تذهب إلى المدينة في بعثاتها إلى أفضل مخبز لكحك الزبدة.

التقطت بيبي كوتشاما دفتر يومياتها الكستنائي الذي جاء مع قلمه الخاص. فتحت صفحة ١٩ حزيران وبدأت بداية جديدة.

كانت طريقتها روتينية. كتبت: أنا احبك أنا احبك.

كل صفحة في اليوميات كان لها هداية مماثلة. كان لديها صندوق مملوء بدفاتر يوميات بدايات مماثلة. وفي بعضها كُتب أكثر من ذلك. كان يوجد في بعضها حسابات اليوم، وقوائم بالأمر التي عليها فعلها، ومقتطفات من حوارات مميزة من مسلسلات مفضلة، لكن حتى هذه البدايات جميعها، كانت تبدأ دوماً بالكلمات ذاتها: أنا أحبك أنا أحبك.

كان الأب موليفان قد توفي منذ أربع سنوات بالتهاب كبد فيروسي، في دير في شمال ريشيكش. كانت سنوات تأمله في كتاب الهندوسية المقدس قد قادت في البداية إلى فضول لاهوتي، لكنها في النهاية قادت إلى تغيير في الاعتقاد. قبل خمسة عشر عاماً، أصبح الأب موليفان فايشنافا^(١). نصيراً للرب فيشو^(٢). بقي على اتصال مع بيبي كوتشاما حتى بعد أن انضم للدير. كان يكتب إليها في كل عيد ويرسل لها بطاقة معايدة في كل سنة جديدة. ومنذ بضعة سنوات أرسل لها صورة لنفسه يخطب في حشد من أرامل الطبقة الوسطى في بونجاوي في مخيم روحي. كانت النساء بالأبيض وأتواهن الساري مسحوبة فوق رؤوسهن. كان الأب موليفان يرتدي ثوباً بلون الزعفران. محملاً يخطب في بحر من البيض المملوق. كانت لحيته البيضاء وشعره الأبيض طويلين، لكنهما مسرّحين ومهندمين. بابا نويل زعفراني برماد نذريّ على جبينه. لم تستطع بيبي كوتشاما أن تصدق. كانت الشيء الوحيد الذي أرسله لها ولم تحتفظ به. لقد أهينت بحقيقة أنه كان قد ارتد عن نذوره فعلاً، وأخيراً، لكن ليس من أجلها. بل من أجل نذور أخرى. كان الأمر يشبه الترحيب بأحد ما بذراعين مفتوحتين، فقط لجعله يسير مباشرة إلى ذراعي أحد آخر.

لم يغير موت الأب موليفان من نص البدايات في يوميات بيبي كوتشاما، لأنه ببساطة، وبقدر ما كان يعنيه الأمر، لم يغير من تواجهه. وإن كان قد غيّر شيئاً ما، فهو أنها امتلكت في موته بطريقة لم تمتلكه بها أبداً عندما كان حياً. على الأقل ذكرياتها عنه كانت لها. بأكملها لها. بهمجية، بعنف، لها. وليس ليتم مشاركتها مع الايمان، وأقل بكثير مع راهبات شريكات منافسات، وزاهدين شركاء أو أيّ ما كانوا يدعون أنفسهم. سواميون^(٣) شركاء.

(١) - عابد للإله فيشو. (المترجمة).

(٢) - فيشو: أحد الآلهة الرئيسيين في الهندوسية ، وهو حامي وحافظ الكون. يُصور على أنه ثالث ثلاثة مع براهما وشيفا. (المترجمة).

(٣) - سوامي: معلم دين هندوسي . (المترجمة).

ألغى الموت رفضه لها في الحياة (بالرغم من كون ذلك بلطف وعطف). في ذكرياتها عنه، كان يعانقها. هي فقط. بالطريقة التي يعانق فيها رجل امرأة. وما إن مات حتى جردت بيبي كوتشاما الأب موليفان من أثواب الزعفران السخيفة وألبسته لباس كاهن الكوكا كولا الذي كانت تحبه كثيراً. (وأثناء التبدل، تمتعت حواسها، بذلك الجسد المسيحي المقر النحيل) انتزعت قصعته الخاصة بالتسول والتضرع، ونظّفت ورتبت أظافر قدميه الهندوسيتين القرنيتين وأعدت إليه صندله المريح. أعادت تحويله إلى الجمل عالي الخطوات الذي كان يأتي للغذاء في أيام الثلاثاء.

وفي كل ليلة، ليلة بعد ليلة، وسنة بعد سنة، في يوميات بعد يوميات بعد يوميات، كتبت أنا أحبك أنا أحبك.

أعدت القلم في عروة القلم وأغلقت دفتر اليوميات. خلعت نظارتها، خلخلت بلسانها طقم أسنانها وأخرجته فاصلة حبال اللعاب التي تربطه مع لثتها مثل أوتار محلولة لغيتار، وأسقطته في كأس من الليستيرين. غاص إلى القاع وبعث نحو الأعلى بفقااعات صغيرة، مثل صلوات. شربها المسكر قبل النوم. مياه غازية لايتسامة مبطقة. أسنان ذات نكهة ممبزة في الصباح.

استندت بيبي كوتشاما إلى وسادتها وانتظرت أن تخرج راحيل من غرفة إستا. لقد بدأ في إقلاقتها، كليهما. فمند بضعة صباحات، كانت قد فتحت نافذتها (من أجل نفّس من الهواء النقي) وأمسكت بهما متلبسين بجرم العودة من مكان ما. كان من الواضح أنهما كانا قد أمضيا الليل بأكمله في الخارج. معاً. أين من المحتمل أنهما كانا؟ ماذا وكم يتذكران؟ متى سيفادران؟ ماذا كانا يفعلان، جالسين معاً في الظلام طوال هذه المدة؟ نامت مستودة بوسادتها، تفكر أنه ربما، بسبب صوت المطر وصوت التلفزيون لم تكن قد سمعت باب إستا يُفتح. وأن راحيل قد ذهبت إلى النوم منذ وقت طويل.

لم تكن.

كانت راحيل مستلقية على سرير إستا. كانت تبدو أكثر نحولاً وهي

مستلقية. وأكثر شباباً. وأصغر. كان وجهها متجهاً نحو النافذة التي بجانب السرير. مطر مائل كان يضرب قضبان النافذة ويتبعثر إلى رشاش رفيف فوق وجهها وذراعها الملساء العارية. كانت كنزتها القطنية الطرية، التي بدون أكمام صفراء زاهية في الظلام. وذاب الجزء السفلي منها، الذي في جينز أزرق، في العتمة.

كان الجو بارداً قليلاً. ورطباً قليلاً. هادئاً قليلاً. الهواء.

لكن ماذا كان هناك ليقال؟

كان باستطاعة إستا من مكان جلوسه عند طرف السرير، أن يراها دون أن يدير وجهه. ملخصة بشكل ضعيف. الخط الخاد لفكها. ترقوتها التي مثل جناحين انتشرا من قاع حنجرتها إلى نهايات كتفيها. طيراً أسك بجلد. أدرات رأسها ونظرت إليه. كان جالساً مستقيماً جداً، ينتظر تفتيشاً. وقد أنهى كويته.

كانت جميلة ومحبة بالنسبة له. شعرها. خداه. ابتسامتها، يداها الذكيّتان المظهر. أخته.

دار صوت في رأسه. صوت قطارات مارة. الضوء والظلال، والضوء والظلال التي تقع عليك إذا ما كنت جالساً على مقعد بجانب النافذة. جلس باستقامة أكثر. وما زال بإمكانه رؤيتها. وقد نمت في جلد أمهما. الومضة السائلة لعينها في الظلمة. انفها استقيم الصغير. فمها، ذو الشفتين المليئتين. كان هناك شيء جريح لظهر بخصوصه. وكأنه كان يحفل من شيء ما. وكأن أحداً ما، منذ زمن بعيد - رجلاً بخوام - كان قد ضربها عليه. فم مجروح جميل.

فم أمهما الجميل، فكر إستا. فم آمو.

الذي قتل يده من خلال نافذة القطار ذات القضبان. درجة أولى، من مدارس ميل إلى مدارس.

«وداعاً، إسناء، فليباركك الله،» قال فم أمو، فم أمو الذي يحاول ألا
يكي.

كانت واقفة على رصيف محطة ميناء كوتشين، ووجهها موجه إلى أعلى
ناحية نافذة القطار. وبشرتها رمادية، شاحبة ممتقعة. أفقدها ضوء المحطة النيوني
بريقها المنير. أوقف ضوء النهار بانقطاعات على الجهتين. سدادات طويلة
احتفظت بالعممة معبأة داخلها. مدارس ميل. راني^(١) الطائرة.

راحيل المكبوحة بيد أمو. بعوضة في رسن. حشرة ماصة لاجئة في صندل
باتا. جنية مطار في محطة قطار. كانت تدق قدميها على الرصيف، مشيرة سحباً
من قاذورات محطة راسخة. إلى أن هزتها أمو وقالت لها أن توقف ذلك
فلأوقفته. ومن حولهما الحشد المتجمع المتدافع.

يهرولون يشترتون يبيعون يدحرجون أمتعة يدفعون للحمالين أطفال
يتفوطون أناس يصفقون يذهبون ويجيئون يتسولون و يساومون و يتفقدون
الحجوزات.

أصوات محطة ذات صدى.

باعة متجولون يبيعون قهوة. شاي.

أطفال نحيلون، شقر من سوء التغذية، يبيعون مجلات بذئبة وطعاماً ليس
في وسعهم أكله هم أنفسهم.

شوكولاتة ذائبة. حلوى بشكل سيجارات.

مشروبات يرتقال.

مشروبات ليمون.

كوكا كولا فانتا بوطة روز ميلك.

دمى ذات جلد وردي. خشخاشات. الحب - في - طوكيو.

بيقات بلاستيكية مجوفة مليئة بحلوى ذات رؤوس تستطيع أن تفكها.

نظارات شمسية صفراء ذات إطارات حمراء.

(١) - راني: ملكة هندوسية. (الترجمة).

ساعات لعبة بالوقت مرسوماً عليها.
عربات من فراش أسنان معيوبة.
محطة ميناء كوتشين.

رمادية في ضوء المحطة. أناس مقعرون. مشردون. جائعون. ما زالوا
متأثرين بمجاعة السنة الماضية. عُلقَت ثورتهم للوقت الحاضر من قبل الرفيق ي.
م. س. نامبوديرياد (الحجاسوس السوفييتي، الكلب الهارب). قرة عين بكين
السابق.

كان الهواء سميكاً بالذباب.

رجل أعمى دون جفنين وعينين أررق كجيز باهت، جلده منقرّ بندوب
الجدري، كان يثرثر مع حقال دون أصابع، يأخذ شحطات بارعة من أعقاب
سيجارات مكلسة كانت مرمية بجابه فوق الكومة.

«وماذا عنك؟ متى انتقلت إلى هنا؟»

وكأنه كان لديهما الخيار. وكأنهما كانا قد اختارا هذا ليكون بينهما من
صف شاسع من المزارع السكنية المدرجة في قائمة في كتيب لأمع.

نزع رجل جالس على آلة وزن حمراء رجله الاصطناعية (من الركبة
وحتى الأسفل) مع حذاء أسود وجورب ظريف مرسوم عليها. كانت ريلة
الساق المتكتلة المخوفة وردية، مثلما يجب أن تكون عليه ريلات الساق
الصحيحة. (عندما تخلق ثانية صورة الرجل، فلماذا تكرر أخطاء الله؟) كان
يخزّن في الداخل بطاقته. ومنشفته. وكوبه الفولاذي الذي لا يلصق. راحته.

أسراره، حبه، جنونه، أمله، فرحه اللامحدود. كانت رجله الحقيقية عارية.

اشترى بعض الشاي من أجل كوبه.
تقيأت سيدة عجوز. بركة متكتلة. وتابعت حياتها.
عالم المحطة. سيرك المجتمع. حيث ومع اندفاع المتاجرة، يأتي اليأس إلى
البيت ليجم ثم يتصلب ببطء في استسلام.
لكن في هذه المرة، بالنسبة لآمو وتوأما ذي البيضتين لم يكن يوجد نافذة
بليموث ليشاهدوه من خلالها. ولا شبكة لتقذهم وهم يقفزون هواء السيرك.
احزمني أشياءك وغادري، كان تشاكو قد قال. وهو يدعس على باب
محطم. ومقض في يده. ولم ترفع آمو نظرها عن حياتها غير الضرورية،
بالرغم من أن يديها كانتا ترتجفان، شريطة رفيعة كانت متوضعة مفتوحة في
حجرها.
لكن راحيل نظرت نحو الأعلى. ورأت أن تشاكو كان قد اختفى وترك
وحشاً في مكانه.

رحل بشفاه سميكة وخواتم، هادئاً في ثياب بيضاء، اشترى سيجارات من
بائع رصيف. ثلاث علب. ليدخن في ممر القطار.
إشباع
للرجال النشيطين.

كان مرافق إستا. صديقاً للعائلة تصادف أنه ذاهب إلى مدارس. السيد
كورين ماثن.

فحيث أنه كان سيتم التعامل مع إستا بشكل ناضج على أي حال، لم تر
ماماتشي من داع لانفاق المزيد من النقود على بطاقة إضافية. كان بابا سيشتري
بطاقة مدارس - كالكوستا. وكانت آمو تشتري الوقت. هي أيضاً عليها أن تحزم
أشياءها وتغادر. أن تبدأ حياة جديدة، بحيث يكون في وسعها أن تحتفظ
بطفليها. وحتى ذلك الحين، تقرر أن فرداً واحداً من التوأم بإمكانه البقاء في

منزل أيمنيم. وليس الاثنان. فقد كانا مشكلة معاً. سلباً يف امهتياً^(١). كان يجب فصلهما.

ربما هم على حق، قال همس مو وهي تحزم حقيبته وجرايد. ربما يحتاج الولد لبأيا بالفعل.

كان الرجل ذو الشفاء السمكة في العربة المجاورة لعربة إستا. قال انه سيحاول أن يذل المقعد مع أحد ما حالما ينطلق القطار. وللوقت الحالي ترك العائلة وحدها.

كان يعلم أن ملاكاً جهنمياً يرفرف فوقهم. يذهب أينما يذهبون. ويتوقف أينما يتوقفون. مقطراً شمعاً من شمعة محنية. كان الجميع يعلم.

لقد نُشر في الجرائد. نبأ موت صوفي مول، ونبأ «صدام» الشرطة مع Paravan متهم بالخطف والقتل. ونبأ حصار الحزب الشيوعي اللاحق لثقلات ومعلبات اللجنة برعامة صليبي أيمنيم المدافع عن العدالة والناطق الرسمي للمضطهدين والمستضعفين. الرفيق ك. م. ن يلاي الذي ادعى أن الإدارة قد ورطت الـ Paravan في قضية شرطة مزورة لأنه كان عضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي. وأنهم أرادوا أن يقصوه لانغماسه في «نشاطات نقابية قانونية». كل هذا كان في الجرائد. الرواية الرسمية.

بالتطبع لم يكن لدى الرجل ذي الشفتين السمكيتين أدنى فكرة عن الرواية الأخرى.

التي عبر فيها رجال شرطة غير منبذين بهر الميناتشال، الراكد والمتضخم جراء المضرة^(٢) الأخيرة، واتخذوا طريقهم عبر النباتات الرطبة، متجمعين داخل قلب الظلمات.

(١) - مقلوب: إبليس في أعينهما. (المترجمة).

(٢) - مضرة، نأيت لمطر. (المترجمة).

بيت التاريخ

عبر حمند من رجال شرطة غير المبوذيين نهر المينانتال، الراكد
والمتضخم من آخر إمطار، واتخذوا طريقهم عبر النباتات الرطبة، وأغلال
تصلصل في جيب أحدهم الثقيلة.

كانت سراويلهم القصيرة العريضة الكاكية متصلة بالنشاء، ومتمايلة فوق
العشب الطويل مثل صف من تنانير متخشبة، مستقلة تماماً عن الأعضاء التي
تنحرك داخلها.

كانوا ستة: مأمورو الولاية...

أدب

طاعة

ولاء

ذكاء

كدياسة

كفاءة^(١).

(١) - ملاحظة: صيغت هذه الكلمات بحيث يقابل الحرف الأول في كلّ منها أحرف
كلمة شرطة بالإنكليزية (Police). (المترجمة).

شرطة كوتايام. فضيلة من الكرتون. أمراء عصر جديد في خوذ مديبة
مضحكة. كرتونية مبطنة بالقطن. مبقعة بزيت شعر. تيجانهم الرثة الكاكية.

ظلام القلب.

فتاك القصد.

رفعوا أرجلهم النحيلة عالياً وهم يسرون بشاقل خلال العشب الطويل.
علقت زواحف أرضية في شعر أرجلهم المبلل بالندى. وزيت قشور وأزهار
عشبية جواربهم الباهتة. نامت ديدان بنية في نعال أحذيتهم الفولاذية الأطراف،
الخاصة بغير المبوذين. وترك عشب حشن جلودهم مسلوخة ومتقطعة بالجروح.
ضربت وحل رطب تحت أقدامهم وهم يسحقون عبر المستقع.

ساروا مجهدين مارين بطيور الرقة في أعالي الأشجار، تجفف أجنحتها
المبللة ناشرة إياها كغسيل باتجاه السماء. مارين بطيور البلسون. بالقاق.
بالقلاق. بطيور كركي تبحث عن فضاء للرقص. بطيور مالك الحزين أرجوانية
قاسية العينين. مضمة بـ واك واك واكاتها. باناث طيور وبيوضها.
كانت حرارة الصباح الباكر مليئة بالوعد بأن الأسوأ آت.

خلف المستقع الذي تصوح منه رائحة مياه راكدة، ساروا مارين بأشجار
قديمة محجوبة بكروم. نباتات ماني^(١) عملاقة. بفيلة برية. بشجيرات
أرجوانية متساقطة.

مارين بخنافس زرقاء غامقة متوازنة على أنصال أعشاب غير منحنية.
مارين ببيوت عنكبوت هائل صعدت في وجه المطر وانتشرت كشائعات
مهموسة من شجرة إلى شجرة.

زهرة موز مُغلدة في قنابة^(٢) أرجوانية داكنة متدلية من شجرة ممزقة
وقدرة الأوراق. تحفة معروضة بواسطة طالب مدرسة قدر. جوهرة في الأدغال
المحملية.

(١) - نوع من النباتات يُقال أنه عندما ينمو يحصل المرء على الكثير من المال. (المترجمة).

(٢) - ورقة في فاع أو ساق الزهرة. (المترجمة)

تزاوجت يعاسب قرمزية في الهواء. على مستويين. ببراعة. تفرّج شرطي
معجب وتساهل بايجاز عن ديناميكية جماع العسوب، وماذا يتحول إلى ماذا.
ثم طقطق عقله منتبهاً وعادت أفكار الشرطة.

إلى الأمام.

مارين بكثبان نمل متخثرة في المطر. هابطة مثل حراس مخدرين نائمين
عند بوابة الجنة.

مارين بفراشات منساقة في الهواء كرسائل معيدة.

بسراخس هائلة.

بحرياء.

بورود مريئة.

بانطلاقة لطير أدغال راكضاً ينشد تغطية.

بشجرة جوز الطيب التي لم يجدها فيلها بابن.

بقناة متشعبة. راكدة. مختنقة بالطحالب. مثل أنعى خضراء ميتة. وجذع
شجرة فوقها. اختال رجال الشرطة غير المنبذين وهو يعبرون. ملوحين بهراوات
من الخيزران المصقول.

جنيات مشعرانية بصوّلجانات مميتة.

ثم انكسر نور الشمس بجذوع نحيلة لأشجار مائلة. ظلمة القلب على
رؤوس أصابعها داخل قلب الظلمات. وتساعد صوت صرير الصراصير.

خططت سناجب رمادية جذوع مبرقشة لأشجار مطاط مائلة باتجاه
الشمس. وندوب قديمة مشرطة في ألحيتها. مغلقة. معاناة. غير مُستَغلة.

هكتارات من هذا، ثم، أرض معشوشبة. وبيت.

بيت التاريخ.

الذي كانت أبوابه مغلقة ونوافذه مفتوحة.

بأرضية من الحجارة الباردة، وظلال متموجة بشكل مفر على الجدران.
حيث أسلاف شميور بأظافر أقدام قاسية وأنفاس تفوح منها رائحة
خراائط صفراء، يهمسون همساً ورقياً.

حيث تعيش عظمات نصف شفاقة وراء اللوحات.

حيث يقبض على الأحلام ويُعاد حلمها.

حيث شبح رجل انكليزي عجوز منجل إلى شجرة، ألغى بزوج من توأم
يضتين - جمهورية متحركة بفخة شعر كان قد غرز علماً ماركسياً في الأرض
بجانبه. وبينما كانت فصيلة رجال الشرطة يختالون مارين، لم يسمعهو يتوسل.
بصوته اللطيف الخاص بالمبشرين. ومهم... من فضلك؟ هل، لل... ليس من
المحتمل يحدث أن يكون معك سسس... سيجار، لا أظن أن معك سيجار؟
لا... لا؟ لم أظن ذلك؟

بيت التاريخ.

حيث في السنين التي تلت، سيدفن الرعب في قبر ضحل. مخبأ تحت
الدندنة السعيدة لظهاة لفندق. وفي إذلال شيوعيين قدماء. في الموت البطيء
للقاصين. وفي لعب التاريخ التي يأتي سياح أغنياء للعب بها.
كان منزلاً جميلاً.

أيض الجدران، أحمر السقف، فيما مضى. لكنه كان مطلباً بألوان
الطقس الآن. بفراش مغموسة في علية ألوان الطبيعة. أخضر حشيشي. بني
تراي. أسود مفتت. جعلته يبدو أكبر مما كان في الحقيقة. مثل كنز غارق
مجروف من قاع المحيط. عليه قبلة حوت وبرنقيل. ومقطط بالصمت. يتنفس
قاعات من خلال نوافذه المخطمة.

شرفة عميقة تحيط به من جميع الجهات. والغرف ذاتها مرتاحة ومدفونة
في الظل. انحرف السقف المائل إلى الأسفل كأطراف قارب ضخم مقلوب.
وتشابكت دعائم غفنة لأعمدة كانت بيضاء فيما مضى في المركز، تاركة
ثقباً متشابهاً فاغر الفم. ثقب تاريخ. ثقباً بشكل التاريخ في الكون، والذي كانت

تَمُورُ خِلالَهُ عِنْدَ الْغَسَقِ سَحَبٌ كَثِيفَةٌ مِنْ خُفَافِيشٍ صَامِتَةٍ مِثْلَ دُخَانِ مُصْنَعٍ وَتُسَاقُ دَاخِلَ اللَّيْلِ.

عَادُوا عِنْدَ الْفَجْرِ مَعَ أَخْبَارٍ عَنِ الْعَالَمِ. سَدِيمٌ رَمَادِي فِي الْمَسَافَةِ الزَّهْرِيَّةِ التَّحْمِ وَاسْوَدَّ فَجْأَةً فَوْقَ الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ تَهْبِطَ مِنْ خِلَالِ ثَقْبِ التَّارِيخِ كَدُخَانٍ فِي فِيلِمٍ يَسِيرُ بِالْمَقْلُوبِ. كَانَتْ أَخْفَافِيشُ تَنَامُ طَوَالَ النَّهَارِ. مَبْطُنَةُ السَّقْفِ كَالْفَرَاءِ. وَمَلْطُخَةُ الْأَرْضِ بِالْخَرَاءِ.

تَوَقَّفَ رِجَالُ الشَّرْطَةِ وَانْتَشَرُوا. لَمْ يَكُونُوا بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ فِي الْوَاقِعِ لَكِنْ أَلْعَابُ غَيْرِ الْمُنْبُوذِينَ، هَذِهِ كَانَتْ تَعْجِبُهُمْ. مَرَكَّزُوا أَنْفُسَهُمْ بِشَكْلِ امْتِرَاطِيحِي. جَائِمِينَ بِقَرَبِ جِنْدَارِ الْحِجَارَةِ الْمُتَاخَمِ الْمُنْتَخَفِضِ وَالْمَحْطَمِ.

تَبُولُ سَرِيعٌ.
رَغْوَةٌ سَاخِئَةٌ عَلَى حِمَارَةٍ دَافئةٍ. بُولُ شَرْطَةٍ.
تَمَلُّ غَارِقٌ فِي فَوَارٍ أَصْفَرٍ.
أَنْفَاسٌ عَمِيقَةٌ.

ثُمَّ زَحَفُوا مَعًا، عَلَى رُكْبِهِمْ وَأَكْرَاعِهِمْ، بِاتِّجَاهِ الْبَيْتِ. كَرَجَالُ شَرْطَةٍ فِي فِيلِمٍ. يَهْدُوْنَ، يَهْدُوْنَ غَيْرَ الْعَشْبِ، هَرَاوَاتٍ فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَسَدَسَاتٍ فِي عَقُولِهِمْ. وَمَسْئُولِيَّاتٍ بِخُصُوصٍ مُسْتَقْبَلِ غَيْرِ الْمُنْبُوذِينَ عَلَى أَكْتَافِهِمُ النَّحِيلَةَ لَكِنْ الْقَدِيرَةَ.

وَجَدُوا ضَالَّتَهُمْ فِي الشَّرْقَةِ الْخَلْفِيَّةِ. نَفْخَةٌ شَعْرٌ مُقْسَدَةٌ. وَنَافُورَةٌ فِي الْحَبِّ - فِي - طَوَكِيو. وَفِي زَاوِيَةِ أُخْرَى (وَحِيداً كَالذَّنْبِ) - نَجَاراً ذِي أَظَافِرٍ مَطْلِيَّةٍ بِلَوْنِ الدَّمِ.

نَائِماً، جَاعِلاً مِنْ كُلِّ عَمَلِيَّاتِ الْبِرَاعَةِ وَالْدِهَاءِ وَالْاِحْتِيَالِ الْخَاصَّةِ بِغَيْرِ الْمُنْبُوذِينَ، تِلْكَ، هَرَاءٌ.

الانقضاء المفاجئ.

العناوين الرئيسية في رؤوسهم.

مجموع يائس يقع في شبكة شروطة.

من أجل هذه الوقاحة والغرسة، من أجل إفساد المرح هذا، سيدفع
طريدتهم الثمن. أوه نعم.
أيقظوا فيلوثا بأحذيتهم.

استيقظ أستاذان وراحيل على صرخة نوم متفاجئة من تهشم عظام ركبة.
ماتت الصرخات داخلهما وطفئت أعلى بطنيهما، مثل أسماك ميتة.
انكمشا على الأرض، متأرجحين بين الذعر وعدم التصديق. أدركا أن الرجل
الذي يضرب كان فيلوثا. من أين أتى؟ ماذا فعل؟ لماذا أحضره رجال الشرطة
هنا؟

سمعا صوت ضرب الخشب على اللحم. والحذاء على العظام. على
الأسنان. الشخير المكتوم عندما تُركل معدة. والسحق الأبكم للمجمعة على
الاسمنت. وقرقرة الدم في تنفس رجل عندما تتمزق رئتيه بنهاية مسننة من
ضلع مكسور.

زرق الشفاه وبأعين باتساع أطباق عشاء، راقبا، مشدودين بشيء ما
أحسّاه لكنهما لم يفهما: غياب النزوة فيما فعله رجال الشرطة. الهاوية التي
يجب أن يكون الغضب فيها. الوحشية الثابتة والوقورة، والحرص عليها كاملة.
كانوا يفتحون زجاجة.

أو يغلقون صنبوراً.

يكسرون بيضة لصنع عجة.

كان التوأم صغيرين جداً ليدركا أن هؤلاء كانوا أتباع التاريخ فحسب.
أرسلوا لتسرية الدفاتر وجمع الديون من أولئك الذين خرقوا قوانينه. محققين
بمشاعر أولية لكنها مع ذلك موضوعية وغيرية بشكل متناقض. مشاعر ازدراء
وُلدت من خوف بدائي غير مُدرك - خوف الحضارة من الطبيعة، خوف الرجال
من النساء، خوف القوة من الضعف.

غريزة الإنسان غير الواعية على تدمير كل ما لا يستطيع إخضاعه ولا تأليهه.

احتياجات الرجال.

ما شهده إستانين وراجيل ذاك الصباح، بالرغم من أنهما لم يدركا ذلك حينها، كان عرضاً سريراً في ظروف مكبوحة (لم يكن هذا حرباً أو إبادة جماعية، في النهاية) لممارسة الطبيعة الإنسانية للسلطة. للهيكلية. للنظام. احتكار تام: كان تاريخاً إنسانياً، متنكراً على أنه هدف الله، فاضحاً نفسه لتفرجين تحت السن.

لم يكن هناك من شيء عرضي بشأن ما حدث ذلك الصباح. لاشيء طارئ. لم يكن سرقة ضالة ولا تسجيلات شخصية لأهداف. تلك كانت حقبة تدمع نفسها على أولئك الذين عاشوا فيها.

التاريخ في أداء حي.

وإذا ما أذوا فيلوثا أكثر مما كانوا ينوون، فذلك كان فقط لأنه حتى ولو لم يكن يوجد أية قرابة، أية صلة بينهم وبينه، أي تورط، أو أي شيء آخر، فعلى الأقل بيولوجياً، كان مخلوقاً نداءً - قد بُتر منذ وقت طويل. لم يكونوا يعتقلون رجلاً، بل كانوا يطردون الخوف. لم يكن لديهم أية أداة ليعايروا كم من العقاب باستطاعته أن يتحمل. ولا وسائل ليقيسوا إلى أي مدى أو كم كانوا قد آذوه بشكل دائم.

بخلاف عادة إثارة غوغاء دينيين، أو إخضاع جيوش مخلة بالأمن، تصرف رجال الشرطة غير المنبذون ذاك الصباح بحرص، وليس بشكل مسعور. بكفاءة، وليس بشكل فوضوي. بمسؤولية، وليس بشكل هستيري. لم يخلعوا شعره أو يحرقوه حياً. لم يقطعوا أعضائه التناسلية ويحشوها في فمه. لم يغتصبوه. أو يقطعوا رأسه.

ففي النهاية، لم يكونوا يحاربون وباءً. كانوا فقط يلحقون مجتوماً ضد تفشيته.

في الشرفة الخلفية لبית التاريخ، وبينما كان الرجل الذي أحياه يُسحق

وهُهْم، تعلّمت السيدة إيان والسيدة راجاغوبالان، السفيران التوام لما لا يعلمه إلا الله، درسين جديدين.

الدرس رقم واحد:

بالكاد يظهر الدم على رجل أسود. (قرالا لا)

و

الدرس رقم اثنان:

و مع ذلك، تفوح منه رائحة.

حلاوة مخبة.

كرائحة أزهار قديمة محمولة بنسيم. (قرالا لا)

«Madiyo?» سأل أحد وكلاء التاريخ.

«Madi aayirikkum»، أجاب آخر.

كفاية ؟

كفاية.

خطوا بعيداً عنه. حرفيون يقيمون عملهم. ناشدين مسافة جمالية.

عملهم، الذي تخلّى عنه الله والتاريخ، وماركس، ورجل، وامرأة و (في ساعات قادمة) أطفال، تمّدّ مثنيّاً على الأرض. كان نصف غائب عن الوعي، لكنه لم يكن يتحرك.

كانت جمجمته مكسورة في ثلاثة أمكنة. وكان أنفه ووجنتاه مهشمين، تاركين وجهه عجيباً، وغير محدد. فلقت اللطمة على فمه، شفته العلوية وحطمت ستة من أسنانه، ثلاثة منها كانت مفروسة في شفته السفلية، مشرّعة ابتسامته الجميلة على نحو دميم. أربعة من أضلاعه كانت متشظية، ثقب واحد منها رثته اليسرى، مما جعله ينزف من فمه. كان الدم في نَفْسِه أحمر قانياً. نقياً. مزهداً. وكانت أمعاؤه السفلية ممزقة وتنزف، وكان الدم يُجمع في تجويفه البطني. كان عموده الفقري متأذياً في مكانين، وكان الارتجاج قد شلّ ذراعه اليمنى وتسبب في فقدان سيطرته على مثانته وشرجه. ورضفتا ركبتيه كانتا مهشمتين.

ومع ذلك أخرجوا الأغلال.
باردة.

برائحة المعدن الحمضية. مثل رائحة سلك الباص الفولاذية ورائحة يدي
الجاني من الإمساك بها. كان ذلك عندما لاحظوا أظافره المطلية. أمسك
أحدهم بها عالياً ولوح بالأصابع بشكل لعوب باتجاه الآخرين. ضحكوا. «ما
هذا؟» في صوت عال مصطنع. «مخنث؟»

نقر أحدهم على قضيبه بهراوته. «هيا، أرونا شرك الخاص. أرونا إلى أي
مدى يكبر عندما تنفخه.» ثم رفع حذاءه (بديدان ملتفة في نعله) وخفضه
بضربة طرية مكتومة.

أقفلوا ذراعيه وراء ظهره.
طق.

وطق.

تحت ورقة شجر تجلب الحظ. ورقة شجر خريفية في الليل. تجعل الريح
الموسمية تأتي في حينها.
أقشعر جلده حيث ممته الأغلال.

«إنه ليس هو»، همست راحيل لإستا. «أنا أعرف. إنه أخوه التوأم.
أورميان. من كووشي.»

إستا غير الراغب في نشدان ملجأ في الخيال، لم يقل شيئاً.
كان أحد يتكلم معهما. شرطي غير منبوذ لطيف. لطيف مع جنسه.
«أيها الصبي والبنت، هل أنتما بخير؟ هل أذاكما؟»
وليس معاً، لكن تقريراً، أجاب التوأم في همس.
«نعم، لا.»

«لا تقلقا. أنتما آمنين معنا الآن.»

ثم نظر رجال الشرطة حولهما ورأوا حصيرة العشب.
القنطور والطناجر.

الأوزة القابلة للنفخ.

دب الكوالا كانتاس بعينيه الزيتين المحلولتين.
 قلبي الحبر بشوارع لندن فيهما.
 جوارب بأصابع منفصلة ملونة.
 نظارة شمسية بلاستيكية حمراء بإطار أصفر.
 ساعة بالوقت مرسوماً عليها.
 «لن هذه ؟ من أين أتت؟ من أحضرها؟» ونبرة قلق في صوته.
 إسنا وراحيل الملبثان بالأسماك، حدقا فيه.
 نظر رجال الشرطة إلى بعضهما البعض. كانوا يعلمون ما عليهم فعله.
 دب كانتاس كوالا أخذوه لأولادهم.
 وكذلك قلما الحبر والجوارب. كان أطفال الشرطة ذوي أصابع عديدة
 ملونة.
 فجحروا الأوزة بسيجارة. بم. ودفنوا المخلفات المطاطية.
 أوزة غير نافعة. من الممكن تمييزها بسهولة جداً.
 النظارة لبسها أحدهم. ضحك الآخرون فأبقاها لبرهة. والساعة نسوها
 جميعاً. بقيت هناك في بيت التاريخ. في الشرفة الخلفية. سجلاً معطوباً عن
 الزمن. الثانية إلا عشر دقائق.
 غادروا.
 ستة أمراء، جيوبهم محشوة باللعاب.
 زوج توأم ببيضتين.
 وإله الضياع.
 لم يستطع السير، فبحرّوه.
 لم يرههم أحد.
 الخفافيش عمياء.. بالطبع!

إنقاذ آمو

في مركز الشرطة، طلب المفتش توماس ماثيو زجاجتي كوكا كولا. مع شلحونتين. أحضرهما شرطي ذليل على صينية بلاستيكية وقدمهما للطفلين الموحلين الجالسين إلى الطاولة مقابل المفتش، ورأساهما أعى بقيل فقط من فوضى الملفات والأوراق التي عليها.

وهكذا مرة أخرى، على مدى أسبوعين، خوف معباً من أجل إستا. بارد. فوار. في بعض الأحيان نسوء الأمور أكثر مع كوكا كولا.

صعد الفوران في أنفه. تجشأ. فقهقه راحيل. نفخت في قشيتها حتى يقبى الشراب وفار على ثوبها. وعلى الأرض. قرأ إستا بصوت عالٍ اللوحة التي عى الجدار.

«بدأ»، قال. «بدأ، عااط»،

«ءالو، عا كذ»، قالت راحيل.

«ءسايك»

«ءءافل»،^(١)

(١) - مقلوب: أدب، طاعة، ولاء، ذكاء، كياسة، كفاءة. (المترجمة).

بقي المفتش توماس ماثيو هذئاً، ليحافظ على اعتباره. شعر بالتفكك المتزايد لدى الأطفال. لاحظ البؤيين المتوسعين. كان قد رآه بأكمله من قبل. صمام هروب عقل الإنسان. طريقته في معالجة الصدمة. وضع ذلك في حسابه وصاغ أسئلته بذكاء. وبشكل غير مؤذٍ بين «متى عيد ميلادك، يا صبي؟» و «ما هو لونك المفضل يا بنت؟»

بالتدريج، بدأت الأمور تتوضح على نحو مبهض ومتخلخل. كان رجاله قد أوجزوا له عن قدور وطانجر. وعن حصيرة العشب. والألعاب التي من الصعب نسيانها. بدأت هذه الأمور تُفهم الآن. لم يكن المفتش توماس ماثيو سعيداً. أرسل بسيارة جيب لبيبي كوتشاما. وأدخل الغرفة من الطفلين عندما وصلت. لم يحييها.

«اجلسي»، قال.

شعرت لبيبي كوتشاما بوجود أمر خطير.

«هل وجدتموهم؟» هل كل شيء على ما يرام؟

«لا شيء على ما يرام»، أكد المفتش توماس ماثيو لها.

أدركت لبيبي كوتشاما من نظرة عينيه ونبرة صوته أنها كانت تتعامل مع رجل مختلف هذه المرة. وليس ضابط الشرطة المجامل من لقائهما السابق. خفضت نفسها داخل كرسي. لم يتصنع المفتش توماس ماثيو كلماته.

كانت شرطة كوتايم قد تصرفت بناءً على محضر مقدم من طرفها. وقد قبض على Paravan. ولسوء الحظ تأذى كثيراً خلال التصادم وفي كل الاحتمالات من الممكن ألا يعيش حتى الليل. لكن الطفلين يقولان الآن أنهما كانا قد ذهبا بإرادتهما. انقلب فاربهما وغرقت الطفلة الانكليزية عرضاً. لأمر الذي ترك الشرطة مثقلة بموت رجل بريء تقنياً في السجن. صحيح أنه Paravan، وصحيح أنه أساء التصرف. لكن هذه أوقات عصيبة، وتقنياً، وأمام القانون، هو رجل بريء. ولم يكن هناك من قضية.

«محاولة اغتصاب؟» اقترحت لبيبي كوتشاما بضعف.

«أين هي شكوى ضحية الاغتصاب؟ هل قُيّمت؟ هل أدلت بأقوالها؟
هل أحضرتها معك؟» كانت نبرة المفتش شرسة. وعدائية تقريباً.

بدت بيبي كوتشاما وكأنها كانت قد تقلّصت. أكياس من اللحم تدلت
من عينيها وخديها. تختر الخوف داخلها وتحول البصاق في فمها إلى طعم
حامضي. دفع المفتش بكأس ما نحوها.

«المسألة بسيطة للغاية. إما أن تقدّم ضحية الاغتصاب شكوى. أو يتعرف
الطفلان على Paravan على أنه مختطفهم في وجود شرطي شاهد. أو...»
وانتظر أن ينظر بيبي كوتشاما إليه. «أو أحاكمك بتهمة تقديم محضر كاذب.
إهانة جنائية».

لطح العرق قميص بيبي كوتشاما الأزرق الفاتح بأزرق غامق. لم يخذعها
المفتش توماس ماثيو. كان يعلم أنه بالنظر إلى المناخ السياسي، هو نفسه كان في
مصيبة حظيرة. وكان يدرك أن الرفيق ك. ن. م. يللي لن نفوت هذه الفرصة.
لم يغفر لنفسه، أبداً، تصرفه باندفاع. استخدم منشفة يديه المطبوعة ليصل إلى
داخل قميصه ويجفف صدره وإبطيه. كان مكتبه هادئاً. أصوات نشاط مركز
الشرطة، والأحذية المتأقلة، والصراخ العرضي الناتج عن ألم أحد ما يُستجوب،
بدت بعيدة، وكأنها قادمة من مكان آخر.

«سيفعل الأطفال ما يُطلب منهم»، قالت بيبي كوتشاما. «هل أستطيع
الحصول على بضعة دقائق معهم، لوجدنا؟»

«كما ترغبين.» نهض المفتش توماس ماثيو ليغادر مكتبه.

«من فضلك، امنحي فقط خمس دقائق قبل أن تدخلهم.»

هرّ المفتش توماس ماثيو موافقته وغادر.

جففت بيبي كوتشاما وجهها المتعرق اللامع. مدّت رقبتها، ناظرة نحو
السقف لتجفف العرق في التجاويف التي بين حلقات شحم رقبتها بنهاية
تورتها. قُبِلت صليها.

يا مريم، أيتها المليقة بالنعمة.

غابت عنها كلمات الصلاة.

فُتح الباب، وأُرشد إمتا وراحيل نحو الداخل. معجونين بالطين. مبللين بالكوكا كولا.

جعلهما منظر بيبي كوتشاما يصحيان فجأة. نشرت الفرائة ذات الكثافة غير الاعتيادية لرغبها الظهري، أجنحتها فوق رأسيهما. لماذا قدمت هي؟ أين هي أمو؟ أما زالت محتجزة؟

نظرت بيبي كوتشاما إليهما بعبوس صارم. ولم تقش شيئاً لوقت طويل. وعندما تكلمت كان صوتها خشناً وغريباً.

«لن ذلك القارب؟ من أين حصلتما عليه؟»

«قاربنا. الذي وجدناه. أصلحه فيلوثا لنا،» همست راحيل.

«متى حصلتما عليه؟»

«وجدناه يوم مجيء صوفي مول.»

«وسرقتما أشياء من المنزل وأخذتماها عبر النهر فيه؟»

«كنا فقط نلعب...»

«تلعبون؟ هل تسمون ذلك لعباً؟»

نظرت بيبي كوتشاما إليهما لوقت طويل قبل أن تتكلم ثانية.

«جسد ابنة خالكما الحلوة ممدد في غرفة المكتب. لقد أكلت الأسماك عينيها. وأنها لا تستطيع التوقف عن البكاء. هل هذا ما تدعونه لعباً؟»

جعل نسيم مفاجئ ستارة النافذة تتموج. وفي الخارج استطاعت راحيل أن ترى سيارات جيب واقفة. وأناساً يمشون. رجلاً كان يحاول أن يشغل دراجته النارية. في كل مرة كان يشب فيها على دواسة التشغيل، كانت خوذته تنزلق إلى الجانب.

داخل غرفة المفتش، كانت فرائة باباتشي تتحرك.

«إنه لشيء فظيع، انتزاع حياة شخص،» قالت بيبي كوتشاما. «إنه أسوأ شيء من الممكن لأي أحد أن يفعله في حياته. حتى الله لا يغفر ذلك. تعلمان هذه، أليس كذلك؟»

هزّأ رأسيهما مرتين.

«ومع ذلك - نظرت إليهما بحزن، «فعلتما». نظرت في أعينهما. «أنتما قاتلان». انتظرت هذا ليتخوض فيه.

«تعلمان أنني أعلم أنه لم يكن حادثاً. أعلم كم كنتما تغاران منها. وإذا ما سألتني القاضي في المحكمة سيتوجب عليّ أن أخبره، أليس كذلك؟ لا أستطيع أن أكذب، أليس كذلك؟» ربت على الكرسي الذي بجانبها. «تعالا، تعالا واجلسا -

أربعة حدود لمؤخرتين مطيعتين، حُشرتا فيه.

«سيتوجب عليّ أن أقول لهم كم كان انتهاكاً شديداً للقانون أن تذهبا لوحكما إلى النهر. وكيف أجبرتاهما على الذهاب معكما بالرغم من أنكما كنتما تعلمان أنها لا تعرف السباحة. وكيف دفعتاهما خارج القارب في وسط النهر. لم يكن حادثاً، أليس كذلك؟»

أربعة صحوح حدّقت فيها. مأخوذة بالقصة التي كانت تخبرهما إياها. ثم ماذا حدث ؟

«وهكذا سيتوجب عليكما الآن أن تدخلن السجن»، قالت بيبي كوتشاما بلطف. «وأأمكما ستدخل السجن بسببكما. هل يعجبكما هذا؟»

أعين مذعورة ونافورة، نظرت إليها.

«ثلاثتكم في ثلاثة سجون مختلفة. هل تعلمون كيف هي السجون في

الهند؟»

هزّأ رأسان مرتين.

نسجت بيبي كوتشاما قضيتها. واستنبطت (من مخيلتها) صوراً حية عن حياة السجن. الطعام المليء بالصراصير المسحوقة. الغائط المكوم في المراحيض كجبال بنية طرية. الأسرة المليئة بالبق. الضرب. وأسهب في الكلام عن السنوات الطويلة التي سبّعد فيها آمو عنهما. وكيف ستكون امرأة عجوز مريضة وشعرها مليء بالقمل عندما تخرج - ما لم تمت في السجن. واستحضرت، بشكل منظم، بصوتها القلق الجزع المستقبل الذي ينتظرهم.

عندما قضت على كل بارقة أمل لهم ودمرت حياتهم بشكل كامل، أبرزت
لهما حلاً مثل عرابة جنية. لن يغفر لهما الله ما فعلاه، لكن هنا على الأرض
كان يوجد طريقة لإلغاء بعض الضرر. لإنقاذ أمهما من الإهانة والذل والمعاناة
بسببهما. مطمئنة إلى أنهما كانا جاهزين ليتصرفا بشكل عملي.

«لحسن الحظ»، قالت ييبي كوتشاما، «لحسن حظكما، ارتكبت الشرطة
خطأً. خطأً ميموناً». توقفت. «تعرفان ما هو، أليس كذلك؟»

كان هناك شخصان محصوران في ثقالة الورق الزجاجية التي على
مكتب الشرطي، كان بإمكان إستا ان يراها. رجل وامرأة راقصا فالس.
كانت تلبس ثوباً أبيض وساقاها ظاهرتان من تحته.
«أليس كذلك؟»

كانت هناك موسيقى فالس في ثقالة الورق. كانت ماماتشي تعزفها على
الكمان.

را - را - را - را - رام.

بارام - بارام.

«الموضوع هو»، كان صوت ييبي كوتشاما يقول، «ما حدث قد
حدث.» يقول المفتش أنه سيموت في كل الأحوال. ولهذا فلن يهمه حقاً ما
تعتقده الشرطة. المهم هو هل تريدان الذهاب إلى السجن وجعل أموتذهب إلى
السجن بسببكما. إنه عائد لكما أن تقررا ذلك.»

كان يوجد فقاعات في ثقالة الورق مما جعل الرجل والمرأة يدوان
وكأنهما يرقصان تحت الماء. كانا يدوان سعيدين. ربما كانا يتزوجان. هي في
ثوبها الأبيض. وهو في بذلته السوداء وربطة عنقه المقوسة. كانا ينظران في
عيني بعضهما البعض بعمق.

«إذا كنتم تريدان إنقاذها، فكل ما عليكم فعله هو الذهاب مع العم ذي
الشارب الكبير. سيسألكما سؤالاً. سؤالاً واحداً. إنه أمر سهل جداً، ثمن صغير
تدفعاه.»

لاحقت بيبي كوتشاما تحديقة إستا. كان هذا كل ما تستطيع فعله لتمنع نفسها من أخذ ثقالة الورق ورميها من النافذة. كان قلبها يطرق.

«إذن!» قالت، بابتسامة هشة، برافة، بدأ الجهد يظهر في صوتها. «ماذا أقول للعم المفتش؟ ماذا قررنا؟ هل تريدان إنقاذ آمو أم ترسلها إلى السجن؟» وكأنها كانت تعرض عليهما خياراً لمتعتين. الصيد أم تنظيف الخنازير؟ تنظيف الخنازير أم الصيد؟

رفع التوأم نظريهما نحوها. ليس معاً (لكن تقريباً) صوتان مذعوران همسا، «إنقاذ آمو».

سعيدا عرض هذا المشهد في رأسها طوال السنوات التي ستلي. طفلين، مراهقين، ناضجين. هل تُدعا لفعلا ما فعلاه؟ هل صُلِّلا للقيام بالإدانة؟ بطريقة ما، نعم. لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة. فكلاهما كان يعلم أنهما قد أعطيا خياراً. وكم كانا سريعين في الاختيار! لم يفكرا أكثر من دقيقة قبل أن يرفعا نظريهما ويقولوا (ليس معاً، لكن تقريباً) - «إنقاذ آمو. إنقاذ أنفسنا، إنقاذ أمتنا».

تهللت بيبي كوتشاما. إن العمل المريح كالمسهل. كانت بحاجة للذهاب إلى الحمام. بشكل عاجل. فتحت الباب وسألت عن المفتش.

«إنهما طفلان صغيران طيبان،» قالت له عندما جاء. «سيذهبان معك.»

«لا حاجة لكتيبيهما. واحد سيفي بالغرض.»

قال المفتش توماس ماثيو. «أي واحد. مول؟ مون؟ من يريد الحجيء ممي؟»

«إستا». اختارت بيبي كوتشاما. مدركة أنه سيكون الأكثر واقعية بينهما. الأكثر مطواعية. الأكثر بعد نظر. والأكثر مسؤولية. «اذهب أنت، إلى اللقاء.» رجل صغير. كان يعيش في كاراً - فان. ترالا لا. ذهب إستا.

السفير إ. بيلفيس. بعينين كصحنتي فنجان ونفخة شعر مُفسدة. سفير قصير محمي بشرطي طويل، في مهمة رهيبة داخل أحشاء مركز شرطة كوتنايام. ووقع أقدامهم يصدر صدى على بلاط الأرضية.

بقيت راحيل في مكتب المفتش واستمعت إلى الأصوات الفظة لارتياح بيبي كوتشاما المتقطر على جانبي مبهلة المفتش في المرحاض الملاصق. «طرادة الماء لا تعمل»، قالت عندما خرجت. «إنه لأمر مزعج.» مُحرجة من أن المفتش سيرى لون وقوام برازها.

كان السجن مظلماً. لم يستطع إستا أن يرى شيئاً لكنه استطاع سماع صوت التنفس الحشن المجهد. جعلته رائحة الخراء يتهوَّع. أشعل أحدهم الضوء. مشع. ويمنع الرؤية. ظهر فيلوثا على الأرض المزبدة الزلقة. جنني مشوه أستحضر من مصباح حديث. كان عارياً، حُلّ موبدوه المتسخ. وشفح الدم من جمجمته مثل سر. كان وجهه متورماً وبدا مثل يقطينة، كبير جداً وثقيل بالنسبة للساق النحيلة التي نما منها. ذو ابتسامة وحش مقلوبة. تراجعت أحذية الشرطة عن بركة البول المنتشرة منه، انعكست اللعبة الكهربائية العارية البراقة عليه.

طفت أسماك ميتة نحو الأعلى داخل إستا. نهزه أحد رجال الشرطة فيلوثا بجدائه. لم يكن تبدر أية استجابة. فرفض المفتش توماس ماثيو وخدش بمفتاح سيارته الجيب باطن قدم فيلوثا. تُنحت عيان متورمتان. زائفتان. ثم تركّزتا في غشاوة دم على طفل حبيب. تخيّل إستا أن شيئاً ما فيه قد ابتسم. ليس فمه، لكن عضواً آخر منه لم يصب بأذى. كوعه ربما. أو كتفه.

سأل المفتش سؤاله. قال فم إستا نعم.

غادرت الطفولة على رؤوس أصابعها.

انزلق الصمت مثل رتاج.

أطفاً أحدهم الضوء واختفى فيلوثا.

في طريق عودتهما في سيارة الشرطة، توقفت بيبي كوتشاما عند أطباء

موثوقون لشراء بعض الكالمبوس. أعطت لكل منهما اثنتين. وفي الوقت الذي وصلنا فيه عند جسر تشونغام كانت أعينهما تبدأ بالإطباق. همس إستا بشيء ما في أذن راحيل.

«كنت على حق. لم يكن هو. إنه أرومبان.»

«الحمد لله» همست راحيل.

«أين هو باعتقادك؟»

«فرّ إلى أفريقيا.»

سُلما لأمهما غارقين في النوم، طافين في خيالهما.

حتى الصباح التالي، عندما أخرجته منهما أمو. لكن عندئذ كان الأوان قد فات.

المفتش توماس ماثيو، الرجل ذو خبرة بهذه الأمور، كان على حق. لم يعش فيلوئا حتى الليل.

بعد منتصف الليل بنصف ساعة، جاء الموت إليه.

وماذا بالنسبة للعائلة الصغيرة الملتفة والنائمة في لحاف أزرق ذي غرز متصالية؟ ماذا حصل لهم؟

ليس الموت. فقط نهاية الحياة.

بعد جنازة صوفي مول، عندما أخذتهما أمو إلى مركز الشرطة واختار المفتش المانغا اثني يريداه (دق، دق)، كانت الجنة قد أزيلت. رُميت في themmady kuzhy - حفرة الصعاليك حيث ترمي الشرطة موتاهها بشكل روتيني.

دُعرت بيبي كوتشاما، عندما سمعت عن زيارة أمو لمركز الشرطة. فكل ما فعلته بيبي كوتشاما، كان قد بُني على افتراض واحد. كانت قد راهنت على حقيقة أن أمو، أيًا كان ما فعلته، ومهما كانت غاضبة، لن تعترف علانية

أبدأ بعلاقتها مع فيلونا. لأن، تبعاً لبيبي كوتشاما، فإن ذلك يعادل تدميرها وتدمير طفلها. للأبد. لكن بيبي كوتشاما لم تأخذ باعتبارها حافة أمر خطيرة. المزيج غير قابل للمزج - الرقة اللامتناهية للأومة والحماسة المتهورة التي لقاذف قنابل انتحاري.

أذهلها رد فعل أمر. دارت الأرض تحت قدميها. كانت تعلم أن المفتش توماس ماثيو حليف لها. لكن كم سيدوم ذلك ؟ ماذا لو نقل وأعيد فتح القضية ؟ كان ذلك ممكناً - بالأخذ بالاعتبار الحشد الصارخ بالشعارات لعاملي الحزب الذي تمكن الرفيق ك. م. ن. يلاي من جمعه خارج البوابة. الذي منع العمال من المجيء للعمل، وترك كميات هائلة من المانغا والموز والأناناس والثوم والحل تتعفن ببطء في مباني مخلفات الجنة.

أدركت بيبي كوتشاما أن عليها أن تبعد أمر عن أيمنيم في أقصى سرعة ممكنة.

تمكنت من ذلك بقيامها بما تفوق في فعله. إرواء حقولها وتغذية محاصيلها بمواطن الآخرين.

قضمت مثل جرد داخل مستودع حزن تشاكو. غرزت بين جدرانها هدفاً سهلاً ومتيسراً لقضبه المجنون. لم يكن من الصعب عليها أن تصوّر أمر على أنها الشخص المسؤول فعلاً عن موت صوفي مول. أمر وتوأمها ذي البيضتين.

لم يكن تشاكو محطّم الأبواب، سوى الثور الحزين الذي يجلد في نهاية الرمن الذي تمسك به بيبي كوتشاما. لقد كانت فكرتها هي أن تجبر أمر على أن تخزم أمعتها وتغادر. وأن يُعاد إستا.

مادراس ميل

وهكذا، إستا الوحيد في نافذة القطار ذات القضبان، في محطة ميناء
كوتشين، السفير إ. بيلفيس، حجر طاحون ينفخة شعر، بشعور سفلي، سحيق،
طاف، مليء بأعشاب البحر، متكئ، مائي سميك، متموج أخضر. كانت
حقيقته المكتوب عليها اسمه تحت مقعده. وصندوق طعامه الذي يحتوي على
ساندويتش الطماطم وترمه الذي بشكل نسر كانا على طاولة صغيرة قابلة
للطي، أمامه.

إلى جانبه سيدة أكلة بثوب ماري أخضر وأرجواني وماستين متكئتين
كحلتين مشعيتين في كن منحخر قدّمت له لادوس^(١) في علبة. هزّ إستا رأسه.
ابتسمت ولأعبته، اختفت عيناها اللطيفتان في شقين خلف نظارتها. أصدرت
أصوات ثقيل بقمها.

«جرب واحدة. لذيذة جججداً»، قالت بالتاميل Rambo madrum^(٢).

«لذيذ»، قالت بالانكليزية ابتها الكبرى التي كانت في عمر إستا.

(١) - حلوى تُصنع في مناسبات خاصة. (الترجمة).

(٢) - إحدى اللغات المستخلصة في جنوب الهند وشمال سريلانكا. (الترجمة).

هزّ إستا رأسه ثانية. شققت السيدة شعره وأفسدت نفحته. كانت عائلتها (زوج وثلاثة أطفال) يأكلون من قبل. فتاتاً أصفر مدوراً كبيراً على المقعد. وهدير قطار تحت أقدامهم. لم يُشعل نور الليل الأزرق بعد. أشعله الابن الصغير للسيدة الأكل. أطفأته السيدة الأكل. وشرحت للطفل أنه كان ضوءاً للنوم. وليس ضوء استيقاظ. كانت كل الأشياء خضراء في أمكنة القطار ذات الدرجة الأولى. المقاعد خضراء. المضاجع خضراء. الأرضية خضراء. السلاسل خضراء. أخضر غامق أخضر فاتح.

لإيقاف القطار اسحب السلسلة، كُتب بالأخضر.
هاقبيل راقال بحسب السلسلة^(١)، فكَزَّ إستا بالأخضر.
أمسكت أمو يديه عبر قضبان النافذة.

«انتبه إلى بطاقتك»، قال فم أمو. فم أمو الذي يحاول ألا يبيكي. «إنهم يأتون جميعاً ويفقدون.»
هزّ إستا رأسه نحو رأس أمو المائل إلى الأعلى باتجاه النافذة. نحو راحيل، الصغيرة والملطخة بوسخ المحطة. وجميعهم مرهوبون بالإدراك اليقيني والمنفصل، أنهم أحبوا رجلاً حتى الموت.
لم يكن ذلك رسمياً.

لقد استغرق التوأم سنين ليفهما دور أمو في ما حدث. شاهدا عينيها النورمتين في جنازة صوفي مول وخلال الأيام التي سبقت إعادة إستا، وبمركبة النفس التي للأطفال، حتملاً نفسيهما الملامة الكاملة على أساها.

«كل الساندويتش قبل أن تنيل»، قالت أمو. «ولا تنس أن تكتب.»

(١) - مقولوب: لإيقاف القطار، اسحب السلسلة. (الترجمة).

دققت في أظافر اليد الصغيرة التي كانت تمسك بها، وأخرجت فتيلة سوداء من الوسخ من تحت أظفر الإبهام.

«واعتي بحبيبي من أجلي. إلى أن آتي وأخذه.»

«متى، أمو؟ متى ستأتين لتأخذه؟»

«قريباً.»

«لكن متى؟ متى بالضبط^(١)؟»

«قريباً، يا حبيب قلبي. في أقرب فرصة ممكنة.»

«شهر - بعده - بعد الذي بعده؟ أمو؟» مطيلاً المدة عن قصد بحيث تقول أمو، قبل ذلك، يا إستا. كن واقعياً. وماذا بشأن دراستك؟

«حالماً أحصل على عمل. حالماً أستطيع المغادرة والحصول على عمل.»
قالت أمو.

«لكن ذلك لن يحدث» موجة دعر. شعور سفلي سحيق.

اختلست السيدة الأكلول السمع بشكل متلطف.

«هل ترون كيف يتكلم الانكليزية بإتقان،» قالت لأولادها بالتاميل.

«لكن ذلك لن يحدث أبداً،» قالت ابنتها الكبرى بشراسة. «أبا اا دد اا.
أبداً.»

لم يكن يقصد إستا بـ «لن يحدث» سوى أن ذلك سيكون بعد زمن طويل جداً. أنه لن يكون الآن، لن يكون قريباً.

لم يكن يقصد بـ «لن يحدث»، أنه «لن يحدث أبداً»

لكن الكلمات تخرج بهذه الطريقة.

لكن ذلك لن يحدث!

(١) - بالضبط مشدد عليها. (المترجمة).

لقد انتزعوا من «لن يحدث أبداً» فقط «أبداً»، من أجل صياغة «لن يحدث»^(١)

هم ؟

الحكومة.

حيث كان يُرسل الناس ليتعلموا التصرف بشكل جيد كما ينبغي.

وعلى هذا النحو تحولت الأمور بأكملها.

لن يحدث. لن يحدث أبداً.

لقد كان خطاه هو أن الرجل البعيد في صدر آمو توقف عن الصراخ.
خطاه هو أنها ماتت وحيدة في نزل من دون أحد ليستلقي إلى ظهرها ويتكلم معها.

لأنه كان من قالها. لكن آمو ذلك لن يحدث أبداً!

«لا تكن مخيفاً يا إستا. سيكون قريباً»، قال فم آمو. «سأصبح معلمة.

وسأنشئ مدرسة. وستكون أنت وراجيل فيها.»

«وستكون قادرين على تحمل مصاريفها لأنها ستكون لنا» قال إستا.

وعينه على الفرصة السانحة الأسامية. ركوب باص مجاني. جنازات مجانية.

تعليم مجاني. رجل صغير. كان يعيش في كارا - فان. ترالا لا.

«وسيكون لنا بيتاً» قالت آمو.

«بيت صغير» قالت راجيل.

«وفي مدرستنا سيكون لنا صفوف وألواح» قال إستا.

«وطباشير.»

«ومدرسون حقيقيون يدرسون.»

(١) - في النص الانكليزي كانت المقارنة بين not ever و never ، حيث يمكن الحصول على never بحذف حرفي «o» و «t» من not ever. (الترجمة).

«وعقوبات مناسبة»، قالت راحيل.

كانت هذه هي الأشياء التي يتكون منها حنهم. في اليوم الذي أُعيد فيه
إستا. طباشير. ألواح. عقوبات مناسبة.

لم يطلبوا أن يُخفف عنهم قليلاً. طلبوا فقط عقوبات تناسب حرائمهم.
ولمست تلك التي تأتي كالحزائن الجدارية في غرف النوم. ليست تلك التي
تُنفق عمرك داخلها، ضالاً في متاهة رفوفها.

دون إنذار بدأ القطار في التحرك. يبطء شديد.

توسّع يؤن إستا. انغرز أظفره في يد أمو وهي تسير على طول الرصيف.
تحول سيرها إلى ركض عندما أسرع قطار مدارس ميل.

ليباركك الله، يا طفلي. يا حبيبي قلبي. سأتي لآخذك قريباً !

«أمو!» قال إستا عندما كانت تسحب يدها. فائحاً أصعباً رخواً وراء
أصبع. «أشعر بالغثبان! أمو!» ارتفع صوت إستا في نحيب.

إلفيس يلفيس الصغير ذو نفخة الشعر المميزة المفسدة. ذو الخذاء البيج
المدبب. خلف صوته وراءه.

اتنتت راحيل وصرخت وصرخت على رصيف المحطة.

انسحب القطار نحو الخارج. والضوء نحو الداخل.

بهد ثلاث وعشرون سنة، راحيل، امرأة سمراء في كنزة قطية صفراء،
عادت إلى إستا الذي في الظلام.

«إستابايتشاتشن كوتابن بيتير مون»، قالت.

همست.

حرّكت فمها.

فم أمهما الجميل.

إستا، الجالس بشكل مستقيم جداً، ينتظر أن يُقبض عليه، مرّر أصابعه
عليه. ليلمس الكلمات التي يصيغها. ليحتفظ بهمسه. لاحقت أصابعه شكله.
لمست أسنانه. أمسكت يده وقُبِلت.

ضُغِطت على برودة خد، رُطِبَ بمطر مبعثر.

ثم جلست ووضعت ذراعيها حوله. ومسحته إلى جانبها.
استلقيا على هذا النحو لوقت طويل. مستيقظين في الظلام. الصمت و
الفراغ.

ليسا متقدمين في السن. ليسا صغيرين.

لكن في سن قابلة للحياة، قابلة للموت.

كانا غريبين التقيا مصادفة.

كانا قد عرفا بعضهما البعض قبل أن تبدأ الحياة.

لم يكن هناك الكثير مما يستطيع أن يقوله أيّ كان ليوضح ما حدث فيما بعد. لا شيء (في كتاب ماماتشي) من الممكن أن يفصل الجنس عن الحب. أو الاحتياجات عن المشاعر.

عدا رجا أنه لم يكن هناك من مراقب ليراقب من خلال عيني راحيل. لا أحد حدّق خارج نافذة إلى البحر. أو إلى قارب في نهر. أو إلى عابر سبيل في سديم يرتدي قبعة.

عدا رجا أنه كان بارداً قليلاً. رطباً قليلاً. لكن هادئاً جداً. الجو. لكن ماذا كان هناك ليقال ؟

فقط أنه كان يوجد دموع. فقط أن الصمت و الفراغ توافقا مع بعضهما البعض كملعتين مكدستين فوق بعضهما البعض. فقط أنه كان هناك خنة في تجاويف قاع حنجرة حبيبة. فقط أن كثفاً صلبة بلون العسل كان عليه نصف دائرة من علامات أسنان. فقط أنهما عانقا بعضهما البعض لزمن طويل بعد أن انتهيا. فقط أن ما تشاركاه في تلك الليلة لم تكن السعادة، بل أسى فظيع. فقط أنهما خرقا قوانين الحب للمرة الثانية. التي تسن من يجب أن يُحِب. وكيف. وكم.

على سطح مصنع مهجور، قرع قارع الطبل الوحيد. صُفق باب شفاف. اندفع فأر عبر أرض المصنع. ختمت بيوت العنكبوت أحواض مخلل قديمة. فارغة جميعها، عدا واحداً - تتوضع فيه كومة صغيرة من غبار أبيض متخثر. غبار عظام بومة، ماتت منذ زمن طويل. بومة مخلفة.

في إجابة على سؤال صوفي مول: تشاكو، أين تذهب الطيور الهرمة لتموت؟ لماذا لا تسقط الطيور الميتة كالحجارة من السماء؟

سئل في مساء اليوم الذي وصلت فيه. كانت واقفة على حافة بركة يبيي كوتشاما الترينية تنظر أعلى إلى طيور حدأة تحوم في السماء. صوفي مول. ذات القبعة، والسرwal عريض الرجل، والمحبوبة منذ البدء.

مارغريت كوتشاما لأنها كانت تعلم أنك عندما تسافر إلى قلب الظلمات (ب) (من الممكن أن يحدث أي شيء لأني كان) نادتها لتناول حميتها من الحبوب. للديدان الشريطية. للمالاريا. للإسهال. لسوء الحظ، لم يكن لديها وقاية ضد الموت غرقاً.

ثم حان وقت العشاء.

«العشاء سخيف»، قالت صوفي مول عندما أرسل إستا ليناديهما.

عند العشاء السخيف، جلس الأطفال على طاولة صغيرة منفصلة. صوفي مول، التي كان ظهرها إلى الكبار، قامت بتكثيرات شنيعة على الطعام. كانت تعرض كل لقمة على ولدي عمتهما المعجيين، نصف ممضوعة، مفروشة، ومعددة على لسانها كقيء طازج.

عندما قامت راحيل بالمثل، رأتها آمو وأخذتها للنوم.

دشت آمو طفلتها الملعونة في السرير وأطفأت النور. لم تترك قبلتها لـ"تصبحين على خير" بصافاً على خد راحيل وعلمت راحيل أنها لم تكن غاضبة فعلاً.

«آمو، أنت لست غاضبة»، في همس سعيد. كانت تحبها أمها أقل بقليل.

«لا»، قبلتها آمو ثانية. «تصبحين على خير يا حبيبة قلبي. ليباركك الله».

«تصبحين على خير آمو. أرسلني إستا حالاً».

وبينما كانت آمو تتعد سمعت ابتها تهمس، «آمو!»

«ماذا هنالك؟»

«نحن من دم واحد، أنت وأنا».

استندت آمو على باب غرفة النوم في الظلام، كارهة العودة إلى طاولة العشاء حيث كانت الأحاديث تدور مثل عثة حول الطفلة البيضاء وأمها وكأنهما كانا مصدر النور الوحيد. شعرت آمو أنها ستموت، تذبل وتموت، إن

سمعت كلمة أخرى. إن تحملت دقيقة أخرى ابتسامة تشاكو الفخورة الشبيهة
بابتسامة فائز بميدالية في التنس. أو الغيرة الجنسية التحتية الصادرة عن ماماتشي.
أو حديث يبي كوتشاما المخصص لإقضاء أمو وطفليها، لإعلامهم بمكانهم في
مجرى الأحداث.

وبينما هي مستعدة إلى باب غرفة النوم، أحسّت بحلمها، الكابوس الذي
وأته غصراً، يتحرك داخلها كعرق من الماء ينبع من المحيط، ويتجمع في موجة.
الرجل البشوش ذو الذراع الواحدة والجلد المالح وكثف تنتهي فجأة كجرف
يسرغ من فلال شاطئ مسنن ويسير باتجاهها.

من كان؟

من الممكن أن يكون ؟

إله الضياع.

إله الأشياء الصغيرة.

إله القشعريرة والابتسامات الفجائية.

لم يكن بإمكانه القيام بالأشياء إلاّ واحداً واحداً فقط.

إذا ما لمسها، لم يكن يستطيع أخذها، إذا ما أحبها لم يكن يستطيع
تركها، إذا ما تكلم لم يكن يستطيع الإنصات، إذا ما حارب لم يكن يستطيع
الفوز.

ناقت أمر إله. اشتتهه بوجع بكامل بيولوجيتها.

عادت إلى طاولة العشاء.

ثمن العيش

عندما أغلق المنزل الهرم عينيه العمشتين المتعبتين وغرق في النوم، خرجت أمو، المرتدية أحد قمصان تشاكو فوق تنورة بيضاء طويلة، إلى الشرفة الأمامية. صعدت ونزلت لبرهة من الوقت.. ثم جلست على كرسي خشب الأملود تحت رأس الثور عتيق الطراز ذي العينين الزريتين، وصورتي الصغير المبارك واليوتي أمانشي المعلقيتين على جانبيه. كان ترأهما نائمين بالطريقة التي ينامان فيها عندما يكونان مرهقين - بأعينيهما نصف مفتوحتين، وحشين صغيرين. لقد ورثا هذا عن أبيهما.

فتحت أمر راديوها الذي بشكل مندرين. طلق صوت رجل عبره. أغنية إنكليزية لم تكن قد سمعتها من قبل.

جلست هناك في الظلام. امرأة رشيقة لامعة وحيدة، تنظر إلى حديقة عماتها المغتاطة التزنية، وتستمع إلى مندرين. إلى صوت قادم من بعيد. يهب عبر الليل. مبحراً فوق البحيرات والأنهار. فوق رؤوس أشجار كثيفة. ماراً بالكنيسة القديمة. بالمدرسة. قافراً فوق وسخ الطريق. صاعداً درجات الشرفة. إليها.

وهي بالكاد تستمع إلى الموسيقى، راقبت الحشرات المسعورة التي تغير
حول الضوء، تنافس لقتل نفسها.

انفجرت كلمات الأغنية داخل رأسها.

لا يوجد هناك وقت لنصيصه

أسمعها تقول

أقبض على أحلامك قبل

أن تنزلق بعيداً

تحتضر طوال الوقت

أضيع أحلامك و

ستفقد عقلك.

رفعت آمو ركبتيها وعانقتهم. لم تستطع تصديق ذلك. المصادفة
الرخيصة لهذه الكلمات. حدثت بعنف في الحديقة. حلقت أوسا البومة مارة
في دورية حراسة صامتة. ورومضت الأنثوريام^(١) الشحمية مثل معدن بندقية.
بقيت جالسة لفترة. بعد أن انتهت الأغنية بوقت طويل. ثم وقفت فجأة
وسارت خارج عالمها كساحرة. إلى مكان أفضل، وأكثر سعادة.

تحركت بسرعة في الظلمة، مثل حشرة تطير في درب كيميائي. كانت
تعلم طريقها إلى النهر جيداً بمثل ما يعرفه طفلاها وكانت تستطيع إيجاد طريقها
إلى هناك حتى وهي معصبة العينين. لم تعرف ما لذي جعلها تُسرّع عبر
النباتات. والذي حوّل سيرها إلى ركض. والذي جعلها تصل إلى ضفاف
الميناتشال لاهثة. تنشعج. وكأنها قد تأخرت على شيء ما. وكأن حياتها تعتمد
على وصولها هناك في الوقت المناسب. وكأنها علمت أنه سيكون هناك.
ينتظر. وكأنه علم أنها ستأتي.

لقد فعل.

علم.

(١) - أي من النباتات المدارية دائمة الخضرة. (المترجمة).

انزلت تلك المعرفة داخله ذاك العصر. بنظافة. كنصل سكين حاد. عندما انزلق التاريخ خارجاً. عندما كان يحمل أبنيتها الصغيرة بين ذراعيه. عندما قالت له عيناها أنه ليس المقدم الوحيد للهدايا. أنها هي أيضاً لديها هدايا لتعطيها إياها، في مقابل قواربه، وصناديقه، وطواحين هوائه الصغيرة، ستقايضه بغمازيتها العميقتين عندما تبتسم. يشرتها البنية الناعمة. بكتفيها المشعيتين. بعينيها اللتين كانتا في مكان آخر على الدوام.

لم يكن هناك.

جلست أمو على درج الحجارة الذي يقود داخل المياه. دفنت رأسها في ذراعيها، وهي تشعر بالغباء لأنها كانت متأكدة جداً. واثقة جداً.

أبعد، باتجاه التيار في وسط النهر، كان فيلونا طافياً على ظهره، وينظر نحو الأعلى إلى النجوم. كان أخوه المشلول والده ذو العين الواحدة قد أكلا العشاء الذي صنعه لهما وناما. وهكذا كان حراً في أن يتمدد في الهر و يترك نفسه ينساب ببطء مع التيار. جذع شجرة. تمساحاً ساكناً. شجرة جوز هند انحنت نحو النهر وراقبته وهو يطفو ماراً. وبكى خيزران أصفر. مارست أسماك صغيرة حريات لعوبة معه. ونقرته.

انقلب وبدأ بالسباحة. ضد التيار. استدار تجاه الضفة من أجل نظرة أخيرة، متخذاً طريقه في المياه، يشعر بالغباء لأنه كان متأكداً جداً. واثقاً جداً. عندما رآها كاد الانفجار يفرقه. تطلب منه كل قوته ليبقى طافياً. وطأ الماء، واقفاً في وسط نهر قائم.

لم تر تدويره رأسه تنوس فوق النهر قائم. من الممكن أن يكون أي شيء. شجرة جوز هند طافية. على أي حال لم تكن تنتظر. كان رأسها مدفوناً في ذراعيها.

راقبها. أخذ وقته في ذلك.

لو كان يعلم أنه كان على وشك دخول نفق مخرجه الوحيد، هو فناؤه

الشخصي، هل كان سيستدير ويتعد؟
ربما.

وربما لا.

من يستطيع أن يعرف؟

بدأ بالسباحة نحوها. بسرعة. مجدفاً الماء دون جلبة. كان قد وصل الضفة تقريباً عندما رفعت نظرها ورأته. لمست قدماه قاع النهر الموحل. وبينما خرج من النهر القاتم وصعد الدرجات الحجرية، رأت أن العالم الذي كانا يقفان فيه كان عالمه. أنه ينتمي إليه. وأن العالم ينتمي إليه أيضاً. الماء. الطين. الأشجار. الأسماك الجوم. كان يتحرك بسهولة فائقة فيه. بينما كانت تراقبه أدركت نوعية جماله. كيف كان عمله قد شكّله. كيف أن الخشب الذي أبدعه، كان قد أبدعه بالمقابل. كل قطعة خشب سواها وكل مسمار اقتلعه وكل شيء صنعه، كان قد قبله. ترك طابعه عليه. أعطاه قوته، رشاقته اللينة. كان يلبس لباساً رقيقاً أبيض حول خصره، معقوداً بين رجليه الغامقتين. نفخ الماء من شعره. استطاعت أن ترى ابتسامته في العتمة. ابتسامته الفجائية البيضاء التي حملها معه من فتوته إلى رجولته. متاعه الوحيد.

نظرا إلى بعضهما البعض. لم يعودا يفكران. كان الوقت قد فات من أجل هذا. تددت ابتسامات مهشمة أمامهما. لكن ذلك سيكون فيما بعد. فيما بعد.

وقف أمامها والنهر يتقطر منه. بقيت جالسة على الدرجات، تراقبه. ووجهها شاحب في ضوء القمر. زحفت برودة مفاجئة إليه. لقد أساء فهمها. كان كل شيء مجرد اختلاق من خياله. كان هذا فخاً. كان هناك أناس بين الشجيرات. يراقبون. وكانت هي طعمه اللذيذ. كيف يمكن للأمر أن يكون غير ذلك؟ لقد رأوه في المسيرة. حاول أن يجعل صوته طبيعياً. عادياً. لكنه خرج في نقيق.

«أمو كوني.. ماذا هنالك؟»

ذهبت نحوه ومددت طول جسدها مقابل طول جسده. وقف هو فقط. لم يلمسها. كان يرتجف. بسبب البرد. بسبب الرعب. وبسبب الرغبة الموحجة. وبالرغم من خوفه كان مستعداً أن يأخذ طعمه. كان يريدّها. بشكل عاجل. بلّها بلّله. وضعت ذراعيها حوله.

حاول أن يكون منطقيّاً: ما هو أسوأ ما قد يحدث؟ قد أفقد كل شيء. عملي. عائلي. حياتي. كل شيء.

استطاعت أن تسمع طرقات قلبه الضاربة.

عانقته إلى أن هدأ. نوعاً ما.

فكّك أزرار قميصها. وقفا هناك. جلدًا لجلد. سمارها أمام سواده. نعومتها أمام قساوته. ثدياها البينان اللذان بلون الجوز (اللذان لم يكونا يتحملان فرشاة أسنان) مقابل صدره الأبنوسي الناعم. شمّت النهر فيه. رائحته الخاصة بالـ Paravan التي كانت تقرف بيبي كوتشاما كثيراً. أخرجت أمو لسانها وتذوقته، في تجويف حنجرتّه. في شحمة أذنه. جذبت رأسه نحوها وقبلت فمه. قبة غائمة. قبة تطالب بقبة في المقابل. قبلها. بحذر أولاً. ثم بالحاج. التفت ذراعه حولها يبطء. مسد ظهرها. برقة شديدة. استطاعت أن تشعر بجلد راحة يده. خشناً. متصلياً. بورق السنفرة. استطاعت أن تشعر كم كانت ناعمة بالنسبة إليه. استطاعت أن تشعر نفسها من خلاله. جلدّها. الطريقة التي يوجد فيها جسدها فقط حيث يلمسها. وفيما تبقى كانت دخاناً. شعرت به يرتعد مقابلها. كانت يداها على ردفها (اللذين بإمكانهما تحمّل سرية من فراشي الأسنان)، جاذباً وركيها إليه ليجعلها تعلم كم كان يريدّها.

ابتكرت البيولوجيا الرقصة. ووقتها الزمن. وأملأها الايقاع الذي كان جسد كل منهما بجيب الآخر به. وكأنهما كانا يعلمان من قبل أنه في مقابل كل رعشة لذّة سيدقّان كمية مساوية من الألم. وكأنهما كانا يعلمان أنه إلى أي مدى يذهبان سيقياس بكم يستطيعان أن يتحملا. وهكذا تعانقا. يعذبان بعضهما البعض. يعطيان من بعضهما البعض يبطء. لكن ذلك لم يجعل الأمور

إلا أسوأ. رفع الأوتاد فقط. كلّفهما أكثر فقط. لأن تخبّط واندفاع حب غير
مألوف ملّس التحايد وأثّارهما إلى درجة الحمى.

نبض النهر خلفهما في الظلمة، مثل حرير بري. وبكى خيزران أصفري.
ارتاحت أكواع الليل على الماء وراقبتهم.

تمددا تحت شجرة المانغا، حيث فقط منذ وقت قريب شُلعت نبتة فاربية
عجوز رمادية ذات أزهار قاربيذ وقواكه قارية من جذورها بواسطة جمهورية
متحركة. دبور. علم. نفخة شعر متفاجئة. وبافورة في الحب - في - طوكيو.
عالم القارب السريع المندفع كان قد ذهب.

النمل الأبيض الذي في طريقه إلى العمل.

والدعاسيق البيضاء التي في طريقها إلى البيت.

والخنافس البيضاء التي تختبئ بعيداً عن الضوء.

والجنادب البيضاء التي مع آلات كمان من الخشب الأبيض.

والموسيقى البيضاء الحزينة.

كلها ذهبت.

تاركة رقعة بشكل قارب من التربة الجافة العارية، ممهدة وجاهزة للحب.
وكأن إستانين وراحيل كانا قد هياأ الأرض لهما. وأرادا أن يحدث هذا.
المولدات التوأم للحلم أمو.

انحنّت أمو، العارية الآن، فوق فيلوتا، وفمها فوق فمه. جذب شعرها
حولهما مثل خيمة. مثلما يفعل طفلاها عندما يريدان أن يقصيا العالم الخارجي.
انزلقت نحو الأسفل أكثر، معرفة نفسها على بقيته. عنقه. حلمته. بطنه
الشوكولاتي. رشفت آخر قطرات النهر من تجويف سرّته. ضغطت حرارة
انتصابه على جفنيها. تذوقته، مالخاً في فمها. جلس وجذبها نحوه. شعرت
ببطنه يَشُد تحتها، صلباً كلوح. وشعرت ببللها ينساب على جلده. أخذ حنمتها
في فمه وحضن ثديها الآخر في راحة يده المتصلبة. مخمل مغلف في ورق
سنفرة.

في اللحظة التي قادته فيها إلى داخلها، قبضت على لحة عابرة من شبابه، صغره، التساؤل الذي في عينيه حول السر الذي كان تحته وابتسمت له وكأنه كان طفلها.

حالما دخلها، أزعج الخوف وتولت البيولوجيا زمام الأمور. تسلق ثمن العيش ذرى صعبة البلوغ: بالرغم من أنه فيما بعد ستقول بيبي كوتشاما أنه كان ثمناً قليلاً فقط ليدفع.

هل كان كذلك؟

حياتان. وطفولة طفلين.

ودرس من التاريخ لآثمي المستقبل.

أمسكت عينان غائمتان بعينين غائمتين في تحديقة ثابتة وفشت امرأة منيرة نفسها لرجل منير. كانت واسعة وعميقة بقدر النهر في فيض. أبحر في مياها. استطاعت أن تشعر به يتحرك أعمق وأعمق داخلها. محموماً. مسعوراً. طالماً أن يُترك ليدخل أبعد، أبعد. و لا يتوقف إلا في شكلها. في شكله. وعندما رُفض طلبه، عندما كان قد لمس أعمق أعماقها، انسحب بتأوه شاهق منتفض.

تمددت مقابله. جسداهما زلقان ومتعرقان. شعرت بجسده يبتعد عنها. أصبح تنفسه منتظماً أكثر. رأت عيناه تصفيان. متمد شعرها، شاعراً أن العقدة التي حلّها داخله كانت ما تزال مشدودة و ترتعش داخلها. قلبها برقة على ظهرها. مسح العرق والجريش عنها بلباسه الرطب. استلقى فوقها، محترساً ألا يضع كامل وزنه فوقها. ضغطت حصى صغيرة على جلد ساعديه. قتل عينيها. أذنيها. ثديها. بطنها. قطبها الفضية السبعة من ولادة توأمها. الخط السفلي الذي يقود من سرتها إلى مثلثها الغامق، الذي أخبره أين أرادته أن يذهب. داخل رجليها، حيث كان جلدها أنعم. ثم رفعت يدا النجار وركبها ولمس لسان منبوذ الجزء الأعرق فيها. وشرب طويلاً وعميقاً من قصعتها.

رقصت له. على رقعة الأرض تلك التي بشكل قارب. وعاشت.

أمسك بها مقابله، مسنداً ظهره إلى شجرة المانغا، بينما كانت تبيكي وتضحك في آن واحد. ثم، ولمدة بدت كأنها أبدية، في حين أنها لم تكن أكثر من خمس دقائق، نامت مستندة إليه، وظهرها إلى صدره. سبع سنوات من النسيان والاندثار أقلعت منها وطارت في الظلال بجناحين ثقيلين مرتعدين. مثل طاووس فولاذي باهت. وعلى طريق آمو (من السن والموت) ظهر مرج صغير مشمس. وتلألأ عشب نحاسي بفراشات زرقاء. وإلى الخلف منه، هاوية. تسرب الرعب رويداً رويداً داخله. بسبب ما كان قد فعله، بسبب ما كان يعلم أنه سيفعله ثانية. مراراً وتكراراً.

استيقظت على صوت قلبه يدق في صدره. وكأنه كان يبحث عن طريق إلى الخارج. من أجل ذلك الضلع المتحرك. لوح ستحاب سري. كانت ما تزال ذراعاه حولها، استطاعت أن تشعر بعضلاته تتحرك بينما كانت يدها تلعبان بسعفة نخيل جافة. ابتسمت آمو لنفسها في الظلام، وهي تفكر كم كانت تحب ذراعيه - شكلهما وقوتهما، وكم كانت تشعر بالأمان وهي ترتاح داخلهما في حين كانا في الواقع أخطر مكان من الممكن أن تكون فيه. طوى خوفه في زهرة متقنة. أمسك بها على راحة يده. أخذتها منه ووضعتها في شعرها.

اقتربت أكثر تريد أن تكون داخله، أن تلمسه أكثر. جمعها داخل كهف جسده. ارتفع نسيم من النهر ويرد جسديهما الدافئين. كان بارداً قليلاً. رطباً قليلاً. هادئاً قليلاً. الجو. لكن ماذا كان هناك ليقال ؟

بعد ساعة حررت آمو نفسها بلطف.

«يجب أن أذهب».

لم يقل شيئاً، لم يتحرك. راقبها وهي ترتدي ثيابها.

كان يهمه أمر واحد فقط. كانا يعلمان أنه كان كل ما يستطيعان أن يطلبانه من بعضهما البعض. الشيء الوحيد. للأبد. كلاهما كان يعرف ذلك. حتى فيما بعد، في الليالي الثلاث عشرة التي تلت هذه الليلة، التصقا بأشياء صغيرة. بقيت الأشياء الكبيرة كامنة في العمق إلى الأبد. كان يعلمان أنه لم يكن يوجد مكان ليذهبا إليه. لم يكن لديهما أي شيء. لا مستقبل. ولذلك التصقا بالأشياء الصغيرة.

ضحكا على قرصات النمل في مؤخرة كل منهما. وعلى يرقات خرقاء وهي تسقط عن أطراف أوراق الأشجار، على الخنافس المقلوبة التي لم تكن تستطيع استعادة وضعيتها بشكل صحيح. على زوج الأسماك الصغيرة الذي كان يفتش عن فيلوثا دوماً في النهر وينقره. وبشكل خاص على فرس نبي ورع يصلي. على عنكبوت صغير جداً كان يعيش في شق في جدار الشرفة الخلفية لبنت التاريخ وعوّه نفسه بتغطية جسمه بشذرات من النفايات - شظية من جناح دبور. جزء من بيت عنكبوت. غبار. ورقة شجر متعفنة. الصدر الفارغ لنحلة ميتة. كان يدعو فيلوثا *Chappu Thamburan*، سيد النفايات. في إحدى الليالي تبرّعا لحزائنه - رقاقة من قشرة ثوم - وأهينا جداً عندما رفضها مع درعه الواقى، الذي بزغ منه - ممتعضاً حرداً، عارياً، مخاطي اللون. وكأنه كان يرثي لذوقهما في اللباس. وبقي لعدة أيام في هذه الحالة الانتحارية من العري الأبي المتكبر. وبقيت القشرة المرفوضة من القمامة واقفة، كنظرة عالمية خارجة عن الموضة. فلسفة عتيقة الطراز. ثم تفتت. وبالتدرج اقتنى *Chappu Thamburan* مجموعة جديدة.

دون أن يعترفا لبعضهما البعض أو لنفسيهما، ربطا قدرهما، ومستقبلهما (جهما، جنونهما، أملهما، متعتهما اللانهائية) به. تفقدها ليلة كل يوم (مع دعر متنام مع مرور الوقت) ليريا إن كان بقي على قيد الحياة ذلك اليوم. قلقا من هشاشته. من صغره. من كفاءة تمويهه. من فخره بذاته المدمرة. وتعودا على أن يحبا ذوقه الاصطفائي. وكرامته ثقيلة الحركة.

اختاراه لأنهما كانا يعلمان أن عليهما أن يضعا إيمانهما في الهشاشة. أن

يلتصقا بالصخر. كل مرة كانا ينفصلان فيها، كانا ينتزعان فقط وعداً صغيراً من بعضهما البعض.

«غداً؟»

«غداً».

كانا يعرفان أن الأمور من الممكن أن تتغير في يوم. وكانا على حق بشأن ذلك.

ومع ذلك، كانا على خطأ بشأن *Chappu Thamburan*. لقد عمر أكثر من فيلوثا. وأصبح أباً لأجيال المستقبل. مات في ظروف طبيعية.

في الليلة الأولى، في اليوم الذي جاءت فيه صوفي مول، راقب فيلوثا حبيبته وهي ترتدي ثيابها. وعندما جهزت، فرفضت في مواجهته. لمسته برفقة بأصابعها وتركت أثراً من القشعريرة على جلده. مثل طيشورة مسطحة على لوح أسود. مثل نسيم في حقل أرز. مثل خطوط نفثة في سماء كنيسة زرقاء. أخذ وجهها في يده وجذبه نحوه. أغلق عينيه وشم جلدها. ضحكت أمو. نعم، يا مارغريت، فكّرت. نحن نفعله مع بعضنا أيضاً.

قبّلت عينيه المغلقتين ووقفت. راقبها فيلوثا تبتعد وظهره إلى شجرة المانغا. كان لديها زهرة جافة في شعرها.

استدارت لتقولها مرة ثانية: «*Naaley*»
غداً.